مركزيّة الإنجيل
من أجل تجديد إيماننا
وإصلاح ممارساتنا في الخدمة
أشرف على التحرير د. أ. كارسون وتيموثي كيلر

مركزيّة الإنجيل

من أجل تجديد إيماننا وإصلاح ممارساتنا في الخدمة

أشرف على التحرير د. أ. كارسون وتيموثي كيلر

مركزيّة الإنجيل: من أجل تجديد إيماننا وإصلاح ممارساتنا في الخدمة

© 2016 هيئة ائتلاف الإنجيل "The Gospel Coalition"

كافة حقوق الطبع والنشر محفوظة.

تم طباعة هذا الكتاب باللغة الإنجليزيّة تحت عنوان

مركزيَّة الإنجيل: من أجل تجديد إيماننا وإصلاح ممارساتنا في الخدمة

Arabic Version © 2025 by Crossway

The Gospel as Center: Renewing Our Faith and Reforming Our Ministry Practices

Original English Edition © 2012 by The Gospel Coalition

Published by Crossway, 1300 Crescent Street, Wheaton, Illinois 60187, U.S.A.

Online Arabic edition published with permission of Crossway
ISBN: 979-8-8749-0518-7

اقتباسات النصوص الكتابيّة مأخوذة من ترجمة البستانيّ – ڤاندايك، إلا إذا أُشير إلى غير ذلك.

المحتويات

صفحة

تمهيد 5

1. خدمةٌ مَركزُها الإنجيل 6

د.أ. كارسون وتيموثي كيلر

2. هل يمكننا أن نعرف الحق؟ 17

ريتشارد. د. فيليبس

3. الإنجيل وكلمة الله: كيف نقرأ الكتاب المقدس 34

مايك بيلمور

4. الخلق 47

أندرو م. دافيس

5. الخطيّة والسقوط 67

ريديت أندروز الثالث

6. الخطة 77

كولين س. سميث

7. ما هو الإنجيل؟ 101

برايان شابل

8. فداء المسيح 120

ساندي ويلسون

9. التبرير 135

فيليب جراهام رايكن

10. الروح القدس 152

كيفين ديبانج

11. ملكوت الله 171

ستيفن أوم

12. الكنيسة: شعب الله الجديد 186
تيم سافاج
13. المعمودية وعشاء الرب 206
ثابيتي أنيوبوايل و ج. ليجون دانكان
14. رد كل شيء 226
سام ستورمز

ملحق:
الوثائق التأسيسيّة لهيئة ائتلاف الإنجيل "The Gospel Coalition" 244

ملاحظات 260

تمهيد

حين أُنشئت هيئة ائتلاف الإنجيل "The Gospel Coalition"، بذل أعضاء مجلس الإدارة جهدًا مضنيًا لإصدار ما أطلقنا عليه "الوثائق التأسيسية." وتتضمن هذه الوثائق افتتاحية من صفحة واحدة، ثم إقرار إيمانٍ، بالإضافة إلى رؤيةٍ لاهوتيّةٍ للخدمة. هذه الوثائق، كما نأمل، مليئة بالفرح الذي مركزه هو الله، وتعجّ بيقينٍ مبتهجٍ في إنجيل يسوع المسيح وما يتبعه بشأن الكيفية التي نفكر ونحيا بها. هذه الوثائق سهلة التحميل بعدة لغات من موقعنا الإليكتروني (thegospelcoalition.org)، كما قد وضعنا نسخة منها في ملحق هذا الكتاب.

لم يمضِ وقت كبير حتى طلبت العديد من الكنائس والمنظمات المحليّة تبنّي هذه الوثائق لنفسها، وبالطبع يسرّنا دائمًا أن يحدث هذا. وقد جاءنا أيضًا، جنبًا إلى جنب مع هذه الطلبات، عدد متزايد من الاقتراحات بتفكيك هذه الوثائق التأسيسيّة إلى سلسلةٍ من الكُتيّبات أو الملفات القابلة للتحميل، وجمعها معًا في النهاية في كتابٍ واحدٍ. وهكذا طلبنا من بعض أعضاء مجلس الإدارة، وشخصًا أو شخصين آخرين، أن يتعاونوا معًا لكتابة أربعة عشر فصلاً لشرحِ اللاهوت الذي تعكسه هذه الوثائق التأسيسيّة.

وكان الناتج هو ما تحملونه بين أيديكم الآن، فقد اجتمعت الفصول المنفصلة التي كانت قبلاً في صورة كُتيّبات أو ملفات للتحميل، في هذا الكتاب.

وقد أفسحنا المجال في هذا الكتاب لبعض التنوع والاختلاف في الأسلوب مع محاولتنا في الوقت ذاته الحفاظ على مستوى متناسقٍ ومتوافقٍ إلى حدٍ ما من قابلية الفهم والاستيعاب. وقد اعتدنا في الجلسات الجماعيّة لمؤتمراتنا العامة على وجودِ مفسرين يختلفون بشكلٍ كبيرٍ جدًا في أسلوبهم من جهة شرح وتفسير كلمة الله، ولكننا حقًا نتلذذ بغضاضةِ وحيويّةِ هذا التنوع. وهكذا تعكس هذه الفصول شيئًا ما من التنوع ذاته، ولهذا نحن ممتنون.

أيضًا أنا مديون بشدة لأندي ناسيلي الذي قدّم مساعدة في العمل التحريريّ ووضع الفهارس. وقد تميزت دار نشر كروسواي في تعاونها في هذا المشروع بالصبر والكفاءة والكياسة المعتادة.

د. أ. كارسون

هيئة ائتلاف الإنجيل

(The Gospel Coalition)

الفصل الأول

خدمةٌ مَركزُها الإنجيل

د. أ. كارسون وتيموثي كيلر

تعد هيئة ائتلاف الإنجيل "The Gospel Coalition" شركة لمجموعة من الكنائس والمؤمنين من مختلف الطوائف، اتحدوا معًا ليس من خلال إيمانهم برسالة الإنجيل الكتابيّة فحسب، بل أيضًا من خلال قناعتهم بضرورة تعزيز وتشجيع وتطوير الخدمة التي مركزها الإنجيل في هذه الأيام. وسنقدم فيما يلي لمحة عن الخلفيّة التاريخيّة لكيفيّة وأسباب اجتماعنا معًا.

منذ عدة سنوات، بدأ البعض منا في الاجتماع بمعدل سنوي، ثم بعد ذلك شكّلت هذه المجموعة مجلس إدارة هيئة ائتلاف الإنجيل "The Gospel Coalition". وفي الثلاث سنوات الأولى سعينا إلى تحقيق شيئين:

وضع الأساس بناءً على إقرار إيمان

أولاً، سعينا إلى تعريف وتعزيز مركز الفكر الإنجيلي القائم على إقرار إيمان. فإننا نعتقد أن بعض جوانب الفهم التاريخي لرسالة الإنجيل الكتابيّة الهامة مهدَّدة بأن تتلوث أو تُفقَد من كنائسنا في هذه الأيام. هذه الجوانب تتضمن لزوم الولادة الجديدة، والتبرير بالإيمان وحده، فضلاً عن الكفارة بموت المسيح الاسترضائي والبديليّ. وقد سعينا إلى إحكام قبضتنا على هذه العقائد وتعزيزها، ليس من خلال سرد الصياغات اللاهوتيّة العظمى من الماضي فحسب، بل أيضًا من خلال تفاعلٍ مستمرٍ ومتجددٍ مع كلمة الله نفسها. وهكذا قمنا بالعمل معًا من أجل إصدار إقرار الإيمان والعقيدة الخاص بهيئة ائتلاف الإنجيل.

المفردات الكتابيّة–اللاهوتيّة

أخبرنا العديد من الأعضاء بعد العمل على إقرار الإيمان بأن هذه كانت واحدة من أكثر الخبرات البنّاءة والتعليميّة التي حصلوا عليها على الإطلاق. فقد أقبل ما يقرب من أربعين راعٍ على دراسة هذا الإقرار سطرًا بسطرٍ. وكان أحد الأهداف هو استخلاص لغتنا من الكتاب المقدس بقدر الإمكان، بدلاً من اللجوء في عجلةٍ إلى مفردات اللاهوت النظاميّ. فالعقائد النظاميّة بالفعل هي شيء أساسيّ، كما أن مصطلحات مثل "الثالوث"، التي لا يحويها الكتاب المقدس نفسه، لا يمكن الاستغناء عنها لأجل فهم

الأجزاء الواسعة في تعليم الكتاب المقدس والتعبير عنها. لكن مع ذلك، ولأجل المحافظة على الوحدة بيننا ولإقناع قرائنا، سعينا إلى التعبير عن إيماننا بقدر الإمكان من خلال مفردات كتابيّة—لاهوتيّة بدلاً من اقتراض مصطلحات اللاهوت النظاميّ التي تنتمي لأي تقليد أو تراث معين.

نقطة البداية هي الله

وقد اعتقدنا أيضًا أنه من الأهمية بمكان أن تكون نقطة بدايتنا في هذا الإقرار هي الله وليس الكتاب المقدس، وهذا له دلالة كبيرة. فقد كان عصر التنوير واثقًا بشكلٍ زائدٍ عن الحد في أصالة المنطق البشري. وافترضت بعض جوانبه إمكانية بناء نظم للفكر على أسس غير قابلة للهدم، يمكنها أن تكون يقينيّة بالنسبة للمنطق البشري المستقل غير المدعوم. وعلى الرغم من شجب الكثير من الإنجيليين المحافظين المتكرر لفكر التنوير، إلا أنهم مع ذلك قد تشكلوا به. وهذا يظهر في بدء الكثير من إقرارات الإيمان الإنجيليّة بالحديث عن الكتاب المقدس وليس عن الله. إذ تتقدم من الكتاب المقدس لتصل إلى العقيدة من خلال استخراج مدقق ومجتهد للمعاني والتفسيرات بغرض بناء (ما يعتبرونه) لاهوت صحيح تمامًا، ومضمون، وأمين في حق الكتاب المقدس.

المشكلة هي أن هذا يعد في الأساس منهجًا أصوليًا لتناول المعرفة. فهو يتجاهل درجة تأثير الثقافة والمجتمع في تفسيرنا للكتاب المقدس، ويفترض وجود تمييز شديد وفصل دقيق للغاية بين الذاتيّة والموضوعيّة. كما يتجاهل اللاهوت التاريخيّ، والفلسفة، والانعكاس الثقافي والمجتمعي. فإن البدء من الكتاب المقدس يقود القراء إلى الثقة الزائدة عن الحد في كون المعنى الذي استخرجوه للنصوص الكتابية قد أنتج نظامًا من حق عقائدي كامل.[1] وهذا من شأنه أن يخلق الكبرياء والصرامة إذ لا يقر بشكلٍ كافٍ بسقوط المنطق البشري وعدم عصمته.

وبالتالي فإن أفضل شيء في اعتقادنا هو أن نبدأ من الله، وأن نعلن (مع جون كالفن، في كتابه *أساسيات الديانة المسيحية* الجزء الأول والفصل الأول، Institutes 1.1) استحالة أن نعرف أنفسنا، أو عالمنا، أو أي شيء آخر دون أن نعرف الله. فإن لم يكن الله موجودًا، لن يكون لدينا أي سبب وجيه للثقة في منطقنا.

كلمة إنجيليّ

أيضًا قمنا، كجزء من هذه العمليّة، بتخصيص بعض الوقت لهذا السؤال: "هل لازالت كلمة إنجيليّ نافعة اليوم؟" في إمكاننا تقديم حجة جيدة ندعم بها الإجابة التي تقول إنها لم تعد نافعة. فإن المحتوى اللاهوتيّ الذي تنقله هذه الكلمة يتناقص داخل الكنيسة يومًا بعد يوم. فهي تقريبًا صارت تعني: "كل من

هم مستعدون لاستخدام لفظ 'مولود ثانية' لوصف اختبارهم الشخصي". أما خارج الكنيسة، فربما أصبح للكلمة أكثر الدلالات والمعاني سلبية على الإطلاق.

ومع ذلك، تصف هذه الكلمة كنائسنا واجتماعنا معًا. لماذا؟ نحن جميعنا من طوائف وتقاليد مختلفة—كالمعمدانيّة، والمشيخيّة، والأسقفيّة، والكاريزماتيّة، على سبيل المثال لا الحصر من الطوائف الرئيسيّة. ولا نعتقد أن الاختلافات اللاهوتيّة والكنسيّة التي تقسمنا عديمة الأهميّة، لا أبدًا. فإن هذه الاختلافات هي التي تشكّل خدماتنا، وتميّزنا بعدة طرقٍ هامةٍ. (يمكن أن نقول إنها "تكميليّة"، لكن هذا سيتطلّب مقالاً أخر منا). إلا أننا قد اتحدنا من خلال قناعتنا بأن ما يوحدنا—أي العناصر الرئيسيّة العقائديّة للإنجيل—أهم بكثير مما يفرقنا. فمن ناحية، هذا يميزنا عمّن يعتقدون أنه لا يوجد إنجيل يمكن أن يُكرَز به بمعزل عمّا يميز تقليداتهم. إذ هم لا يعتقدون أن تميزاتهم الطائفية أمور "ثانويّة". ومن ناحية أخرى، تلك القناعة تميّزنا عمّن يفضِّلون تعريف الفكر الإنجيليّ فقط بمفردات اجتماعيّة أو اختباريّة، وبهذا هم ليسوا على استعداد لجعل مثل هذا الإقرار الإيماني السليم أساسًا للشركة والتعاون.

ولذلك نحن لازلنا نستخدم كلمة "إنجيلي" الهامة لنصف بها أنفسنا، في أحيان كثيرة مع إضافة كلمة "ذات إقرار للإيمان" (confessional) إليها للإشارة إلى الرؤية الأكثر خصبًا من الناحية اللاهوتيّة للفكر الإنجيليّ الذي نتبناه.

رؤيتنا للخدمة

إلا أننا لم نتحد فقط للدفاع عن الصيغ القديمة التي تعبّر عن الإنجيل، بل كان غرضنا الآخر هو أن نصف الخدمة التي مركزها الإنجيل في هذه الأيام، وأن ندعمها، ونجسّدها.

التغيرات الحادثة في عالمنا

كثيرون من القادة الشباب في كنائسنا اليوم يترنحون من جراء التغيرات التي يشهدونها في عالمنا. ففي الولايات المتحدة، منذ جيلٍ واحدٍ فقط، كان جميع البالغين يتبنون بديهيّات أخلاقيّة متشابهة، سواء كانوا مؤمنين مولودين ثانية، أو من مرتادي الكنائس، أو مسيحيين إسميين، أو حتى غير مؤمنين. لكن كل هذا قد تغيّر اليوم. فإن الاتجاه اللا دينيّ العلمانيّ الدنيويّ صار أكثر عدوانيّة وشراسة بكثير، وأكثر معاداة للمسيحيّة. والمجتمع اليوم أصبح أكثر صلابة وغلظة بوجه عام، واختلفت البديهيّات الأخلاقيّة لدى الشباب اختلافًا جذريًا عن والديهم التقليديين.

كثيرون أطلقوا على هذا الوضع الجديد اسم "تحول ما بعد الحداثة"، مع أن آخرين يطلقون عليه اسم حداثة "متأخرة"، أو حتى حداثة "سائلة" [المترجم: وصف علماء الاجتماع للحداثة المتأخرة نتيجة لإمكانيّة وسهولة تنقل الإنسان من حالة اجتماعيّة إلى أخرى مثل السائل]. فقد أبطلت الحداثة سلطة التقاليد والموروثات، أو سلطة الإعلان، أو أي سلطة أخرى خارجة عن المنطق والاختبار الداخلي للذات. لكن مع ذلك، ظلت مؤسسات مستقرة نسبيًا تهيمن على المجتمع الحديث لفترة طويلة من الزمن، وظل الناس يؤصّلون جذور هوياتهم بدرجةٍ كبيرةٍ في العائلة، والمجتمعات المحليّة، وعملهم أو مهنتهم. لكن يبدو أن هذا قد ولّى.

ويبدو أن "حمض" المبدأ الحديث—أي الذات المستقلة الفرديّة—قد بدأ يتسبب في تآكل جميع الهويّات المستقرة، كالزواج والعائلة، ومقر العمل والمهنة، وصلات التجاور والقرابة والمجتمع المدني، والسياسات والقضايا. فلم تعد الآن أي من هذه المؤسسات مستقرة لبعض الوقت كي يتكئ الأفراد عليها. ويعيش الناس الآن حياة مفتتة، ولم يعودوا يفكرون في أنفسهم من حيث بضعة أدوار رئيسيّة (مثل مسيحيّ، أو أب، أو محامٍ). بل تتشكل هويتهم باستمرار فيما ينتقلون عبر سلسلة من مراحل الحياة غير متصلة جيدًا ببعضها. فهم دائمًا على استعداد لتغيير الاتجاه، والتخلي عن التزاماتهم وما هم أوفياء من نحوه، دون وخز من ضمائرهم، والسعي—بناء على أساس المكسب والخسارة—خلف أفضل فرصة متاحة لديهم.

ردود الأفعال تجاه هذه التغيرات

في الماضي، كان باستطاعة الكثير من المحيطين بنا فهم الخدمة والوعظ الكرازيّ الإنجيليّ التقليديّ، لكنهم كانوا يقابلونه بمعارضة أو بلا مبالاة. لكن خلال الخمسة عشر عامًا الأخيرة، صار الناس يقابلونه بعدم فهم ودهشة شديدة، أو بغضبٍ عارمٍ. وصار العالم الأمريكيّ الإنجيليّ يتهاوى ويتمزّع من جرّاء ردود الأفعال المختلفة جذريًا تجاه هذا الوضع المجتمعيّ الجديد. ولكي نبسِّط هذا إلى أقصى حد ممكن، نقول إن البعض ببساطة قد قاموا بتعلية حوائط قلعتهم، مستمرين في فعل ما لطالما فعلوه، لكن بشكل أكثر حسمًا من ذي قبل. آخرون دعوا إلى إعادة هيكلة عقائديّة كاملة للفكر الإنجيليّ. لكننا نعتقد أن كلا الاتجاهين غير موفقين، والأسوأ من ذلك أنهما متلفان لقضية الإنجيل.

والمثال الأول على هذا نجده في **الوعظ**. فعلى مدار السنوات الأخيرة، مورس ضغط كبير للتخلي عن الوعظ التفسيريّ واستبداله بما يطلق عليه بشكل عام الوعظ "القصصي". وتُشخَّص الحالة كما يلي:

> هذه هي أزمنة ما بعد الحداثة، التي يميزها انهيار الثقة في مشروع التنوير، ويقين منطقيّ عقلانيّ في "الحق". وهكذا فإن السامعين اليوم صاروا يتبعون حدسهم أكثر من اتباعهم للمنطق. فاليوم يمكن النجاح

في التأثير عليهم بشكل أكبر من خلال الصور والقصص وليس من خلال الافتراضات والمبادئ. كما أنهم يعانون من حساسيّة تجاه التصريحات السلطويّة. وهكذا لابد لنا أن نتكيّف مع هذه الأحاسيس الأقل عقلانيّة، والغير سلطويّة، والشرهة تجاه القصص في زمننا هذا.

بحسب فهمنا نحن، يعد التخلي عن الوعظ التفسيريّ بهذا الشكل خطأ كبيرًا. لكن في بعض الأماكن، يكون رد الفعل شيئًا من هذا القبيل: "بما أن نوع الوعظ الذي ننتهجه لا يعجب تابعي ما بعد الحداثة، فسوف نقدم لهم إذًا قدرًا أكبر من ذي قبل منه". فهم لا يبغون الاعتراف بأن الاستخدام الزائد عن الحد للمنهجيّة التفسيريّة المعتادة صار أكثر ميلاً إلى كونه فكرة نظريّة تجريديّة إلى حد ما، فاقدة للحياة تمامًا، ولا صلة لها بالواقع الحياتي. أيضًا يحب الكثير من الواعظين التقليديين التفسيريين "أناقة" الوعظ من رسائل العهد الجديد بدلاً من الوعظ من الأحداث الحيّة للعهد القديم وقصصه. لكن الحقيقة هي أن الوعظ التفسيريّ يفشل إن لم يقم بربط كل نص، حتى الأكثر استطراداً، بقصة الإنجيل العظيمة وبإرساليّة يسوع المسيح.

المثال الثاني هو **العدالة وخدمة الفقراء**. يتعلق هذا المثال بقضية العدالة وخدمة الفقراء، فإن الكثير من القادة المؤمنين من الشباب ممن يمتلكون شغفًا وحماسًا تجاه العدالة الاجتماعيّة، يعترضون قائلين إن القراءة الكلاسيكيّة لكل من أغسطينوس، ولوثر، وكالفن لرسالة رومية ليست قراءة صحيحة. فإن رأيهم هو أن يسوع لم يقاس غضب الله على الصليب، لكنه بالحريّ كان يقدم مثالاً عن الخدمة والمحبة، في مقابل السلطة والتسخير، ولذلك استطاع "هزيمة قوات" العالم. وهكذا فإن إنجيل التبرير، من هذا المنظور، لا يتعلق بالمصالحة بين الله والخطاة، بقدر ما يتعلق بضم المهمَّشين إلى شعب الله. بمعنى آخر، هم يؤمنون أنه إن لزم على المسيحيين ترك استقرارهم وراحتهم لخدمة الفقراء والمهمَّشين في العالم والدفاع عنهم، فهذا يستلزم هدم العقيدة الإنجيليّة التقليديّة.

كل هذا يدق ناقوس الخطر بحق في أذني الكثير من القادة المسيحيين المحافظين، لكن البعض منهم يستنتجون بالخطأ أن أولئك المهتمين بشدة بخدمة الفقراء لابد أنهم قد تخلوا عن العقيدة المسيحيّة التقليديّة. كلا هاتين المجموعتين لم يجانبهما الصواب. إذ لا يوجد ما يستلزم تغيير العقيدة الكلاسيكيّة التقليديّة للتركيز على أهميّة خدمة الفقراء.[2] وقد استنتج جوناثان ادواردز، الذي هو بعيد كل البعد عن أن يكون "ليبراليّاً"، الآتي: "أين نجد في الكتاب المقدس وصيّة مدوَّنة بألفاظ قويّة، وبطريقة آمرة وملحة، أكثر من وصيّة العطاء للفقراء؟"[3] فقد رأى ادواردز الاهتمام بالفقراء متأصلاً ليس في عقيدة الخلق وعقيدة صورة الله فحسب، بل أيضًا في عقيدة موت المسيح البديليّ، والتبرير بالإيمان وحده.

فبما أن يسوع كان لابد له أن يموت من أجل استرضاء غضب الله، فإننا بهذا نعلم أن الله عادل، وبالتالي ينبغي أن نكون أكثر حساسيّة تجاه حقوق الفقراء الموجودين في مجتمعاتنا. فينبغي ألا تُساء معاملتهم بسبب افتقارهم للقوة الاقتصاديّة. ولأننا كنا مفلسين روحيّاً، ونلنا غنى المسيح الذي لا نستحقه، فنحن لا يجب قط أن نزدري بالفقراء ونشعر بسمونا على أولئك المفلسين اقتصاديّاً. علينا أن نكون على استعداد أن نعطي من مواردنا المالية حتى إلى "الفقراء غير المستحقين" بما أننا نحن الفقراء روحيّاً غير المستحقين قد نلنا رحمة الله المجانيّة. فإن ادواردز دافع بقوة ودون كلل عن خدمة الفقراء انطلاقًا من التعاليم الكلاسيكيّة الإنجيليّة نفسها.[4]

الخدمة المتمركزة حول الإنجيل اليوم

إن الشيء الذي يوحّد هيئة ائتلاف الإنجيل "The Gospel Coalition" هو الاعتقاد بضرورة عدم تجاهلنا لظروفنا الثقافيّة والبيئيّة ولخلفياتنا، وضرورة التأثير بشكلٍ جادٍ على مجتمعنا حتى يتسنّى لخدمة الإنجيل التي نقوم بها أن تنخرط في هذا المجتمع وتتواصل معه. ولهذا السبب وضعنا الرؤيّة اللاهوتيّة للخدمة، والتي تُختتم بأن الإنجيل لابد وأن:

> ينتج كنائس مليئة بالبهجة وعوامل الجذب، وبالوعظ المتين لاهوتيّاً، وبالكرازة الحيويّة والدفاعيّات، ونمو الكنائس وزراعة كنائس جديدة. هذه الكنائس ستقوم بتسليط الضوء على التوبة، والتجديد الشخصيّ، وقداسة الحياة. وفي الوقت ذاته، *وداخل الكنائس ذاتها*، سيكون هناك انخراط في تركيبات المجتمع من البشر العاديين، بالإضافة إلى الانخراط الثقافي في الفن، والتجارة، والتعليم، والإدارة. وستكون هناك دعوات لمجتمع مسيحيّ أصيل، فيه يشترك جميع الأعضاء في الثروة والموارد، ويفسحون مجالاً للفقراء والمهمَّشين. هذه الأولويّات جميعها ستجتمع معًا، وستعزّز بعضها الآخر في كل كنيسة محليّة.

وهكذا فإننا نؤمن في هيئة ائتلاف الإنجيل بضرورة المحاماة بشكل دائم عن الإنجيل، والوسيلة التي لا يمكن استبدالها لعمل ذلك هو أن نظهر للعالم وللكنيسة قوة وسلطان الخدمة التي مركزها الإنجيل. وتعد الطريقة المُثلى لتعريف الإنجيل والدفاع عنه هي أن نحبّه، ونؤمن به، ونجسّده، وننشره. وفي الوثائق التي قمنا بتدوينها، أي إقرار إيماننا، ورؤيتنا تجاه الخدمة، والإنجيل لأجل كل الحياة، قمنا بعمل مخطط للملامح الرئيسيّة لما لابد وأن تبدو عليه الخدمة التي مركزها الإنجيل اليوم في المجتمع الغربي.

وفي خلال الثلاث السنوات الأولى لمسيرنا معًا، سعينا إلى توحيد مجموعة متنوعة من البشر ليجتمعوا حول هذا المركز الذي هو الإنجيل. فقد كانت اجتماعاتنا مثيرة ومحفّزة إذ لم تهيمن عليها تقاليد عقائديّة معيّنة أو بعض الشخصيّات المهيمنة. وفيما خصصنا الوقت لهذه القضايا، ازدادت ثقتنا في بعضنا البعض، ووصلنا إلى درجةٍ أكبر من وحدانيّة الفكر والقلب.

خدمة نبويّة تنبع من المركز

منذ وقت قريب، تحركت هيئة ائتلاف الإنجيل "The Gospel Coalition" نحو مرحلة جديدة من الخدمة، ومن مظاهر هذه المرحلة المؤتمر العام، والموقع الإليكتروني، وشبكة TGC. إلا أن هذه مجرد وسائل نؤسس بها "خدمة نبويّة تنبع من المركز".

لقد صارت "الخيمة" الإنجيليّة أكبر وأقل تماسكًا وقوة من ذي قبل. وكما ذكرنا قبلاً، أحد أهم أسباب ذلك هو المجتمع الغربيّ السريع التغير الذي نحن فيه. ويمكننا أن نؤكد على أن مناخ الخدمة هذا أصعب بكثير من أزمنة الوثنيّة اليونانيّة الرومانيّة، بشكل عام لأنه مناخ ما بعد المسيحيّة، وليس ما قبلها. وبسبب هذا التحدي، تنقسم وتتفتّت الكنيسة المسيحيّة. وتوجد على الأقل ثلاثة أنواع من ردود الأفعال، أطلق عليها جيمس هانتر الآتي: "التطهر من"، "الاستجابة الدفاعيّة ضد"، و"المواكبة مع".[5]

ينتشر رد فعل "التطهر من" بين المؤمنين والكنائس التي تعتقد أننا لا يمكن أن يكون لنا تأثير حقيقي على المجتمع، وأن كل الجهود المبذولة للتأثير على المجتمع لا تقوم سوى بتلويثنا وجعلنا نقوم بمساومات وتنازلات. ويشير هانتر بتعبير "الاستجابة الدفاعية ضد" إلى أولئك المؤمنين الذين يعتقدون في إمكانية تغيير المجتمع من خلال السياسة أو من خلال إحكام قبضتنا على نخبة وصفوة المؤسسات، واستغلال سلطاتها. كما يشير هانتر من خلال تعبير "المواكبة مع" إلى الكنائس الإنجيليّة الرئيسيّة (mainline churches)، والكنائس "الناشئة"، والكنائس الضخمة (mega churches)، التي تعتقد في إمكانية تغيير المجتمع بشكل أساسي من خلال أن نصير أكثر تعاطفًا، وأقل تصادمًا، وأكثر مواكبة معه، كي بهذا نربح عددًا كافيًا من الأشخاص إلى الكنيسة، ونشكّل فارقًا في المجتمع. وما يفاجئنا هو أن كل هذه الاتجاهات لازالت متأثرة بصورة زائدة عن الحد بفكر السيادة المسيحيّة على العالم (Christendom) في الماضي، بما في ذلك الطرف المتبنّي لسياسة "التطهر من"، إذ على الرغم من استنكاره الشديد وشجبه لهذه السيادة المسيحيّة، إلا أنه يشبه رجلاً كرّس حياته تمامًا ليكون غير مشابه لوالده، لدرجة أن والده هذا لازال يتحكم بسلوكه.

ما الذي يعنيه أن تكون لنا "خدمة نبويّة" نابعة من المركز؟ هذا يعني أن نجعل كنائسنا تتمركز حول الإنجيل، وبهذا ننتج سلسلة من التوازنات لا تملكها الاتجاهات الأخرى. فإننا علينا ألا نكون انفصاليين وألا نكون متباهين من جهة ثقافة مجتمعنا. فعلى المؤمنين (وليس الكنائس المحلية ككنائس) أن يسعوا إلى شغل أماكنهم داخل المؤسسات المجتمعيّة القديمة، وأيضًا أن يؤسّسوا وينشئوا مؤسسات وشبكات جديدة ومبتكرة تعمل لأجل الصالح العام، بناء على المفاهيم المسيحيّة عن الأشياء.

أيضًا في توصيلنا لحق الإنجيل، علينا ألا نتجاهل الموروثات القصصيّة التاريخيّة الأساسيّة، وعلينا أيضًا ألا نغيّر محتوى الرسالة ونطلق على ذلك اسم "مواكبة العصر". أيضًا علينا أن نقف راسخين في صف حتميّة وجود الكنيسة المحليّة، تلك الكنيسة التي تتولّى على عاتقها مهمة الكرازة والتلمذة، لكن علينا أيضًا أن نشجّع المؤمنين على القيام بدورهم في العالم كملح ونور. ونعتقد أن جميع هذه التوازنات تنبع من فهم عميق لمعنى رسالة الإنجيل النافعة لكل الحياة.

وربما لا تبدو الأولويّة التي نعطيها لإنجيل يسوع المسيح مُبرّرة على الفور لدى من يتبنون منظورًا مختلفًا عن معنى "الإنجيل". فعلى الأقل هناك نوعان من القيود يُفرضان عادة على هذه الكلمة. أولاً، البعض يعتقدون أن الإنجيل هو جزء هام من محتوى الكتاب المقدس، لكنه مع ذلك جزء صغير نسبيًا. ثانيًا، آخرون يعتقدون أن الإنجيل هو ما يوجهنا نحو الملكوت ويجعلنا "نخلص"، في حين أن العناصر المغيرة للحياة في محتوى الكتاب المقدس تتعلق بشيء مختلف—مثل الحكمة، والناموس، والمشورة، والنماذج القصصيّة، والعلاج في مجموعات صغيرة، وليس بالإنجيل.

ينقسم الرد على هذا إلى جزئين:

لاهوت كتابيّ يتجه صوب يسوع وصوب الإنجيل

الجزء الأول هو أن اللاهوت الكتابيّ، حال فهمه بشكل صحيح، يسير عبر الكتاب المقدس كله متجهًا نحو يسوع، ونحو الإنجيل الذي يتمم كل الإعلان المؤدي إليه، جامعًا فيه كل خيوط وأقسام الفكر الكتابيّ. بالطبع توجد أنواع غير مسئولة ومضللة من اللاهوت الكتابيّ، كما توجد أيضًا أنواع غير مسئولة ومضللة من اللاهوت النظاميّ. وآخر شيء قد نرغب فيه هو أن نعدّد فضائل أحد هذين النوعين من اللاهوت ونمدحه، بينما نسلط الضوء على نقاط الضعف في النوع الآخر، إذ أن كلا فرعي اللاهوت يمنحان بقدر المستطاع قوة وتشديدًا عظيمًا للفكر والحياة الكتابيّة الأمينة.[6] فإن كليهما يهدفان بأقصى ما لديهما من قوة، في تناولهما وتعاملهما مع كلمة الله، إلى أن يكونا حساسين تجاه مختلف الأساليب والأنواع الأدبيّة في الكتاب المقدس، وخاصة تجاه الطرق المختلفة التي تخاطبنا بها هذه الأساليب المختلفة (قارن على سبيل المثال بين أدب الشريعة، والأدب القصصيّ، وأدب الحكمة).

إلا أن اللاهوت النظامي بوجه عام يسأل ويجيب عن أسئلة لا ترتبط بالزمن ولا تتأثر به. على سبيل المثال: ما هي صفات الله؟ ما الذي حققه الصليب؟ ما هي الخطية؟ وإذ يهدف هذا اللاهوت إلى توليف وجمع كل الكتاب المقدس، وإلى التفاعل مع أوسع وأكبر المسائل والقضايا، فإن المفردات التي يستخدمها لابد أن تتعدى إذًا استخدام أسفار فرديّة أو كتّاب فرديين. على سبيل المثال، يتحدث اللاهوتيون

النظاميون عن عقيدة التبرير، عالمين جيدًا أن كلمة التبرير ومشتقاتها لا تؤدي المعنى ذاته بالتحديد في إنجيل متى كما في كتابات بولس. كما ينطبق الأمر على عقيدة دعوة الله، إذ لابد أن نبدي الملاحظة ذاتها عن لغة ومفردات كلمة "الدعوة".

بكلمات أخرى، في أغلب الأحيان تتشابك المفردات والكلمات اللاهوتية التي يشير إليها اللاهوت النظامي **شكليّاً وظاهريّاً** مع الاستخدام الكتابيّ لها، لكنها **واقعيّاً وتطبيقيّاً وماديّاً** قد تستخلص معناها من كاتب لسفر واحد فحسب. علاوة على ذلك، يُعدّ سؤال: "ما هي صفات الله؟" بالفعل سؤالاً واضحًا وهامًا، لكن تظل الحقيقة هي أنه لم يوجد أي سفر في الكتاب المقدس تحدث عن **صفات** الله. وجميع قرّاء اللاهوت النظاميّ يدركون هذا جيدًا.

في المقابل، يسأل اللاهوت الكتابيّ ويجيب بوجه عام عن أسئلة وقضايا تشدد على الأفكار الرئيسيّة لأسفار كتابيّة معينة أو مجموعة أسفار لكاتب واحد وعلى ما تسهم به، وذلك بحسب موضعها في الإطار الزمنيّ لتاريخ الفداء. ولهذا فإن المفردات والكلمات المستخدمة هي بقدر الإمكان تلك الموجودة بداخل المواد الكتابيّة نفسها. وبالتالي فإننا نسأل ونجيب هنا عن أسئلة من نوعين: 1) ما هي الأفكار الرئيسيّة التي يطرحها سفر التكوين (أو سفر الجامعة، أو إنجيل لوقا، أو رسالة رومية)؟ وكيف يتوافق السفر مع بعضه؟ ما الذي يعلمنا إياه السفر عن المواضيع التي يتناولها؟ ما الذي يعلمنا إياه سفر إشعياء، على سبيل المثال، بخصوص الله؟ 2) كيف تشغل هذه الأفكار الرئيسيّة موضعها في قصة الكتاب المقدس، أي في المرحلة التي تمثلها في تاريخ الفداء، وكيف تأخذ هذه الأفكار الإعلان الذي ينكشف متجهة به صوب يسوع المسيح؟ ما هي الأنماط والمسارات التي يتخذها هذا الانكشاف، رجوعًا إلى الخليقة وتقدمًا صوب يسوع، ثم إلى نهاية الأزمنة؟

وهكذا يرغب أعضاء مجلس إدارة هيئة ائتلاف الإنجيل "The Gospel Coalition" في تشجيع القراءة والوعظ من الكتاب المقدس من النوع الذي يتتبع آثار هذه المسارات، حتى يتسنى للمؤمنين أن يروا كيف تتبع القراءة الأمينة والمتبصرة للكتاب المقدس الأنماط والوعود الموجودة به، آخذة إيّانا صوب يسوع وإنجيله. على سبيل المثال، لا يمكننا أن نتناول ما يقوله سفر التكوين عن الخليقة وكأنه مجرد بيانات أو إقرار عن المسئوليّة البيئيّة، أو كأنه مجرد وضع الأساس لوجودنا الجسدي، مع أن كل هذا صحيح وذات أهمية بقدر ما. لكن بداخل سفر التكوين، يضع الخلق أساسًا لمسئوليّة حاملي صورة الله تجاه الله نفسه، ويهيئ مسرح الأحداث للتمرّد والوثنيّة التي ستأتي في تكوين 3، والتي بدورها ستُنشئ الأحداث الدراميّة *للكتاب المقدس بأكمله*.

وفي نهاية الأمر، يتعلق رجاء الجنس البشري المدان بنسل المرأة، الذي يأتي ويعلن بدء خليقة جديدة، تبلغ أوجها في السماوات الجديدة والأرض الجديدة. أيضًا في تكوين 1–2، يوجد رابط بين رمز الهيكل ووصف الخليقة والجنة، مما ينشئ مسارًا متصلاً ببعضه عبر الكتاب المقدس: خيمة الاجتماع والهيكل، وشعائر وأنظمة الكهنوت والذبائح، ثم يتداخل هذا مع سقوط الهيكل في بداية السبي، وبناء هيكل ثانٍ بعد عقود، متجهًا في عجالة نحو إصرار يسوع على أنه هو نفسه الهيكل، أي موضع اللقاء العظيم بين الله والبشر الخطاة (يوحنا 2: 19–22).

وإلى جانب هذا، يوجد مسار مجاور لهذا المسار قليلاً، وهو الكنيسة هيكل الله. ففي رؤيا نهاية الأيام، نرى أن "أورشليم الجديدة" لم يكن بها هيكل، لأَنَّ الرَّبَّ اللهَ الْقَادِرَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، هُوَ وَالْخَرُوفُ هَيْكَلُهَا (رؤيا 21: 22). وفي غضون ذلك، يُستخدَم الرمز الضمنيّ لجنة عدن (تكوين 2) نفسه في رؤيا نهاية الأيام—لكن فقط بعدما عبر المسيح نفسه من خلال جنة (بستان) مختلفة تمام الاختلاف، وهي بستان جستيماني، كي يؤمن لنا أفضل جنة على الإطلاق. سيكون من السهل تتبع هذه المسارات ومسارات أخرى كثيرة فيما تتضافر لتصنع نسيجًا خلابًا من مقاصد الله في أن يأتي بنا إلى يسوع المسيح وإنجيله.

وهذا ينقلنا إلى الجزء الثاني من ردنا على من يتبنون منظورًا مبتورًا عن ماهيّة الإنجيل:

الحياة المسيحيّة والفكر المسيحيّ انطلاقًا من يسوع ومن إنجيله

إن إنجيل يسوع المسيح لا يجمع في نفسه فحسب جميع مسارات الكتاب المقدس، لكننا نجد أيضًا أن كل الحياة المسيحيّة والفكر المسيحيّ، تحت العهد الجديد، تنبع مما حقّقه يسوع. فإن البشارة المفرحة لا تعلن أن الله يبرر الخطاة حتى تصير حالتنا وموقفنا أمامه مضمونًا فحسب، لكنها تعلن أيضًا أنه يجدّدنا ويضعنا في ملكوته المُخلِّص. فإن الإنجيل يتناول ما يتعدى موقفنا ووضعنا القضائي أمام الله، إذ هو قوة الله للخلاص (رومية 1: 18)—أي التحوّل الشامل. فقد تم تأمين كل شيء في موت يسوع وقيامته، وأيضًا منح القوة لفعل كل شيء بالروح القدس الذي يعطيه الله ميراثًا. فإن كل شيء ينكشف ويستعلن لأن الله نفسه قد عيّن هذا الخلاص العظيم.

وتُعدّ جمل الدوافع التي تشكل أساس الأخلاق المسيحيّة معبّرة بصورةٍ خاصةٍ عن هذا. فنحن نغفر للآخرين لأن خطايانا قد غُفرت (كولوسي 3: 13؛ متى 6: 12–15؛ مرقس 11: 25)، ونسلك في اتضاع لأنه لم يوجد على الإطلاق من أظهر اتضاعًا أكثر من مخلصنا، في تخليه عن حقوقه باعتباره هو الله، وموته في محلنا (فيلبي 2: 3–8). أيضًا نحن نتوق إلى أن نحيا ونحقق درجة المحبة المتبادلة بين أقانيم اللاهوت، لأن الله بدافع المحبة قضى بأن يكرم الجميع الابن كما يكرمون الآب، وأيضًا الابن بدافع محبته

للآب، ذهب إلى الصليب ليعمل مشيئة أبيه (يوحنا 5: 20، 23؛ 14: 30–31). كما يستند النموذج المثالي للعلاقة بين الزوج وزوجته على الإنجيل: أي العلاقة بين المسيح والكنيسة (أفسس 5: 22–23). أيضًا نحن نتوق إلى القداسة التي بدونها لن يرى أحد الرب، لأن القدوس نفسه لم يغيّر موقفنا القضائي أمام أبيه فحسب، لكنه أيضًا يعمل في الوقت الحالي كي يقدّسنا (عبرانيين 12: 14؛ فيلبي 2: 12–13).

وبما أن إنجيل المسيح يتغلب بالتحديد على جميع شرور عبادة الأوثان البائسة وعلى جميع التعديات، فإننا بالتالي نتوق إلى أن نحيا كما عاش يسوع، مخلصنا وربنا، وأن نعيش بصورة مختلفة كأفراد، وفي بيوتنا، وفي عالمنا (غلاطية 5: 16–26؛ أفسس 4: 17 – 6: 18). فإننا نتعلم الطاعة من خلال الألم ذلك لأن المسيح قد سلك هذا الطريق كسابق من قبلنا (عبرانيين 5: 8؛ 12: 1–4). كل هذا والكثير من المواضيع الأخرى المشابهة تصرخ مناشدة إيانا بالدراسة التفصيليّة لها واستكشافها في المنابر وفصول دراسة الكتاب المقدس. ولا عجب أن تكون المناداة بهذا الإنجيل والكثير من الأمور المغيرة للحياة المتضمنة بداخله أمرًا مركزيّاً بالنسبة لوجودنا المقتنَى بالدم.

في إيجاز، تعد الخدمة التي مركزها الإنجيل أمرًا موصى به كتابيّاً بصورة حتميّة، فهي النوع الوحيد من الخدمة الذي يعالج ويتناول الاحتياج البشريّ كما يراه الله، وفي الوقت ذاته يمتد في خطوط ثابتة ليشمل خدمة الإنجيل في قرون ومجتمعات أخرى، جاعلاً مما قد وضعه يسوع نفسه في المركز مركزًا له.

الفصل الثاني

هل يمكننا أن نعرف الحق؟

ريتشارد. د. فيليبس

كان معلم الكتاب المقدس الشهير جيمس مونتجمري بويس مسافرًا ذات يوم بالطائرة، حين اكتشفت السيدة الجالسة بجواره أنه قس مسيحيّ. وفي الحال أخرجت من جعبتها جميع اعتراضاتها على الإيمان المسيحيّ. أولاً، أبدت اعتراضها على موضوع الخطيّة الأصليّة، وكيف أنه ليس منطقيًا على الإطلاق، وأنها لن تقبل به. فأصغى بويس إليها ثم أجاب: "أفهمك جيدًا، لكن السؤال الأهم هو هل هذا التعليم حق؟"

ثم استطردت السيدة في فكرة الدينونة والجحيم، وكيف أن الفكرة بجملتها منافية للتحضر والأخلاق. فأجابها بويس: "أتفهم جيدًا ما تشعرين به، لكن السؤال الأهم هو هل هذه الفكرة حق؟"

وأخيرًا، فجّرت امتعاضها الشديد وانزعاجها الفعليّ من كل ما يعلّمه الكتاب المقدس، وكيف أن تعليمه هذا ليس عصريًا وليس جذابًا لأسلوب تفكيرها. وحين هّم بويس بالتحدث مرة أخيرة، قاطعته قائلة: "نعم، أعرف، أعرف، لا شيء من هذا يهم! فإنك ستقول لي: 'لكن هل هذا حق؟'!"

جرت هذه المحادثة قرابة عام 1990 م، لكني أعتقد أنها في حال جرت في عام 2010 م، فإن ختامها كان سيختلف إلى حد كبير عن هذا. فبدلاً من تصديق هذه السيدة على فكرة أن ما يهم بالفعل هو الحق، فإنها كانت لتقود الحديث في اتجاه آخر قائلة: "كيف يمكنك أن تزعم بأن معتقداتك صحيحة؟ لا أحد حقًا يمكنه أن يعرف الحق، إذًا ما يهم بالفعل هو ما أشعر به إزاء الأمر".

ما أعنيه هنا هو أنه إن توجّب على المؤمنين في هذه الأيام تقديم حق الإنجيل إلى أجيال ما بعد الحداثة، فعلى الأرجح سيكون عليهم أن يقوموا بما هو أكثر من مجرد إعلان الحق. ففي كثير من الأحيان، لن يكفي أن نسهب في حديثنا من كتابنا المقدس، وأن نقتاد أصدقاءنا عبر سلسلة الآيات التبشيريّة الشهيرة الواقعة على "طريق رومية". بالإضافة إلى ذلك، وفي الأغلب في المقام الأول، سيلزمنا أن نجيب على أسئلة من أمثال: "لمَ ينبغي أن أقبل بأن الكتاب المقدس صحيح وحق؟"، و"هذا قد يكون صحيحًا بالنسبة لك، لكن لمَ ينبغي أن يكون كذلك لأي شخص آخر؟" هذه الأسئلة تتعلق **بنظريّة المعرفة** (الايبستمولوجي epistemology)، أي معتقداتنا وافتراضاتنا بشأن المعرفة والحق. وهكذا ففي كثير من الأحيان سيكون

علينا قبل أن نشهد عن الحق المسيحي بأي صورة من الصور أن نقدم آراء مسيحيّة واضحة عن الحق ذاته.

من الحتمي للمنهجيّة الإنجيليّة في معرفة الحق أن تُدمج داخل نظريتها معتقداتها الكتابيّة بشأن الله، والجنس البشريّ، والخطيّة، والخلاص، وغيرها. البعض قد يعترضون على أن البدء من معتقداتنا يُقحم الذاتيّة داخل هذه القضيّة، بما أن نظريتنا عن الحق تفترض مسبقًا بعض الحقائق. وسنجيب على هذا بأننا لا يمكننا كمسيحين أن نتجنب الحقائق التي تحدّد من نحن وما نحن عليه من خلال علاقتنا بيسوع المسيح.

إذًا الغرض من هذا الفصل ليس تقديم نظريّة معرفيّة (ايبستمولوجيّة) موضوعيّة يمكن لأي شخص – سواء كان مسيحيًا أم لا– تبنّيها. لكننا سنقدم منهجيّة لمعرفة الحق تعكس المعتقدات الرئيسيّة والمحوريّة في إيماننا بالإنجيل، وتثبت صحة اختبارنا كمؤمنين مسيحيين. بكلمات أخرى، يقدّم هذا الفصل كيفيّة ردّنا نحن كمسيحيين عن تساؤلات تختص بمعرفة الحق.

البعض سيسألوننا هذا السؤال: ألن يكون من الأفضل أن نقف مع غير المؤمنين المحيطين بنا على أرضيّة مشتركة موضوعيّة معرفيّة (ايبستمولوجيّة)؟ ونجيب على هذا بأنه لا يمكن أن توجد مثل هذه الأرضيّة المشتركة الموضوعيّة إلا إن تطلب هذا في الوقت ذاته تجاهل المسيحيين لربوبيّة وسيادة يسوع. بكل أمانة وصدق لا يمكننا أن نفعل هذا. وهكذا ألم يتبق لنا ما نقوله سوى هذا الرد المرسلي المحبط: "كي تفهم لابد أن تولد ثانية"؟ لا أبدًا! فكما أننا نحن المسيحيين لدينا رسالة إنجيل نقدمها للعالم، هكذا أيضًا لدينا إجابات على أسئلة هامة بخصوص المعرفة وبخصوص الحق، وهذه الإجابات مركزيتها الله والمسيح.

أزمة الحق في هذه الأيام

نحن نعيش في فترة زمنية تمتاز بالتوتر بين نموذجين أو نظريتين بشأن معرفة الحق: **الحداثة وما بعد الحداثة**. فقد تقدمت حركة الحداثة وتطورت على مدى أجيالٍ كثيرةٍ بناء على القناعة الراسخة بأن المنطق البشري المستقل يمكن أن ينجح وحده دون أي مساعدة في توسيع نطاق معرفته وتطبيق الحق. فكما أسفرت علوم فيزياء إسحاق نيوتن عن معرفة تخص حقيقة الجاذبية، هكذا أيضًا آمنت الحداثة بتقدم عقلانيّ منطقيّ تجاه معرفة الحق فعليًا في جميع مجالات الحياة.

واستمر هذا الفكر حتى زعزعت وقائع وحقائق القرن العشرين تلك القناعة الراسخة. فالمنطق المستقل الذي لا يحتاج إلى مساعدة لم يسفر عن نتائج جيدة من جهة "حقائق" ألمانيا النازيّة، أو شيوعيّة ما بعد الحرب العالمية الثانية، أو الإمبرياليّة الغربيّة. كما لم يتعامل علم المنطق العقلانيّ المستقل مع

الكتاب المقدس وإنجيله بتأييد، فقد استبدلت المبادئ العقلانيّة نسخة يسوع الكتابيّة بصور وأشكال متنوعة على صورتها ومثالها.

وحتى حين سعى المسيحيون المعاصرون لهذا إلى استخدام مذهب أصالة العقل (rationalism) لدعم تعليم الكتاب المقدس، اكتشف المفكرون والمثقفون منهم بأن المنهج العقلي تجاه معرفة الحق المطلق لا يتوافق جيدًا ولا يتماشى مع الاتضاع المسيحي، وعمل الخير، والتعليم الذي يخص مشكلة خطية البشر. ولذلك، ففيما خطت الشهادة المسيحيّة نحو القرن الواحد والعشرين، سعينا إلى إبعاد أنفسنا عن مذهب أصالة العقل المنتمي لفكر الحداثة، وكنا مُحقين في هذا.

تقديرنا للمساهمات الخاصة بفكر ما بعد الحداثة

في إطار الفكر العلمانيّ، تمخض انهيار الثقة في فكر الحداثة عن ابن متمرد ومراهق، وهو حركة ما بعد الحداثة، وكان هدفه الرئيسي هو الإطاحة بكل ما ينتمي للحداثة. وبشكل شبه عرضي، قامت حركة ما بعد الحداثة أيضًا بانتقاد الفكر المسيحي. وقد قام د. أ. كارسون في مقاله النقدي عن حركة ما بعد الحداثة بعمل قائمة ببعض نقاط القوة في هذا الفكر، في حالة تطبيقه على المنهجيات الإنجيليّة الحديثة لتناول علوم اللاهوت والدفاعيات.[7]

أولاً، على المؤمنين أن يقروا بالدور الذي يلعبه السياق البيئي والثقافي والظروف المحيطة بهم في تشكيل فكر ومعتقد أي شخص. فإن "الحق" دائمًا ما يتناوله أشخاص فعليون، يتم تشكيلهم بشكل كبير من خلال الثقافة، واللغة، والتراث، والمجتمع. ونتيجة لهذا، ستنشأ اختلافات، تتضمن نقاط قوة ونقاط ضعف على حد سواء، بين كيفية قراءة رجل غربيّ لنص معيّن من كلمة الله، وكيفية قراءة مؤمن أفريقيّ يعيش في جنوب الصحراء للنص عينه. على سبيل المثال، سيشدد الرجل الغربيّ على الأرجح على الجانب الفردي للنص، أما الأفريقيّ فسيشدد على الجانب الجماعيّ للنص عينه.

وبغض النظر عن قضية الحق المطلق نفسها، لكن حركة ما بعد الحداثة محقة في إشارتها إلى أن البشر الفعليين محدودون، ولذلك فهم يملكون فهمًا محدودًا وذاتيًا للحق. وكما يقول كارسون، إن الحق "يتم التعبير عنه بالتأكيد بوسائل وطرق محمَّلة بثقافة المجتمع، ويتم تصديقه أو معرفته من قبل أناس محدودين، تحدّهم أيضًا ثقافة مجتمعهم".[8]

ثانيًا، علينا أن نشارك حركة ما بعد الحداثة قلقها حيال إمكانية صيرورة الحق وسيلة لممارسة السلطة أكثر من كونه وسيلة للتنوير. وفي هذا الأمر تطالبنا عقيدة الخطية المسيحيّة – بما في ذلك **خطيتنا**

نحن – بأن نختبر ونقيِّم منهجنا في معرفة الحق. فإن الحق لا يتضمن بالضرورة قمعًا، ولكن البعض قد قاموا بالفعل بقمع آخرين مستخدمين الحق.

ثالثًا، إن نجحت انتقادات ما بعد الحداثة للمسيحيّة في أن تجعل المؤمنين (وآخرين أيضًا) يعارضون العقائد والمبادئ التي قد عفا عليها الزمن، فإننا حينئذ نكون شاكرين لأجل هذه الفرصة التي أتيحت لإعادة النظر في تلك التعاليم التي ربما قد صارت بالية عمليًا، ولإعادة صياغتها، وسردها من جديد. وهذا سنراه على وجه الخصوص في الكيانات الكنسيّة المؤسسة على إقرارات الإيمان والتي تجتهد لتبني وتؤسس تعاليم ومبادئ عقائديّة. فإن التساؤلات الحديثة بل وحتى الشكوك تتطلب من قادة الكنائس أن يعيدوا فحص ودراسة الأساس الكتابيّ لتعليمهم، وهذا قد يُسفر عن تقدم حقيقيّ أو إصلاح هم في حاجة ماسة إليه.

رابعًا، ربما يكون موقف المسيحيين تجاه هجوم حركة ما بعد الحداثة على فكر الحداثة هو موقف تحالف واتفاق. ولكن يشبِّه كارسون تقديرهم لحجج ما بعد الحداثة باتفاقيّة تحالف دول الغرب مع روسيا الشيوعيّة ضد ألمانيا النازيّة في أثناء الحرب العالميّة الثانية. فالمسيحيون ليسوا متفقين اتفاقًا تامًا مع حركة ما بعد الحداثة كما أن الديمقراطيّة الغربيّة لم تتفق اتفاقًا تامًا مع البلاشفة (الشيوعيين)، إلا أنه قد يرحب المسيحيون ببعض حجج ما بعد الحداثة المعارضة للمذهب غير المؤمن لأصالة العقل، كما أن تحالف دول الغرب كان ممتنًا لكل تلك الدبابات والمدرعات الروسيّة. وقد كتب كارسون الآتي:

> لقد أثبتت حركة ما بعد الحداثة قدرتها، بتدبير الله وعنايته، على إطلاق مدفعيّة ثقيلة للغاية في وجه حركة الحداثة التي تطورت بدرجة كبيرة، على مدى أربعة قرون، حتى أنها استهزأت بشكل متزايد بالمسيحيّة المؤسسة على إقرار للإيمان. وهذا الوضع يثير فينا تهكمًا مثيرًا للضحك. إذ إن هذه الحداثة التي أصرت في غطرسة وجرأة على أن المنطق البشري هو الحاكم المطلق للحق هي نفسها قد أنجبت ابنًا غير شرعيّ كبر كي يذبحها.[9]

وبهذه الإسهامات الإيجابيّة لنظريّة ما بعد الحداثة المعرفيّة، سيكون علينا أن نُقرّ بفوائدها، وبهذا، يمكن أن نربح فرصة كي يسمعنا بعض أولئك الذين في وضع آخر سيرفضون الاستماع إلينا.

أزمة ما بعد الحداثة

هذا التقدير الذي نبديه لا يعني التساوي والتوافق بين نظريّة المعرفة المسيحيّة وتشكّك حركة ما بعد الحداثة. فإننا نُقرّ باتضاع بمحدوديّة معرفتنا للحق، وبتأثير الظروف البيئيّة المحيطة بنا على كيفيّة تقديمنا للحق واستقبالنا له، وبأننا ربما نحتاج إلى إعادة النظر في العقائد والتعاليم التقليديّة القديمة. لكن المسيحيين، على خلاف كثيرين من تابعي حركة ما بعد الحداثة، يؤمنون بأن الحق شيء موجود بالفعل،

وليس مجرد شيئًا يتم بناؤه وتكوينه [المترجم: النظريّة البنائيّة تقول إن الحق والمعرفة يتم تكوينها من خلال المجتمع والثقافة].

أما المسيحيّون الإنجيليّون، فهم يؤمنون بشكل خاص بأن الحق شيء مشتقّ من الله وهو الذي يعلنه. وهكذا فإن هذا الحق يمتلك سلطانًا. وهنا يكمن موطن الخلاف بين حركة ما بعد الحداثة وبين المسيحيّة التاريخيّة، إذ إن فكر ما بعد الحداثة يرفض حقيقة وجود الحق، مفترضًا نسبيّة ضمنيّة (وأحيانًا ظاهريّة) حيث لا شيء هو صحيح حقًا وبشكل تام. ومن خلال استطلاعات الرأي المتكررة، يظهر أن أسلوب التفكير هذا يسود ويهيمن على المجتمع الغربي اليوم: "هل تؤمن بالحق المطلق، أم أن الحق هو أمر نسبيّ؟" وتؤكد الغالبيّة العُظمى اليوم، حتى من المسيحيين الإسميين، على مبدأ حركة ما بعد الحداثة الذي ينفي الصحة المطلقة لأي شيء كان.

الأكثر من ذلك هو الإصرار الشديد والمستمر لحركة ما بعد الحداثة على أنه وإن وُجد ما يسمى بالحق المطلق، إلا أن الرجال والنساء المحدودين لا يمكنهم أن يعرفوه قط بصورة سلطويّة. فإن جماعة ما بعد الحداثة التي تحكم الآن المجتمع الغربي تتبنى هذه النسبيّة باعتبارها الثابت والمطلَق الوحيد لديها: لا أحد له الحق في أن يقول أنه يمتلك الحق بصورة مطلقة، مما يعني أن الآخرين مخطئون بصورة مطلقة. قد يختلف "الحق من وجهة نظري" عن "الحق من وجهة نظرك". لكن الغريب هو أن فكر ما بعد الحداثة يبت بشكل قاطع ومطلق في أمر أي شخص يزعم امتلاكه للحق بشكل قاطع ومطلق (باستثناء مبدأ ما بعد الحداثة المناقض لهذا المبدأ). وناتج هذا يشبه ما نقرأه في قصيدة و. ب. ييتس الشهيرة: "صارت الأشياء تتهاوى بعيدًا، والمحور لم يعد يستطيع التماسك، وأُطلِق العنان للفوضى العارمة لتسود على العالم".

إن أزمة حركة ما بعد الحداثة تمكن في كونها غير قادرة على الإيمان بادعاءاتها أو الحياة بموجبها. فهي لا تملك ما تؤمن به، بما في ذلك عدم إيمانها نفسه، على الرغم من حاجة البشر الماسّة إلى المعرفة وإلى الإيمان بشيء. ويروي لنا آر. سي. اسبرول لقاءه بسيدة على متن القطار كانت قد أمضت بعض الوقت في معسكر لحركة العصر الجديد "New Age". وحين سألتها سيدة أخرى مهتمة بالأمر عما تعلمته في هذا المعسكر، أجابت هذه السيدة الشابة قائلة: "تعلمت أني أنا الله". حينئذ رد اسبرول بهذا السؤال الدفاعي البارع: "أتؤمنين بهذا حقًا؟" فأجابت قائلة: "حسنًا، ليس تمامًا". هكذا الأمر أيضًا من جهة إنكار فكر ما بعد الحداثة التام للحق: فإن ادعاءهم ضد الحق هو ذاته حق لا يؤمن به تابعو فكر ما بعد الحداثة، حتى صارت نظرية ما بعد الحداثة المعرفيّة متاهة يضل فيها بانيها نفسه إلى الأبد.

ولهذا السبب، حين يؤكد بعض تابعي فكر ما بعد الحداثة على عدم وجود ما يسمى بالحق، وعلى أن كل حق هو شيء نسبيّ، يمكن للمسيحيين أن يجيبوا عن هذا بالسؤال الذي طرحه اسبرول على السيدة الشابة في القطار: "أتؤمنون بهذا حقًا؟" فإننا سنكون منصفين إن أشرنا إلى أن تابعي فكر ما بعد الحداثة لا يسلكون في حياتهم بمبدأ نسبية الحق هذا. ففي نهاية الأمر، يتوقع بالتأكيد تابعو نظرية التفكيك أو نظرية التشريح (deconstructionists) الأكثر نشاطًا منهم [المترجم: النظريّة التفكيكيّة هي نظريّة فلسفيّة نقديّة للكتابات الأدبيّة تقوم بفهم الكتابات عن طريق تفكيكها من ثقافة الكاتب وتأثره بما حوله لأنه لن يكون محايدًا تمامًا وبالتالي تقول أنه لا يوجد حق مطلق إذ أن العلاقة بين اللغة والحقيقة ليست موجودة وحتى إن وجدت فإنها ليست محل ثقة لأن بنية اللغة هي تصور ثقافي متوارث] أن تُفهَم كلماتهم. وإلا فهم لن يكتبوا كتبًا إن لم يعتقدوا في إمكانية المعرفة والفهم. فإن قام أحدهم بمعارضة حججهم التي قدموها ضد الحق، فهم يعارضونه ويجادلونه بأسبابٍ للدفاع عن حقيقة حجتهم وتأييدها!

وقد استطاع أستاذ ما أن يثبت ويبرز هذا المفهوم بعد أن اجتمع ضده تلاميذ الفصل الذي كان يعلّم به في الجامعة مُصرّين على عدم وجود ما يُسمّى حق مطلق أو خطأ أخلاقيّ بالمعنى الموضوعيّ. ففي اليوم التالي أخبر الأستاذ تلاميذه بأنهم سيرسبون جميعهم بغض النظر عن آدائهم في الاختبار. وهنا أبدى جميع الطلبة معاً اعتراضهم قائلين: "لكن هذا خطأ!" وهنا كان قد نجح الأستاذ في إثبات حجته بخصوص النسبيّة. فلا أحد يمكنه أن يحيا بموجبها، ولذلك لا أحد يؤمن بها حقًا. إذًا هذه هي أزمة الحق في أزمنة ما بعد الحداثة: إن مجتمعنا يرفض الحق نظريًا بإصرارٍ وتصلب فكريّ، لكنه لا يمكنه أن يحيا هكذا عمليًا.

فإن خلف كل حق يقف إله الحق. ويعبر ييتس عن هذا في القصيدة التي استشهدت بها فيما سبق. فهو يشجب المحور غير المتماسك لدرجة أن "الأشياء تتهاوى بعيدًا". وفي السطر السابق لهذا، يذكر ييتس العاقبة قائلاً: "نلف ونلف في دوائر تتسع/ والصقر عاجز عن سماع صوت صائده".

ها هو حجم أزمة ما بعد الحداثة: أننا لا نستطيع سماع صوت الله دون الحق. فإن أولئك المتروكين لأنفسهم كي يبنوا ويشيدوا حقهم الخاص بهم يشبهون تلك السيدة التي كانت على متن القطار، إذ لابد لهم حينها أن يصنعوا آلهتهم الخاصة بهم. فإن داخل ذلك المسار الذي تميّزه النسبيّة، يفسح المنطق المجال لفقدان التفكير المنطقيّ والتعقّل، وهذا يسلم الإنسان إلى أيدى الأوثان.

المنهج المسيحي لتناول الحق

يتطلب الدفاع عن الحق ما هو أكثر من مجرد حماية أنفسنا من عدم الإيمان. فإن نظرية المعرفة (ايبستمولوجيا) المسيحيّة تُعدّ أيضًا مكونًا حيويًا في تعريفنا بمحبة المسيح لعالم يقبع في أزمة. وهذا يعني عمليًا أن المؤمنين لابد أن يذهبوا إلى ما هو أبعد من إثبات خطأ إنكار فكر ما بعد الحداثة للحق. بل لابد أن ننادي بتعليم مسيحيّ مميز عن الحق، مؤسس على ما أعلنه الله لنا في الكتاب المقدس، ومتناسق ومتوافق مع اختبارنا.

فإن المسيحية تمثل طريقًا شرعيًا ثالثًا مقابلاً لكل من فكر الحداثة وفكر ما بعد الحداثة. فنحن نؤمن مع مؤيدي فكر الحداثة بأن الحق موجود ويسهل الوصول إليه، لكننا نرفض رفضًا باتًا قدرتنا على معرفة هذا الحق بشكل مطلق من خلال منطقنا العقليّ المستقل ودون تلقي مساعدة. كما أننا نتشكّك مثلنا في هذا مثل مؤيدي فكر ما بعد الحداثة في أن البشر المحدودين وغير المعصومين هم وكلاء للحق، لكننا نصرّ في المقابل على أن الحق هو شيء واقعيّ وموجود وأننا يمكننا أن نعرفه. ولذلك فإن نظريّة المعرفة المسيحيّة الناجحة لا تستجيب فحسب للإيمان المسيحيّ الإنجيليّ، لكنها أيضًا تمكننا من توصيل تعليمنا وعقيدتنا عن المعرفة إلى عالم يشكّ في معرفة الحق ولكنه أيضًا يرغب فيها بشدة.

الله، والحق، والواقع

تبدأ نظرية المعرفة المسيحيّة الإنجيليّة بالتأكيد على أن **الحق مرتبط بالواقع ويتوافق معه.** فإن العالم الخارجيّ الذي يحيا فيه كل فرد ليس عالمًا نبنيه ذاتيًا من خلال خبراتنا الضئيلة والضيقة الأفق، بل إن الله هو من خلق الواقع وهو الذي يحفظه من خلال قانون عنايته الإلهيّة المستمرة.

وأساس هذه العقيدة المسيحيّة بخصوص الحق الفعليّ والواقعيّ هو وجود الله. هذا الافتراض المسبق يتناقض مع ذلك الشخص العقلانيّ المتبني لفكر الحداثة وأيضًا مع الشخص النسبيّ المتبني لفكر ما بعد الحداثة، اللذين يفترضان كليهما مسبقًا عدم وجود الله. وهكذا نرى أن مؤيدي الحداثة وما بعد الحداثة لا ينشئون نظرياتهم دون افتراضات مسبقة. بل يفترض غير المؤمنين المؤيدين للحداثة ولما بعد الحداثة مسبقًا عدم وجود إله، وكنتيجة لهذا ينتهي بهم المطاف داخل أزمة فقدان التفكير المنطقيّ. لكن المسيحيين يتفادون هذه الأزمة ليس في المرحلة الأخيرة من نظريتهم عن الحق بل في البداية، مفترضين مسبقًا، كما يقول فرانسيس شيفر: "وجود هذا الإله هنا" (the God who is there). وكما أننا قمنا بحث مؤيدي ما بعد الحداثة النسبيين على إعادة النظر في أزمتهم الناتجة عن إنكارهم لوجود الله، ندعوهم الآن إلى التفكير في أن الطريق للخروج من هذه الأزمة هو افتراضهم المسبق بوجود الله.

بالطبع لا يقتصر افتراض المسيحيّ فحسب على مجرد "وجود الله"، لكنه يفترض مسبقًا وجود إله الكتاب المقدس. فإن كلمة الله المقدسة تعلن أنه يوجد "إله واحد، موجود منذ الأزل في ثلاثة أقانيم متساوين في اللاهوت: الآب، والابن، والروح القدس، يعرفون ويحبون ويمجدون بعضهم البعض".[10] هناك صلة وثيقة بين كل تصريح من هذه التصريحات والإيمان المسيحيّ بالحق. فبسبب وجود إله واحد، وليس آلهة كثيرة، توجد وحدة في كل ما خلقه الله. ولأن هذا الإله الواحد موجود في ثلاثة أقانيم إلهيّة، فهناك إذًا نوع من التواصل داخل اللاهوت ذاته. وبسبب هذا الثالوث، تعد المعرفة والإعلان أمرًا جوهريًا بالنسبة لله، وبالتالي بالنسبة لكل ما خلقه.

"اللهَ مَحَبَّةٌ"، هكذا كتب الرسول يوحنا (1 يوحنا 4: 8)، وطبيعة المحبة هذه هي أن تعرف وأن تُعرَف. بل ووفقًا للكتاب المقدس، إن شهوة الله هو أن يُعرَف مجده، كما أن مشيئة كل أقنوم في الثالوث هي تمجيد الأقانيم الإلهيّة الأخرى. وبالتالي، فإن هدف الله من الخلق هو إعلان مجده. فقد رنّم داود قائلاً: "جَعَلْتَ جَلاَلَكَ [المترجم: في الإنجيلزية "مجدك"] فَوْقَ السَّمَاوَاتِ" (مزمور 8: 1). وبحسب ما قاله الرسول بولس، يعد جوهر وأصل الخطية هو أن نرى الله من خلال خليقته ومع ذلك نرفض أن "نمجده ونشكره" (رومية 1: 21). ولهذا يؤكد إقرار الإيمان الذي وضعته هيئة "ائتلاف الإنجيل" على الآتي: "هو خالق كل الأشياء، ما يرى وما لا يُرى، ولذلك فهو يستحق أن يأخذ كل المجد وكل العبادة".[11]

ونتيجة لإيمان المسيحيين بإله الكتاب المقدس، فهم يؤمنون أيضًا بأن الحق له صلة بالواقع. فإن هذا العالم ليس مجرد إسقاطًا من العقول البشريّة، بل قد خلق الله العالم بواقع فعليّ موضوعيّ متأصّل في وجودهِ الأزليّ. وهكذا فإن المخلوقات التي "تُحَدِّثُ بِمَجْدِ اللهِ" (مزمور 19: 1) لابد أن تكون واقعيّة وحقيقيّة لكي تحقّق وتتمّم قصدها التي خُلقت لأجله.

وفي مقدمة هذه المخلوقات يأتي البشر، الذين خلقهم الله على صورتهِ حتى يتسنى لهم أن يعرفوه ويعلنوه لباقي الخليقة. فإن التعليم الكتابيّ عن خلق الله للبشر على صورتهِ يشمل قدرتهم على التفكير المنطقيّ بطريقة مشابهة لتفكير الله المنطقيّ، فهم يمثّلون صورة الله ليس عن جهل من جانبهم، بل من خلال معرفة الله التي هي هدف كل من الخلق والخلاص. فإن وعد العهد الجديد الذي قاله أرميا هو: "كُلَّهُمْ سَيَعْرِفُونَنِي مِنْ صَغِيرِهِمْ إِلَى كَبِيرِهِمْ، يَقُولُ الرَّبُّ" (إرميا 31: 34). ويقول يسوع: "وَهذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ: أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الإِلهَ الْحَقِيقِيَّ وَحْدَكَ" (يوحنا 17: 3).

وبما أن رغبة الله هي أن يُعرَف في عالم قد خلقه وصنعه كي يعلن عنه، فإن المسيحيين يؤمنون بأن الحق المعلَن هو شيء حقيقيّ. فقد خلق الله عالمًا فعليًا، كما ويعلن الله الحق الفعليّ والحقيقيّ عن

نفسهِ في هذا العالم ومن خلاله. باختصار، يعد الحق جزءًا لا يتجزأ من العالم الحقيقيّ الذي خلقه الله، ذلك العالم الذي يشمل البشر كمخلوقات مصممة خصيصًا لاستقبال الحق كي يعرفوا الله.

إلا أن تعليم الكتاب المقدس يشمل ما هو أكثر من الحقائق عن الخلق والخلاص. فإن الكتاب المقدس يعلم أيضًا بأن البشر قد سقطوا في الخطية وبالتالي أفسدوا طبيعتهم ومجتمعهم. وهكذا منعت الخطية البشر من استقبال الحق. وفي هذا أصاب فكر ما بعد الحداثة في قوله بأنه وإن وُجد ما يسمى حق فعليّ وحقيقيّ، لكن البشر عاجزون **حقًا** عن معرفته.

وهناك سببان لهذه المحدودية. أولاً، لأن البشر محدودون، حتى بدون الخطية، إذ يمكنهم معرفة الحق جزئيًا. وهكذا فإن معرفتهم ذاتيّة، وانتقائيّة، وناقصة. ثانيًا، هؤلاء البشر خطاة. وحين نضيف مشكلة الخطية، لا يعود البشر قادرين على معرفة الحق بشكلٍ سليمٍ وصحيحٍ على الإطلاق. ففي تمرد البشر الخطاة على الله، يميلون إلى أن "يَحْجِزُوا (يكتموا) الْحَقَّ بِالإِثْمِ" (رومية 1: 18). وقد تمادى بولس في حديثة بقوله إن الإنسان في طبيعته الخاطئة "لاَ يَقْبَلُ مَا لِرُوحِ اللهِ لأَنَّهُ عِنْدَهُ جَهَالَةٌ، وَلاَ يَقْدِرُ أَنْ يَعْرِفَهُ" (1 كورنثوس 2: 14). كيف يمكن إذًا للمسيحيين أن يتحدثوا عن معرفة الحق بعد أن سقط البشر في هذه الحالة المروعة؟

الإجابة عن مشكلة الخطية هذه تكمن في الخبر السار بأن يسوع يخلصنا من خطايانا. فقد قال يسوع لبيلاطس البنطي: "لِهذَا قَدْ وُلِدْتُ أَنَا، وَلِهذَا قَدْ أَتَيْتُ إِلَى الْعَالَمِ لأَشْهَدَ لِلْحَقِّ" (يوحنا 18: 37). وقد أطلق يسوع على نفسه "نور العالم" (يوحنا 8: 12)، لأنه يخلص الخطاة من ظلمة الجهل وعدم الإيمان. ولم يأتِ يسوع ليعلن مجد الله في بشريته المُتجسّدة فحسب (انظر يوحنا 1: 14؛ 14: 9)، لكنه أيضًا يرسل الروح القدس ليحيي أرواح البشر الخطاة كي يعرفوا الحق ويؤمنوا به. وهكذا، في النص ذاته الذي يذكر بولس فيه بشكل مباشر عجز البشر الخطاة عن معرفة الحق، يعلن أن روح الله القدوس يحل هذه المعضلة بمنحه حياة جديدة للخطاة غير المستحقين: "وَنَحْنُ لَمْ نَأْخُذْ رُوحَ الْعَالَمِ"، ويستطرد مفسرًا: "بَلِ الرُّوحَ الَّذِي مِنَ اللهِ، لِنَعْرِفَ الأَشْيَاءَ الْمَوْهُوبَةَ لَنَا مِنَ اللهِ" (1 كورنثوس 2: 12).

ففي الخلق، والسقوط، والخلاص، تنبعث عقيدة الحق المسيحيّة من واقع وجود الله. فقد خلق الله العالم كي يعلن ويظهر مجده، وخلق البشر ليعرفوه ويعكسوا مجده. وتشتمل الخطية على رفض هذا الحق المعلَن عن الله، وهكذا فهي تقوم بتشويه كيفيّة استقبال البشر للحق. ويحدث الخلاص من خلال إعلان الله للحق الخاص بيسوع المسيح (انظر 1 بطرس 1: 23)، ثم تمكين البشر الخطاة تدريجيًا من معرفة هذا الحق وقبوله.

وحقًا قال هيرمان بافينك إنه "من المستحيل أن يعلن الله عن نفسه بالكامل لمخلوقاته وفيهم، إذ أن المحدود لا يمكنه استيعاب غير المحدود".[12] ولهذا يُقرّ المسيحيون بأنفسهم بقصور محدوديتهم، وبصراعهم المستمر مع الخطية، التي تمنع أي إنسان من معرفة الحق بشكل تام أو كامل. ومع ذلك، يُصرّ المسيحيون، بفضل الله الخالق والمعلِن، على وجود ما يسمى بالحق، وعلى أن ذلك الحق مرتبط بالله وبواقعه المخلوق، وعلى أننا يمكننا أن نعرف هذا الحق لأن الله أعلن عن نفسه لنا في خليقته.

إذًا كيف للمسيحي أن يجيب غير المؤمن المؤيد لفكر ما بعد الحداثة والذي ينكر ببساطة وجود الله، وبالتالي ينكر وجود الحق؟ يقدم لنا فرانسيس شيفر جوابًا من حديث كان قد أجراه مع جماعة صغيرة من طلبة الجامعة. فقد أصرّ أحد الطلبة إصرارًا شديدًا على عدم وجود ما يسمى بالحق. فأراد شيفر أن يجعله يرى عدم إمكانيّة **سلوكه** بموجب هذا التصريح مهما أصرّ عليه.

ففي حالة عدم وجود حق فعليّ، لن توجد أيضًا أخلاقيّات فعليّة وحقيقيّة. فقد سأله شيفر قائلاً: "ألست على صواب في قولي، على أساس فكرك هذا، إن القسوة وعدم القسوة أمران متساويان تمامًا، وإنه لا يوجد اختلاف جوهريّ بينهما؟" فأكد الرجل على صحة كلام شيفر. وحين سمع طالب آخر بهذا، أخذ إناء به مياه تغلي وتنبعث منها أبخرة، كانت على وشك أن تستخدم لإعداد الشاي، ووضعه فوق رأس غير المؤمن. وحين طلب هذا الملحد تفسيرًا لهذا التصرف، ذكَّره الطالب بأنه بما أنه لا يصدق وجود فارق حقيقيّ بين القسوة وعدم القسوة، فهو لن يمانع إذًا بسكب المياه المغليّة فوق رأسه.

وهنا ركض الرجل الذي أنكر وجود الحق خارج الغرفة، مبرهناً بهذا على صحة حجّة شيفر: إن من ينكر وجود الله، وبهذا لا يكون لديه أي أساس لوجود الحق، هو ببساطة لا يستطيع بل ولن يحيا بالفعل بموجب عقيدته هذه. وقد فسر شيفر هذا قائلاً: "إن الله يحصرنا في الواقع، وبالتالي لا يمكننا الهروب من هذا الواقع، بغض النظر عما نقول إننا نؤمن به أو نعتقده".[13]

الله، والحق، والكتاب المقدس

بما أن المسيحيين يؤكدون على وجود الحق المؤسس على إعلان الله، فهذا يتبعه إذًا أن **الكتاب المقدس – أي إعلان الله المكتوب – ينقل الحق.** ففي حين يعلن الله عن نفسه بصورة عامة في الخليقة، لكنه يعلن عن نفسه بصورة خاصة في الكتاب المقدس.

فبحسب الكتاب المقدس نفسه: "اَللهُ كَلَّمَ الآبَاءَ بِالأَنْبِيَاءِ قَدِيمًا" (عبرانيين 1: 1). هذا التصريح يوجز الرأي المسيحيّ بشأن الأسفار المقدسة التي فيها يتواصل الله مع البشر من خلال تصريحات (بيانات). فقد "تكلم" الله من خلال متحدثيه الرسميين من البشر، مقدمًا الحق الخاص بطبيعته ومشيئته، والخاص أيضًا

بسجلات الأحداث التاريخيّة والفدائيّة، ومعناها، بالإضافة إلى حقائق أخرى تخص الخلق، والسقوط، وخلاص البشر. فكما يقدم ما أكتبه في هذه الفقرة ادعاءات بيانيّة (تصريحيّة) عن الحق، هكذا أيضًا إعلان الله المكتوب يعلن الحق الآتي من الله، ويفسره، ويطبقه.

يقول الكتاب المقدس إن الله هو كاتبه الأساسيّ، من خلال استخدام الروح القدس للكتاب البشريين، في عملية يطلق عليها اسم **الوحي**. والوحي ليس معناه أن الكتاب البشريين كانوا هم "مصدر الوحي" من تلقاء ذواتهم. بل قد أشرف الروح القدس على كتابتهم بشكل يجعل ما كتبوه يأتي في الأساس تمامًا من الله. ويشرح بطرس هذا قائلاً: "لأَنَّهُ لَمْ تَأْتِ نُبُوَّةٌ قَطُّ بِمَشِيئَةِ إِنْسَانٍ، بَلْ تَكَلَّمَ أُنَاسُ اللهِ الْقِدِّيسُونَ مَسُوقِينَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ" (2 بطرس 1: 21). كما كتب بولس: "كُلُّ الْكِتَابِ هُوَ مُوحًى بِهِ [مُتنفّس به] مِنَ اللهِ" (2 ثيموثاوس 3: 16)، متفقًا بهذا مع تصريح الله نفسه حين قال: "كَلِمَتِي ... تَخْرُجُ مِنْ فَمِي" (إشعياء 55: 11). وفي تناغم مع هذا التعليم، يقدم كل الكتاب المقدس نفسه باعتباره كلمة الله وليس أفكار البشر.

يركز المسيحيون تركيزًا شديدًا على صحة كلمة الله لأن الله نفسه هو الحق. فإن الله، باعتباره الإله الكامل غير المحدود، يعلن عن نفسه في الكتاب المقدس بشكل لا يقبل الخطأ، وبسلطان إلهيّ. ويتمسك المسيحيون بشدة بصحة كلمة الله ليس لقدرتهم على الرد على أي اعتراض قد ينشأ ضد صحة الكتاب المقدس (على الرغم من وجود تفسيرات جيدة وصحيحة تقريبًا على كل اعتراض)، بل بلجوئهم إلى كمال طبيعة الله الذي يعلن عن نفسه في كلمته. وبما أن الله الكامل يعلن عن نفسه في الكتاب المقدس، فإننا بالتالي يمكننا الوثوق في صحة الكتاب المقدس، ولا يصير لدينا أي مبرر أو حاجة كي نضع جانبًا أجزاء منه تبدو مثيرة للاعتراضات أو صعبة بشكل زائد عن الحد.

فإن الكتاب المقدس، باعتباره كلمة الله الصحيحة والمعلَنة، يتحدث بكل سلطان الله نفسه. فقد قال جون كالفن: "نحن ندين لكلمة الله بالتبجيل ذاته الذي ندين به لله، لأن مصدرها هو منه هو وحده".[14] وبوضع المؤمنين لهذا في اعتبارهم، هم يصدقون على الكلمات التي تفوه بها مندوب كنيسة اسكتلاندا حين قدم كتابًا مقدسًا للملك الجديد في حفل تتويجه في بريطانيا العظمى: "هذا هو أثمن ما يقدمه هذا العالم، وأثمن ما يعرفه هذا العالم، كلمة الله الحيّة".

هذا الكتاب المقدس، باعتباره إعلان الله الخاص الذي يحوي بيانات تصريحيّة، له قيمة وفائدة خاصة من جهة إعلانه للحقائق **العقائديّة** التي تخص الله والبشر. على سبيل المثال، يُعدّ حق لاهوت يسوع المسيح حقًا عقائديًا يعلنه الكتاب المقدس بوضوح (مثل تيطس 2: 13). بينما بعض العقائد الأخرى، مثل عقيدة الثالوث، معلنة في كلمة الله كاستنتاج ضمنيّ حتميّ من تصريحاته عن الله. وهكذا، فمن خلال

التصريحات المباشرة للكتاب المقدس، والاستنتاجات الحتميّة المشتقة من كلمة الله، يمكن للمؤمنين أن يعرفوا الحق عن الله، وعن البشر، والخطية، والخلاص، وجميع الموضوعات الأخرى اللازمة للإيمان والتقوي (2 بطرس 1: 3).

نحن لا نعني بهذا أن الكتاب المقدس يتألّف حصريًا من ادعاءات بيانيّة عن الحق، أو أن رسالة الله للبشر قاصرة على الحق التصريحيّ. بل إن الكتاب المقدس يقدم كلمة الله المعلَنة في قوالب أدبيّة متنوعة، وعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر بعض القوالب الواضحة جليًا، كالسرد التاريخيّ، والصور المجازيّة، والأدب الرؤيوي، والوحي النبوي، والرسائل، والشعر. ولا يمكننا أن نحصر أي من هذه القوالب الأدبيّة إلى مجرد تصريحات. بل وعلاوة على ذلك، فإن شخصيّة الله وإرادته مقدمة كتابيًا بوسائل أخرى غير التصريحات.

فإن الحق الذي تقدمه كلمة الله المقدسة يفوق ما يمكن أن تنقله التصريحات وحدها، كما هو متوقع بما أن كاتبها هو الإله غير المحدود. ومع ذلك فإن الكتاب المقدس يقدّم بالفعل حقًا حيًا وفعّالاً في صورة تصريحيّة، إذ يمكن للتصريحات العقائديّة أن تنقل هذا الحق بدقة وإن لم تستطع توصيله بشكلٍ شاملاٍ. فإن الرسول بولس يؤيد العقيدة المسيحيّة بشكل صريح حين حثّ تيموثاوس قائلاً: "تَمَسَّكْ بِصُورَةِ الْكَلاَمِ الصَّحِيحِ الَّذِي سَمِعْتَهُ مِنِّي، فِي الإِيمَانِ وَالْمَحَبَّةِ الَّتِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ" (2 تيموثاوس 1: 13).

في حين تعلن الكلمة المقدسة الحق النابع من الله في عدة صور وأساليب، متضمنة الكثير من المحتوى التصريحيّ، إلا أن استقبال الحق من خلال كلمة الله هو أبعد ما يكون عن السعي الفكريّ الجاف. فقد جاء الروح القدس بالكتاب المقدس إلى حيز الوجود من خلال كتّابه البشريين، وهو أيضًا من ينير البشر كي يفهموا الكتاب المقدس ويؤمنوا به. ولهذا يشبّه بطرس قراءة كلمة الله باختباره الشخصيّ عن رؤية يسوع في مجده: "وَعِنْدَنَا الْكَلِمَةُ النَّبَوِيَّةُ، وَهِيَ أَثْبَتُ، الَّتِي تَفْعَلُونَ حَسَنًا إِنِ انْتَبَهْتُمْ إِلَيْهَا، كَمَا إِلَى سِرَاجٍ مُنِيرٍ فِي مَوْضِعٍ مُظْلِمٍ، إِلَى أَنْ يَنْفَجِرَ النَّهَارُ، وَيَطْلُعَ كَوْكَبُ الصُّبْحِ فِي قُلُوبِكُمْ" (2 بطرس 1: 19). هذا يعبر بشكل رائع عن الإيمان المسيحي ليس في قيمة كلمة الله في كونها حقًا فحسب، بل في القيمة الروحيّة التي تأتي من استخلاص الحق من كلمة الله المكتوبة.

فالبشر دون عمل الروح القدس يصيرون عاجزين عن معرفة الله، بل وأيضًا لا يستطيعون حتى معرفة أنفسهم. فإن العالم من حولنا مروع للغاية، ويضاف إلى هذا الارتباك الذي يعمل بداخلنا من جرّاء تأثير الخطية المفسد، حتى أن ك. سكوت أوليفينت يقول: "ما لم تأتنا كلمة من الله، أي **كلمة الله**، وحتى يحدث ذلك، فإننا ببساطة لن نستطيع أن نعقل العالم من حولنا، أو ذلك "العالم" الموجود بداخلنا، ناهيك

عن الحقيقة الأهم وهو كيفيّة إرضائنا لله".[15] الكتاب المقدس وحده هو الذي يمكنه مساعدتنا لكي نفهم أنفسنا ونفهم أيضًا عالم الله.

الحق وحياة الله

إن الحق موجود لأن الله موجود، وهذا الحق يُعرَف من خلال إعلان الله في الكتاب المقدس. علاوة على ذلك، هذا الحق مرتبط بالله وبالواقع ليس نظريًا فحسب، بل أيضًا بعلاقة عهديّة يتم معرفتها وأيضًا الحياة والسلوك بموجبها.

لطالما كان قطع العهد عملاً سياديًا، لذا فالله في قطعهِ للعهد يعبّر عن ربوبيته وسيادته على الخليقة ككل وعلى البشر بشكل خاص. ففي أي عهد، دائمًا ما يكون كلا الطرفين معنيين. ومن جانبه، ألزم الله نفسه طوال الوقت بخليقته. ويظهر التعبير الشهير عن هذا الالتزام في عهد الله مع نوح بعد انحسار مياه الطوفان العظيم. فقد وعد قائلاً: "أُقِيمُ مِيثَاقِي مَعَكُمْ فَلاَ يَنْقَرِضُ كُلُّ ذِي جَسَدٍ أَيْضًا بِمِيَاهِ الطُّوفَانِ. وَلاَ يَكُونُ أَيْضًا طُوفَانٌ لِيُخْرِبَ الأَرْضَ" (تكوين 9: 11). علاوة على ذلك، إن عهود الله دائمًا ما تلزمه بالبشر، ليس كطرفٍ مساوٍ لهم، بل كسيدٍ وربٍ، إذ يقول: "أَكُونَ لَكُمْ إِلهًا، وَأَنْتُمْ تَكُونُونَ لِي شَعْبًا" (إرميا 7: 23).

وبالمثل أيضًا ربط عهد الله البشر بالخليقة ككل. ويظهر هذا التلاحم بين البشر والخليقة في استخدام الله للتراب ليخلق به آدم، الإنسان الأول. "وهكذا نحن متصلون بالخليقة، من جهة، لأننا قد أُخِذنا منها، فنحن حرفيًا جزء منها".[16] في الوقت ذاته، في حين الإنسان مرتبط بالخليقة، إلا أنه قد تفرّد عنها من خلال علاقته الخاصة بالله: "وَجَبَلَ الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ تُرَابًا مِنَ الأَرْضِ، وَنَفَخَ فِي أَنْفِهِ نَسَمَةَ حَيَاةٍ. فَصَارَ آدَمُ نَفْسًا حَيَّةً" (تكوين 2: 7).

ثم بعد هذا عيَّن الله الرجل الأول والمرأة الأولى نائبين عنه في الخليقة، موصيًا إيّاهم أن يتسلّطوا ويسودوا عليها، جاعلين الخليقة تُثمر وتُكثر (تكوين 1: 28). ولهذا السبب خلق الله البشر بواجبات خاصة يقومون بها تجاه الخليقة وتجاهه. ويعلق أوليفينت على هذا قائلاً: "توجد رابطة لا تنفصم بيننا وبين العالم، هذه الرابطة قد أسسها الله، وقصد بها أن تعكس صفاته وشخصيته. ولهذ السبب، نحن البشر قد خُلقنا كي نعرف عالمنا وكي نتفاعل معه، وكل ذلك لمجد الله الثالوث، خالقنا".[17]

وبسبب الطبيعة العهديّة للخلق، تحمل معرفة الحق في طيّاتها التزامات وواجبات إلزاميّة من نحو الله ومن نحو الآخرين في العالم المحيط بنا. وبالتالي يعني استقبالك لحق الله أن تحيا بموجب هذا الحق. كما قال موسى لشعب إسرائيل في الماضي: "الْمُعْلَنَاتُ لَنَا وَلِبَنِينَا إِلَى الأَبَدِ، لِنَعْمَلَ بِجَمِيعِ كَلِمَاتِ هذِهِ الشَّرِيعَةِ" (تثنية 29: 29).

ولهذا ليس بالأمر المفاجئ أنه حين أرسل الله ابنه إلى العالم، ظهر يسوع في صورة الحق المتجسّد، كما كتب يوحنا: "فِيهِ كَانَتِ الْحَيَاةُ، وَالْحَيَاةُ كَانَتْ نُورَ النَّاسِ" (يوحنا 1: 4). وقد صرح يسوع قائلاً: "أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ" (يوحنا 14: 6). فقد جاء ابن الله كي يجسّد حق الله، ويحيا بموجب هذا الحق في حياة ميّزتها الطاعة، وأيضًا كي يؤسس حق الله لأجل الخلاص من خلال موته الكفاريّ وقيامته المُخلِّصة.

"الحق إذًا يُعدّ رابطة وعلاقة متبادلة بين حياتنا بأكملها وبين قلب الله، وكلماته، وأفعاله، وهذه الرابطة تنشأ من خلال وساطة الكلمة والروح القدس".[18] وهكذا يعتبر المسيحيون أن الكتاب المقدس يعلن حقائق عقائديّة هامة من خلال تصريحات. لكن من خلال ما تقصّه كلمة الله عن حق يسوع وحياته، يصل المسيحيون أيضًا إلى معرفة ذاك الذي هو الحق، ويتمكنوا من أن يحبوه، ويطيعوا حقه هذا. وكما دوّن صديق لي على كتاب مقدس أهداني إياه أن المسيحيون عليهم أن "يعرفوا الحق، ويحيوا بموجب الحق، وينادوا بالحق"، عالمين فوق الكل أن "يسوع هو الحق"، إذ هو الطريق إلى الله بالإيمان به، وهو أيضًا من يهب حياة حقيقيّة لكل من يقبلون كلمة إنجيله في إيمانٍ.

الحق المسيحيّ في حيز الممارسة العمليّة

كما ذكرت قبلاً، على المسيحيين أن يتمسكوا بالحق ويدافعوا عنه في عالم يميل إلى إنكاره. وعلي المسيحيين أن يتخذوا هذا الموقف تجاه الحق – وتجاه معرفة الحق – لأجل الله، ولأجلنا، ولأجل العالم غير المؤمن. ففي تصريحنا بصحة هذا الحق، نؤكد على وجود الله، الذي وحده يمكنه أن يفسر الواقع، والحق، والمعرفة.

المناداة النقيّة والطاهرة بكلمة الله

إن أفضل وسيلة يتحدث بها المسيحيون عن الحق هو أن يحملوا كتابًا مقدسًا بين أيديهم، كما تهلل داود قائلاً: "نَامُوسُ الرَّبِّ كَامِلٌ يَرُدُّ النَّفْسَ. شَهَادَاتُ الرَّبِّ صَادِقَةٌ تُصَيِّرُ الْجَاهِلَ حَكِيمًا" (مزمور 19: 7). ومع ذلك ففي مناداتنا نحن المسيحيين برسالة الإنجيل، لا ينبغي علينا أن نعيّن أنفسنا حكّامًا وقضاة عن الحق. وحتى حين نقدّم يسوع المسيح باعتباره إعلان الله التام والأصدق، فإننا نفعل هذا فقط كعبيد لسامعينا (انظر 2 كورنثوس 4: 5). فمع استماع المسيحيين لانتقادات من حولنا من مؤيدي فكر ما بعد الحداثة، ومع إقرارهم بتأثير وقاحة فكر الحداثة أحيانًا على مبادئنا وعقائنا، يكون عليهم أن ينادوا بالحق في توبة طاهرة أقل تفاخرًا وتباهيًا من ذي قبل. فإننا نحن محدودون وساقطون، وهكذا فإن الرسالة التي ننادي بها لابد من مضاهاتها باستمرار مع الكتاب المقدس.

ولكن مع كل اتضاعنا في التحدث عن الحق، ومع كل طهارتنا في انتقاد ادعاءات الآخرين، إلا أننا لابد أيضًا أن نُصرّ على أن ما ننادي به من كلمة الله هو الحق. فنحن نرفض كون عقيدتنا مجرد اختبارًا ذاتيًا لمجتمعنا من المؤمنين، بما أن الكتاب المقدس الذي ننادي به يقدم الحق المعلَن من قبل الله. وإن تحذرنا من هذا، نظل ملتزمين تجاه سلطان الكلمة المقدسة التي يتكلم الله من خلالها إلى البشر اليوم، وتجاه قوتها، وإعلانها المتفرّد.

شغف للحق والحياة

كما أن المسيحيين لابد أن يصنعوا توازنًا بين المناداة المجترئة بالحق، وبين تقديمه في اتضاع، فهم لابد أن يسعوا أيضًا إلى صنع هذا التوازن بين الفهم الصحيح للعقيدة الكتابيّة، وبين الشغف الشخصيّ تجاه حياة مكرّسة ليسوع المسيح. فنحن نؤمن أنه "بينما الحق تصريحيّ، إلا أنه ليس شيئًا نؤمن به فحسب، بل شيئًا نقبله أيضًا في عبادة، ونمارسه في حكمة".[19] فإن الحق المسيحي لم يكن قط مجرد نقل معلومات بل هو علاقة شخصيّة من الإيمان والمحبة. وهكذا، ففي كرازتنا وتلمذتنا للآخرين، لابد أن تنتابنا غيرة على العقيدة السليمة، يصاحبها شغف لحياة متغيرة. ولهذا السبب، تقوم كنيسة الله وشعبه بتوصيل الحق المسيحي بأصح صورة. فإن ممارسات الصلاة، والفرائض المقدسة، والشركة، والخدمة، والشهادة تجسّد وتظهر كيفيّة قبولنا لحق كلمة الله واستجابتنا له.

لسنا نعني بهذا أن المسيحيين لابد أن يبذلوا جهدًا لجعل الحق متوافقًا مع حياة التقوى، بل ما نعنيه هو أن غرض الله من إعلانه لحقه دائمًا ما يتضمن عملية تغيير في المحبة والقداسة. ولذلك فإن ما جمعه الله، لا ينبغي للمسيحيين قط أن يفرقوه! فإن المحبة المطلَّقة من الحق ليست محبة، والحق المطلّق من المحبة ليس حقًا. ولذلك كتب بولس الرسول عن تعليمه قائلاً: "وَأَمَّا غَايَةُ الْوَصِيَّةِ [الترجمة الإنجليزيّة: غاية مهمتنا] فَهِيَ الْمَحَبَّةُ مِنْ قَلْبٍ طَاهِرٍ، وَضَمِيرٍ صَالِحٍ، وَإِيمَانٍ بِلاَ رِيَاءٍ" (1 يموثاوس 1: 5). فإن الحق المسيحي لا يشتمل قط على مجرد مظاهر خارجيّة، إذ "فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ لاَ الْخِتَانُ يَنْفَعُ شَيْئًا وَلاَ الْغُرْلَةُ، بَلِ الإِيمَانُ الْعَامِلُ بِالْمَحَبَّةِ" (غلاطية 5: 6).

لقد نجحت جودي تيلكين في قيادة أبويها اليهوديين التقليديين إلى المسيحيّة حين كانت مكرّسة بشدة وحماس لحق الإنجيل **بالإضافة إلى** إظهارها للمحبّة المسيحيّة والقداسة. فقد أعطت صديقة لجودي بالجامعة كتابًا مقدسًا وساعدتها على دراسته، فآمنت جودي بيسوع المسيح. وعلمت أن عائلتها اليهوديّة ستعارض هذا التحوّل بشكلٍ مريرٍ، إلا أنها تكلمت بالحق في بسالة، وقالت هذا الكلام لأبيها ستان تيلكين: "أنا أؤمن بأن الكتاب المقدس هو كلمة الله، وأؤمن أن يسوع هو المسيّا". في البداية، شعر ستان بالخيانة

الشديدة، وقال إنه كان من الأفضل له أن تخبره بأنها صارت حُبلى أو أنها طُردت من مدرستها ولا تخبره بأنها صارت مسيحيّة.

واستمرت جودي في إصرارها على الحق الكتابيّ باتضاعٍ وإيمانٍ راسخٍ، ودعّمت هذا بحياة مُتغيرة من خلال المحبة والقداسة. ثم أعطت والديها نسخًا من كتب العهد الجديد، قائلةً لهما: "لتقرآها بنفسيكما لتكتشفا إن كانت هي الحق أم لا". أما ستان وقد ليَّنت قلبه محبة جودي، قبل التحدي، عازمًا على الإطاحة بإيمان ابنته الجديد. لكنه بدلاً من هذا، وصل في ثبات إلى الإيمان عينه الذي وصلت إليه ابنته، من خلال إعلان الله للحق له في كلمته المقدسة. وحين استجمع ستان شجاعته أخيرًا ليشارك زوجته بإيمانه بأن يسوع هو حقًا المخلّص، أقرت زوجته بهذا الإيمان ذاته من خلال دراستها الشخصيّة لكلمة الله.[20]

وكي تكون شهادة جودي فعّالة، حتى في وجه مثل هذه المعارضة العاصفة والشديدة الغضب كالتي كانت لدى عائلتها اليهوديّة التقليديّة، لم تكن مضطرة للتراجع عن شهادتها عن حق الإنجيل، لكن مع ذلك كان لزامًا عليها أن تدمج شهادتها باتضاعٍ حقيقيٍّ وأصيلٍ، ومحبة، وتقوى كي يتيح لها من يهتمون لأمرها فرصة كي يستمعوا لها. على جميع المسيحيين أن يبذلوا جهدًا وأن يصلّوا ليفعلوا بالمثل، دامجين الحق والمحبة معًا في قوة الروح القدس، حتى يتم الالتفات لشهادتهم عن الكتاب المقدس، كما يقول بولس عن هذا: "بُرْهَانِ الرُّوحِ وَالْقُوَّةِ [المترجم: في الترجمة الإنجليزية NIV: برهان قوّة الروح] (1 كورنثوس 2: 4).

روحانيّة الحق

بما أن كلمة الله المقدسة تنقل حق الله، فإن معرفة الحق دائمًا ما يكون شأنًا روحيًا. فإننا في دفاعنا عن الحق وإعلاننا له، "لَسْنَا نَكْرِزُ بِأَنْفُسِنَا" (2 كورنثوس 4: 5). وهكذا فإننا لسنا نسمو فوق الآخرين، كما لا ينبغي أن نتعنّت ونتصلّب تجاه من يقاومون مبادئنا وعقيدتنا. فإننا ممتنون لله إذ أعلن عن نفسه لنا في المحبة. وتظل معرفتنا لله جزئيّة، وإن كانت دقيقة، ومع ذلك فمن خلال شهادة الروح القدس، يمكننا أن نتيقّن تمامًا من أننا قد أخذنا الحق المخلِّص. وبسبب الدور الذي يقوم به الروح القدس في إعلان حق الله داخل قلوبنا، فإننا "نعْرِفَ صِحَّةَ الْكَلاَمِ الَّذِي عُلِّمْنا بِهِ" (لوقا 1: 4). فإن حق الإنجيل المختص بمعرفة الله لم يصر لنا "بِالْكَلاَمِ فَقَطْ، بَلْ بِالْقُوَّةِ أَيْضًا، وَبِالرُّوحِ الْقُدُسِ، وَبِيَقِينٍ شَدِيدٍ" (1 تسالونيكي 1: 5).

هذه الفكرة الخاصة بروحانيّة الحق – أي الحق الذي تم نقله بالكامل إلى أرواحنا من خلال خدمة الروح القدس، ومن خلال كلمة الله الموحى بها من الروح القدس – تجيب عن السؤال المتعلق بكيفيّة تعاملنا نحن مع المحادثة التي أجريت في افتتاحية هذا الفصل. فقد أجاب جيمس بويس على اعتراضات السيدة التي جلست بجواره في الطائرة بالإصرار على الآتي: "ما يهم بالفعل هو ما هو حق". وفي ضوء هيمنة

النسبيّة في هذه الأيام، لم يعد غير المسيحيين يرجّحون قبول الحق كأرضيّة مشتركة. كيف بالتالي ينبغي على المسيحيين أن ينادوا بالحق في عالم لم يعد يؤمن به؟

إن الإجابة على التحدي الذي نواجهه في هذه الأيام لا تكمن بالطبع في تحولنا عن شهادتنا الكتابيّة لأجل الدخول في جدال حول نظريّات معقدة عن نظريات المعرفة وعلوم التفسير. لكن الموقف الأفضل هو أن يجيب المسيحيون في اتضاع كالتالي:

> لقد أمدّنا الله بحاجتنا للحق بأن أرسل روحه القدوس كي يعطينا كتابه، أي الكتاب المقدس. وفي هذا الكتاب، يقدّم لنا الله الحق في صورة شخص، أي ابن الله، يسوع المسيح. وقد وعد يسوع بأن روحه القدوس سيعطي فهمًا لكل باحث عن الحق بصدق وإخلاص في كلمة الله. هل تسمح لي بأن أعطيك نسخة من هذا الكتاب المقدس كي تحتفظ بها؟ وأيضًا ها هي بطاقة تحمل رقم هاتفي. وسيسعدني كثيرًا أن أتواصل معك، كي أجيب عن أي سؤال قد يطرأ على ذهنك، وأستمع إلى أي اعتراض قد تبديه، لكني أعتقد بكل صدق أنك تستطيع إيجاد الحق في هذا الكتاب إن كنت مهتمًا بالفعل. وسأصلّي كي يرسل لك الله روحه ليقودك إلى الحق.

وهل سيستجيب المحيطون بنا من مؤيدي فكر ما بعد الحداثة لهذا النوع من الشهادة عن الحق؟ وفقًا للكتاب المقدس، قد يستجيبون أو لا، وهذا يعتمد على الكيفيّة التي يودّ بها الله استخدام شهادتنا. لكن يمكن أن نتأكد من أن الكثيرين، حتى أولئك الذين نستبعدهم، سيقبلون شهادة جريئة لكن متضعة عن حق كلمة الله. وكيف لنا أن نعلم هذا؟ لأننا نعلم أن يسوع قد تفوه بالصدق حين وعد بأن يرسل "رُوحُ الْحَقِّ، الَّذِي مِنْ عِنْدِ الآبِ يَنْبَثِقُ"، ومن خلال شهادتنا عن الحق والمحبة من كلمة الله، قال يسوع إن هذا الروح نفسه "يَشْهَدُ لِي" (يوحنا 15: 26).

ولأن يسوع هو "الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ" (يوحنا 14: 6)، فإن دعوتنا هي أن نعرف الحق من خلال كلمته، وأن نحيا بموجب هذا الحق في قداسة ومحبة، وأن نخبر بالحق من خلال شهادة مسوقة من الروح القدس عن كلمته. وهل سيكون لمثل هذه الشهادة تأثير على عالمنا اليوم؟ لقد أقرّ يسوع نفسه بهذا، بل وهو يمدّنا بيقين شديد في قوّة حقّه اليوم حين يرتفع إلى فوق، كما ارتفع يسوع قبلاً فوق الصليب. فهو يقول بالصدق: "وَأَنَا إِنِ ارْتَفَعْتُ عَنِ الأَرْضِ أَجْذِبُ إِلَيَّ الْجَمِيعَ" (يوحنا 12: 32).

الفصل الثالث

الإنجيل وكلمة الله:
كيف نقرأ الكتاب المقدس

مايك بيلمور

يتفق المؤمنون بديهيًا على وجود علاقة حتمية ومتشابكة للغاية بين كلمة الله وإنجيل يسوع المسيح. وطبيعة تلك العلاقة تلفت انتباهنا وتشكل تحديًا أمامنا. وفي حين يمكن (بل قد تم بالفعل) استكشاف العديد من أوجه الترابط النافعة والجيدة، إلا أن هذا الفصل يفترض وجود رابطتين محددتين بين كلمة الله والإنجيل ويبحث فيهما: فإن رسالة الإنجيل هي "سبب" الإعلان الكتابي، وهي أيضًا "نتيجة" هذا الإعلان [المترجم: بحسب قانون السبب والنتيجة]. بكلمات أخرى، إن قصد الله العظيم والأزلي في الفداء (الذي يعبر عنه الإنجيل) يوجِد الكتاب المقدس، والكتاب المقدس يتولى تحقيق قصد الله في الإنجيل.

رسالة الإنجيل باعتبارها سببًا ونتيجة للإعلان الكتابي

السبب

إن نظرنا إلى الإنجيل بوجه عام باعتباره قصد الله الأزلي الصالح بأن يفتدي شعبًا لنفسه (1 بطرس 2: 9)، ويسترد خليقته الساقطة (رومية 8: 19–21)، فإن هذا "الخبر السار" إذًا سيسبق بالضرورة الإعلان الكتابي ويوجده. فإن كلمة الله بأكملها تنقل ذلك الإحساس بكونها وليدة مبادرة إلهيّة عظيمة. وبهذا المفهوم، فإن رسالة الإنجيل تصير هي سبب الإعلان الكتابيّ. وفي حين أن كلمة الله نفسها ليست هي الإنجيل، إلا أنها بكاملها متصلة به، فإن الإنجيل هو السبب في وجود هذه الكلمة، وهو رسالة الكتاب المقدس الرئيسيّة والموحِّدة له.

ولا يمكن مطلقاً فصل قصد الله من الإعلان الكتابيّ عن قصده من الفداء. فقد خطط الله منذ الأزل أن يفتدي شعبًا لنفسه:

> مُبَارَكٌ اللهُ أَبُو رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي بَارَكَنَا بِكُلِّ بَرَكَةٍ رُوحِيَّةٍ فِي السَّمَاوِيَّاتِ فِي الْمَسِيحِ، كَمَا اخْتَارَنَا فِيهِ قَبْلَ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ، لِنَكُونَ قِدِّيسِينَ وَبِلاَ لَوْمٍ قُدَّامَهُ فِي الْمَحَبَّةِ، إِذْ سَبَقَ فَعَيَّنَنَا لِلتَّبَنِّي بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ لِنَفْسِهِ، حَسَبَ مَسَرَّةِ مَشِيئَتِهِ، لِمَدْحِ مَجْدِ نِعْمَتِهِ الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا عَلَيْنَا فِي الْمَحْبُوبِ. (أفسس 1: 3–6)

وهكذا كانت خطة الله هي السبب الحقيقي وراء تواصله المنطوق مع البشر، وهي التي تنشئ وتوجد هذا التواصل الذي نجده محفوظًا في كلمة الله.

وما نستشفه ضمنيًا من فكرة الإعلان هو فكرة وجود هدف. فالله يهدف إلى تحقيق شيء ما من خلال إعلانه عن نفسه:

> لأَنَّهُ كَمَا يَنْزِلُ الْمَطَرُ وَالثَّلْجُ مِنَ السَّمَاءِ وَلاَ يَرْجِعَانِ إِلَى هُنَاكَ، بَلْ يُرْوِيَانِ الأَرْضَ وَيَجْعَلاَنِهَا تَلِدُ وَتُنْبِتُ وَتُعْطِي زَرْعًا لِلزَّارِعِ وَخُبْزًا لِلآكِلِ، هكَذَا تَكُونُ كَلِمَتِي الَّتِي تَخْرُجُ مِنْ فَمِي. لاَ تَرْجِعُ إِلَيَّ فَارِغَةً، بَلْ تَعْمَلُ مَا سُرِرْتُ بِهِ وَتَنْجَحُ فِي مَا أَرْسَلْتُهَا لَهُ. (إشعياء 55: 10–11)

أي أن الله يرسل كلمته لتحقيق قصده الأزلي بافتداء شعباً لنفسه، فهو يتحدث من خلال إشعياء النبي عن جمعه شعبًا لنفسه ويقول:

> أَمِيلُوا آذَانَكُمْ وَهَلُمُّوا إِلَيَّ. اسْمَعُوا فَتَحْيَا أَنْفُسُكُمْ. وَأَقْطَعَ لَكُمْ عَهْدًا أَبَدِيًّا، مَرَاحِمَ دَاوُدَ الصَّادِقَةَ. هُوَذَا قَدْ جَعَلْتُهُ شَارِعًا لِلشُّعُوبِ، رَئِيسًا وَمُوصِيًا لِلشُّعُوبِ. هَا أُمَّةٌ لاَ تَعْرِفُهَا تَدْعُوهَا، وَأُمَّةٌ لَمْ تَعْرِفْكَ تَرْكُضُ إِلَيْكَ، مِنْ أَجْلِ الرَّبِّ إِلهِكَ وَقُدُّوسِ إِسْرَائِيلَ لأَنَّهُ قَدْ مَجَّدَكَ. (اشعياء 55: 3–5)

كما يقوم العهد الجديد في مواضع عدة بإبراز هذا القصد من الإعلان بشكل أكثر وضوحًا. فيقول بولس عن العهد القديم: "لأَنَّ كُلَّ مَا سَبَقَ فَكُتِبَ كُتِبَ لأَجْلِ تَعْلِيمِنَا، حَتَّى بِالصَّبْرِ وَالتَّعْزِيَةِ بِمَا فِي الْكُتُبِ يَكُونُ لَنَا رَجَاءٌ" (رومية 15: 4). رجاء في ماذا؟ رجاء في الفداء التام الذي سيتم باكتمال مقاصد الله الصالحة (انظر رومية 8: 18–25). ويقول بولس إن هذا هو سبب تدوين الله لكلمته. فكلمة الله لازمة لأجل إعلان قصد الله وعمله الفدائي. ومن هذا المنطلق يكون الإنجيل هو سبب كلمة الله. إلا أن هذا الإنجيل، من جهة حتميّة أخرى، هو أيضًا نتيجة للإعلان الكتابي.

النتيجة

هنا نتحدث عن الإنجيل من حيث المناداة الفعّالة به. ومن هذه الناحية فإن الإعلان الكتابيّ لابد وأن يسبق الإنجيل، وهذا الإنجيل يتدفق بشكل فعّال من الإعلان الكتابيّ. فالإنجيل هو رسالة الكتاب المقدس الرئيسيّة، ولهذا فإن الكرازة بمحتوى هذا الكتاب – أي التوقع النبوي لقصد الله الفدائيّ في المسيح من العهد القديم والشهادة الرسوليّة عن عمل المسيح المكتمل في العهد الجديد – تطلق العنان لقوة رسالة الإنجيل، وتحقق الغرض المعيَّن لها من قبل الله.

فقد نجح بولس في التعبير عن هذا المعنى بصورة مقنعة للغاية في رومية 10 في حديثه عن قصد الله في أن يفتدي شعبًا لنفسه، فيقول:

لأَنَّهُ لاَ فَرْقَ بَيْنَ الْيَهُودِيِّ وَالْيُونَانِيِّ، لأَنَّ رَبًّا وَاحِدًا لِلْجَمِيعِ، غَنِيًّا لِجَمِيعِ الَّذِينَ يَدْعُونَ بِهِ. لأَنَّ «كُلَّ مَنْ يَدْعُو بِاسْمِ الرَّبِّ يَخْلُصُ». فَكَيْفَ يَدْعُونَ بِمَنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ؟ ... وَكَيْفَ يَسْمَعُونَ بِلاَ كَارِزٍ؟ (رومية 10: 12-14)

وبعد بضعة أعداد، يدلي بولس بهذا التصريح المُجمل: "إِذًا الإِيمَانُ بِالْخَبَرِ (باستماع الخبر)، وَالْخَبَرُ بِكَلِمَةِ اللهِ" (عدد 17). بمعنى آخر، إن كلمة الله، التي يُنادَى بها بأمانة وإخلاص، تتمم قصد الله الصالح من الفداء.

ويقدم لنا بطرس المعنى عينه، قائلاً: "مَوْلُودِينَ ثَانِيَةً، لاَ مِنْ زَرْعٍ يَفْنَى، بَلْ مِمَّا لاَ يَفْنَى، بِكَلِمَةِ اللهِ الْحَيَّةِ الْبَاقِيَةِ إِلَى الأَبَدِ. ... وَهذِهِ هِيَ الْكَلِمَةُ الَّتِي بُشِّرْتُمْ بِهَا" (1 بطرس 1: 23-25). ويكرر يوحنا هذه الفكرة حين يقول أنه كتب إنجيله "لِتُؤْمِنُوا أَنَّ يَسُوعَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ، وَلِكَيْ تَكُونَ لَكُمْ إِذَا آمَنْتُمْ حَيَاةٌ بِاسْمِهِ" (يوحنا 20: 31). هذه إذًا مجرد وسيلة أخرى نقول بها إن الإعلان الكتابيّ موجود لتحقيق قصد الله العظيم بأن يفتدي شعبًا لنفسه في المسيح.

وهكذا فإن الكتاب المقدس موجود **بسبب** الإنجيل **ولأجل** الإنجيل. والمفتاح لفهم هذا هو أن الإنجيل هو رسالة المسيح. ويشير الكتاب المقدس في كل موضع فيه بطريقة ما إلى المسيح ويعلنه ويشرحه. وبالتالي، فإن هذا الكتاب المقدس يساهم ليس في فهمنا للإنجيل فحسب، بل في "استماعنا" لهذا الإنجيل بغرض أن نؤمن، وبهذا يتمم الله بشكل كامل قصده الصالح في الفداء. هذا يتطلب منا إذًا أن نستخدم كلمة الله بما يتماشى مع قصد الله الصالح هذا.

قناعات أساسيّة لازمة لقراءة صحيحة لكلمة الله

توجد بعض القناعات الأساسيّة التي يلزم أن نضعها في نصابها الصحيح، ويلزم أن تكون عاملة كي يؤدي الكتاب المقدس الدور الفعّال الخاص الذي يقصده الله به.

كلمة الله هي أنفاس الله (وحي الله)

يُذكِّر بولس ابنه الحبيب في الإيمان بهذا الكلام قائلاً: "كُلُّ الْكِتَابِ هُوَ مُوحًى بِهِ مِنَ اللهِ (مُتنفّس به من الله breathed out)" (2 تيموثاوس 3: 16). أي أن بولس يقول إن كلمة الله تنشأ أولاً في عقل الله، ثم يُنطَق بها ("أي تخرج كأنفاس" breathed out) من ذلك العقل. هذه القناعة بأن الله قد نطق حقًا بالكلمة هي قناعة لابد أن يتمسك بها المؤمنون تمسكًا شديدًا حتى تتشكّل حياتهم بها. فإننا حين نستخدم عبارة "كلمة الله" للإشارة إلى كتبنا المقدسة، فلابد ألا يفوتنا المعنى الذي يوصله هذا اللفظ. فقد نطق الله بشيء

موضوعيّ. فهو يقول شيئًا خاصًا ومحددًا. أي هو يتكلّم. وهو يتواصل. لقد تكلّم الله حقًا، وكلمة الله هي ذلك الكلام في صورةٍ مكتوبةٍ.

التطبيق العمليّ الرئيسيّ لتلك القناعة هو أن الكتاب المقدس جدير بالثقة وحق: "كُلُّ كَلِمَةٍ مِنَ اللهِ نَقِيَّةٌ" (أمثال 30: 5). فإن التمسك بهذه القناعة سيؤثر بشدة على قراءتنا الشخصيّة للكتاب المقدس وأيضًا على رد فعلنا تجاهه. فهو سيحررنا من الشك والتساؤل الدائم. لكن على النقيض، إن لم نتمسك بهذه القناعة ونؤيدها، سنجد أنفسنا متشكّكين، ذوي رأيين، ومتقلقلين أمام صعوبات الحياة أو الصعوبات الموجودة في الكتاب المقدس.

كلمة الله قابلة للفهم

يقول بولس لتيموثاوس: "اجْتَهِدْ أَنْ تُقِيمَ نَفْسَكَ للهِ مُزَكًى، عَامِلاً لاَ يُخْزَى، مُفَصِّلاً كَلِمَةَ الْحَقِّ بِالاسْتِقَامَةِ" (2 تيموثاوس 2: 15). يوجد إذًا ما يُسمى بتفصيل كلمة الحق باستقامة. بكلمات أخرى، لم يتوقف الأمر عند نطق الله بشيء موضوعيّ ومحدد، لكن قصده أيضًا هو أن نفهم نحن هذا الشيء. فإن الله ليس إلهًا قاسيًا، يلهو معنا بإعلانه. فهو لم يتكلّم بشيء يعلم أننا لن نفهمه قط، مثل شفرة لا يمكن حلها. وهو لم يقدم لنا وسيلة تواصل يقصد بها إحباطنا. كلا، بل قد تكلّم لغرض. فإن مفهوم كلمة **الإعلان** في حد ذاتها يشير إلى نيّة وقصد التعريف بشيء. فالله يقوم بتحقيق غرض مرغوب فيه بشدة، ولهذا فهو يريد أن نفهم ما قاله.

لكننا في حاجة إلى أن نتذكر الجزء الأول من نص 2 تيموثاوس 2: 15. حيث يخبر بولس تيموثاوس بأنه لابد أن يبذل أقصى ما في وسعه (يجتهد)، وأن يكون عاملاً. وهكذا فلا أحد يقفز مباشرة إلى الفهم. لكننا في حاجة إلى أن نتمسك بشدة بقناعتنا بأن كلمة الله ستقدم نفسها لمن يدرسها في إيمان. فإن قصد الله لنا هو أن نفهم ما قد نطق به.

كلمة الله نافعة

إن شعب الله لا يمكنه أن يحيا أو يزدهر سوى من خلال إيمانه بكلمة الله وطاعتها. فهي نافعة ومفيدة بصورة فريدة. ليست كلمة الله نافعة من خلال عمليّة سريّة غامضة تصوفيّة، بل من خلال الوسائل العاديّة من تعليم، وتوبيخ، وتقويم، وتأديب في البر (2 تيموثاوس 3: 16). من خلال هذه الوسائل يظهر الكتاب المقدس نفسه نافعًا للغاية.

كلمة الله فعّالة

إن كلمة الله تدَّعي كونها فعالة، لكن ما الذي تحققه هذه الكلمة حقًا؟ لننظر مرة أخرى إلى كلمات إشعياء:

> لأَنَّهُ كَمَا يَنْزِلُ الْمَطَرُ وَالثَّلْجُ مِنَ السَّمَاءِ وَلاَ يَرْجِعَانِ إِلَى هُنَاكَ، بَلْ يُرْوِيَانِ الأَرْضَ وَيَجْعَلاَنِهَا تَلِدُ وَتُنْبِتُ وَتُعْطِي زَرْعًا لِلزَّارِعِ وَخُبْزًا لِلآكِلِ، هكَذَا تَكُونُ كَلِمَتِي الَّتِي تَخْرُجُ مِنْ فَمِي. لاَ تَرْجعُ إِلَيَّ فَارِغَةً، بَلْ تَعْمَلُ مَا سُرِرْتُ بِهِ وَتَنْجَحُ فِي مَا أَرْسَلْتُهَا لَهُ. (إشعياء 55: 10–11)

وسنضيف إلى هذه الكلمات كلمات أخرى من رسالة العبرانيين: "لأَنَّ كَلِمَةَ اللهِ حَيَّةٌ وَفَعَّالَةٌ [الترجمة الإنجليزية: عاملة] وَأَمْضَى مِنْ كُلِّ سَيْفٍ ذِي حَدَّيْنِ، وَخَارِقَةٌ إِلَى مَفْرَقِ النَّفْسِ وَالرُّوحِ وَالْمَفَاصِلِ وَالْمِخَاخِ، وَمُمَيِّزَةٌ أَفْكَارَ الْقَلْبِ وَنِيَّاتِهِ" (عبرانيين 4: 12). وحين يتحدث كاتب رسالة العبرانيين عن كون كلمة الله "عاملة" (active)، فهو يتحدث عن فاعليتها، أي قدرتها على تحقيق القصد المرجو منها، ويقول الكاتب إنها تقوم بهذا من خلال قدرة اختراقيّة.

لنتناول الآن بعض الأشياء المحددة التي تدَّعي كلمة الله عملها:

1) هي تُبدئ الإيمان: "إِذًا الإِيمَانُ بِالْخَبَرِ، وَالْخَبَرُ بِكَلِمَةِ اللهِ" (رومية 10: 17).
2) تهب حياة روحيّة جديدة: "مَوْلُودِينَ ثَانِيَةً، لاَ مِنْ زَرْعٍ يَفْنَى، بَلْ مِمَّا لاَ يَفْنَى، بِكَلِمَةِ اللهِ الْحَيَّةِ الْبَاقِيَةِ إِلَى الأَبَدِ" (1 بطرس 1: 23).
3) تساعد على نمونا روحيًا: "وَكَأَطْفَال مَوْلُودِينَ الآنَ، اشْتَهُوا اللَّبَنَ الْعَقْلِيَّ الْعَدِيمَ الْغِشِّ لِكَيْ تَنْمُوا بِهِ" (1 بطرس 2: 2).
4) تقدّس: "قَدِّسْهُمْ فِي حَقِّكَ. كَلاَمُكَ هُوَ حَقٌّ" (يوحنا 17: 17).
5) تفحص القلب وتبكّت: "لأَنَّ كَلِمَةَ اللهِ حَيَّةٌ وَفَعَّالَةٌ وَأَمْضَى مِنْ كُلِّ سَيْفٍ ذِي حَدَّيْنِ، وَخَارِقَةٌ إِلَى مَفْرَقِ النَّفْسِ وَالرُّوحِ وَالْمَفَاصِلِ وَالْمِخَاخِ، وَمُمَيِّزَةٌ أَفْكَارَ الْقَلْبِ وَنِيَّاتِهِ" (عبرانيين 4: 12).
6) تُحرّر: "إِنَّكُمْ إِنْ ثَبَتُّمْ فِي كَلاَمِي فَبِالْحَقِيقَةِ تَكُونُونَ تَلاَمِيذِي، وَتَعْرِفُونَ الْحَقَّ، وَالْحَقُّ يُحَرِّرُكُمْ" (يوحنا 8: 31–32).
7) تنعش وتجدّد: "أَحْيِنِي حَسَبَ كَلِمَتِكَ" (مزمور 119: 25).
8) ترد إلى الحياة وتنير: "نَامُوسُ الرَّبِّ كَامِلٌ يَرُدُّ النَّفْسَ. شَهَادَاتُ الرَّبِّ صَادِقَةٌ تُصَيِّرُ الْجَاهِلَ حَكِيمًا" (مزمور 19: 7؛ انظر أيضًا الأعداد 8–11).

هذه مجرد عينة مما تقوله كلمة الله عمّا يمكن أن تفعله. فلا عجب إذًا أن يقول داود: "طُوبَى لِلرَّجُلِ الَّذِي لَمْ يَسْلُكْ فِي مَشُورَةِ الأَشْرَار... لكِنْ فِي نَامُوسِ الرَّبِّ مَسَرَّتُهُ" (مزمور 1: 1–2)؟ فإن هذا الرجل يكون "كَشَجَرَةٍ مَغْرُوسَةٍ عِنْدَ مَجَارِي الْمِيَاهِ، الَّتِي تُعْطِي ثَمَرَهَا فِي أَوَانِهِ، وَوَرَقُهَا لاَ يَذْبُلُ" (عدد 3). وبالمعنى الأبسط، إن قصد الله هو أن يعتني بشعبه ويرعاهم من خلال كلمته. فكلمة الله هي الوسيلة الرئيسيّة التي من خلالها يطعمنا الله، ويعتني بنا، ويجعلنا نزدهر ونثمر، ومن خلالها ينوي تحقيق قصده الصالح.

في حال وجدت هذه القناعات الأربع وكانت عاملة في حياة شخص مسيحيّ، فإن ذلك الشخص يمكنه أن يتوقع نعمة الله المُغيّرة في الإنجيل المعطى له بواسطة كلمة الله. لكن فيما يلي صفة أخرى هامة وضروريّة للغاية.

اتجاه ضروري للقلب: الاتضاع

لكي نتمكن من استخدام كلمة الله وفقًا لقصده، لابد أن نُخضِع أنفسنا طواعيّة، وبكل حماس، ولهفة تحت سلطانها. ولكن لأننا نحب أن نرفع من شأن أنفسنا، فإننا في كثير جدًا من الأحيان نُغوى بأن نضع أنفسنا فوق الكلمة كحكّام عليها أو كنقّاد لها.

سمعت ذات مرة قصة رجل ذهب إلى باريس وكان في زيارة لمتحف اللوفر. وكان مهتمًا بشكل خاص برؤية لوحة **الموناليزا** التي رسمها ليوناردو دافنشي. ثم بعد أن أمعن النظر في اللوحة لبعض الوقت بعين ناقدة، صرّح قائلاً: "لا تعجبني". حينئذ أجابه الحارس الواقف هناك: "سيدي، لم تعد هذه اللوحات خاضعة للحكم عليها، على عكس من يشاهدونها". هكذا أيضًا بالنسبة لكلمة الله، فهي غير قابلة أو خاضعة للحكم والانتقاد، على عكس قارئيها. السؤال المطروح هنا هو ما إذا كانت قلوب قارئيها هؤلاء تقبل الخضوع في اتضاع لسطان الله المطلق من خلال كلمته أم لا.

ويعد استعدادنا لوضع أنفسنا تحت مجهر فحص كلمة الله جزءًا لا يتجزأ من الخضوع لسلطان هذه الكلمة. وهذا الفحص لابد أن يتحول إلى عادة منتظمة في حياتنا. إلا أنه لا ينبغي أن يتم بشكل مستقل أو منعزل. بل بوعي شديد في خضوع لكلمة الله. فإن الله يقول: "أَنَا الرَّبُّ فَاحِصُ الْقَلْبِ" (إرميا 17: 10). وكرد فعل لهذا، لابد أن تكون صلواتنا ترديدًا لصلاة داود: "اخْتَبِرْنِي يَا اَللهُ وَاعْرِفْ قَلْبِي" (مزمور 139: 23).

تذكّرنا رسالة العبرانيين بأن الله يميز أفكار القلب ونياته بكلمته (عبرانيين 4: 12). ولذلك فعلينا أن نضع أنفسنا بانتظام وجديّة تحت فحص كلمة الله، بغرض أن نتغير في ضوء ما تعلنه لنا. وهذا الغرض لا ينبغي أن يقتصر على كونه واجبًا إلزاميًا، بل علينا أن نتطلّع في فرحٍ إلى أن يكون هو الوسيلة التي بها يتمم الله مقاصد فدائه في حياتنا.

في أحيان كثيرة، حين نقف في مواجهة مع كلمة الله، نسرع في سرد أسباب عدم انطباقها علينا، وبهذا التصرف نكون قد اتخذنا قرارًا برفض الشيء نفسه الذي يقصد به الله خيرنا. فإننا نعمل حسنًا إن انتبهنا إلى كلمات توماس واتسون، ذلك الراعي التطهيريّ (Puritan) الذي عاش في القرن السابع عشر:

> اعتبر كل كلمة كأنها موجَّهة إليك. فحين ترعد الكلمة ضد الخطية، فكر هكذا: "إن الله يعني بهذا خطاياي"، وحين تشدّد على واجب ما، قل: "إن الله يقصدني أنا بهذا". كثيرون يبعدون كلمة الله عنهم، وكأنها تعني أولئك الذين عاشوا في الزمن الذي كُتبت فيه فحسب، لكن إن عقدت النيّة على الاستفادة من الكلمة، قرّبها إلى نفسك، فإن الدواء لن يفيد شيئًا إن لم يتم تناوله.[21]

إن الاتضاع أمر ضروري للغاية – فهو توقع مُتحمّس، ومُتلهّف، ومُتّضع، بل وفرح أيضًا بأن تتمّم كلمة الله قصدها في حياتنا.

منهج تفسيريّ لا غنى عنه

بعد وضع القناعات الأساسيّة واتجاه القلب الضروريّ في نصابها الصحيح، نأتي الآن إلى قضية تفسير كلمة الله. ويضع العهد الجديد مبدأين رئيسيين للتفسير:

مركزيّة المسيح

ربما لا يوجد نص يرغمنا على الاقتناع بمركزيّة المسيح في كلمة الله أكثر من لوقا 24. فقد انخرط يسوع وهو متنكر في حديث مع اثنين من تلاميذه فيما كانا يسيران في طريقهما إلى عمواس. وكانا قد قصا عليه لتوهما في إيجاز الأحداث التي وقعت في الأيام الأخيرة، والتي فيها، كما قالا، أسلم يسوع إلى الموت، أسلم ذاك الذي وضعا فيه رجاءهما، وبعد ثلاثة أيام توافدت أخبار محيّرة وغير مؤكّدة عن قيامته. ثم ردًا على هذا قال لهما يسوع: "أَيُّهَا الْغَبِيَّانِ وَالْبَطِيئَا الْقُلُوبِ فِي الإِيمَانِ بِجَمِيعِ مَا تَكَلَّمَ بِهِ الأَنْبِيَاءُ! أَمَا كَانَ يَنْبَغِي أَنَّ الْمَسِيحَ يَتَأَلَّمُ بِهذَا وَيَدْخُلُ إِلَى مَجْدِهِ؟" ثم يخبرنا لوقا بالآتي: "ثُمَّ ابْتَدَأَ مِنْ مُوسَى وَمِنْ جَمِيعِ الأَنْبِيَاءِ يُفَسِّرُ لَهُمَا الأُمُورَ الْمُخْتَصَّةَ بِهِ فِي جَمِيعِ الْكُتُبِ" (لوقا 24: 25–27).

ثم لاحقًا في الإصحاح نفسه، تحدث يسوع إلى الاثنا عشر المجتمعين معًا وقال: "هذَا هُوَ الْكَلاَمُ الَّذِي كَلَّمْتُكُمْ بِهِ وَأَنَا بَعْدُ مَعَكُمْ: أَنَّهُ لاَ بُدَّ أَنْ يَتِمَّ جَمِيعُ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ عَنِّي فِي نَامُوسِ مُوسَى وَالأَنْبِيَاءِ وَالْمَزَامِيرِ" (عدد 44). ويضيف لوقا مرة أخرى: "حِينَئِذٍ فَتَحَ ذِهْنَهُمْ لِيَفْهَمُوا الْكُتُبَ" (عدد 45). ومن هذا النص يتضح أن يسوع كان يفهم العهد القديم بأكمله باعتباره يتحدث بشكل فعليّ وحقيقيّ عنه.

وينقل لنا يسوع هذا المعنى نفسه من خلال يوحنا 5 في حديثه إلى القادة الدينيين في أورشليم، حين قال: "فَتِّشُوا الْكُتُبَ لأَنَّكُمْ تَظُنُّونَ أَنَّ لَكُمْ فِيهَا حَيَاةً أَبَدِيَّةً. وَهِيَ الَّتِي تَشْهَدُ لِي" (عدد 39). مرة أخرى نرى يسوع يفهم العهد القديم باعتباره يتحدث عنه ويشير إليه.

أيضًا يدور العهد الجديد بديهيًا حول المسيح. فقد حرص كُتّابه من الرسل حرصًا شديدًا على ألا يجرد قارئوهم أي جزء من كتاباتهم من شخص وعمل يسوع المسيح. وهكذا، فإن الكتاب المقدس **بأكمله** يدور حول المسيح بشكل خاص ومقصود من قبل الله. ويوجز برايان تشابل في كتابه المفيد للغاية بعنوان "Christ-Centered Preaching" (مركزيّة المسيح في الوعظ) هذا المعنى جيدًا: "كل نصّ [كتابيّ] هو إما تنبّؤي عن عمل المسيح، أو إعداديّ لعمل المسيح، أو تأمّلي في عمل المسيح، أو نتاج عمل المسيح".[22] هذا يعني بكل تأكيد أننا إن قرأنا الكتاب المقدس باستقامة وبشكل سليم، فلابد أن نراه في كل أجزائه من منظور ارتباطه بالمسيح.

ومع ذلك، فإننا لسنا مدعوين إلى أن نصطنع رابطة بين أي نص نقرأه أو نعلّمه من كلمة الله وبين المسيح. بل العكس هو الصحيح. فإن كلمات يسوع نفسها هي التي تفترض مسبقًا أن كل نص إنما يشير بالفعل إليه، ونحن مدعوون لفهم وشرح الطرق الخاصة التي بها تشير تلك النصوص إليه. ولكي يكون مركز قراءتنا للكتاب المقدس هو الإنجيل، كما لابد أن يكون، فهذه القراءة ينبغي أن تنظر دائمًا إلى يسوع وتثبت عينيها عليه، وإمكانية الفشل في فعل هذا متساويّة سواء في تفصيل وتناول العهد الجديد أو العهد القديم.

التفسير الروحيّ

لا يكفي أن ندرك فحسب لزوم مركزيّة المسيح لتفصيل كلمة الله باستقامة. بل إن تفصيلنا لكلمة الله لابد أن يصاحبه عمل الروح القدس في الاستنارة. فإن الكتاب المقدس يختلف من حيث النوع عن أي كتاب آخر، ولذا فهو يتطلب أن نقرأه تماشيًا مع طبيعته.

يشير بولس إلى هذا في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس. فبعد وصفه لخدمته الأخيرة لهم بالآتي "مُنَادِيًا [لهم] بِشَهَادَةِ اللهِ" (1 كورنثوس 2: 1)، مذكّرًا إياهم بأن كلامه وكرازته لم يكونا بكلام الحكمة الإنسانيّة بل بقوة الله (عدد 4–5)، قال:

لكِنَّنَا نَتَكَلَّمُ بِحِكْمَةٍ بَيْنَ الْكَامِلِينَ [الترجمة: بين الناضجين]، وَلكِنْ بِحِكْمَةٍ لَيْسَتْ مِنْ هذَا الدَّهْرِ، وَلاَ مِنْ عُظَمَاءِ هذَا الدَّهْرِ، الَّذِينَ يُبْطَلُونَ. بَلْ نَتَكَلَّمُ بِحِكْمَةِ اللهِ فِي سِرّ: الْحِكْمَةِ الْمَكْتُومَةِ، الَّتِي سَبَقَ اللهُ فَعَيَّنَهَا قَبْلَ الدُّهُورِ لِمَجْدِنَا، الَّتِي لَمْ يَعْلَمْهَا أَحَدٌ مِنْ عُظَمَاءِ هذَا الدَّهْرِ، لأَنْ لَوْ عَرَفُوا لَمَا صَلَبُوا رَبَّ الْمَجْدِ. بَلْ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ:

«مَا لَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى بَالِ إِنْسَانٍ: مَا أَعَدَّهُ اللهُ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَهُ».

فَأَعْلَنَهُ اللهُ لَنَا نَحْنُ بِرُوحِهِ. لأَنَّ الرُّوحَ يَفْحَصُ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى أَعْمَاقَ اللهِ. لأَنْ مَنْ مِنَ النَّاسِ يَعْرِفُ أُمُورَ الإِنْسَانِ إِلاَّ رُوحُ الإِنْسَانِ الَّذِي فِيهِ؟ هكَذَا أَيْضًا أُمُورُ اللهِ لاَ يَعْرِفُهَا أَحَدٌ إِلاَّ رُوحُ اللهِ. وَنَحْنُ لَمْ نَأْخُذْ رُوحَ الْعَالَمِ، بَلِ الرُّوحَ الَّذِي مِنَ اللهِ، لِنَعْرِفَ الأَشْيَاءَ الْمَوْهُوبَةَ لَنَا مِنَ اللهِ، الَّتِي نَتَكَلَّمُ بِهَا أَيْضًا، لاَ بِأَقْوَال تُعَلِّمُهَا حِكْمَةٌ إِنْسَانِيَّةٌ، بَلْ بِمَا يُعَلِّمُهُ الرُّوحُ الْقُدُسُ، قَارِنِينَ الرُّوحِيَّاتِ بِالرُّوحِيَّاتِ [في الترجمة الإنجليزيّة: بما يعلمه الروح مفسرًا الحقائق الروحية للروحيين]. وَلكِنَّ الإِنْسَانَ الطَّبِيعِيَّ لاَ يَقْبَلُ مَا لِرُوحِ اللهِ لأَنَّهُ عِنْدَهُ جَهَالَةٌ، وَلاَ يَقْدِرُ أَنْ يَعْرِفَهُ لأَنَّهُ إِنَّمَا يُحْكَمُ فِيهِ رُوحِيًّا. (1 كورنثوس 2: 6–14)

يمكننا أن نستخلص بوضوح من هذا النص أربعة أشياء. أولاً، توجد حكمة من الله قد أعلنها للبشر (عدد 10، 12). ثانيًا، ذلك الإعلان يتم من خلال الروح القدس (عدد 10). ثالثًا، بما أن الإعلان يتم من خلال الروح القدس، فإن تفسيره إذًا يتطلب هذا الروح (عدد 13). رابعًا، أخذ المؤمنون الروح القدس من الله "لِنَعْرِفَ الأَشْيَاءَ الْمَوْهُوبَةَ لَنَا مِنَ اللهِ" (عدد 12). هذا ينطبق على من يعلِّمون (عدد 12) وأيضًا على من يتعلمون (عدد 13–14). وهكذا فإننا لا نستطيع فهم كلمة الله بشكل صحيح دون عمل الروح القدس. إذ هو من يمنح البشر القدرة على معرفة أن كلمة الله حق، وعلى فهم هذا الحق.

طريقتان لقراءة الكتاب المقدس

نأتي الآن إلى موضوع الممارسة الفعليّة لقراءة كلمة الله. لسنا هنا بصدد الحديث عن مهارة قراءة كلمة الله علنًا، بل عن استخدامها بصورة شخصيّة، سواء للدراسة الشخصيّة أو لممارسة مهارة التمييز حين يعلّم آخرون من الكتاب المقدس. كيف يكون إذًا "تفصيل كلمة الحق باستقامة" (2 تيموثاوس 2: 15)؟

إن الكتاب المقدس هو بالفعل كتاب مثير ومشوق وممتع بشكل غير محدود لأنه قصة الله، والله نفسه بالطبيعة مثير ومشوق وممتع بشكل غير محدود. هذا الكتاب نبع دائم الفيضان لا ينضب. كلما قرأت منه أكثر، وجدت أن حقه وجماله لا ينضبان أو ينحلان.

وتوجد العديد من الطرق لقراءة الكتاب المقدس. ولأنه لا ينضب، فإن هذه الطرق العدة يمكن أن تكون مثمرة ومفيدة. إلا أننا لسنا كثيري الانشغال هنا بما قد يُطلَق عليه "طرق أو منهجيّات" بقدر اهتمامنا بما يمكن أن نطلق عليه "اتجاهات". وهناك اتجاهان أساسيان لقراءة الكتاب المقدس يقومان بفتح كنزه، الذي هو الإنجيل، للفائدة.

قراءة الكتاب المقدس كرواية متتابعة (أو الاتجاه التاريخيّ)

إن الكتاب المقدس عبارة عن قصة تاريخيّة. فهو متأصّل جيدًا دون تزعزع في تاريخ زمنيّ ومكانيّ حقيقيّ، مع وجود إشارات منتظمة ومقصودة إلى شخصيّات، وأحداث، وأماكن تاريخيّة معروفة (مثل لوقا 3: 1–3). ودون شك يقصّ الكتاب المقدس تلك الأحداث التاريخيّة التي يقدمها على نحو موثوق به. ويمكننا أن نقول إن قراءة الكتاب المقدس من منظور تاريخيّ هي قراءة "تتبعيّة" تسير عبر القصة الكتابيّة. وبما أن الكتاب المقدس يجمع كتابات كثيرة كتبها كتّاب مختلفون، فإن هذا ربما يشكّل تحديًا أمام القراء الذين يحاولون فهم واستيعاب جميع أجزاء هذا التاريخ.

إلا أن الكتاب المقدس لا يقتصر على كونه سردًا قصصيًا للتاريخ البشريّ. حيث توجد قصة أكبر وراء قصته. فإن الروايّة الكتابيّة الحقيقيّة تكمن في الكشف والإعلان عن خطة الله وقصده. إن الكتاب المقدس هو قصة الله، وخطها الرئيسي هو الإنجيل: أي خطة الله لافتداء شعب لنفسهِ واسترداد خليقته الساقطة من خلال المسيح.

قراءة الكتاب المقدس كملخص وافٍ لوجهات نظر موحى بها من الله (أو الاتجاه اللاهوتي)

لا يتوقف الكتاب المقدس عند سرده للتاريخ، بل هو أيضًا يفسر هذا التاريخ. فإن كلمة الله تأتينا في صورة تصريحات، وشرائع، ووعود، وأمثال، ووصايا، وما إلى ذلك، إلا أن كل جزء منها هو وجهة نظر موحى بها من الله. يمكننا أن نصف قراءة الكتاب المقدس من منظور لاهوتيّ بأنها قراءة "داخليّة" في الأسفار. وبتناولنا لكلمة الله وفقًا لهذا المنظور، يمكننا أن نجمع وجهات النظر هذه إلى أقسام من الفكر، حتى نصل إلى فهم متماسك لما يقوله الكتاب المقدس بشكل تراكميّ وتدريجيّ. هذه الطريقة في القراءة تولي اهتمامًا أكبر للإطار الرئيسيّ لأسفار ونصوص فرديّة، لكن من الحكمة أيضًا أن نتذكر أن معنى أي نص كتابيّ مرتبط بمعنى جميع النصوص الأخرى، بما أنها جميعها جزءًا من كلمة موحدة ومتكاملة من الله.

رسالة الكتاب المقدس الواحدة

بغض النظر عن طريقة قراءة الكتاب المقدس، لكن رسالته واحدة. فإن قرأناه كسرد تاريخيّ متواصل، فسيكون الخط الرئيسي له هو الخلق، والسقوط، والفداء، والاسترداد. أما إن قرأناه كمجموعة من وجهات النظر والآراء اللاهوتيّة، فإن المواضيع الرئيسيّة التي ستبرز حينئذ هي الله، والخطية، والمسيح، والإيمان. والرسالة التي تقدمها كلتا القراءتين هي انتصار قصد الله الأزليّ الفدائيّ. هاتان الطريقتان في القراءة ليستا متناقضتين على الإطلاق. بل على العكس، كلاهما ضروريتان من أجل فهم تام وكامل للإنجيل الكتابيّ ومن أجل "الاستماع" إليه، وأيضًا لمساعدتناعلى رؤية كيفيّة تماسك جميع أجزاء الكتاب المقدس معًا، وكيف أنها جميعها توجهنا إلى يسوع.

مثال توضيحيّ من متى 12

يمكننا أن نوضح في إيجاز تكامل هذين الاتجاهين في القراءة من خلال تطبيقهما على نص معين من كلمة الله:

> فِي ذلِكَ الْوَقْتِ ذَهَبَ يَسُوعُ فِي السَّبْتِ بَيْنَ الزُّرُوعِ، فَجَاعَ تَلاَمِيذُهُ وَابْتَدَأُوا يَقْطِفُونَ سَنَابِلَ وَيَأْكُلُونَ. فَالْفَرِّيسِيُّونَ لَمَّا نَظَرُوا قَالُوا لَهُ: «هُوَذَا تَلاَمِيذُكَ يَفْعَلُونَ مَا لاَ يَحِلُّ فِعْلُهُ فِي السَّبْتِ!» فَقَالَ لَهُمْ: «أَمَا قَرَأْتُمْ مَا فَعَلَهُ دَاوُدُ حِينَ جَاعَ هُوَ وَالَّذِينَ مَعَهُ؟ كَيْفَ دَخَلَ بَيْتَ اللهِ وَأَكَلَ خُبْزَ التَّقْدِمَةِ الَّذِي لَمْ يَحِلَّ أَكْلُهُ لَهُ وَلاَ لِلَّذِينَ مَعَهُ، بَلْ لِلْكَهَنَةِ فَقَطْ. أَوَ مَا قَرَأْتُمْ فِي التَّوْرَاةِ أَنَّ الْكَهَنَةَ فِي السَّبْتِ فِي الْهَيْكَلِ يُدَنِّسُونَ السَّبْتَ وَهُمْ أَبْرِيَاءُ؟ وَلكِنْ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ هٰهُنَا أَعْظَمَ مِنَ الْهَيْكَلِ! فَلَوْ عَلِمْتُمْ مَا هُوَ: إِنِّي أُرِيدُ رَحْمَةً لاَ ذَبِيحَةً، لَمَا حَكَمْتُمْ عَلَى الأَبْرِيَاءِ! فَإِنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ هُوَ رَبُّ السَّبْتِ أَيْضًا. (متى 12: 1–8)

تركّز قراءة هذا النص من الاتجاه القصصيّ على أن ما حدث مع داود ومن معه في 1 صموئيل 21 كان إشارة وظلاً للمسيح. ولكن ما هي بالتحديد الرابطة التي يخلقها يسوع بين الوضع الحالي وقصة داود؟ هل هي حدوث واقعة دخول داود بيت الله في يوم سبت؟ نحن ببساطة لا نعلم اليوم الذي دخل فيه داود إلى بيت الله. وإن كان هذا هو سبب استشهاد يسوع بالواقعة، ربما كان ليذكر وجه التشابه هذا، لكن هذا لم يحدث.

اذًا ما هي الرابطة؟ هل كان يسوع يقول: "إن لم يكن قد وقع ضرر من كسر الناموس مرة واحدة، فلا بأس من كسره مرة أخرى"؟ يمكننا في يقين أن نقول أن هذه لم تكن الرابطة بناء على كلمات يسوع السابقة لهذا عن التزامه بالناموس (انظر متى 5: 17).

يشير يسوع هنا إلى أن تلاميذه لم يكسروا الناموس، أي أنهم "أبرياء". فإن الرابطة لا تكمن في زمن القصة أو موضوعها. الرابطة هي في شخصيات القصة، وهذا يظهر أمامنا من خلال الانتباه إلى التدفّق القصصيّ لكلمة الله. فإن الكهنة فقط هم من كان مسموحًا لهم بأكل خبز التقدمة، بالطبع ما لم يأت شخص ما أعلى سلطة من الكهنة أنفسهم، أي شخص كان قد مُسح بالفعل ملكًا وكان له سلطان فوق سلطة الناموس.

هل كان يسوع، بسرده لهذا الجزء من تاريخ العهد القديم، يفترض بأن شخصًا ما في مثل عظمة داود، أو ربما أعظم منه، كان موجودًا بينهم، وأن الفريسيين كان لابد أن يدركوا ويقروا بهذا السلطان الأعظم، كما فعل أخيمالك قديمًا في 1 صموئيل 21؟ ذلك الحق، الذي نفهمه ضمنيًا من عددي 3 و4 يظهر بوضوح وبشكل صريح في الأعداد التالية، حين يعلن يسوع سموّه على كل من الكاهن والهيكل. وبالتالي فإن الأمر برمّته يتمحور حول من هو يسوع، وما يجعلنا نصل إلى هذا الاستنتاج هو الخط القصصيّ الخارج من داود. هذا الاتجاه إذًا يسلّط الضوء على النسل الداوديّ المتجه إلى المسيح، حاملاً في أحشائه جميع معاني ودلالات المُلك والسلطان التي قدمها سرد متى لكلمات المسيح.

لكن إلى أين ستأخذنا قراءة هذا النص وفقًا لاتجاه لاهوتيّ يدور بشكل أكبر حول فكرة رئيسيّة؟ يلفت هذا الاتجاه أنظارنا إلى موضوع حضور الله، ذلك الموضوع الذي يعجّ به العهد القديم بأكمله. فقد ظهر الهيكل بكل أهميته وقيمته ليكون صورة أكثر تعبيرًا عن هذا الحضور، وإشارة يسوع إلى نفسه باعتباره "أَعْظَمَ مِنَ الْهَيْكَلِ" قد صارت هي مركز كل الاهتمام، وقدمت المسيح باعتباره حضور الله الجديد في العالم، وبالأخص بين شعبه. بهذه الرابطة، تُعدّ سيادة يسوع على كل من يوم السبت ومن يحفظونه منطقيّة للغاية.

في النهاية، يقودنا كلا الاتجاهين إلى المسيح. فإن كل شيء يقود إلى المسيح، ويدفعنا، كما فعل المسيح نفسه، إلى أن نأتي إليه: "تَعَالَوْا إِلَيَّ يَا جَمِيعَ الْمُتْعَبِينَ وَالثَّقِيلِي الأَحْمَالِ، وَأَنَا أُرِيحُكُمْ. اِحْمِلُوا نِيرِي عَلَيْكُمْ وَتَعَلَّمُوا مِنِّي، لأَنِّي وَدِيعٌ وَمُتَوَاضِعُ الْقَلْبِ، فَتَجِدُوا رَاحَةً لِنُفُوسِكُمْ" (متى 11: 28–29). وهكذا، فإن كلا الاتجاهين يساهمان في استماعنا إلى خبر رسالة الإنجيل.

وبقراءتنا لنص تلو الآخر من الكتاب المقدس، لابد أن يصير تأثير هذه القراءة هو على أقل تقدير استماع لرسالة الإنجيل مدعم دعمًا مزدوجًا. ففي كل نص يوجد على الأقل تركيز مزدوج على الإنجيل، الأول قصصيّ والآخر مبني على موضوعات، كل منهما يمتزج بالآخر لتعزيز حق وقوّة إنجيل يسوع المسيح وجعله أكثر حيويّة وفاعليّة.

خاتمة: الإنجيل باعتباره سببًا ونتيجةً لكلمةِ الله

نختم هذا الفصل كما بدأناه. فإن خطة الله الأزليّة الفدائيّة العظيمة هي كل ما يدور حوله الإعلان الكتابيّ برمته. فهي ما أوجدت كلمة الله، وهي أيضًا ما قد عيّن الله أن تقدمه هذه الكلمة. ويُعدّ الخبر السار هو الموضوع الرئيسيّ الأوحد والجليل لكلمة الله: من خلال حياة المسيح التي كانت بلا خطية، وموته البديليّ، وقيامته، وخدمته الحاليّة، ومجيئه المنتصر مرة ثانية – حين يجتمع كل شيء "مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا عَلَى الأَرْضِ، فِي ذَاكَ" (أفسس 1: 10) – سيتمم الله قصده الكامل مع البشر ومع الخليقة ككل (رومية 8: 21).

وبالتالي هذا هو ما ينبغي أن يشكل "تفصيلنا" لكلمة الله ويتحكم فيه، سواء في استخدامنا الشخصيّ لتلك الكلمة أو في مناداتنا بها في فرح، لمجد الله وخير جميع المفديين.

للمزيد من القراءة:

Clowney, Edmund P. *The Unfolding Mystery: Discovering Christ in the Old Testament*, Phillipsburg, NJ: P & R, 1988.

Goldsworthy, Graeme. *The Goldsworthy Trilogy*. Exeter: Paternoster, 2000.

Roberts, Vaughan. *God's Big Picture: Tracing the Storyline of the Bible*. Downers Grove, IL: InterVarsity, 2002.

الفصل الرابع

الخلق

أندرو. م. دافيس

توجد فئتان ينتمي إليهما كل ما في الكون، وتفصل بينهما هوة سحيقة: الخالق والخليقة. فإن الله وحده هو من لا بداءة له، ذاتي الوجود، ولا يعتمد استمرار وجوده على شيء. أما كل شيء آخر في الكون فهو مخلوق من قبل الله ولأجل الله. في هذا الفصل، وضعنا على عاتقنا مهمة تناول عقيدة الخلق، وفهم دلالتها وأهميتها، وتطبيق حقائقها على حياتنا.

طبيعة الخلق والغرض منه

جميع المعلومات التي حصلنا عليها بشأن خلق الكون قد جاءتنا من خلال إعلان إلهي. والمصدران الرئيسيان لذلك الإعلان هما: الخليقة الماديّة المحيطة بنا، وكلمة الله التي تصف لنا هذا الخلق بدقة شديدة. فمنذ البدء، نسج الله كونًا يعلن عن وجوده وعن طبيعته الحقيقية، حتى نتمكن من معرفته وعبادته. وتؤكد رومية 1: 20 على الآتي: "لأَنَّ أُمُورَهُ [صفاته] غَيْرَ الْمَنْظُورَةِ تُرَى مُنْذُ خَلْقِ الْعَالَمِ مُدْرَكَةً بِالْمَصْنُوعَاتِ [المخلوقات]، قُدْرَتَهُ السَّرْمَدِيَّةَ وَلاَهُوتَهُ".

فقد خلق الله الكون كي يعلن هذا الكون مجده. وهذا بالتأكيد لم يكن لأي نقص في المجد من جانب الله، وكأنه كان في حاجة إلي شيء، بل لأجل رغبة منه أن يعطي بسخاء من عظمة كينونته ووجوده. فإن الأربعة والعشرين شيخًا الذين يحيطون بالعرش، كما نقرأ في سفر الرؤيا، يتمّمون بالفعل الغرض من الخلق حين يستخدمون الخليقة لمدح مجد الله: "أَنْتَ مُسْتَحِقٌّ أَيُّهَا الرَّبُّ أَنْ تَأْخُذَ الْمَجْدَ وَالْكَرَامَةَ وَالْقُدْرَةَ، لأَنَّكَ أَنْتَ خَلَقْتَ كُلَّ الأَشْيَاءِ، وَهِيَ بِإِرَادَتِكَ كَائِنَةٌ وَخُلِقَتْ" (رؤيا 4: 11).

وحين خلق الله الكون، سكب من مجده في كل ذرة وفي كل نظام يتسم بالتعقيد، سواء في الكون أو في الكرة البيئيّة [المترجم: أي الموضع الصالح للحياة في الكون] (ecosphere). وكما يقول مزمور 19: 1 "اَلسَّمَاوَاتُ تُحَدِّثُ بِمَجْدِ اللهِ، وَالْفَلَكُ يُخْبِرُ بِعَمَلِ يَدَيْهِ". فإن الخليقة لن تخبر بمجد الله في المستقبل، بل هذا يحدث بالفعل في الوقت الحالي. أيضًا يعلن السيرافيم الذين يطيرون حول عرش السيد هذا باستمرار: "قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ رَبُّ الْجُنُودِ. مَجْدُهُ مِلْءُ كُلِّ الأَرْضِ!" (إشعياء 6: 3).

الغرض من وجود البشرية: معرفة مجد الله

تقدم لنا نبوة حبقوق الغرض من وجود البشرية (وغرض تاريخ الفداء) كالآتي: "لأَنَّ الأَرْضَ تَمْتَلِئُ مِنْ مَعْرِفَةِ مَجْدِ الرَّبِّ كَمَا تُغَطِّي الْمِيَاهُ الْبَحْرَ" (حبقوق 2: 14). وبما أن الأرض تعلن وتظهر بالفعل مجد الله، فإن كل ما تبقى هو أن تمتلئ هذه الأرض من **معرفة** ذلك المجد. وهذا لا يمكن أن يتم من خلال الغلاف الجوي للأرض، أو أرز لبنان العظيم، أو جبال الهيمالايا الشاهقة بنيبال، أو النسور المحلقة، أو الأيائل القوية. فعلى الرغم من أن جميع هذه الكائنات المخلوقة **تعلن** مجد الله، إلا أنها لا يمكنها **معرفة** مجد الله. وهكذا كُلِّف الجنس البشري بفعل العبادة الحيوي هذا، إذ قد خُلق على صورة الله ومثاله كي يستقصي ويعرف الأمور الظاهرة والخفية التي تعلن مجد الله في كل جانب من جوانب الخليقة.

إلا أن المأساة الفائقة الوصف لتمرد آدم في جنة عدن تمثلت في أن القلب البشري، الذي كان ينبغي أن يتلذذ بالله الخالق، تحول وعبد المخلوق دون هذا الخالق (رومية 1: 25). وهكذا ففي حين أثمر الجنس البشري وأكثر وملأ الأرض بدرجة كبيرة بصورة الله، إلا أن غرض الله الأصلي – أي امتلاء الأرض من معرفة مجده – لم يتحقق بعد حتى الآن.

ولكن توجد قوة واحدة وحيدة في الكون هي التي تملك السلطان لتحويل قلوب البشر الوثنية إلى قلوب تعرف مجد الرب كما هو معلَن في الخليقة، وهذه القوة هي قوة إنجيل يسوع المسيح. فمن خلال هذا الإنجيل تتغير قلوبنا الحجرية، ويصير فيها حياة لمجد الله المشع من كل مكان حولنا. كما أن تتميم هذا الوعد الشامل العظيم سيكون في السماوات الجديدة والأرض الجديدة، حين يضئ مجد الله على جميع المخلوقات، والأبرار أنفسهم "يُضِيئون كَالشَّمْسِ فِي مَلَكُوتِ أَبِيهِمْ" (متى 13: 43).

تعلُّم شخصيّ وعام عن اللاهوت

لقد بدأ تعلمنا عن اللاهوت – أي وجود الله وصفاته – منذ اللحظة التي حُبل بنا فيها في رحم أمهاتنا، واستمر هذا التعلم يومًا فيوم قبل حتى أن نتعلم الحديث بفترة كبيرة. فقد تعلّمنا من خلال دقّات قلوب أمهاتنا، والشعور بالدفء، ومذاق ما كان يدخل أفواهنا، والضوء الشديد السطوع عند ولادتنا، وبريق الألوان، وعطر مفروشاتنا وملابسنا. يقول داود في مزمور 22: 9 "لأَنَّكَ أَنْتَ جَذَبْتَنِي مِنَ الْبَطْنِ. جَعَلْتَنِي مُطْمَئِنًّا عَلَى ثَدْيَيْ أُمِّي". فحين كان داود طفلًا رضيعًا، علّمه الله كيف يطمئن بينما كانت أمه تمده بحاجاته الجسدية. فقد كان الله يعدّ داود كي يضع ثقته في الله ويطمئن له لأجل خلاص نفسه. وهكذا أيضًا تعدنا الخليقة الماديّة للإيمان المؤدي إلى الخلاص.

وحين كنا كأطفال نعبر في وسط غابة رائعة الجمال في روعة وفخامة فصل الخريف، وكنا نستنشق بعمق الروائح العتيقة المنبعثة من تربة الغابة، مستشعرين فوق وجوهنا نسائم الخريف الدافئة التي تهب بعد الظهر، مشدوهين ولاهثين فجأة من المجد الساطع لمشهد مسرحي تصويري خلاب — مثل وادٍ جبلي رائع الجمال، تتناثر فوقه ألوان حمراء وذهبية تنبض بالحياة لأشجار تستعد للشتاء القريب — كانت قلوبنا تتشكل وتُعَد لأجل الحقيقة المركزية لهذا الكون وهي: الله القدير.

هذا التعلم منتشر في جميع أنحاء العالم، وليس قاصرًا على أمة واحدة أو جزء واحد من الأرض، فإن مزمور 19: 3–4 يتحدث عن الكيفية التي بها تحدِّث السماوات بمجد الله بلغة عامة شاملة دون كلمات: "لاَ قَوْلَ وَلاَ كَلاَمَ. لاَ يُسْمَعُ صَوْتُهُمْ. فِي كُلِّ الأَرْضِ خَرَجَ مَنْطِقُهُمْ [صوتهم]، وَإِلَى أَقْصَى الْمَسْكُونَةِ كَلِمَاتُهُمْ". وهكذا تعد الخليقة المادية تعلمًا شخصيًا عن علم اللاهوت لأجل البشر في جميع أنحاء العالم.

الكل بالمسيح وللمسيح قد خُلق

لقد خُلق كلُّ ما في السماوات وما على الأرض، ما يُرى وما لا يُرى، بالمسيح وللمسيح:

> كُلُّ شَيْءٍ بِهِ [بالمسيح] كَانَ، وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ. (يوحنا 1: 3)

> الَّذِي هُوَ صُورَةُ اللهِ غَيْرِ الْمَنْظُورِ، بِكْرُ كُلِّ خَلِيقَةٍ. فَإِنَّهُ فِيهِ خُلِقَ الْكُلُّ: مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا عَلَى الأَرْضِ، مَا يُرَى وَمَا لاَ يُرَى، سَوَاءٌ كَانَ عُرُوشًا أَمْ سِيَادَاتٍ أَمْ رِيَاسَاتٍ أَمْ سَلاَطِينَ. الْكُلُّ بِهِ وَلَهُ قَدْ خُلِقَ. (كولوسي 1: 15–16)

> كَلَّمَنَا [الله] فِي هذِهِ الأَيَّامِ الأَخِيرَةِ فِي ابْنِهِ، الَّذِي جَعَلَهُ وَارِثًا لِكُلِّ شَيْءٍ، الَّذِي بِهِ أَيْضًا عَمِلَ الْعَالَمِينَ. (عبرانيين 1: 2)

لقد أوجد الله هذا الكون من العدم بكلمة، بطريقة غامضة وغير معلومة، وكان المسيح هو هذه الكلمة الخالقة القديرة التي نطق بها الله (يوحنا 1: 3). كما أن هذا الكون قد خُلق **لأجل** المسيح (كولوسي 1: 16)، وجعله الله "وَارِثًا لِكُلِّ شَيْءٍ" (عبرانيين 1: 2). وبالتالي، تنتمي كل ذرة في الكون المادي وكل كيان في المجال الروحي بصورة مذهلة إلى المسيح كحق مشروع.

والأروع من هذا كله هو أن هذا الكون الذي خلقه الله **يعتمد** على المسيح لحظة بلحظة لأجل استمرار وجوده: "الَّذِي هُوَ [المسيح] قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، وَفِيهِ يَقُومُ [يتماسك ويثبت] الْكُلُّ" (كولوسي 1: 17). تصور هذه الآية لنا كونًا معوزًا سينتهي وجوده إن لم يمارس المسيح مشيئته القديرة ليبقي عليه. وبالرغم من إمكانية تحليل وفهم القدر الكبير من هذا العالم الفيزيائي بمصطلحات فيزيائية تمامًا، إلا أن هذا بحسب

الكتاب المقدس لا يلغي سيطرة الله السياديّة على كل جزء منه. فقد كان كُتّاب الكتاب المقدس يعلمون دورة المياه، لكنهم كثيرًا ما كانوا يفضِّلون التحدث عن الله جالب الأمطار، وكلا الفكرتين لا تلغي أحدهما الأخرى. أيضًا يسقط العصفور الجريح أرضًا بسبب الجاذبية الأرضية، لكن يسوع قال إن واحدًا من هذه العصافير لا يسقط من السماء دون إقرار من أبيه السماوي. وقد قام علم الفيزياء الحديث بتحديد أربعة قوى رئيسيّة تقيم كل الأشياء وتمسك بها معًا ، لكن هذا لا يمنعنا من الإقرار بأن يسوع هو الذي يقيم الكل بكلمته القديرة.

خطر المذهب الطبيعيّ (naturalism)

في حقيقة الأمر، لا يوجد سوى تفسيران لوجود الكون: إما الخلق الخاص من خلال كائن إلهيّ، أو التطور الطبيعيّ من خلال قوى غير عاقلة. وإذا أخذنا بهذا المعنى القوي المباشر للتفسيرين، سيبدو لنا الخلق والتطور على طرفي النقيض، ولابد أن يستبعد أحدهما الآخر. لكن في واقع الأمر، لا يتم استخدام "الخلق" و "التطور" دائمًا بهذا المعنى المتناقض، ويساهم هذا الأمر في زيادة صعوبة البحث في هذه القضايا المعقدة بدرجة كبيرة.

وفقًا للكتاب المقدس، يصر الله على أن البشريّة الخاطئة، على الرغم من كونها محاطة ببراهين جليّة وصريحة عن وجود الله غير المنظور وعن طبيعته، تحجز الحق بالإثم (رومية 1: 18). بكلمات أخرى، نحن كبشر نبذل جهدًا متعمدًا لحجز ما نعتبره حقيقة مرة: وهو وجود خالق قدوس، كلي القدرة، نحن مسئولون دائمًا أن نعطي حسابًا عن أنفسنا أمامه. ولكن ما يدعو للسخرية هو أن هذا الحق نفسه يقر به الملحدون أنفسهم. فإن ريتشارد داوكينز يؤكد على هذا: "إن علم الأحياء هو دراسة أشياء معقدة تعطيك انطباعًا بكونها قد صُممت لغرض ما".[23] بمعنى آخر، تدفعنا الأشياء من حولنا دفعًا كي نلاحظ أن هذا الشيء أو ذاك قد صُمم وأوجِد لأجل غرض ما، حتى أنك كي ترفض هذا سيكون عليك قمع هذا الصوت الملح وإسكاته!

من الجدير أن ندرك أن كلاً من العلماء ومفسري الكتاب المقدس بعيدون كل البعد عن الاتفاق **من جهة مجال ونطاق دراستهم وبحثهم**. أي أنهم يتبنون تفسيرات مختلفة إلى حد ما لكل من المعلومات العلميّة والكتاب المقدس. ولكي نضيف إلى هذه الحيرة نقول إن عددًا ليس بقليل يشغل **كلا** الدورين معًا، أي أنهم علماء ومفسرون مسيحيون لكلمة الله، ومثل هؤلاء لا يتفقون على الدوام مع زملائهم سواء من العلماء أو من مفسري الكتاب المقدس.

قد تفيدنا هنا بعض الأمثلة. فمن جهة الكتاب المقدس، يتبنى بعض المسيحيين نظرية الفجوة (أي نظريّة وجود فجوة غير محددة زمنيًا بين تكوين 1: 1 وتكوين 1: 2)، والبعض الآخر يتبنى نظريّة اليوم الدهريّ (أي أن كل يوم من أيام تكوين 1 يمثل دهرًا)، وآخرون يتمسكون بنظرية حداثة عمر الأرض (أي أن كل يوم من أيام الخلق يتألّف من 24 ساعة، وهذا الخلق وقع منذ فترة لا تزيد عن عشرة آلاف عام). آخرون يتبنون ما يمكن أن نطلق عليه الأسبوع الأدبيّ (أن كل يوم من أيام الخلق يتألف من 24 ساعة، لكن لم يكن المقصود من هذا الأسبوع إخبارنا "ماذا حدث" بالتحديد، بل كان الغرض أن يكون خلقًا أدبيًا، يهدف إلى ترتيب القصة لأسباب رمزيّة ولاهوتيّة، وهكذا يمكن فهمه بطرق مختلفة).

وتتوافق الكثير من هذه النظريات مع نظرية "التطور الإلهي"، لكن هذا المصطلح نفسه مبهَم إلى حد كبير. فهو بحسب فكر البعض يفترض مسبقًا وجود تطور لا يختلف عن التطور في فكر المذهب الطبيعيّ في شيء سوى في التأكيد على أن الله كان يشرف إشرافًا سياديًا طفيفًا على الاستعلان التدريجي لهذا التطور (بالطريقة ذاتها التي يشرف بها اليوم بعنايته الإلهيّة على شروق الشمس وسقوط الأمطار، مما يتيح لنا أن أن نقول إن الله هو الذي يُحدِث شروق الشمس ويجلب الأمطار). أما بحسب فكر آخرين، ففي حين يحدث التطور من خلال نوع ما من الانتخاب "الطبيعي" (الذي يشرف عليه الله)، إلا أن الله قد تدخل معجزيًا في مراحل معينة ليحدث نتائج لم يكن من الممكن حدوثها بصورة طبيعيّة (على سبيل المثال، خلق الله البشر مختلفين نوعيًا عن الكائنات الحيوانيّة الرئيسيّة الأخرى: فهم على صورته، ومعَدون للخلود).

بكل صراحة، يعتبر الكثير من المؤمنين هذه الخيارات خارجة عن المألوف، وقد يتقبلون خيارًا واحدًا أو اثنين منها. على سبيل المثال، يثار في كثير من الأحيان جدل حول عدم وجود سبب **كتابيّ** يجبرنا على رؤية مليارات ومليارات من السنين في تكوين 1. ولكن تلك الأسباب التي تجعل المسيحيين يجرون تعديلاً على تفسيرهم لذلك النص تأتي من خارج الكتاب المقدس: أي من الجيولوجيين والعلماء الذين يخبروننا بأن براهين كون عمر الأرض يبلغ مليارات السنين ساحقة ولا تقبل الجدل.

وبسبب هذه الحجج، يعيد بعض المسيحيين تفسيرهم لتكوين 1 كي يلائم الرأي العلميّ السائد، متبنين تفسيرات لم يكن من المفترض "إيجادها" داخل النص لو لم تظهر ادّعاءات العلم. وهم يصرّحون بالفعل بأن هذه النتيجة تحط من قدر الكتاب المقدس إلى مستوى العامة وتشوه معناه الواضح. ومع ذلك فهذه القضية بالغة التعقيد. فقبل ظهور العلم الحديث بفترة طويلة، أكد أغسطينوس (في القرن الرابع) على صعوبة تفسير تكوين 1، وبسبب ما اعتقده أسبابًا كتابيّة ولاهوتيّة لافتة للنظر ولا يمكن تجاهلها، قال إن الكون قد خُلق في لحظة من الزمان، وإن أسبوع الخلق الموجود في تكوين 1 هو أسبوع أدبيّ رمزيّ، بغرض

استعلان بعض التعاليم اللاهوتيّة وتسليط الضوء عليها، وبالأخص ترتيب الأسبوع البشريّ، وتأسيس يوم السبت. بمعنى آخر، هذه النظريّة الخاصة بالأسبوع الأدبيّ للخلق تسبق ظهور ونشأة العلم الحديث.

في حين لم نتفق نحن كأعضاء هيئة ائتلاف الإنجيل بشأن جميع التفاصيل في هذا الأمر، إلا أننا جميعًا نصر على أن الله وحده ذاتيّ الوجود، وهو خالق كل شيء، وقد صنع الكل حسنًا. كما نصر أيضًا على أن آدم وحواء كانا شخصيّتين تاريخيّتين جاء منهما بقية الجنس البشريّ، وعلى أن المشكلة الرئيسيّة التي نواجهها نحن اليوم نتجت في المقام الأول عن عبادة الإنسان للأوثان وتمرّده، وعن اللعنة التي اجتذبها لنفسه. ويتعلق سبب عدم استعدادنا للتفاوض بشأن هذه الأمور بعدة نصوص من كلمة الله، وليس الاصحاحات الافتتاحيّة لسفر التكوين فحسب. على سبيل المثال، يقول بولس إن الله: "صَنَعَ مِنْ دَمٍ وَاحِدٍ كُلَّ أُمَّةٍ مِنَ النَّاسِ يَسْكُنُونَ عَلَى كُلِّ وَجْهِ الأَرْضِ" (أعمال 17: 26).

أما من جهة العلم، فكما هو الأمر من جهة التفسير الكتابيّ، وعلى الأقل في بعض القضايا، تزداد الاختلافات في الآراء وعدم اليقين بقدر أكبر مما هو معترف به بوجه عام. وعلى الرغم من تمسّك الغالبيّة العظمى من العلماء بنظريّة البيج بانج (الانفجار الكبير)، والتي تؤكد على أن الكون بأكمله كان بداخل جسم شديد الكثافة، وهذا الجسم في مرحلة ما انفجر إلى "نقطة تفرد" (في حدث ليست قوانين الفيزياء المعروفة هي العنصر الغالب فيه)، ليبرز، بعد حوالي خمسة عشر مليار عامًا، الكون كما نعرفه الآن، إلا أن أقليّة من العلماء لازالوا متشكّكيين فيها. والأهم من ذلك هو عدم وجود نظريّة مقبولة على نطاق واسع تفسر في المقام الأول مصدر هذا الجسم شديد الكثافة. وهناك نظريّة ما تُسلِّم بوجود كون يتمدد وينقبض بالتبادل، إلا أن التكهّنات التي تتضمّنها هذه النظريّة متطرّفة للغاية حتى أنها لم تحظ بالاهتمام اللازم.

وإن قمنا بتجاهل هذه الأسئلة المثارة حول مصدر هذا الجسم الكثيف، وجعلنا تركيزنا في المقابل على كوكب الأرض، سنرى أن النظريّات المختصة بتطور الحياة عبر تتابع تطوريّ قد تعرّضت لتغيرات وتعديلات متكرّرة. فإن السجل الأحفوري به عدد كبير جدًا من الفجوات في التتابع المتوقع للأشكال الانتقاليّة، حتى صار من الشائع الآن اتباع افتراض الراحل ستيفن جاي جود، واضع نظريات التطور بجامعة هارفارد. فهو افترض ضرورة أن نستبدل نظريّة النمو التطوريّ المتتابع من خلال الانتخاب الطبيعي بنظرية "التوازن المتقطع"، التي تفترض وقوع التطور على هيئة قفزات دوريّة من النشاط كانت سريعة للغاية حتى أن السجل الأحفوري لم يستطع التقاطها. علاوة على ذلك، وعلى الرغم من الجهود المضنية والجادة بشكل كبير في البحث، إلا أن مسار تحول المادة غير العضويّة إلى خليّة نشطة ومتكاثرة لا يزال غامضًا بصورة ملحوظة في افتراضات النظريّة الماديّة الفلسفيّة.

والأمر الأكثر تعقيدًا من هذا هو الجدل المثار مؤخرًا حول نظريّة التصميم الذكي. فتقريبًا خلال العقدين الماضيين، تباحثت مجموعة صغيرة من العلماء والفلاسفة بشأن تميز الكثير من الأجسام البيولوجيّة بما يسمى "التعقيدات غير القابلة للاختزال"، ويقصدون بهذا أنه كي تقوم مثل هذه الأجسام (مثل العين) بدورها، وكي يستمر وجودها، كان لابد أن يحدث الكثير من النمو التطوريّ في الوقت نفسه، حتى أن الاحتمالات الإحصائيّة في هذا تقترب من الصفر. فلم يكن ممكنًا أن تنمو مكونات ذا الكيان شيئًا فشيئًا إذ ليس لها دور ذو فائدة بعيدًا عن مكانها ودورها في الجسم البيولوجيّ الكامل. وهم يعتبرون هذا برهانًا مؤيدًا لنظريّة التصميم الذكي.

وقد كان رد فعل معظم العلماء على هذا الرأي بأنه شبيه بنظريّة "إله الفجوات" التي عفا عليها الزمن: فكلما عجز العلم عن تفسير شيء ما، نلجأ إلى الله، لكن النتيجة المؤسفة لهذا هو أنه كلما فسر العلم قدرًا أكبر من هذه "الفجوات"، تقلّص الله من المشهد أكثر فأكثر. لكن مؤيدي نظريّة التصميم الذكي يصرّون على أن ما يتباحثون فيه هو أمر مختلف تمام الاختلاف: فنحن بالفعل نفهم الكثير عن هذه الأجسام، فالبرهان الذي تؤكده هذه الأجسام، من العلم نفسه، هو أننا لابد أن نضع نظريّة التصميم الذكي في اعتبارنا في أثناء تفسيرنا لها.

ويزداد وضوحًا أمامنا أن ما يكمن وراء هذا الجدل هو نزاع أصيل حول طبيعة العلم ذاته. فإن جانبًا يعتقد أن العلم هو عبارة عن مجموعة من القواعد والنظريّات الخاضعة للاختبار، والعمليات القابلة للتكرار، والقياسات، والاستدلالات الضروريّة التي تمكّننا من أن ندرك منطقيًا طبيعة الواقع المادي ونفهمه بقدر أكبر. أما من يناقضون ويعارضون نظريّة التصميم الذكي فيعتقدون أن العلم هو مجموعة من القواعد والنظريات الخاضعة للاختبار، والعمليات القابلة للتكرار، والقياسات، والاستدلالات الضروريّة التي تمكننا من أن ندرك منطقيًا طبيعة الواقع المادي ونفهمه بقدر أكبر، **لكن ليس بناء على أساس ينتمي للماديّة بشكل حصريّ، بل أيضًا على أساس افتراض أن مثل هذه المنهجيّات والنتائج لا يمكنها أن توجد أي شيء أو أي شخص خارج هذا الترتيب وهذا النظام الماديّ.**

بكلمات أخرى، هذا الرأي العلميّ مخلص تجاه المذهب الماديّ الفلسفيّ الفعّال. مع استبعاد الله بطبيعة الحال من المشهد. والكثير من العلماء الذين يتبنّون هذا الرأي ليسوا بالطبع ملحدين، لكنهم يعتقدون أن ما نعرفه عن الله لا يتداخل مع الترتيب الماديّ، الذي لابد أن تظل قواعده الاستقصائيّة والنتائج التي يتوصل إليها خارج الفحص من قبل أي شيء آخر خارجها.

وبالطبع، تبرز السخريّة على السطح حين يتحدّث الكثير من العلماء، الذين أكثرهم ملحدون، عن ترتيب الكون، وروعة العلم، والأرقام بمصطلحات تبجيليّة، ليس في تقدير فحسب بل في عبادة أيضًا. ولكن عددًا قليلاً نسبيًا من العلماء الذين يكتبون عن هذه الأمور يتعاملون مع النظام الماديّ على أنه مجرد نتيجة لارتطام إحصائيّ للجزيئات، والأجسام الذريّة ودون الذريّة ببعضها البعض.

هذه الأفكار والتأملات تمهّد الطريق أمامنا لقراءة النصوص الكتابيّة بأكثر تركيز.

دراسة وتفنيد أسبوع الخلق: تكوين 1

تعد العبارة الأولى في الكتاب المقدس عبارة تأسيسيّة لكل ما يليها: "فِي الْبَدْءِ خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ" (تكوين 1: 1)، وهذه العبارة تقدم ثلاث حقائق هامة على الأقل:

1- كان وجود الله سابقًا لوجود الكون. فهو كان هناك في البدء، وأوجد كل شيء آخر.
2- هناك نقطة بداية للكون. فهو ليس أزليًا (كما يُعلِّم بعض العلماء)، كما أنه لا يسير أيضًا في دورات متكرّرة (كما تُعلِّم بعض الديانات الشرقيّة).
3- الله هو الذي خلق بنفسه كل ما في الكون. فلم يأتِ أي شيء من خلال قوى فيزيائيّة غير عاقلة، كما يُعلِّم علماء التطور الملحدون.

وهكذا تعد عقيدة الخلق أساسًا لكل ما يليها زمنيًا ولاهوتيًا، كما أن تاريخ الفداء يعتمد على الحقائق الموجودة بهذه العقيدة.

"وَكَانَتِ الأَرْضُ خَرِبَةً [دون شكل Formless] وَخَالِيَةً، وَعَلَى وَجْهِ الْغَمْرِ ظُلْمَةٌ" (تكوين 1: 2). لقد تطلَّب هذا الكون المعوز عملاً مستمرًا من الله كي يصل به إلى حالة من الترتيب الكامل والجمال التام. وتقدم لنا حقيقة كون "رُوحُ اللهِ يَرِفُّ عَلَى وَجْهِ الْمِيَاهِ" فهمًا مبدئيًا عن الدور الذي يلعبه الروح القدس في الإمداد بالحياة، ذلك الدور الذي ظهر وانكشف تدريجيًا عبر كل الكتاب المقدس.

بعد هذا تكلم الله بكلمات سلطانه السياديّ وقال: "«لِيَكُنْ نُورٌ»، فَكَانَ نُورٌ" (تكوين 1: 3). هنا نتعرف على قوة الله المركزيّة وسلطانه في الكون: أي كلمته القديرة. فإن الله يخلق بكلمته، وبكلمته يملك على خليقته. "بِكَلِمَةِ الرَّبِّ صُنِعَتِ السَّمَاوَاتُ، وَبِنَسَمَةِ فِيهِ كُلُّ جُنُودِهَا" (مزمور 33: 6). ثم بعد هذا قام الله بتنظيم إيقاع الحياة الأرضيّة من خلال دورة دعاها "نهار" و"ليل": "وَكَانَ مَسَاءٌ وَكَانَ صَبَاحٌ يَوْمًا وَاحِدًا" (تكوين 1: 5). هذا الإيقاع المتتابع للمساء والصباح، بالإضافة إلى إحصاء الأيام في تكوين 1 قد أنشأ وأسس نمطًا لتتابع الوقت كما نعرفه نحن البشر.

وأحد الأشياء التي تركّز عليها الدراسات المعاصرة بشأن تفسير تكوين 1 هو معنى كلمة "يوم". ففي حين يمكن أن تشير الكلمة العبرية *yom* (أي يوم) إلى فترة ممتدة من الزمن، مثل حقبة من التاريخ، لكن تعد أكثر المعاني شيوعًا إلى حد كبير هو يوم يتألف من 24 ساعة أو فترة سطوع ضوء الشمس في مقابل فترة الظلمة ("نهار وليل"). وبالطبع يميل إيقاع عبارة "وَكَانَ مَسَاءٌ وَكَانَ صَبَاحٌ يَوْمًا وَاحِدًا [ثَانِيًا، ثَالِثًا، ...الخ]" التي تتكرر كثيرًا في تكوين 1 إلى كونها أيام تتألف من 24 ساعة. وهذا الفهم يتأكد من خلال نص آخر: "لأَنْ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ صَنَعَ الرَّبُّ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَالْبَحْرَ وَكُلَّ مَا فِيهَا، وَاسْتَرَاحَ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ. لِذلِكَ بَارَكَ الرَّبُّ يَوْمَ السَّبْتِ وَقَدَّسَهُ" (خروج 20: 11). وبالطبع لابد أن نقرّ أيضًا بأننا إن تبنّينا نظريّة أغسطينوس بشأن رمزيّة هذا الإصحاح، أو ما يعادلها من النظريّات المعاصرة، فقد تكون هذه الأيام هي فترات تتألف من 24 ساعة كجزء من تركيب أدبيّ بلاغيّ من خلاله يتم تفسير حدث الخلق.

ويتضح لنا في هذا الإصحاح أن مبدأ الفصل كان مبدأ أساسيًا في الثلاثة أيام الأولى من الخلق — أي فصل هذا عن ذاك: النور عن الظلمة، المياه من فوق عن المياه من أسفل، والبحار عن اليابسة. وقد أقام الله حاجزًا يبدو هشًا بين أمواج المحيط القويّة والعاصفة وبين اليابسة، وهذا بشهادة أي شخص زار الشاطئ من قبل. فإننا أحيانًا ما نجد لافتات تحظر السير فوق الكثبان الرمليّة الموجودة عند الشاطئ، وذلك لئلا نطأ عشب هذه الكثبان الذي يمنع تآكل حافة الشاطئ فنقضي عليه. فإن هذه الحافة تحمينا من الأمواج العاصفة. ونجد هذا النوع ذاته من التأمل في إعلان الله عن نفسه لأيوب:

> وَمَنْ حَجَزَ الْبَحْرَ بِمَصَارِيعَ [خلف أبواب] حِينَ انْدَفَقَ فَخَرَجَ مِنَ الرَّحِمِ. إِذْ جَعَلْتُ السَّحَابَ لِبَاسَهُ، وَالضَّبَابَ قِمَاطَهُ، وَجَزَمْتُ عَلَيْهِ حَدِّي، وَأَقَمْتُ لَهُ مَغَالِيقَ وَمَصَارِيعَ، وَقُلْتُ: إِلَى هُنَا تَأْتِي وَلاَ تَتَعَدَّى، وَهُنَا تُتْخَمُ كِبْرِيَاءُ لُجَجِكَ؟ (أيوب 38: 8-11)

بمجرد ظهور اليابسة، صارت لدى الله الآن لوحة زيتيّة خاليّة يخط ويرسم فوقها عجائب الحياة. وهكذا أوجد الله بكلمته الحياة النباتيّة للأرض، والنباتات التي تحمل بزرها من كل جنس. وتختص كلمتا **بزر** و**جنس** بالصفة الوراثيّة لكل نوع من أنواع النباتات، وبالقدرة على التكاثر والانتشار في جميع أنحاء سطح الأرض. فمن تفوته ملاحظة التنوع الرائع للنباتات على الأرض؟ فقد أوجد الله بكلمة منه أشجار السيكويا العملاقة، ونباتات السرخس الهشّة، وزهر الأوركيد العطر، والزهور البريّة الرائعة الجمال. وهو من نسج كل ما هو حي، وكل ما ينمو، وبهذه كلها جمَّل وزيَّن اليابسة، لتصير نظامًا بيولوجيًا معقدًا من الحياة النباتيّة، التي تأخذ غذاءها من التربة، وثاني أكسيد الكربون من الهواء، والطاقة من الشمس، كي تحيا وتنمو وتمد الحيوانات والإنسان الذين كانوا سيُخلَقون لاحقًا بالطعام.

وفي اليوم الرابع من الخلق، بدأ الله في نشر عجائبه وعظمته عبر النظام الكونيّ. فعلى الرغم من أنه كان قد خلق النور في البدء، إلا أنه أراد الآن أن يوكل مسئوليّة الإشراق بالنور على الأرض إلى كيانات مخلوقة — أي الشمس، والقمر، والنجوم. فعلى الرغم من أن النور الذي نعرفه اليوم يأتي بالكامل من الشمس والنجوم الأخرى، إلا أن هذه الأجسام السماويّة قد أضيفت في تكوين 1 لاحقًا.

تعد الشمس خليقة مذهلة، فهي تلك الكتلة الناريّة المشتعلة التي تعلن بشكل ما سمو الله على جنس بشري متعجرف. فلا يوجد شيء يمكن للبشريّة فعله تجاه الشمس، خيرًا كان أم شرًا. فلا يمكننا أن نجعلها أكثر سطوعًا أو أكثر إعتامًا، أكبر أو أصغر حجمًا، أقرب أو أبعد، أكثر حرارة أو أكثر برودة. فإن اتخذنا معًا قرارنا كبشر بتدمير الشمس، فلن يوجد في وسعنا ما نفعله حيال ذلك. وإن حشدنا جميع أسلحتنا النوويّة الحراريّة وأرسلناها على هيئة صواريخ بين المجرات كي تنفجر فوق سطح الشمس، فهي لن تصل قط إلى هناك، بل ستتحول إلى رماد على بعد ملايين الأميال من وجهتها. وفي الوقت الحالي، تخطط وكالة ناسا للقيام بمهمة استكشافية إلى الشمس، وهذه المهمة ستكون قادرة على الاقتراب منها فقط لمسافة 3.5 مليون ميلاً.

تستمر الشمس يومًا بعد يوم في الاشتعال دون أي نقص ملحوظ في قوتها، وهي شديدة السطوع حتى أننا لا نستطيع تثبيت أنظارنا عليها دون أن نصاب بالعمى. هذه الشمس تمجد الله بقوتها وسطوعها المذهلين، ومع ذلك فإنها صُممت في الأساس لأجل البشر، ساطعة في السماء "لِتُنِيرَ عَلَى الأَرْضِ" (تكوين 1: 17).

كما خلق الله القمر لأجل الغرض ذاته الذي مركزه الإنسان، لكنه على خلاف الشمس يعطي الأرض نورًا مكتسَبًا. إذ يعكس القمر نور الشمس عليها، نظيرنا نحن المؤمنين الذين يومًا ما سنسطع بنور المسيح في السماء. ثم بعد هذا تأتي هذا العبارة المقتضبة: "وَ[عمل] النُّجُومَ" (تكوين 1: 16). وقد أظهرت لنا التطورات الأخيرة في علم الكونيات، مثل مرصد (تلسكوب) هابل الفضائيّ الذي يدور حول الأرض عارضًا لنا صورًا في قمّة الروعة لمجموعة النجوم، مقدار ضخامة هذا الكون الذي خلقه الله.

وفي اليوم الخامس، ملأ الله البحار بمخلوقات تسبح فيها، والسماء بالمخلوقات الطائرة. وهذا التنوع الذي لا يُستقصى في أنواع الأسماك والطيور ليربك العقل ويحيّره بشأن مجد الله. فقد خلق الله الحيتان كي تكون أكبر الكائنات الحيّة على الأرض، ثم يفتح يديه ليطعمها ما يقرب من 2600 رطل من العوالق يوميًا. وتوجد أيضًا الأسماك الاستوائيّة رائعة الجمال، التي تعرض صورًا حيّة ورائعة تشع بجميع ألوان الطيف. كما توجد الأسماك قبيحة الوجه التي يطلق عليها بروتوليدا، والتي يمكنها التواجد تحت سطح المحيط على

عمق يبلغ حوالي خمسة أميال. أيضًا تعلن الطيور إبداع الله المدهش في الخلق، إذ أن البعض منها، كالنسور، يمكنها أن تحلق عبر التيارات الحراريّة الصاعدة، ونادرًا ما ترفرف بجناحيها. لكن طيورًا أخرى مثل الطائر الطنّان، ترفرف بجناحيها حوالي 80 مرة في الثانية الواحدة. أما صقور الشاهين فهي أسرع المخلوقات في الطبيعة، إذ ترتحل حتى إلى 240 ميل في الساعة رأسيًا.

ثم بارك الله الأسماك والطيور، آمرًا إيّاها بأن تكثر وتملأ البحر والسماء.

وفي اليوم السادس، حوّل الله انتباهه إلى اليابسة وأوجد وحوش الأرض — البهائم والحيوانات البريّة، وكل المخلوقات التي تدب على وجه الأرض. ويعد التعقيد والتنوّع الشديد في هذه الأنواع والسلالات شهادة حيّة وواضحة على حكمة الله وصلاحه. فإن بعض هذه المخلوقات قويّة وجبّارة، كالفيل، الذي يمكنه بخرطومه رفع وزن يزيد عن ستمائة رطل. لكن البعض الآخر ضئيل وشديد الخوف، مثل الغرير الصخريّ، الذي يسكن فوق حواف الجبال ممتصًا الماء والرطوبة من نبات الأشنة الذي ينمو عند الجرف. وهكذا فإن الله هو من خلق الأسد العاتي كي يزأر، والقضاعة ليسبح، وفرس النهر كي يملأ الأنهار الأفريقيّة، والفهد كي يركض كالريح.

ذُروة عمل الخلق: صورة الله

بعد أن أعد الله هذا المسرح الرائع والجميل، وهذا الكون المكتمل، المُعد إعدادًا تامًا بعنايته الإلهيّة وتدبيره المحب، حان الوقت لبلوغ ذروة عمل الخلق: أي خلق الإنسان، ذكرًا وأنثى، على صورة الله:

> وَقَالَ اللهُ: «نَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا، فَيَتَسَلَّطُونَ عَلَى سَمَكِ الْبَحْرِ وَعَلَى طَيْرِ السَّمَاءِ وَعَلَى الْبَهَائِمِ، وَعَلَى كُلِّ الأَرْضِ، وَعَلَى جَمِيعِ الدَّبَّابَاتِ الَّتِي تَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ». فَخَلَقَ اللهُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ. عَلَى صُورَةِ اللهِ خَلَقَهُ. ذَكَرًا وَأُنْثَى خَلَقَهُمْ. (تكوين 1: 26–27)

يعد البشر مخلوقات متفرّدة لأن الله خلقهم على صورته. فهم لم يُخلَقوا كي يكونوا هم الله بل كي يكونوا على صورة الله. ومم تتألف هذه "الصورة"؟ من جانبين بالغين الأهمية: 1) **من جهة طبيعتنا:** فإننا نشبه الله في بعض الإمكانيّات والقدرات (القدرة على التفكير، والحكم المنطقيّ، والتخطيط، والمحبّة، والاختيار، والرغبة، والتواصل، إلخ)، وبعض الصفات (البر، والقداسة، والرحمة، والرأفة، والحكمة، وهكذا). 2) **من جهة مكانتنا في العالم:** فقد سلّط الله الجنس البشري على الأرض (تكوين 1: 26، 28).

أيضًا بخلق الله للإنسان، كان يُؤسّس نمط تنوع الجنس. فقد خلق الله البشر ذكرًا وأنثى، كلاهما متساويان في كونهما على صورته، ولكن مع بعض التميز في العمل والأدوار — وكل هذا كما عيّنه الله وصمّمه. أما المثليّة الجنسيّة والصور الأخرى للخلط في الأجناس فهي تعد تشوّهًا في هذه التميزات بين

الذكر والأنثى. فقد قصد الله أن يكون التميّز في الأجناس شيئًا حسنًا ونافعًا من البداية، فحسن جدًا أن يكون الرجل رجلاً والمرأة امرأة.

كما عيَّن الله للبشر أن يثمروا ويكثروا ويملأوا العالم بصورة الله، وأن يكون هذا الإثمار نتيجة لبركته الخاصة لهم. فحين يبارك الله ذكرًا وأنثى (أي زوج وزوجة [امرئ وإمرأة]، كما نتعلم أن نطلق عليهما من تكوين 2)، يولد الأولاد، وتنتشر صورة الله. وهكذا يُعد البنون بركة من الرب، وليسوا اللعنة الباهظة الثمن وغير المُحبّبة كما يعتقد بعض الأنانيّين في مجتمعنا.

وتظهر عناية الله المُحِبة بالجنس البشري وبجميع الحيوانات جليًا في نهاية رواية الخلق — كُلَّ بَقْل يُبْزِرُ بِزْرًا وَكُلَّ شَجَرٍ فِيهِ ثَمَرُ للإنسان، وللحيوانات كُلَّ عُشْبٍ أَخْضَرَ. وهذا يضع بشكل رائع للغاية أساسًا لعناية الله السياديّة بالكون لأجل استمرار الحياة. وكما ذكرنا قبلاً، لقد خلق الله كونًا معوزًا، وهو يتمجد بصورة رائعة في اعتماد الخليقة عليه. وقد كان صلاح الله في تدبيره للطعام هو الفكرة الرئيسيّة لتأمل كاتب المزمور في مزمور 104: "كُلُّهَا إِيَّاكَ تَتَرَجَّى لِتَرْزُقَهَا قُوتَهَا فِي حِينِهِ. تُعْطِيهَا فَتَلْتَقِطُ. تَفْتَحُ يَدَكَ فَتَشْبَعُ خَيْرًا" (عدد 27–28).

صلاح الله في حُسن خليقته

يختم الله رواية خلقه للكون بهذا التقييم الشامل والساحق: "وَرَأَى اللهُ كُلَّ مَا عَمِلَهُ فَإِذَا هُوَ حَسَنٌ جِدًّا" (تكوين 1: 31). هذا التصريح بالغ الأهمية، إذ يؤكد على الخير والحسن الأصليّ للمادة الملموسة. فقد أنكر الفلاسفة اليونان والمتصوّفون الشرقيّون خير وحسن العالم الماديّ، وخاصة جسد الإنسان. لكن الله أعلن أن كل ما خلقه حسن. لكن الأهم من هذا هو أن هذه الخليقة التي خلقها تعلن وتظهر صلاح الله نفسه.

نحن نعيش في كون أبدعه الله بفطنة ومحبة، ذلك الإله الصالح الذي يحب ما خلقه. كما أننا نحيا فوق كوكب أُعد خصّيصًا وبصورة فريدة للحياة البشريّة. فالأرض تدور بسرعة حوالي 66,600 ميل في الساعة حول الشمس. وهي السرعة المُحدّدة اللازمة لمعادلة قوة جاذبيّة الشمس والإبقاء على الأرض على مسافة ملائمة من الشمس كي تنمو الحياة فوقها. إن صلاح الله هو الذي جعل زاوية ميل محور الأرض هي 23.5 درجة بالنسبة للشمس، كي يشكل هذا تنوعًا رائعًا للفصول في نصفيّ الكرة الأرضيّة. فإن زادت هذه الزاوية ووصلت إلى 25 درجة، ستصبح حرارة الصيف أشدّ بكثير، وبرودة الشتاء أشدّ بكثير، وبالتالي ستفسد الحياة النباتيّة على الأرض. وهكذا كانت سرعة الأرض وموقعها "حسن جدًا" لأجل حياة البشر.

أيضًا قام الله بضبط الغلاف الجويّ لكوكب الأرض بدقة على خلاف أي كوكب آخر في المجموعة الشمسيّة. ففوق رؤوسنا عاليًا، تحجب طبقة الأوزون بدرجة كبيرة آشعة الشمس المسبّبة لمرض السرطان. كما يقي هذا الغلاف الجويّ الأرض من النيازك والشهب التي تحرق ما يقرب من 70000 طن من الكتل الفضائيّة سنويًا. أيضًا يحتوي هذا الغلاف على 78% من غاز النيتروجين و21% من غاز الأوكسجين — وهي النسب الملائمة تمامًا للحياة. فبدون الأوكسجين، لن تتمكن الكائنات الحيّة المتحركة من البقاء على قيد الحياة، لكن إن زادت هذه النسبة على سبيل المثال إلى 25%، ستعم الحرائق أنحاء الأرض كلها في الحال، وربما يستحيل إطفاؤها. أما غاز النيتروجين فهو لا يخفف من تركيز الأوكسجين فحسب، لكنه أيضًا يمدّنا بسماد طبيعيّ للحياة النباتيّة. ومن المذهل أنه في أثناء العواصف الرعديّة (الكهربائيّة) التي تقع في جميع أنحاء الأرض، تقوم الصواعق الضوئيّة بمزج النيتروجين والأوكسجين معًا لتكوين مركّبات فعّالة ونافعة للحياة النباتيّة، وهذه المركّبات تُحمَل إلى التربة من خلال الأمطار. وهكذا فإن الغلاف الجوي "حسن جدًا" للحياة البشريّة.

أصدر عالم الفلك البولندي نيكولاس كوبرنيكوس، قبل وفاته مباشرة في مايو من عام 1543 م، كتابه الذي أحدث تأثيرًا شديدًا، بعنوان: "On the Revolution of the Celestial Spheres" [المترجم: عن ثورة الأجرام السماويّة]. وأثبت فيه أن الشمس، وليس الأرض، هي مركز النظام الشمسيّ. وقد أيّد العلم آراءه فيزيائيًا، إلا أن تكوين 1 لا زال يسلط الضوء على مفهوم رئيسيّ لا يمكن إنكاره أو شجبه كتابيًا: أن الأرض هي مركز مقاصد الله تجاه الكون. ووفقًا لما نقرأه في تكوين 1: 14–18، تمركزت جميع الأسباب وراء خلق الله للشمس، والقمر، والنجوم حول الأرض: لِتُنِير عَلَى الأَرْضِ، ولِتَفْصِلَ بَيْنَ النَّهَارِ وَاللَّيْلِ، وَتَكُونَ لآيَاتٍ وَأَوْقَاتٍ وَأَيَّامٍ وَسِنِينٍ. كما يؤيّد سفر الرؤيا — الذي فيه تصل الأحداث فوق سطح الأرض وفي التاريخ البشريّ إلى ذروتها — نظريّة مركزيّة الأرض في الكون، حين سوف تسقط نُجُومُ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ كَمَا تَطْرَحُ شَجَرَةُ التِّينِ سُقَاطَهَا إِذَا هَزَّتْهَا رِيحٌ عَظِيمَةٌ (رؤيا 6: 13). وهكذا، تعد الأرض محور خطة الله للكون.

سبت الراحة

تُختتم رواية سفر التكوين عن أيام الخلق السبعة براحة أخذها الله في يوم السبت، وتأسيسه لهذا اليوم باعتباره يومًا مقدسًا ومباركًا (تكوين 2: 1–3). لا ينبغي بالتأكيد أن نفهم أن الله استراح في يوم السبت لأن عمله في خلق الكون قد أعياه، وكان يحتاج إلى شحن وتجديد قوته من جديد. فإن إشعياء 40: 28 يقول بوضوح: "إِلهُ الدَّهْرِ الرَّبُّ خَالِقُ أَطْرَافِ الأَرْضِ لاَ يَكِلُّ وَلاَ يَعْيَا."

كما لا ينبغي أن نتوهّم أيضًا أن الله في راحته هذه توقف عن بذل طاقة وجهد تجاه الكون الذي خلقه، فهو خلق كونًا معوزًا يعتمد عليه في كل لحظة في وجوده. لكن تُعبّر راحة الله في يوم السبت عن أمرين: (1) إعلان عن حق الله السياديّ في حكم الكون، مثل ملك يسير في أنحاء بهو العرش، ثم يعتلي المنصة، ويلتفت ليواجه البلاط الملكي، ثم في هيبة وجلال عظيم يجلس فوق العرش ليحكم؛ (2) إعلان عن لطف الله ورأفته تجاه البشر، في إتاحته الفرصة لهم للدخول إلى راحته في هذا الدهر، في يوم من السبعة أيام، وأيضًا إلى الأبد في السماء بالإيمان بالمسيح (عبرانيين 4: 1–11).

الخلق الخاص للبشر: تفاصيل تكوين 2

واجه بعض المفسرين صعوبة في عقد صلح بين روايتي الخلق المختلفتين الموجودتين في تكوين 1 و2. ومع ذلك، وكما قال تشارلز سبرجن في أحد المرات بخصوص قضيّة لاهوتيّة أخرى: "لا أحاول قط عقد صلح بين الأصدقاء!" فإن تكوين 2 يعدّ تتمة رائعة لتكوين 1. إذ يقدم تكوين 1 الرواية الأكبر والأشمل لخلق الله للكون، وبشكل خاص مقاصده من جهة خلق البشر ذكرًا وأنثى على صورة الله. إلا أن تكوين 2 يلفت الانتباه بشكل خاص إلى تفاصيل لازمة وضروريّة تخص خلق الإنسان الأول والمرأة الأولى، ومقاصد الله الخاصة لكل منهما. فهذان الإصحاحان يشبهان خريطة ولاية كاليفورنيا التي تتضمن خريطة لوس أنجلوس في الصفحة ذاتها.

أرض مجيدة لكن معوزة تنتظر مجيء حاكمها والوكيل عليها

يصور لنا تكوين 2 أرضًا يزينها مجد الله بالكامل، ومع ذلك هي معوزة، تقبع في انتظار مجيء حاكمها والوكيل عليها. وبالرغم من تصريح تكوين 1 بكون الأرض "حسنة جدًا"، إلا أن هذا لا يعني عدم إمكانية تطويرها وتحسينها. وبالتالي يتحدث تكوين 2: 5 عن فئة معيّنة من النباتات تحتاج إلى زراعة وعناية بشريّة كي تصل إلى كامل طاقتها والقصد منها. ومن أين قد يحصل الإنسان الأول على هذه المهارة؟ كان هذا من المفترض أن يأتيه بتعليمات مباشرة من أبيه السماوي، فقد قصد الله أن يدرّب آدم الذي هو ذريته في طرق العناية بالأرض. ويقدم لنا إشعياء 28 نصًا لافتًا للانتباه يشرح تدخل الله المباشر في تعليم الإنسان للزراعة:

> هَلْ يَحْرُثُ الْحَارِثُ كُلَّ يَوْمٍ لِيَزْرَعَ، وَيَشُقُّ أَرْضَهُ وَيُمَهِّدُهَا؟ أَلَيْسَ أَنَّهُ إِذَا سَوَّى وَجْهَهَا يَبْذُرُ الشُّونِيزَ وَيُذَرِّي الْكَمُّونَ، وَيَضَعُ الْحِنْطَةَ فِي أَتْلاَمٍ، وَالشَّعِيرَ فِي مَكَانٍ مُعَيَّنٍ، وَالْقَطَانِيَّ فِي حُدُودِهَا؟ فَيُرْشِدُهُ. بِالْحَقِّ يُعَلِّمُهُ إِلهُهُ. إِنَّ الشُّونِيزَ لاَ يُدْرَسُ بِالنَّوْرَجِ، وَلاَ تُدَارُ بَكَرَةُ الْعَجَلَةِ عَلَى الْكَمُّونِ، بَلْ بِالْقَضِيبِ يُخْبَطُ الشُّونِيزُ،

وَالْكَمُّونُ بِالْعَصَا. يُدَقُّ الْقَمْحُ لأَنَّهُ لاَ يَدْرُسُهُ إِلَى الأَبَدِ، فَيَسُوقُ بَكَرَةَ عَجَلَتِهِ وَخَيْلَهُ. لاَ يَسْحَقُهُ. هذَا أَيْضًا خَرَجَ مِنْ قِبَلِ رَبِّ الْجُنُودِ. عَجِيبِ الرَّأْيِ عَظِيمِ الْفَهْمِ. (إشعياء 28: 24–29)

الإنسان الأول يُخلق نفسًا حيّة

يقدم لنا تكوين 2: 7 الخلق الخاص للإنسان الأول من تراب الأرض: "وَجَبَلَ الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ تُرَابًا مِنَ الأَرْضِ، وَنَفَخَ فِي أَنْفِهِ نَسَمَةَ حَيَاةٍ. فَصَارَ آدَمُ نَفْسًا حَيَّةً". أتذكر رسمًا رأيته في متحف بوسطن للعلوم لجسم إنسان، وداخل الرسم كانت هناك مجموعة من الزجاجات الكيميائيّة مختلفة الأحجام مليئة بالمركبات والمواد الجافة. وكان هذا الرسم يمثل جسدًا بشريًا انتزعت منه كل المياه (إذ يحتوي جسد الإنسان على ما يزيد عن 60% من المياه)، وكان ما تبقى هو حفنة من المركبات الكيميائيّة والمعادن، جميعها يمكن التنقيب عنها واستخراجها من الأرض! فإن الإنسان الأول من الأرض ترابي (1 كورنثوس 15: 47). أيضًا بعد سقوط آدم في الخطية، قال الله له إنه سيموت ويعود إلى الأرض (التراب): "تَعُودَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أُخِذْتَ مِنْهَا. لأَنَّكَ تُرَابٌ، وَإِلَى تُرَابٍ تَعُودُ" (تكوين 3: 19).

ولكن في حين أننا ترابيّون وأرضيّون، إلا أن التأمّل في تعقيد جسد الإنسان لا يزال يدهش العقل. فإن هذا الجسد يمتاز عجبًا في صنعه من تلك المكونات الأرضيّة المتنوعة (مزمور 139: 14). ويخبرنا علم الوراثة الحديث بأننا إن قمنا بتفكيك الحمض النووي (DNA)، الموجود في تريليونات الخلايا داخل إنسان واحد، من ذلك المركب الحلزوني المزدوج المعقد الموجود في كل خلية، وتم بسطه من بدايته وحتى نهايته، فإن طوله سيمتد لمسافة تقارب 10 إلى 20 مليار ميل. وكم بالحري هي روعة وعجب مخ الإنسان، الذي هو أكثر الأشياء الماديّة تعقيدًا على الإطلاق في خليقة الله، إذ يحتوي على مائة مليار من الخلايا العصبيّة (وهو تقريبًا عدد الأشجار في غابات الأمازون)؟

وصايا الله الخاصة

بالرغم من نسج الله لعالم كامل ممتلئ بمجده، لكن الرب أعد موضعًا خاصًا لآدم وإمرأته كي يبدآ فيه رحلتهما المثيرة من استكشاف وتطوير. وكان هذا الموضع "فِي عَدْنٍ شَرْقًا" (تكوين 2: 8)، وهناك وضع الله آدم الذي جبله. وأمد الرَّبُّ جنة عدن بِكُلَّ شَجَرَةٍ شَهِيَّةٍ لِلنَّظَرِ وَجَيِّدَةٍ لِلأَكْلِ. وفي وسط الجنة وضع الله شجرة الحياة. وأيضًا في الجنة كانت شجرة معرفة الخير والشر. وكانت هاتان الشجرتان محور وصايا الله الخاصة التي كان على وشك أن يأتمن آدم عليها.

ويصف لنا تكوين 2: 10–14 أربعة أنهار، كان منبعها من داخل جنة عدن (وفي الحقيقة، لازالت الاكتشافات الأثريّة المدهشة بخصوص هذه الأنهار تظهر حتى اليوم). ثم بعد هذا يقول تكوين 2: 15

"وَأَخَذَ الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ وَوَضَعَهُ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ لِيَعْمَلَهَا وَيَحْفَظَهَا". والكلمتان "يعمل" و"يحفظ" هما كلمتان شائعتان للغاية في العهد القديم، ومعناهما الأصلي هو شيء ما من قبيل "يخدم" و"يحمي". فقد كان على آدم أن يخدم جنة عدن بجهده وعمله، باذلاً هذا الجهد كي يصل بها إلى أقصى ما يمكن الوصول إليه تحت إرشاد ووصاية أبيه السماوي. فكان على الأعشاب والنباتات الأخرى المزروعة المذكورة في تكوين 2: 5 أن تلقى الرعاية اللازمة كي تنمو. أما الوصية الثانية فقد كانت أن يحفظ أو يحمي، والتي تحوي ضمنيًا أن خطرًا وشيكًا كان يهدد جمال وسكينة جنة عدن. وهذا الخطر يظهر جليًا في تكوين 3، حيث يأتي إبليس في صورة حيّة ليغوي حواء وآدم ويقودهما (مع جنة عدن) إلى الموت.

بعد أن وضع الله آدم في جنة عدن، أعطاه هذه الوصية الصريحة: "مِنْ جَمِيعِ شَجَرِ الْجَنَّةِ تَأْكُلُ أَكْلاً، وَأَمَّا شَجَرَةُ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَلاَ تَأْكُلْ مِنْهَا، لأَنَّكَ يَوْمَ تَأْكُلُ مِنْهَا مَوْتًا تَمُوتُ" (تكوين 2: 16–17). وهنا أخضع الله آدم لقيد ما. وهذا القيد هو شريعة، أو تحذير، أو حدود. فقد ألقيت على عاتق آدم مسئوليّة الأرض بأكملها كي يتسلط عليها، لكن آدم نفسه كان لابد أن يخضع لله.

خلق حواء والزواج

إن الذكر والأنثى كليهما مخلوقان على صورة الله، وكليهما كُلّفا بأن يثمرا، ويكثرا، ويملآ الأرض (تكوين 1: 26–27). إلا أن آدم خُلق أولاً وحده، وظل هكذا لبعض الوقت. وعلى الرغم من تصريح الله بأنه "لَيْسَ جَيِّدًا أَنْ يَكُونَ آدَمُ وَحْدَهُ" (تكوين 2: 18)، لكن لم يكن من قبيل الصدفة أن خلقه الله أولاً وسمح له بالبقاء وحده لفترة وجيزة. فقد فعل الله هذا ليجعل آدم رأسًا لامرأته، ولكي يُظهِر دورها باعتبارها "مُعِينًا نَظِيرَهُ [في الترجمة الإنجليزيّة: معينًا ملائمًا له]" (تكوين 2: 18؛ انظر 1 كورنثوس 11: 2–16؛ أفسس 5: 22–33؛ 1 تيموثاوس 2: 11–15).

فبعد أن دعا آدم الحيوانات بأسمائها (تكوين 2: 19–20)، تبين له بوضوح أنه لم يكن من بين هذه الحيوانات معين نظيره [ملائم له]. فهو لم يكن في إمكانه أن يثمر وحده، أو يحب وينشئ علاقة مع آخر كما تعيّن له كمخلوق على صورة الله أن يفعل. وهكذا أوقع الله سباتًا على آدم، وأخذ واحدة من أضلاع ذلك الامرء، وبنى من الضلع امرأة بينما كان هذا الامرء نائمًا. ثم أحضرها الله لآدم وقدمها له لتكون امرأته. وبنغمات شعريّة، تهلل آدم قائلاً: "هذِهِ الآنَ عَظْمٌ مِنْ عِظَامِي وَلَحْمٌ مِنْ لَحْمِي. هذِهِ تُدْعَى امْرَأَةً لأَنَّهَا مِنِ امْرِءٍ أُخِذَتْ" (عدد 23).

وفي دعوة آدم لحواء باسمٍ، يتبيّن بوضوح سلطان الرجل في الزواج، لكن في احتفاله وتهلله بتماثلها الجوهري معه، يتبين أيضًا الشركة التي كانا عتيدان أن يحصلان عليها كمخلوقين متساويين على صورة

الله. كان هذا هو أصل الزواج، أي أول علاقة بشريّة في الكتاب المقدس، وهو النمط والنموذج لجميع الزيجات المستقبليّة. كما كان هذا صورة للمسيح والكنيسة (أفسس 5: 32). وقبل أن يخطئ آدم وحواء أمام الله، كانا يتمتعان بالحرية التامة حتى أنها "كَانَا كِلاَهُمَا عُرْيَانَيْنِ ... وَهُمَا لاَ يَخْجَلاَنِ" (تكوين 2: 25)، فلم يكن لدى أي منهما ما يخفيه، وهذا يختلف تمام الاختلاف عن الوضع المأساويّ والبائس الذي ساد بمجرد تغلّب الخطية عليهما.

سقوط مأساويّ للخليقة

تختلف الخليقة المحيطة بنا اليوم تمام الاختلاف عن العالم الكامل الذي كان يحيط بآدم وحواء في جنة عدن. فقد أخفق آدم، كممثل للجنس البشري، في **خدمة** و**حماية** [أي عمل وحفظ] زوجته أو جنة عدن. فقد وقف مكتوف الأيدي بينما كان إبليس يغوي امرأته، ثم اقتاد بها في تمرد صريح على الله بأكله من شجرة معرفة الخير والشر (تكوين 3: 1–7).

ثم جاء الله باعتباره ديّان كل الأرض، وواجه آدم الأول، ثم حواء، ثم الحية. وصب لعنته على ثلاثتهم واحدًا فواحدًا، ومع لعنة آدم لُعنت الأرض ذاتها: "مَلْعُونَةٌ الأَرْضُ بِسَبَبِكَ. بِالتَّعَبِ تَأْكُلُ مِنْهَا كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِكَ. وَشَوْكًا وَحَسَكًا تُنْبِتُ لَكَ، وَتَأْكُلُ عُشْبَ الْحَقْلِ" (تكوين 3: 17–18).

ومنذ ذلك الحين ظلّت الخليقة تئنّ تحت عبوديّة الفساد والبطل، متوقعة ومنتظرة بلهفة الاكتمال المجيد لخلاص البشر (رومية 8: 18–22). ونحن نرى يوميًا براهين على ذلك الأنين، وتلك العبوديّة، وذلك الفساد والبطل، ونحن أنفسنا أيضًا نئنّ مشتاقين ومتوقعين اليوم الذي فيه ستُعتق هذه الخليقة لتكون حرّة ومجيدة مرة أخرى.

الخليقة الجديدة

أطلق إنجيل يسوع المسيح العنان لقوة الله كي تأتي بيوم العتق هذا. فقد بدأت حقبة جديدة من التاريخ الإنسانيّ مع قيامة المسيح. وصار جسد قيامة المسيح — "جسد روحانيّ" — هو نواة كون جديد. إذ كان هو "باكورة" من الأموات (1 كورنثوس 15: 20، 23). وفيما يشقّ إنجيل موت المسيح الفدائيّ وقيامته المجيدة طريقه في جميع أنحاء العالم، يُقبِل نسل آدم الخاطئ إلى التوبة ويؤمنون بالمسيح، ويجدون فيه فداءً لهم. وفي تلك اللحظة التي يؤمن هؤلاء فيها يصيرون روحيًا "خليقة جديدة" في المسيح (2 كورنثوس 5: 17)، ويبدأون في الاشتياق إلى أن يصيروا أيضًا خليقة جديدة ماديًا.

وهكذا يئنّ المؤمنون والكون على حد سواء في أنفسهم متوقعين في لهفة الفداء الأخير، أي قيامة الأجساد (رومية 8: 23). وعند المجيء الثاني للمسيح، سيتحقق هذا الرجاء الصادق والحقيقيّ، وستصير الخليقة نفسها جديدة. وسيُقام الكون، الروحيّ والجسديّ، بشكل ما مثلما ستقام أجسادنا. وهكذا سيحدث في الوقت ذاته استمرار واختلاف. وذلك الكون الجديد يحمل اسمًا مجيدًا: "سَمَاوَاتٍ جَدِيدَةً، وَأَرْضًا جَدِيدَةً، يَسْكُنُ فِيهَا الْبِرُّ" (2 بطرس 3: 13).

تطبيقات على عقيدة الخلق

ينبغي لعقيدة الخلق أن تفتح عيوننا على أمجاد الله من حولنا، وأن تمكّننا من أن يكون لدينا سيل من أسباب لا تحصى تدعونا لتسبيح الله وعبادته. إذ لابد أن نكون على استعداد دائم أن نقدم الشكر لله على جمال وروعة الأرض، وعلى إعلانها عن صلاحه ومحبته، وعلى تنوّعها وتدبيرها الرائع لجميع حاجاتنا، على الرغم من جميع علامات اللعنة التي قد أصابتها.

ليست الخليقة بأكملها وحدها هي التي تعلن قوة الله الخالق، لكننا أيضًا ينبغي أن نتعجب ونندهش، مثلما فعل داود في مزمور 139، من أن الله **نسجنا** بشكل خاص في بطون أمهاتنا، وأنه **يساندنا** ويدعمنا في كل لحظة من لحظات حياتنا. ينبغي أن ندرك أننا "نَحْيَا وَنَتَحَرَّكُ وَنُوجَدُ" في الله (أعمال 17: 28). كما يجب أن ندرك أن الله "بِيَدِهِ نَسَمَتُنا، وَلَهُ كُلُّ طُرُقِنا" (دانيال 5: 23). وهذا لابد أن يدفعنا إلى نوع من الحميميّة المليئة بالمهابة في علاقتنا بالله، كالتي أبداها داود في مزمور 139: "اخْتَبِرْنِي يَا اَللهُ وَاعْرِفْ قَلْبِي!" (عدد 23).

يشبه التجديد الذي حدث لنا ما فعله الله في بداية الخلق: "لأَنَّ اللهَ الَّذِي قَالَ: «أَنْ يُشْرِقَ نُورٌ مِنْ ظُلْمَةٍ»، هُوَ الَّذِي أَشْرَقَ فِي قُلُوبِنَا، لإِنَارَةِ مَعْرِفَةِ مَجْدِ اللهِ فِي وَجْهِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ" (2 كورنثوس 4: 6). وهذا يبيّن ويظهر بوضوح سيادة الله في رجوعنا إليه. فكما خاطب الله العدم المظلم عند الخلق قائلاً له: "ليكن نور" فكان نور، هكذا أيضًا خاطب الله العدم المظلم في قلوبنا ليخلق نورًا روحيًا — نور المسيح. هذه هي ماهيّة التجديد، ووحده الله صاحب السيادة هو من يستطيع إحداثه. ومتى أراد الله إحداثه، لا توجد قوة في الكون يمكنها إيقافه أو منعه!

تعدّ عقيدة الخلق من أبسط وأوضح العقائد التي يمكن أن تكون نقطة بداية في تعليم الآباء لصغارهم عن وجود الله وصفاته. وعلى الآباء أن يحمّلوا لغتهم وحديثهم بكلمات الحمد والشكر لله الخالق باستمرار، ثم يلجأون إلى التشابهات والأمثلة الروحيّة المذكورة سابقًا كي يعلموا أبناءهم إنجيل يسوع المسيح.

تبدأ العديد من أسفار الكتاب المقدس عرضها لحق الإنجيل من خلال عقيدة الخلق (مثل سفر التكوين، وإنجيل يوحنا، ورسالة رومية، ورسالة كولوسي، ورسالة العبرانيين). وهذه تعدّ نقطة تلاقي يمكننا من خلالها التواصل مع عالم جاهل كتابيًا. وفيما نسعى لحمل رسالة الإنجيل إلى أقصى الأرض، إلى جماعات لم يصلها هذا الإنجيل بعد، فإن نقطة البداية في مناداتنا بهذه الرسالة حتميًا ستكون الخلق. وهذا ينطبق اليوم أكثر من ذي قبل على مجتمعنا أيضًا، إذ يتناقص عدد من يعرفون كلمة الله في العالم الغربي يومًا بعد يوم. كما لابد من ربط رسالة الإنجيل ذاتها ربطًا قويًا بالخلق.

لقد اؤتمنا على هذه الأرض من قبل خالقها، وبالتالي فإننا مجرد وكلاء على أملاك شخص آخر. وهكذا علينا أن نبدي احترامًا للأرض باعتبارها خليقة أبينا السماوي، وعلينا أن نعتني بها بمحبة وسرور. أي علينا أن **نخدم** الأرض **ونحميها** (نعملها ونحفظها)، كي نصل بها إلى كامل جملالها وإمكانياتها تحت إشراف الله ووصايته، وذلك دون أن نعبدها.

على جميع المؤمنين المدعوين لدراسة العلم أن يفعلوا هذا كعابدين في المقام الأول. إذ ينبغي على العلماء أن يعتبروا عملهم مجرد كشف الغطاء عن عجائب الله الخالق، جاعلين تلك العجائب متاحة لإخوتهم وأخواتهم لغرض العبادة ولفائدة البشريّة. فعلى العلماء ألا يتخلوا عن تكريسهم وإخلاصهم تجاه حق الكتاب المقدس في أثناء كشفهم لحقائق جديدة في الخليقة.

يعدّ الكتاب المقدس هو أعظم وأوضح إعلان عن فكر الله تجاه الجنس البشري، إلا أن هذا الكتاب ذاته يصير غامضًا وغير مفهوم بمعزل عن الخليقة المحيطة بنا. فالكتاب المقدس يخاطبنا بلغة هذا العالم، مستخدمًا تشبيهات ماديّة كي يعلمنا حقائق روحيّة. وقد كان يسوع يفعل هذا طوال الوقت: "تَأَمَّلُوا زَنَابِقَ الْحَقْلِ" (متى 6: 28)، "اَلرِّيحُ تَهُبُّ حَيْثُ تَشَاءُ، وَتَسْمَعُ صَوْتَهَا ... هكَذَا كُلُّ مَنْ وُلِدَ مِنَ الرُّوحِ" (يوحنا 3: 8)، "يُشْبِهُ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ خَمِيرَةً أَخَذَتْهَا امْرَأَةٌ وَخَبَّأَتْهَا فِي ثَلاَثَةِ أَكْيَالِ دَقِيق حَتَّى اخْتَمَرَ الْجَمِيعُ" (متى 13: 33).

وفيما نمضي حياتنا في هذا العالم الموضوع تحت لعنة الخطيّة، يمكننا أن نعيا ونصاب بالإحباط بسهولة. لكن مزمور 23 يقول: "يرد نفسي" (عدد 3). وكثيرًا جدًا ما يفعل الله هذا من خلال قوة خليقته المجددة والمنعشة. اجعل تجولك وسط الطبيعة أمرًا منتظمًا في مسيرتك مع المسيح. اذهب إلى ساحل البحر واستمع إلى تلاطم الأمواج. تسلق جبلاً وشاهد النسور المحلقة تمتطي التيارات الحراريّة. ارتحل إلى الأخدود العظيم (جراند كانيون) واكتم أنفاسك وأنت تشاهد ضخامته وألوانه الباهرة والساطعة. دع خليقة الله تنعش روحك.

تتحدث رومية 8 عن رجاء المؤمنين في قيامة الأجساد، وبالتالي قيامة الكون أيضًا. اقض حياتك راجيًا بحرارة مجيء الخليقة الجديدة. الهث توقًا لها، وصل لأجلها، وكرّس حياتك لهذا الرجاء، واطلب سرعة مجيئه بأن تكرز للضالين والخطاة.

الفصل الخامس

الخطيّة والسقوط

ريديت أندروز الثالث

يوجد شيء ليس على ما يرام على الإطلاق في البشر وفي عالمهم. فالكل من جميع المذاهب الدينيّة واللا دينيّة يدركون هذا الأمر جيدًا. على سبيل المثال، بينما حقّق الإنسان في العصر الحديث إنجازات خارقة وتقدمًا ملحوظًا وضخمًا في مجال التكنولوجيا والطب، إلا أنه قد ولَّد فوضى عارمة. فقد لقي ما يقرب من 188 مليون شخص حتفهم بالحرب والقمع في القرن العشرين فقط،[24] وكثيرون منهم قد تعرضوا للاغتصاب، أو التمثيل بجثثهم، أو التعذيب قبل موتهم. وقد كتب كريستوفر رايت تقريرًا أفاد فيه بالآتي:

> لقد أصيب العالم بالذعر من جرّاء الهجوم على برجي مركز التجارة العالميّ بنيويورك في الحادي عشر من سبتمبر من عام 2001 م، حيث لقي ما يقرب من ثلاثة آلاف شخص حتفهم. في حين تعاني أفريقيا يوميًا من نسبة وفيات تعادل حادثتين من فئة 11 سبتمبر. ... وفي ديسمبر من عام 2004 م، أباد إعصار تسونامي بالمحيط الهندي ما يقرب من 300 ألف شخص في يوم واحد. أما في أفريقيا يصيب فيروس نقص المناعة (الإيدز) شهريًا ما يعادل ضحايا تسونامي.[25]

إذًا، ما خطب البشر بالتحديد؟

تفسير مأزق البشريّة

كثيرون — بما في ذلك الروّاد في العلم، والتعليم، والسياسة، والدين — يقومون بتحليل مأزق البشريّة من خلال افتراضهم صحة نظريّة التطور الطبيعيّ. وتستنتج هذه النظريّة أن الشر جزءٌ لا يتجزّأ من النسيج الأصليّ الذي نُسج منه تاريخ البشر. على سبيل المثال، كتب الفيلسوف الفرنسيّ بول ريكور الآتي:

> نحن نشعر أن الشر نفسه جزء من تدبير الوفرة [المترجم: تدبير الوفرة هو تدبير نعمة الله ومنحه لكل شيء بوفرة على أساس المبدأ الكتابي: حيث كثرت الخطية ازدادت النعمة جدًا، مطالبًا الإنسان أيضًا بموجبه بأن يحب الآخرين فوق الطاقة حتى محبة الأعداء] ... وبالتالي لابد أن نتحلّى بالشجاعة كي ندمج هذا الشر داخل ملحمة الرجاء. فبطريقة نجهلها نحن، يتعاون الشر نفسه في عمليّة تقدّم ملكوت الله، ويعمل لأجل تحقيق هذا الهدف. ... وهكذا، فإن الإيمان يبرر بالفعل إنسان عصر التنوير، الذي

يعد الشر بالنسبة له، داخل نسيج ثقافته في أبهى صورها، عاملاً يؤدي دورًا في تقدم الجنس البشريّ في المعرفة؛ على خلاف التطهيريّ الناموسيّ الذي لا ينجح قط في العبور من الدينونة إلى الرحمة.[26]

أما الإسلام فهو يعتبر الشر، بشكل ما، جزءًا طبيعيًا حتميًا من تقدّم البشريّة. وقد عبَّر نومانول هاك عن هذا قائلاً:

وهكذا، كان خروج الإنسان من الجنة ... شيئًا قريبًا من الولادة الطبيعية — كما يخرج طفل رضيع من رحم امرأة، أويخرج طير من البيضة، أو ينمو برعم من غصن شجرة. بل وإن آدم نفسه، مثله مثل الطبيعة، كان لابد أن يتطور تدريجيًا — أدبيًا، وروحيًا، وفكريًا — كما ينمو الطفل ليصير رجلاً بالغًا، وكما تنمو البذرة لتصير شجرة فارعة الطول.[27]

وهكذا فإن حالة الإنسان بحسب الإسلام لا تتضمن التعافي من سقوطِ ما لأجل استعادة حالة أصليّة من المجد، لكنها على النقيض تستلزم إتمام مجموعة من الالتزامات والواجبات التي أوصى بها الله في القرآن.

أما المسيحيّة، على الصعيد الآخر، فهي تقوم بتحليل مأزق البشريّة بصورة فريدة. فهي تبدأ في تحليل الشر بوضعه تحت قسمين مترابطين: الخطيّة والسقوط. فإن الشر موجود بسبب الخطيّة، والخطيّة موجودة بسبب السقوط الذي وقعت أحداثه في التاريخ البشريّ في وقت مبكر. ويؤكد جوناثان إدواردز في البحث الرائع الذي قام به حول عقيدة الخطيّة الأصليّة على أن خطيّة آدم هي التي جلبت الشر إلى العالم:

أنا أعتبر هذه العقيدة [الخطيّة الأصليّة] شديدة الأهميّة. وإن صحَّت بالفعل، فدون شك سيقّر الجميع أيضًا حينئذ بهذه الأهمّية. فإنه، إن صحّ الوضع الذي تفترضه هذه العقيدة، بأن كل الجنس البشريّ بالطبيعة في حالة خراب تام، من حيث الشر الأخلاقيّ الذي يرتكبونه بأنفسهم، وأيضًا من حيث الشر الذي يصيبهم والذي هم عرضة له، الواحد يحدث نتيجة للآخر وكعقوبة عليه، حينئذ بلا شك لابد أن يفترض الخلاص العظيم صحة هذه العقيدة، ولابد لكل إيمان حقيقيّ أو مفهوم صحيح عن الإنجيل أن تُبنى عليها.[28]

وقد كتب بليز باسكال الآتي:

ولكن إنه لشيء مذهل ومثير للدهشة أن تكون تلك المأساة التي هي بعيدة كل البعد عن إدراكنا – أي مأساة انتقال الخطيّة – شيئًا لا يمكننا بدونه الحصول على أي معرفة عن أنفسنا!

إذ بلا شك لا يوجد ما يصيب تفكيرنا بالصدمة أكثر من كون خطيّة الإنسان الأول هي سبب إدانة أولئك الذين كانوا أبعد ما يكون عن مصدر العدوى، حتى أنه كان من المستحيل أن يصابوا بعدوى هذه الخطية. فإن مبدأ انتقال الخطيّة لا يبدو لنا مستحيلاً فحسب، بل أيضًا جائزًا للغاية. فأي شيء

يمكن أن يناقض قوانين العدالة المثيرة للشفقة أكثر من إدانة أبديّة لطفل تعوزه قوة الإرادة لارتكاب خطيّة، يبدو أنه لعب فيها دورًا صغيرًا للغاية، وهي أيضًا قد تم اقترافها قبل أن يولد بستة آلاف عام؟ نؤكد لكم أنه لا شيء يمكن أن يكون صادمًا لنا من بين جميع العقائد الأخرى أكثر من هذه العقيدة. ومع ذلك، وبدون هذا اللغز الغامض وغير المعقول البتة، فإننا نعجز عن فهم أنفسنا. فإن الخيوط المتشابكة لعقدة حالتنا تلف حول هذه الفجوة [المترجم: أي أن هذا اللغز يعد الأساس لفهم تشابك وتعقيد حالتنا]، حتى أن الإنسان نفسه دون هذا اللغز يصير غامضًا أكثر من كون اللغز نفسه غامضًا بالنسبة له.[29]

إن المسيحيّة وحدها هي التي تقوم بتحليل مأزق البشريّة بشكل مقبول. فإن الشر موجود بسبب الخطيّة، والخطيّة موجودة بسبب السقوط. والخطية لم تنشأ في الأصل على الأرض بل في السماء عينها.

لم تظهر الخطيّة على نحو فجائيّ على الأرض أولاً، بل في السماء، في حضرة الله المباشرة، أمام عرشه. فقد نشأت فكرة مقاومة الله، والرغبة والإرادة لفعل هذا أولاً داخل قلوب الملائكة.[30]

دخول الخطيّة

"فِي الْبَدْءِ خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ" (تكوين 1: 1). وكان رد فعل الملائكة على هذا أنهم ترنموا في فرح وابتهاج: "عَلَى أَيِّ شَيْءٍ قَرَّتْ قَوَاعِدُهَا؟ أَوْ مَنْ وَضَعَ حَجَرَ زَاوِيَتِهَا، عِنْدَمَا تَرَنَّمَتْ كَوَاكِبُ الصُّبْحِ مَعًا، وَهَتَفَ جَمِيعُ بَنِي اللهِ؟" (أيوب 38: 6–7). وبعد أن خلق الله الكون "رَأَى اللهُ كُلَّ مَا عَمِلَهُ فَإِذَا هُوَ حَسَنٌ جِدًّا" (تكوين 1: 31). ثم لاحقًا سقط الملائكة وطُرحوا خارجًا (2 بطرس 2: 4؛ يهوذا 6). وكان آدم الذي هو نظير المسيح (رومية 5: 12–19؛ 1 كورنثوس 15: 22، 45–49) يمثل كل الجنس البشريّ.

وَأَوْصَى الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ قَائِلاً: «مِنْ جَمِيعِ شَجَرِ الْجَنَّةِ تَأْكُلُ أَكْلاً، وَأَمَّا شَجَرَةُ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَلاَ تَأْكُلْ مِنْهَا، لأَنَّكَ يَوْمَ تَأْكُلُ مِنْهَا مَوْتًا تَمُوتُ». (تكوين 2: 16–17)

ثم اقتحمت الخطيّة المشهد حين عصا آدم وحواء الله وأكلا من الثمرة المحرّمة.

مِنْ أَجْلِ ذلِكَ كَأَنَّمَا بِإِنْسَانٍ وَاحِدٍ دَخَلَتِ الْخَطِيَّةُ إِلَى الْعَالَمِ، وَبِالْخَطِيَّةِ الْمَوْتُ، وَهكَذَا اجْتَازَ الْمَوْتُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ، إِذْ أَخْطَأَ الْجَمِيعُ. فَإِنَّهُ حَتَّى النَّامُوسِ كَانَتِ الْخَطِيَّةُ فِي الْعَالَمِ. عَلَى أَنَّ الْخَطِيَّةَ لاَ تُحْسَبُ إِنْ لَمْ يَكُنْ نَامُوسٌ. لكِنْ قَدْ مَلَكَ الْمَوْتُ مِنْ آدَمَ إِلَى مُوسَى، وَذلِكَ عَلَى الَّذِينَ لَمْ يُخْطِئُوا عَلَى شِبْهِ تَعَدِّي آدَمَ، الَّذِي هُوَ مِثَالُ الآتِي. (رومية 5: 12–14)

واستطاع إبليس الوصول إلى آدم من خلال حواء امرأته:

فَرَأَتِ الْمَرْأَةُ أَنَّ الشَّجَرَةَ جَيِّدَةٌ لِلأَكْلِ، وَأَنَّهَا بَهِجَةٌ لِلْعُيُونِ، وَأَنَّ الشَّجَرَةَ شَهِيَّةٌ لِلنَّظَرِ. فَأَخَذَتْ مِنْ ثَمَرِهَا وَأَكَلَتْ، وَأَعْطَتْ رَجُلَهَا أَيْضًا مَعَهَا فَأَكَلَ. فَانْفَتَحَتْ أَعْيُنُهُمَا وَعَلِمَا أَنَّهُمَا عُرْيَانَانِ. (تكوين 3: 6–7ب)

البر الأصليّ

لقد خلق الله آدم في حالة استقامة. أي أنه امتلك ما يمكننا أن نطلق عليه البر الأصليّ. وكانت هذه الفترة تعدّ فترة اختبار تعرَّض فيها آدم وحواء إلى الغواية فأذعنا لها. لقد كان بإمكانهما ألا يخطئا، وكان بإمكانهما أيضًا أن يخطئا.

> لقد منح الله الإنسان القدرة على الاختيار الحر بين البدائل في حياديّة تامة. لكن الإنسان، بإرادته الحرة ودون أي إجبار أو قضاء خارجيّ، استخدم تلك القدرة في ارتكاب الخطيّة. لم يكن هناك في حالته الجسديّة، أو طبيعته الأدبيّة، أو طبيعة البيئة المحيطة به ما يجبره على هذا، مما قد يفسر ويعلل وجوب ارتكابه للخطيّة. لكن كانت هذه حركة حرة نبعت من داخل روح الإنسان. ونقول مستخدمين كلمات ليدلو: "لقد نبع هذا الخطأ من إغواء خارجيّ، وفي شكل حدث ظاهري، لكنها كانت أزمة داخليّة."[31]

لقد كان تعريض آدم للتجربة أمرًا منطقيًا، لكن إذعانه لها لم يكن كذلك. فقد بارك الله آدم بأن سلّطه على كل الأرض، وأعطاه زوجة نظيره، كما باركه أيضًا بشركة معه هو نفسه. ووضع الله الخليقة بأكملها — فيما عدا شجرة واحدة — تحت سلطان وسيادة آدم. وكانت البركات والفوائد التي منحها الله له فائقة، تمامًا كما كان الخطر الذي هدده به عند الأكل من الثمرة المحرّمة أيضًا فائقًا.

الشر ومشيئة الله

لقد قضى الله سياديًا بدخول الخطية إلى العالم، وكان آدم مسئولاً عن ارتكابه الخطيّة بحريّة إرادته.

> لقد قام الله منذ الأزل، بحسب رأي مشيئته الكلي الحكمة والقداسة، وبحرية إرادة مطلقة، ودون قابليّة للتغيير، بتعيين كل ما يحدث. ومع ذلك فهو ليس مصدر الخطيّة، كما أنه لا يُجري أي قمع أو إكراه من أي نوع على إرادة المخلوقات، ولا يُبطل حرية عمل المؤثّرات الثانويّة أو احتماليّة حدوثها، لكنه بالحري يرسخها ويؤكدها. (إقرار إيمان ويستمنستر الفصل 3 والبند 1)

كثيرون يتساءلون إن كان الله قد تحلّى بالحكمة والعدل في تعيينه للشر. فإن الله القدوس، الذي ليس هو مصدر الشر، لم "يسمح" فحسب بوقوع الشر. فإن الأمر ليس أنه لم يعّين وجود الشر ولكنه فقط سمح بوقوعه. فإن سماح الله بالشر لا ينجح في إمدادنا بإجابة تزيل حدة التوتر النابعة من افتراض أنه قد يعّين الشر، لأن الله في كلتا الحالتين [المترجم: أي تعيينه للشر أو سماحه به] يأمر بدخول الخطيّة. ويبدي بافينك ملاحظته على هذا قائلاً:

> هو [الله] لم يخش من وجودها ومن سطوتها [الخطية والشر]. بل قد شاء وجودها، كي بها وبالمقابلة معها يمكنه أن يسلّط الضوء على صفاته الإلهيّة. فإن لم يكن قد شاء ذلك، كان سيوجد دائمًا قبول منطقيّ بأنه لم يكن متفوقًا وساميًا في جميع صفاته على قوة ما كانت إمكانيّة ممارستها متأصّلة وفطريّة

داخل المخلوقات نفسها. فإن جميع المخلوقات العاقلة، باعتبارها كائنات مخلوقة، ومحدودة، وقاصرة، وقابلة للتغيير، لديها إمكانيّة الارتداد عن الله. لكن لأن الله هو الله، فهو لم يخش قط طريق الحريّة هذا، أو واقع وجود الخطيّة، أو ظهور الشر، أو قوة إبليس. وهكذا فهو دائمًا ما يمارس سيادته وسلطانه على الخطيّة من حيث أصلها وتطوّرها. فهو لا يقحمها بالقوة، وأيضًا لا يمنعها بالقوة، لكنه يجيز لها بالوصول إلى كامل طاقتها الفعّالة. فهو يظل ملكًا ومع ذلك يمنحها سلطانًا حرًا في مملكته. إذ يجيز لها بالحصول على كل شيء — عالمه، ومخلوقاته، وحتى مسيحه – فإن الشرور لا يمكنها أن توجد دون الخيرات. كما أنه يجيز لها باستخدام كل ما له، ويمنحها الفرصة كي تُظهر ما يمكنها فعله، كي في النهاية كملك الملوك، ينحيها عن ساحة المعركة. فإن طبيعة الخطيّة تجعلها تدمّر نفسها ذاتيًا بالحريّة عينها التي أعطيت لها، فهي تموت من جراء أمراضها، وتحكم على نفسها بالموت. وفي أوجّ قوّتها، وبالصليب وحده، تُشهَر جهارًا فاقدة كل قوتها وسلطانها (كولوسي 2: 15).[32]

الخطيّة الأولى ومظاهرها

تعد آثار ونتائج خطية آدم شديدة الصعوبة والعمق، وهي تؤثر فينا جميعًا.

الخطيّة هي التعدي الذي يجلب الدينونة

الخطيّة هي كسر ناموس الله، ملك السماء والأرض.

كُلُّ مَنْ يَفْعَلُ الْخَطِيَّةَ يَفْعَلُ التَّعَدِّيَ أَيْضًا. وَالْخَطِيَّةُ هِيَ التَّعَدِّي. (1 يوحنا 3: 4)

وَأَوْصَى الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ قَائِلاً: «مِنْ جَمِيعِ شَجَرِ الْجَنَّةِ تَأْكُلُ أَكْلاً، وَأَمَّا شَجَرَةُ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَلاَ تَأْكُلْ مِنْهَا، لأَنَّكَ يَوْمَ تَأْكُلُ مِنْهَا مَوْتًا تَمُوتُ». (تكوين 2: 16–17)

وبسبب تمرد آدم، لعن الله البشر وعالمهم على حد سواء (تكوين 3: 16–19)، واقتحم الموت الجسديّ والروحيّ المشهد. وبعين ثاقبة وناظرة إلى الفداء الأخير والنهائيّ للنظام المخلوق، لعن الله العالم: "إِذْ أُخْضِعَتِ الْخَلِيقَةُ لِلْبُطْلِ لَيْسَ طَوْعًا، بَلْ مِنْ أَجْلِ الَّذِي أَخْضَعَهَا عَلَى الرَّجَاءِ. لأَنَّ الْخَلِيقَةَ نَفْسَهَا أَيْضًا سَتُعْتَقُ مِنْ عُبُودِيَّةِ الْفَسَادِ إِلَى حُرِّيَّةِ مَجْدِ أَوْلاَدِ اللهِ" (رومية 8: 20–21). وهذا يفسر الشر الذي نراه في الطبيعة، لأنه لم يكن من الممكن للزلازل، أو الأعصاير، أو الفيضانات، أو البراكين أن توجد بمعزل عن السقوط.

الخطية تُنتِج تجنّبًا عن حياة الله

لقد كسرت خطية آدم الشركة التي كان يتمتع بها مع الله. فعند البشر، قد تبدو خطيّة واحدة عديمة الأهميّة، لكن ليس الأمر كذلك لدى الإله القدوس، الذي "عَيْنَاه أَطْهَرُ مِنْ أَنْ تَنْظُرَا الشَّرَّ، وَلاَ تَسْتَطِيعُ

النَّظَرَ إِلَى الْجَوْرِ" (حبقوق 1: 13). وبالتالي "طَرَدَ [الله] الإِنْسَانَ، وَأَقَامَ شَرْقِيَّ جَنَّةِ عَدْنٍ الْكَرُوبِيمَ، وَلَهِيبَ سَيْفٍ مُتَقَلِّبٍ لِحِرَاسَةِ طَرِيقِ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ" (تكوين 3: 24).

لقد صار البشر أعداء الله. لكن متى يخلص يسوع شعبه فهو يصالحهم لله: "أَيْ إِنَّ اللهَ كَانَ فِي الْمَسِيحِ مُصَالِحًا الْعَالَمَ لِنَفْسِهِ، غَيْرَ حَاسِبٍ لَهُمْ خَطَايَاهُمْ" (2 كورنثوس 5: 19). "لأَنَّهُ إِنْ كُنَّا وَنَحْنُ أَعْدَاءٌ قَدْ صُولِحْنَا مَعَ اللهِ بِمَوْتِ ابْنِهِ، فَبِالأَوْلَى كَثِيرًا وَنَحْنُ مُصَالَحُونَ نَخْلُصُ بِحَيَاتِهِ!" (رومية 5: 10).

الخطيّة عامة وشاملة

> مِنْ أَجْلِ ذلِكَ كَأَنَّمَا بِإِنْسَانٍ وَاحِدٍ دَخَلَتِ الْخَطِيَّةُ إِلَى الْعَالَمِ، وَبِالْخَطِيَّةِ الْمَوْتُ، وَهكَذَا اجْتَازَ الْمَوْتُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ، إِذْ أَخْطَأَ الْجَمِيعُ... فَإِذًا كَمَا بِخَطِيَّةٍ وَاحِدَةٍ صَارَ الْحُكْمُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ لِلدَّيْنُونَةِ، هكَذَا بِبِرّ وَاحِدٍ صَارَتِ الْهِبَةُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ، لِتَبْرِيرِ الْحَيَاةِ. لأَنَّهُ كَمَا بِمَعْصِيَةِ الإِنْسَانِ الْوَاحِدِ جُعِلَ الْكَثِيرُونَ خُطَاةً، هكَذَا أَيْضًا بِإِطَاعَةِ الْوَاحِدِ سَيُجْعَلُ الْكَثِيرُونَ أَبْرَارًا. (رومية 5: 12، 18–19)
>
> فَإِنَّهُ إِذِ الْمَوْتُ بِإِنْسَانٍ، بِإِنْسَانٍ أَيْضًا قِيَامَةُ الأَمْوَاتِ. لأَنَّهُ كَمَا فِي آدَمَ يَمُوتُ الْجَمِيعُ، هكَذَا فِي الْمَسِيحِ سَيُحْيَا الْجَمِيعُ. (1 كورنثوس 15: 21–22)

المسيح وآدم يشغلان دورًا تمثيليًا متوازيًا.

يختلف المسيحيون معًا بشأن وسيلة انتقال ذنب آدم وفساده إلى بقيّة البشر. البعض يعتقدون أننا لا يمكن أن نعرف شيئًا كهذا. وآخرون يعتقدون أن آدم متصل عضويًا بجميع البشر، الذين كانوا في آدم حين أخطأ (انظر عبرانيين 7: 9–10). أما الرأي الأكثر إقناعًا فهو أن آدم يعدّ ممثّل البشريّة الفيدراليّ،[33] وبالتالي حُسبت خطيته على جميع ذريته الجسديّة.

الخطيّة هي الفساد

تخترق الخطية كيان البشر متوغلة بداخلهم ومفسدة إياهم جذريًا. البعض يطلقون على هذا اسم "الفساد الكليّ"، وهو مصطلح يساء فهمه كثيرًا. فهو لا يعني أن البشر قد وصلوا بالفعل إلى مقدار الشر الذي يمكنهم الوصول إليه، أو أنهم لا يستطيعون القيام بأي نوع من الأعمال الصالحة. لكن المصطلح يعني أن الخطية تؤثر على الشخص بالكامل: "جميع البشر متجنّبون عن حياة الله، فاسدون في جميع جوانب كيانهم (على سبيل المثال: جسديًا، وعقليًا، وإراديًا، وعاطفيًا، وروحيًا)".[34]

فحين أخطأ آدم وحواء، اختبرا على الفور شعور بالخزي، فحاولا تغطية عريهما. كما شعرا أيضًا بالذنب، ولذلك اختبآ. فهما لم يشعرا قط بهذا الشعور من قبل، لكنهما الآن لن يستطيعا التخلص على

الإطلاق من شعورهما بالذنب، وخزيهما، وفسادهما (انظر تكوين 3: 8–13). لقد وعدهما إبليس بأنهما سيكتسبان معرفة بالخير والشر، لكنه لم يخبرهما بأنهما لن يستطيعا تحمل هذه المعرفة والتعامل معها. ويقول بافينك:

> بحسب العلم الحديث، لا يعد المرض مادة معينة، بل هو الحياة في ظل ظروف متغيرة، بحيث تظل قوانين الحياة في واقع الأمر كما هي في أي جسد صحيح، إلا أن خللاً قد أصاب النشاط الطبيعيّ للأعضاء ولوظائف تلك الحياة. كما أن هذه الوظائف لا تتوقف حتى في الجسد الميت، لكن النشاط الذي يبدأ في ذلك الوقت هو نشاط مدمر ومحلل للجسد. هكذا أيضًا الخطيّة ليست مادة في حد ذاتها، بل هي ذلك النوع من الخلل الذي يصيب جميع المواهب والطاقات الموهوبة للإنسان، مما يجعلها تعمل في اتجاه آخر، ليس صوب الله بل بعيدًا عنه. فإن العقل، والإرادة، والاهتمامات، والمشاعر، والرغبات، والقدرات النفسيّة والعضويّة من أي نوع كانت، جميعها كانت قبلاً أسلحة للبر لكنها الآن بعمل الخطية المبهم والغامض فيها قد تحوّلت إلى أسلحة للإثم. فإن صورة الله التي حصل عليها الإنسان عند خلقه لم تكن مادة معينة، لكنها كانت شيئًا ملائمًا للغاية لطبيعته حتى أنه بفقدانها صار مشوهًا تمامًا وبغيض المنظر.[35]

"اَلْقَلْبُ أَخْدَعُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ نَجِيسٌ، مَنْ يَعْرِفُهُ؟" (إرميا 17: 9). "إِذْ هُمْ مُظْلِمُو الْفِكْرِ، وَمُتَجَنِّبُونَ عَنْ حَيَاةِ اللهِ لِسَبَبِ الْجَهْلِ الَّذِي فِيهِمْ بِسَبَبِ غِلاَظَةِ قُلُوبِهِمْ" (أفسس 4: 18). ويشرح دابني هذا قائلاً:

> يتمركز عرش هذه العادة [الهابيتوس (*habitus*)] الأدبيّة الفاسدة بكل تأكيد داخل النزعات والميول الأدبيّة. وبما أن هذه النزعات والميول تعطي تعليمات مباشرة نشطة لجميع ملكات وأجزاء النفس والجسد، في صورة أفعال تحمل صفات أدبيّة، فيمكن القول إذًا إن هذه الأفعال جميعها مشوهة أدبيًا. فإن الضمير (الجزء الأسمى في الحدس المنطقيّ) لم يخرب بالكامل، لكن أصيب بالخلل من جهة دقة حكمه على الأمور، وهذا بسبب الرغبات الشرّيرة. كما المشاعر الأدبيّة الغريزيّة التي ينبغي أن تصاحب هذه القدرة على الحكم ذبلت من جرّاء إهمالها، حتى أنها تبدو فعليًا وفي الوقت الحالي واهنة أو ميتة. أيضًا قد انحرفت وفسدت وجهات نظر الإدراك فيما يخص جميع الموضوعات الأخلاقيّة، وذلك من جراء نزعات وميول القلب الخاطئة، حتى أننا صرنا نطلق على الخير شرًا، والشر خيرًا. وبالتالي نتج عن هذا "عمى الذهن" في كافة الموضوعات الأخلاقيّة. أيضًا تصير الذاكرة مخزنًا يعج بالصور والذكريات الفاسدة، مما يمد الخيال بمادة خصبة، مدنسًا ومشوهًا كليهما. كما تصير الشهيات الجسديّة غاشمة وجامحة، إذ حفزتها شهوات النفس، وذاكرة منجسة أو خيال منجس، وتساهل غير ملجَّم. وتصير الأطراف وأعضاء الحس عبيدًا للإثم. وهكذا فإن ما لا يمكن أن يكون نجسًا حرفيًا صار يخضع بالفعل للاستخدامات النجسة.[36]

الخطيّة تُنتِج عجزًا

يصف مصطلح الفساد الكليّ حالة البشر العامة. أما العجز الكليّ فهو يصف نتيجة تلك الحالة: فإن البشر بدون تدخل الله بنعمته عاجزون تمامًا عن معالجة حالتهم. ويشرح دابني هذا قائلاً:

> كل فعل أخلاقيّ لديه ميل بداخله لتنمية ورعاية النزعة الطبيعيّة التي يُطلق هذا الفعل العنان لها. قد تعتقد أن تصرفًا واحدًا ينتج قوة يسيرة، ورباطًا ضعيفًا جدًا من العادة، يتألف من خيط واحد! ليس الأمر دائمًا هكذا. فإن تحرك المؤشر قليلاً فهو يكون بهذا قد تحرك، وهكذا تبدأ مسيرة الإنحدار، بخطوة واحدة فحسب. وبالتأكيد ستزداد قوة الدفع، وإن كانت هذه الزيادة تدريجيّة. فإن محبة الذات الجامحة قد صارت الآن مبدأ للحياة، وستستمر للأمام حتى تضمن الهيمنة الكاملة...
>
> وهكذا فإن الفساد الفطريّ هو فساد كليّ، أي أنه تام وقاطع من حيث استحالة تعافي الإنسان ذاتيًا منه. فإن الخطيّة الأصليّة تنشئ ميلاً مباشرًا للفساد المستفحل، وفي النهاية، للفساد التام. ونقول في كلمة واحدة: هذا هو الموت الروحيّ. فإن الموت الجسديّ قد يترك ضحيته في درجات متفاوتة من الحالة المزريّة. أي قد لا تكون الجثة هزيلة بشكل كبير، وقد تظل دافئة، أو لينة، أو تظل تحمل أثرًا طفيفًا من اللون على الوجنتين، أو ابتسامة على الشفاه. وربما تظل الجثة ثمينة وجميلة في عيون من أحبوا هذا الميت. لكنها مع كل هذا ميتة وقد فارقتها الحياة، ويوشك التعفن البغيض على اللحاق بها، إن آجلاً أو عاجلاً. الأمر فقط مسألة وقت.[37]

ليس الأمر أن البشر يريدون الخضوع لله لكنهم لا يستطيعون. لكن إرادتهم نفسها قد نال منها الفساد حتى أنهم لا يريدون فعل الصواب. "لأَنَّ اهْتِمَامَ الْجَسَدِ هُوَ عَدَاوَةٌ للهِ، إِذْ لَيْسَ هُوَ خَاضِعًا لِنَامُوسِ اللهِ، لأَنَّهُ أَيْضًا لاَ يَسْتَطِيعُ" (رومية 8: 7). فإن البشر يستمرون في مقاومة الله — وهذا هو بالتحديد ما يرغبون في فعله — حتى يغيّر الله إرادتهم ليريدوا الخضوع لله.

الخطية تُنتِج عبوديّة لإبليس

حين أخطأ آدم، انتقلت مقاليد الحكم على الأرض من يد آدم إلى يد إبليس. حيث يقود إبليس قوة كبيرة ومنظّمة وعاتية من الشياطين المضادين لله، والمتعهدين بإهلاك وتدمير شعبه. فهو يشتكي على البشر ويغويهم (انظر أيوب 1؛ 1 أخبار الأيام 21: 1؛ زكريا 3).

ويعني لقب إبليس "الخصم". وهو أيضًا يُدعى الشيطان (أي "المفتري")، والشرير، والمشتكي، والمُجرّب، وبليعال (أي "انعدام القيمة")، وبعلزبوب (اسم يطلق على إله الذباب في عقرون)، ورئيس الشياطين، ورئيس سلطان الهواء، ورئيس هذا العالم، وإله هذا الدهر، والتنين العظيم، والحيّة القديمة. فهو إله هذا العالم، الذي يعمي أذهان غير المؤمنين إلى أن يضئ لهم الله في قلوبهم بنور المسيح المحرر (2 كورنثوس 4: 1–6).

فإن "الْعَالَمَ كُلَّهُ قَدْ وُضِعَ فِي الشِّرِّيرِ [الترجمة الإنجليزية: تحت سلطان الشرير]" (1 يوحنا 5: 19). ولهذا كتب بولس:

وَأَنْتُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَمْوَاتًا بِالذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا، الَّتِي سَلَكْتُمْ فِيهَا قَبْلاً حَسَبَ دَهْرِ هذَا الْعَالَمِ، حَسَبَ رَئِيسِ سُلْطَانِ الْهَوَاءِ، الرُّوحِ الَّذِي يَعْمَلُ الآنَ فِي أَبْنَاءِ الْمَعْصِيَةِ، الَّذِينَ نَحْنُ أَيْضًا جَمِيعًا تَصَرَّفْنَا قَبْلاً بَيْنَهُمْ فِي شَهَوَاتِ جَسَدِنَا، عَامِلِينَ مَشِيئَاتِ الْجَسَدِ وَالأَفْكَارِ، وَكُنَّا بِالطَّبِيعَةِ أَبْنَاءَ الْغَضَبِ كَالْبَاقِينَ أَيْضًا. (أفسس 2: 1–3)

ويبدي بافينك ملاحظته على هذا قائلاً:

يمكننا أيضًا تطبيق النظرة العضويّة [المترجم: نظريّة تفيد بأن المجتمع يشبه الجسم البشري، حيث تكون جميع الأجزاء مرتبطة ارتباطًا وظيفيًا ولا يمكن لجزء التواجد في عزلة عن البقيّة] على الخطايا التي تستعلن في جوانب معينة من حياة الإنسان. فهناك خطايا شخصيّة وفرديّة، لكن هناك أيضًا خطايا عامة واجتماعيّة، وخطايا تختص بعائلات أو أمم معيّنة، وما شابه ذلك. ... كما نعلم فإننا جميعنا نلاحظ جانبًا صغيرًا للغاية فحسب من هذه الخطايا في دائرتنا المحدودة، وفي هذا أيضًا تكون ملاحظتنا سطحيّة. لكن إن أمكننا الاختراق والدخول عبر جوهر ما نراه بأعيننا، وتتبّعنا أثر جذور هذه الخطايا في قلوب البشر، بكل تأكيد سنصل إلى استنتاج أن في الخطيّة أيضًا توجد وحدة، وفكر، وخطة، ونمط — وفي كلمة واحدة نقول إنه يوجد أيضًا في الخطية نظام. ... فإن الخطيّة في مبدئها وجوهرها الأساسي ليست سوى عداوة مع الله، وهي لا تهدف في العالم سوى إلى الهيمنة السياديّة الكاملة. وكل خطيّة، حتى أصغر الخطايا، فكونها تعديًا على الناموس الإلهيّ، هي تخدم هذا الهدف النهائيّ بالترابط مع النظام بأكمله. فإن تاريخ العالم ليس عمليّة تطوريّة تعمل بصفة عشوائيّة، بل هي مأساة دراميّة بشعة، وصراع روحيّ، امتد عبر قرون طويلة. وهو حرب بين الروح الذي من فوق والروح الذي من أسفل، وبين المسيح وضد المسيح، وبين الله وإبليس.[38]

كيف ينبغي لنا إذًا أن نحيا؟

كثيرًا ما نجد اقتراحات يطرحها السياسيّون، والفلاسفة، والعلماء، وعلماء النفس، وعلماء الاجتماع في العصر الحديث بشأن علاجات قد تكون فعّالة لعلل وأمراض عالمنا هذا. إلا أن العلاجات والحلول التي لا تضع في حسبانها هذا الفهم عن الخطيّة لا تعد سوى تسلية طفوليّة، لأنها لم تبدأ بعد في فهم عمق مأزق البشريّة. فإن البشر ليس في وسعهم حل مشكلة الخطيّة العميقة والعامة التي وقعوا فيها. وحده الله يستطيع هذا.

تلك هي المشكلة التي نواجهها. ففينا، أي في الإنسان، هذه القوة الرهيبة العاتية التي تدعى "خطيّة"، والتي تجنبنا عن الله وتدفعنا إلى أن نبغضه، وفي الوقت ذاته تحط من قدرنا وتدفعنا إلى سلوك لا يمكن وصفه سوى بأنه شائن ومنفر. يا له من بُطل لا جدوى منه أن نفكر في هذه الأمور ونناقشها نظريًا، ويا

له من جرم أن ننظر إلى الحياة من خلال نظارات ورديّة متفائلة. فقط حين نواجه الحقائق، وندرك الطبيعة الحقيقيّة للمشكلة، حينئذ سيتسنّى لنا أن نرى أنه لا توجد سوى قوة واحدة كافية وحدها أن تتعامل مع الأمر — وهي قوة الله.[39]

نحن تحت رحمة الله بالكامل

حين ندرك أن حاجتنا ماسة بهذا القدر، فالأفضل لنا أن نقدّر قيمة محبة الله العظيمة، ورحمته المترائفة، ونعمته المجيدة التي تخلصنا من الخطية. وهذا يدفع بنا إلى أن نعبد الله ونسجد عند قدميه لأجل خلاص هذا مقداره.

إن قدرة الخطية على التدمير والتخريب هي قريبة من اللامحدوديّة. ولهذا لابد أن نرهبها ونبغضها. فإنها عظيمة للغاية حتى أنه لا يمكن أن ينقذنا منها سوى موت ابن الله. ولهذا دعونا نتذكر الآتي:

فَإِنَّهُ إِنْ أَخْطَأْنَا بِاخْتِيَارِنَا بَعْدَمَا أَخَذْنَا مَعْرِفَةَ الْحَقِّ، لاَ تَبْقَى بَعْدُ ذَبِيحَةٌ عَنِ الْخَطَايَا، بَلْ قُبُولُ دَيْنُونَةٍ مُخِيفٌ، وَغَيْرَةُ نَارٍ عَتِيدَةٍ أَنْ تَأْكُلَ الْمُضَادِّينَ. مَنْ خَالَفَ نَامُوسَ مُوسَى فَعَلَى شَاهِدَيْنِ أَوْ ثَلاَثَةِ شُهُودٍ يَمُوتُ بِدُونِ رَأْفَةٍ. فَكَمْ عِقَابًا أَشَرَّ تَظُنُّونَ أَنَّهُ يُحْسَبُ مُسْتَحِقًّا مَنْ دَاسَ ابْنَ اللهِ، وَحَسِبَ دَمَ الْعَهْدِ الَّذِي قُدِّسَ بِهِ دَنِسًا، وَازْدَرَى بِرُوحِ النِّعْمَةِ؟ فَإِنَّنَا نَعْرِفُ الَّذِي قَالَ: «لِيَ الانْتِقَامُ، أَنَا أُجَازِي، يَقُولُ الرَّبُّ». وَأَيْضًا: «الرَّبُّ يَدِينُ شَعْبَهُ». مُخِيفٌ هُوَ الْوُقُوعُ فِي يَدَيِ اللهِ الْحَيِّ! (عبرانيين 10: 26–31)

الفصل السادس

الخطة

كولين س. سميث

البعض يعتقد أن الله قد وضع خطة رائعة للعالم، لكن الأمور لم تسر على نحو جيد، ولذلك كان الله مضطرًا للجوء إلى مبادرة مكلفة لحل الأزمة. لكن هذا ليس ما يعلّمه الكتاب المقدس.

فإن الله ليس كالحكومات التي تبدي ردود أفعال تجاه ظروف لم تكن معروفة مسبقًا لها، أو التي تجري تغييرات لأجل عواقب لم تكن في الحسبان. وهو أيضًا ليس عالمًا يجري تجارب ليرى هل سينجح عمله أم لا، أو رجل أعمال ينجح من خلال ابتكار أفكار جديدة تلائم الاحتياجات الناشئة.

فلطالما انطوت خطة الله على اقتياد الخطاة إلى الحياة الأبدية بالمسيح. فقد وعد الله بالحياة الأبدية "قَبْلَ الأَزْمِنَةِ الأَزَلِيَّةِ، وَإِنَّمَا أَظْهَرَ كَلِمَتَهُ فِي أَوْقَاتِهَا الْخَاصَّةِ" (تيطس 1: 2–3). فهو قد رأى قبل أن يخلق العالم الفرح الذي كان عتيدًا أن ينتج عن فداء مجموعة ضخمة من الخطاة من جميع ظروف الحياة، ومن جميع قارات العالم، ومن كل جيل من أجيال التاريخ. ومع علمه بكلفة هذا الفداء، عزم على تنفيذه.

ولهذا السبب يصف الكتاب المقدس المسيح بأنه "مُنْذُ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ ... الْخَرُوفِ الَّذِي ذُبِحَ" (رؤيا 13: 8). فإن موت المسيح على الصليب لم يكن شيئًا ابتدعه الله كرد فعل على انتصار إبليس في جنة عدن، كما لم يكن أيضًا الملاذ الأخير الذي لجأ إليه حين تأكد من عجز البشر عن السلوك بمقتضى العشر وصايا. لكن كان فداء الخطاة من كل الأمم بواسطة يسوع المسيح هو خطة الله منذ البدء.

وتختلف خطة الله اختلافًا شاسعًا عن خططنا نحن. فحين أقول: "سألاقيك يوم الثلاثاء القادم لنتناول طعام الإفطار معًا"، فأنا أعني بهذا: "مع افتراض أني كنت لا أزال على قيد الحياة، وأني وجدت وسيلة انتقال، ولم تواجهني أية حالة طارئة أخرى، وكان المطعم مفتوحًا ويقدم وجبة الإفطار، ففي هذه الحالة سألاقيك يوم الثلاثاء".

إن خططنا مشروطة. فهي تعتمد على ما ستسفر عنه الأحداث، وعلى قدرتنا على تحقيق هذه الخطة. فإن الكثير من الأشياء في هذه الحياة تقع خارج نطاق تحكمنا.

وفي المقابل الله صاحب السيادة المطلقة. وهو يتمم خطته في حينه بقوته وسلطانه، ولا أحد يستطيع إيقافه أو منعه. فهو يعلم تمامًا ما يفعله في كل مرحلة من مراحل التاريخ، وفي كل أمة من أمم العالم، ومن خلال كل حدث في حياتك.

هذا من شأنه أن يجلب لك تعزية كبيرة. إذ لا شيء قد فعلته يومًا أخذ الله على حين غرة. ولا شيء وقع لك كان بمثابة مفاجأة له. فلا شيء تفعله أو يحدث لك من شأنه أن يوقف الله عن تتميم خطته أو حتى يبطئ خطواته. هذا هو ما يعنيه أن يكون الله صاحب السيادة المطلقة.

يعلم الله ما يفعله تمام العلم. ويمكنك أن تتمتع باليقين من جرّاء معرفتك بأن أحداث حياتك لا تدور خارج مدار تحكم الله، ولا تتحدّد بمحض الصدفة، لكنها في يدي الله، الذي يخطط لأجلك في محبة. فإن المؤمنين يجدون فرحهم في معرفتهم بأن خطة الله ستسفر عن أعظم استعلان ممكن لمجده وأعظم فرح ممكن لشعبه.

أدعوك للإنضمام لي فيما يلي في جولة موجزة وسريعة عبر سير أحداث قصة الكتاب المقدس، حيث يعلن الله روعة قصده المذهل والأخّاذ، والذي يمتد من الأزل مرورًا بأزمنة التاريخ البشريّ ووصولاً إلى الأبديّة.

وسنبدأ جولتنا هذه من العهد القديم حيث يضع الله الرسوم الأوليّة لخطته. ثم سنذهب إلى الأناجيل لنرى كيف أتمّ يسوع المسيح كل ما يلزم لأجل تحقيق هذه الخطّة. وأخيرًا سوف ننظر إلى رسائل العهد الجديد ونبتهج من تسليم الروح القدس لكل ما وعد به الله وكل ما أتمّه المسيح إلى حياة كل شعب الله.

الله يقطع وعدًا: قصة العهد القديم

يكشف الله تدريجيًا عن خطته من خلال سبع مبادرات تمتلئ بوعود قطعها لكل شعبه:

الخلق

"فِي الْبَدْءِ خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ" (تكوين 1: 1). لا تحاول تخيّل هذا. فهو يكاد يكون مستحيلاً! لكن قبل هذا الخلق لم يكن هناك سوى الله. والله قد خلق كل شيء وكل شيء له. "لِلرَّبِّ الأَرْضُ وَمِلْؤُهَا. الْمَسْكُونَةُ، وَكُلُّ السَّاكِنِينَ فِيهَا" (مزمور 24: 1).

والآن، الق معي نظرة فاحصة على ما خلقه الله اليوم. انظر إلى السماء، فهي تحدّث بعمل يدي الله. واصغ إلى الطيور، فهي تشهد عن عناية الله الرائعة بها. كل رقاقة ثلج تشهد عن عظمته وجلاله.

وكل إشراقة شمس تحدّث بأمانته. "اَلسَّمَاوَاتُ تُحَدِّثُ بِمَجْدِ اللهِ، وَالْفَلَكُ يُخْبِرُ بِعَمَلِ يَدَيْهِ...لاَ قَوْلَ وَلاَ كَلاَمَ. لاَ يُسْمَعُ صَوْتُهُمْ" (مزمور 19: 1-3).

فإن الخليقة ككل تعكس مجد الله، لكن حين خلق الله الرجل الأول والمرأة الأولى قام بشيء ما له نظام وترتيب مختلف، لأنه قال: "نَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا، فَيَتَسَلَّطُونَ عَلَى سَمَكِ الْبَحْرِ وَعَلَى طَيْرِ السَّمَاءِ وَعَلَى الْبَهَائِمِ، وَعَلَى كُلِّ الأَرْضِ، وَعَلَى جَمِيعِ الدَّبَّابَاتِ الَّتِي تَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ" (تكوين 1: 26).

فقد خلق الله الرجل والمرأة على صورته. وهذا هو السبب وراء اختلافك عن النباتات، والحيوانات، والأسماك، والطيور. فإن جميعها مخلوقات خلقها الله، لكن البشر وحدهم هم من خُلقوا على مثال الله. وهذا يضفي على الحياة الإنسانيّة قيمة فريدة.

فقد اختار الله أن يوجدك. ولم ولن يخلق مثيلاً لك. ولهذا أنت لست صدفة، وليست حياتك وليدة العشوائيّة. لكنك الله هو من خلقك، وقد خُلقت له. والغرض النهائيّ لحياتك هو أن تعكس صورة فريدة عن يسوع المسيح. فأنت قد خلقت كي تمجد الله وكي تتمتع به إلى الأبد.

إذن ما الذي يعد به الله هنا؟ **يعد الله بأن يهب حياة لأناس سيعكسون مجده.**

لا يقدم الكتاب المقدس تفسيرًا وافيًا لأصل الشر، لكنه يخبرنا ببساطة بأن الله وضع الرجل والمرأة في جنة حيث كان كل شيء حسنًا. فقد كان طعامهما متوفرًا على الأشجار، وكان عملهما مجديًا، واتحادهما وفرحهما في الزواج كاملاً. كما أنهما اختبرا شركة مع الله، الذي كان يظهر لهما ويتمشى معهما في الجنة.

وكان هناك في الجنة شجرة تدعى "شجرة معرفة الخير والشر"، نهى الله آدم وحواء عن الأكل منها (تكوين 2: 17). وبما أن الخير كان هو كل ما عرفه آدم وحواء حتى تلك اللحظة، فإن الشيء الوحيد الذي كانا سيجنيانه بالتالي من عصيانهما لله هو معرفة الشر.

ثم جاءت الحية تغويهما بمعرفة الشر، وكان هذا هو ما اختاراه. فبعصيان آدم وحواء لله، نالا معرفة بالشر، ومنذ ذلك الحين علقنا جميعنا معهما في هذا. لكن الله أخذ زمام المبادرة وقطع وعدًا آخر.

الإهلاك

قال الله للحية: "مَلْعُونَةٌ أَنْتِ" (تكوين 3: 14)، وكان النطق باللعنة هذا يعني التعيين للهلاك. فقد كان الله يقول للحية: "ما فعلتِه لن يدوم، فإنك ستهلكين، وكل ما يمت بصلة للشر سيهلك معك". فإن نطق الله بلعنة على الحية يفتح أمامنا باب الرجاء.

ثم قال الله لآدم: "مَلْعُونَةٌ الأَرْضُ بِسَبَبِكَ" (تكوين 3: 17). لكن الأرض لم ترتكب أي خطأ! لقد استحق آدم اللعنة بسبب خطيته، لكن الله حول مسار اللعنة من الرجل والمرأة موجهًا إياها إلى الأرض، حتى لا يهلكهما مع الحية بل يصالحهما لنفسه.

إذن ما الذي يعد به الله هنا؟ **يعد الله بالقضاء على الشر وتخليص العالم من لعنته.**

وكيف لهذا أن يحدث؟ قال الله للشرير: "وَأَضَعُ عَدَاوَةً بَيْنَكِ وَبَيْنَ الْمَرْأَةِ، وَبَيْنَ نَسْلِكِ وَنَسْلِهَا. هُوَ يَسْحَقُ رَأْسَكِ، وَأَنْتِ تَسْحَقِينَ عَقِبَهُ" (تكوين 3: 15).

ووفقًا لهذا، سيظل الجنس البشري في صراع دائم مع الشر. وقد ثبتت صحة هذا عمليًا لدى كل إنسان في كل مجتمع ومكان وفي كل جيل. لكن الله هنا كان يتحدث عن نسل واحد، أي شخص ما سيدخل سلسلة نسل التاريخ الإنسانيّ، مولودًا من امرأة. هذا النسل سيقف إلى جانبنا. ويساندنا في هذا الصراع المرير، ويمثّلنا ضد كل قوى الشر. حقًا سيسحق إبليس عقبه، لكن فيما تقضم الحية عقبه، سيسحق مخلصنا رأسها.

وتواصلت حياة آدم وحواء خارج جنة عدن. فقد أنقذتهم نعمة الله من دينونة فوريّة، ومنحتهم رجاء في استرداد سيأتي في النهاية، لكنهما سرعان ما اكتشفا أن الشر الذي أطلق عصيانهما العنان له قد أسفر عن تغييرات مدمّرة فيهما ومن حولهما.

وسرعان ما تمزّقت العائلة البشريّة الأولى حين قتل قايين أخاه هابيل، ثم أمضى بقية حياته خائفًا من أن يُنتقَم منه لأجل فعلته (تكوين 4). وهكذا أثبتت معرفة الشر أنه يصحبها حقّاً ديناً لابد من سداده. فقد فصلت بالفعل الرجل والمرأة عن الله. وهي الآن قد مزّقت العائلة.

وفيما ازدادت وطأة العنف، اجتمع البشر معًا ليبنوا مدينة، آملين في إيجاد حل عن طريق الأمن الجماعيّ (تكوين 11). لكن ما ابتدأ بأمل كبير انتهى بخيبة الأمل حين تبدّد هؤلاء إلى الشمال، والجنوب، والشرق، والغرب، مدفوعين بخوفهم يفرقهم اختلاف اللغة.

ثم من بين جميع عشائر وأمم العالم التي كانت قد نشأت، اختار الله رجلاً واحدًا.

الاختيار

"أُبَارِكَكَ ... وَتَكُونَ بَرَكَةً... وَتَتَبَارَكُ فِيكَ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ" (تكوين 12: 2–3). لم يكن إبراهيم يعرف شيئًا عن الله على الإطلاق. فقد كان عابد آلهة أخرى، يحيا في ظلمة روحيّة تامة (يشوع 24: 2). لكن الله اجتاح حياته دون أن يتلقى دعوة منه وغيّره إلى الأبد.

فإن انتظر الله أن نسعى في طلبه، فربما كان سيظل منتظرًا حتى هذه اللحظة. فليس من يطلب الله (رومية 3: 11). ليس ولا واحد! فإننا بالطبيعة نهرب من الله. لكن إن كنا قد طلبناه وبحثنا عنه، فهذا سيكون لأنه هو من أخذ زمام المبادرة كي يطلبنا ويجتذبنا إليه.

وقد أظهر الله لإبراهيم أن هذا بالتحديد هو ما كان ينوي فعله في حياة أناس من كل أمة على الأرض. فهو كان على وشك أن يجمع شعبًا من كل عرق ولغة، ومن كل مستوى علميّ وماديّ، ويأتي بهم إلى المعرفة الكاملة لبركته.

إذن ما الذي يعد به الله هنا؟ **يعد الله بأن يبارك أناسًا من كل أمم وقبائل الأرض.**

هذه البركة لن تأتي إلى أناس من جميع الأمم من خلال إبراهيم نفسه أو من خلال نسله بوجه عام، بل من خلال ابن واحد يدعى "النسل"، كان عتيدًا أن يولد من نسل إبراهيم (غلاطية 3: 16). ولهذا السبب بالتحديد يتتبّع العهد القديم قصة نسل إبراهيم.

كان إبراهيم وسارة قد شاخا، ولم يكن لهما أبناء. لكن بواسطة معجزة من نعمة الله، حبلت سارة في شيخوختها وولدت ابنًا يدعى إسحاق. وكان ليعقوب، ابن إسحاق، اثنا عشر ابنًا هم من صاروا آباء أسباط إسرائيل الإثنا عشر.

وقد اعتنى الله بهذه العائلة الممتدة عناية خاصة. وحين هدّد الجوع حياتهم، دبر لهم الطعام في أرض مصر. وفي الأعوام التي تلت هذا، باركهم الله فنموا وامتدوا في العدد حتى تحوّلت العائلة التي كانت من قبل تتألف من حوالي سبعين شخصًا إلى شعب يتكون من حوالي مليوني شخص في فترة تقرب من أربعمائة عام.

وبينما شعب الله ينمو في العدد، كانوا يُذلّون ويُحتقرون. فقد عُوملوا بقسوة شديدة وصاروا عبيدًا بمصر. لكن الله رأى معاناتهم وتراءف عليهم.

الفداء

"فَقَالَ الرَّبُّ: «إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ مَذَلَّةَ شَعْبِي الَّذِي فِي مِصْرَ... فَنَزَلْتُ لأُنْقِذَهُمْ مِنْ أَيْدِي الْمِصْرِيِّينَ، وَأُصْعِدَهُمْ ... إِلَى أَرْضٍ تَفِيضُ لَبَنًا وَعَسَلاً" (خروج 3: 7–8). أقام الله رجلاً يدعى موسى، وأرسله إلى ملك مصر الوثني بهذا الأمر الإلهي: "أَطْلِقْ شَعْبِي" (خروج 5: 1). لكن هذا الملك لم يقرّ بسلطان الله، ورفض أمره هذا، فسقط تحت دينونته. أرسل الله أوبئة وضربات متوالية انتهت بدينونة مدمرة ساد فيها الموت جميع أنحاء الأرض.

ولكن قبل أن يرسل الله هذه الدينونة، أعطى شعبه وصية وقطع لهم وعدًا: كان على كل عائلة أن تذبح حملاً وتضع دمه على قائمتى الباب وعتبته العُليا مشيرة بهذا إلى أن الموت قد حل ببيتهم بالفعل (خروج 12: 7). وكان وعد الله: "فَأَرَى الدَّمَ وَأَعْبُرُ عَنْكُمْ" (خروج 12: 13).

وفي ليلة الفصح، عتقت ذبيحة الله شعبه من العبودية، وأنقذتهم من دينونته. وبعد ذلك، قطع الله عهدًا معهم: "وَأُسِيرُ بَيْنَكُمْ وَأَكُونُ لَكُمْ إِلهًا وَأَنْتُمْ تَكُونُونَ لِي شَعْبًا" (لاويين 26: 12).

ثم أعطى الله شعبه وصايا وحدد لهم نظم لتقديم الذبائح. فإننا أولاً بحاجة إلى الوصايا لأن الله يدعو شعبه أن يسلكوا في طرقه. فإن من يحملون اسمه لابد وأن يعكسوا صفاته وشخصيته. لكن شعب الله يحتاج أيضًا إلى ما هو أكثر من الوصايا. فإننا نحتاج إلى الذبائح، لأننا نظل خطاة يعوزنا مجد الله، مهما حاولنا بذل أقصى ما في وسعنا من جهد.

وهكذا تحرّر شعب الله من الدينونة من خلال دم حمل مذبوح. وعلى النحو ذاته، ستثبت شركتهم مع الله من خلال ذبيحة تقدَّم عن خطاياهم. إذن ما الذي يعد به الله الآن؟ **يعد الله بأن يصالح الخطاة لنفسه من خلال ذبيحة.**

لكن لم يكتف شعب الله بهذا النظام وهذا الترتيب ولم يقنعوا به، بل أرادوا ملكًا. فأعطاهم الله ملكًا من الصنف الذي أرادوه، لكن تسبب هذا في كارثة. ثم أعطاهم الله ملكًا آخر، ولهذا الرجل قطع الله وعدًا فائقًا.

التسلّط

"أُقِيمُ بَعْدَكَ نَسْلَكَ الَّذِي يَخْرُجُ مِنْ أَحْشَائِكَ وَأُثَبِّتُ مَمْلَكَتَهُ. هُوَ يَبْنِي بَيْتًا لاسْمِي، وَأَنَا أُثَبِّتُ كُرْسِيَّ مَمْلَكَتِهِ إِلَى الأَبَدِ" (2 صموئيل 7: 12–13).

شهد شعب الله في عهد الملك داود لمحة من بركة الله فاقت كل ما شهدوه قبلاً. فإذ أخضِع أعداؤهم وأمنت حدودهم، ازدهر الشعب ونما وامتد. لكن ماذا كان من المنتظر أن يحدث بعد داود؟

إن كل أب يبغي الأفضل لابنه، وهكذا نجح الله في أن يسترعي كل انتباه داود حين حدّثه عن نسله: فقد وعد الله أن يقيم ابنًا لداود ويثبت مملكته. وكان هذا الابن هو من سيتمم ويحقّق حلم داود ببناء بيت لاسم الله.

ثم قطع الله وعدًا آخر فائق العظمة حتى أن داود كان ينبغي أن يتمالك نفسه جيدًا كي يستوعبه. فقد وعد الله بأن يثبت مملكة ابن داود هذا إلى الأبد، وقال له: "أَنَا أَكُونُ لَهُ أَبًا وَهُوَ يَكُونُ لِيَ ابْنًا" (2

صموئيل 7: 14). وقد كان سليمان ابن داود المباشر هو أول ابن خطر على ذهن داود، إذ كان هو من كان عتيدًا أن يلي أباه في الحكم. لكن كان الوعد بسلالة ملك أبديّة من نسل داود (2 صموئيل 7: 16) يتطلع إلى ابن يتجازو كلاً من داود وسليمان. وكيف يمكن لأي مملكة أن تدوم إلى الأبد؟ وكيف سيصير ابن داود هذا هو أيضًا ابن الله؟

وفيما نتقدّم في قصة العهد القديم، نبدأ في تكوين صورة أوضح عن خطة الله، وعن الشخص الذي سيتمم ما يعد به الله: فإن الله يعد بأن يهب حياة لأناس سيعكسون مجده، وأن يقضي على الشر ويخلص العالم من لعنته، وأن يبارك أناسًا من كل الأمم، وأن يصالح الخطاة لنفسه من خلال ذبيحة عن الخطايا.

ذلك الشخص الذي سيحقق هذه الوعود سيأتي مولودًا من امرأة، من نسل إبراهيم ومن ذرّيّة داود. وهو ملك سيجلب معه بركة حكم الله. وسيكون الله اباه، وهو ابن لله. كما سيثبّت الله كرسي مملكته إلى الأبد. إذن ما الذي يعد به الله الآن؟ **يعد الله بأن شعبه سيحيا تحت بركة حكمه إلى الأبد.**

ثم تلا داود نسل من الملوك، بعضهم كانوا صالحين، لكن غالبيتهم كانوا أشرارًا. فقد عبد شعب الله آلهة أخرى وساروا في طرقها. فأرسل الله لهم رسلاً يدعون "أنبياء" يدعونهم إلى الرجوع إلى طاعتهم. ولكن قوبلت هذه الرسالة بالتجاهل والرفض على نطاق واسع. وهكذا تحرك الله، الذي لا يمكن أن تسقط كلمته، لتأديب وتقويم شعبه.

التقويم

"لأَنَّهُ هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: إِنِّي عِنْدَ تَمَامِ سَبْعِينَ سَنَةً لِبَابِلَ، أَتَعَهَّدُكُمْ وَأُقِيمُ لَكُمْ كَلاَمِي الصَّالِحَ، بِرَدِّكُمْ إِلَى هذَا الْمَوْضِعِ. لأَنِّي عَرَفْتُ الأَفْكَارَ الَّتِي أَنَا مُفْتَكِرٌ بِهَا عَنْكُمْ، يَقُولُ الرَّبُّ، أَفْكَارَ سَلاَمٍ لاَ شَرّ، لأُعْطِيَكُمْ آخِرَةً وَرَجَاءً" (إرميا 29: 10–11).

كان الأعداء قد اجتاحوا الأرض التي أعطاها الله لشعبه، فسُبي شعب الله. وسكنوا في بابل تحت تأديب الله، نائحين على طرقهم طوال سبعين سنة قضوها في حزن وتوبة.

لكن في وسط هذا التأديب شديد القسوة، كان الله يدفع بقصده نحو التتميم لشعبه. فإن الله يقبلنا ونحن في خطايانا، لكنه لا يتركنا قط فيها. فهو لا يكل من أن يدعونا كي نتبع طرقه، ولا يتوانى عن تقويمنا حين نحيد عنها. إذن ما الذي يعد به الله هنا؟ **يعد الله بأن يسلك كل شعبه في جميع طرقه.**

فحين يكتمل عمل الله الفدائيّ في حياتك، ستتمكن من أن تحب الله من كل قلبك، ومن كل نفسك، ومن كل فكرك، ومن كل قدرتك، وأن تحب قريبك كنفسك، وتشترك في فرح هذه المحبة مع شعب الله بأكمله إلى الأبد.

وحتى يأتي ذلك اليوم، لن يظل الله ساكنًا بينما يتعلّق شعبه بخطايا قد أخبروا قبلاً بوضوح أن نتركها. فإن الله ليس بصدد نقل بضعة خطاة غير متغيّرين، متمركزين حول ذواتهم، إلى أفراح الحياة الأبديّة. فهو يدعونا إلى الطاعة، وحين نقاوم دعوته هذه، فلابد أن نتوقع أن ندخل تحت تأديبه المحب الذي يرفض أن يتخلّى عنا.

وبعد مرور سبعين سنة، أعاد الله شعبه المؤدَّب إلى أرض الموعد مرة أخرى. وكان هذا الرجوع معجزة قامت بها نعمة الله، وكانت هذه المعجزة قد بدت مستحيلة. لكن الله أعطى في ذلك الحين رجلاً ما رؤيا بشأن ما هو عتيد أن يفعله.

الاسترداد

"يَا ابْنَ آدَمَ، هذِهِ العِظَامُ هِيَ كُلُّ بَيتِ إِسْرَائِيلَ. هَا هُمْ يَقُولُونَ: يَبِسَتْ عِظَامُنَا وَهَلَكَ رَجَاؤُنَا. قَدِ انْقَطَعْنَا. لِذلِكَ تَنَبَّأْ وَقُلْ لَهُمْ: هكذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: هأَنَذَا أَفتَحُ قُبُورَكُمْ وأُصْعِدُكُمْ مِنْ قُبُورِكُمْ يَا شَعْبِي، وَآتِي بِكُمْ إِلَى أَرْضِ إِسْرَائِيلَ. فَتَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ عِنْدَ فَتْحِي قُبُورَكُمْ وَإِصْعَادِي إِيَّاكُمْ مِنْ قُبُورِكُمْ يَا شَعْبِي" (حزقيال 37: 11-13)

إن وعود الله فائقة العظمة حتى أن الإيمان يصاب أمامها بالذهول. وهذا هو ما كان الأمر عليه بالنسبة لشعب الله في زمن حزقيال. فقد كانت أورشليم خربة، وقد هرب معظم شعبها أو ماتوا، أما من نجوا فكانوا سبايا في بابل تحت نظام لم يكن يعزم على إطلاقهم.

لقد كان شعب الله يعلمون وعوده جيدًا، لكن بدت الوعود المختصة بإهلاك الشر، ومباركة جميع الأمم، وأفراح مملكة داود وعودًا آتية من عالم آخر بعيد عن واقع كدحهم اليومي. فقد صعب على شعب الله أن يرنموا ترنيمة الرب في هذه الأرض الغريبة.

ثم أعطى الله حزقيال النبي رؤيا، حيث أراه واديًا ممتلئًا من العظام اليابسة. كانت تنطبق هذه الصورة تمامًا على وضع وحالة شعب الله، الذين كانوا يقولون: "يَبِسَتْ عِظَامُنَا وَهَلَكَ رَجَاؤُنَا. قَدِ انْقَطَعْنَا" (حزقيال 37: 11)، فقد بات الشعب يشعرون بأن حالتهم ميئوس منها.

وفي هذه الرؤيا، تنبّأ حزقيال بكلمة الله على العظام، وفي الحال تقاربت العظام معًا. ثم كساها العصب واللحم والجلد، وهب روح الله بنسمة حياة على هذه الجثث الهامدة، تمامًا كما نفخ الله بنسمة حياة في آدم. فقد كان الله يُصعد من القبر حياة جديدة. إذن ما الذي يعد به الله الآن؟ **يعد الله بحياة جديدة من القبر.**

خاتمة

يقدم العهد القديم قصة وعود الله المدهشة. والآن توقف وحاول استيعاب هذا جيدًا:

1) يعد الله بأن يهب حياة لأناس سيعسكون مجده.
2) يعد الله بالقضاء على الشر وتخليص العالم من لعنته.
3) يعد الله بأن يبارك أناسًا من جميع الأمم والشعوب.
4) يعد الله بأن يصالح الخطاة لنفسه من خلال ذبيحة عن الخطايا.
5) يعد الله بأن يحيا شعبه تحت بركة حكمه إلى الأبد.
6) يعد الله بأن يسلك كل شعبه في جميع طرقه.
7) يعد الله بأن يصعد حياة جديدة من القبر.

هذه الوعود مدهشة بكل المقاييس. والله وحده هو من كان يمكنه أن يقطعها، وهو وحده من يمكنه تتميمها. والآن لكي نكتشف كيف فعل الله ذلك، ونرى ما الذي يمكن أن تعنيه هذه الوعود لنا، نتجه الآن إلى العهد الجديد.

الله يوفي بالوعد: قصة الأناجيل

يقطع الله وعودًا فائقة العظمة حتى أنه هو وحده من يمكنه الوفاء بها، ولهذا أخذ الله جسدًا بشريًا في يسوع المسيح. دخل الخالق إلى نطاق خليقته. فقد جاء الله ووقف بجانبنا، عاملاً لأجلنا، كي يوفي بوعده الذي قطعه لنا. فإن الكلمة الذي كان عند الله والذي كان هو الله، الذي به كان كل شيء، قد صار جسدًا وحلّ بيننا (يوحنا 1: 2، 14). وتخبرنا الأناجيل بما حقّقه يسوع المسيح وأتمّه لأجل شعبه.

التجسد

"فَأَجَابَ الْمَلاَكُ وَقَالَ لَها: اَلرُّوحُ الْقُدُسُ يَحِلُّ عَلَيْكِ، وَقُوَّةُ الْعَلِيِّ تُظَلِّلُكِ، فَلِذلِكَ أَيْضًا الْقُدُّوسُ الْمَوْلُودُ مِنْكِ يُدْعَى ابْنَ اللهِ" (لوقا 1: 35).

أعلن الملاك لمريم أن يسوع سيكون "ابن العلي"، و "ابن الله" (لوقا 1: 32، 35)، كما كتب متى أنه "الله معنا" (متى 1: 23). ووصفه يوحنا باعتباره كلمة الله الذي صار جسدًا (يوحنا 1: 14).

لقد نطق الله بوعوده في صورة كلمات. ثم صار كلمته جسدًا، وحينئذ تمت هذه الوعود. فإن الله وحده هو من يمكنه أن يفي بما وعد به. ولهذا فإن حمد وشكر المؤمن له صلة وثيقة بالإقرار بأن يسوع المسيح هو الله وهو أيضًا إنسان في آن واحد. فكما وُلدنا نحن، وُلد المسيح أيضًا، كي يحيا حياتنا ويموت موتنا. فهو قد جاء إلينا، ووقف بجانبنا كي يعمل لأجلنا. فهو، كونه الله، أوفى بما وعد به الله، وكونه إنسانًا، استطاع أن يسلمنا هذه الوعود.

أيضًا أعلن الملاك أن يسوع قدوس: "القدوس" (لوقا 1: 35). وهذا شيء لم نره قبلاً في تاريخ العالم، ولن نراه ثانية: أي **إنسان** قدوس بالطبيعة. هذا الإنسان ينتمي حقّاً إلى السماء، وإذ هو الله، فهو يملك القدرة على اصطحاب آخرين معه إلى هناك.

إن اتحاد اللاهوت والناسوت معًا في يسوع المسيح، القدوس، يفتح لنا باب الرجاء. ويعبر جون كالفن عن هذا بصورة رائعة:

> باختصار، بما أن الله لم يكن ممكنًا له كإله فحسب أن يشعر بالموت، وكإنسان فحسب أن يغلب هذا الموت، فهو بالتالي قد جمع الطبيعة البشريّة والطبيعة الإلهيّة معًا، فكان يلزمه كي يكفر عن الخطايا أن يخضع ضعف الطبيعة البشريّة للموت، ومن خلال محاربته للموت بقوة وسلطان الطبيعة الإلهيّة، يربح لنا النصرة.[40]

كان هذا هو غرض التجسد. فإن الله – الإنسان وحده هو من كان باستطاعته أن يحضر وعود الله إلى جميع البشر. فولادة قدوس الله قادت إلى حياة ربنا يسوع المسيح الكاملة الخالية من الخطيّة.

التجربة

"أَمَّا يَسُوعُ فَرَجَعَ مِنَ الأُرْدُنِّ مُمْتَلِئًا مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ، وَكَانَ يُقْتَادُ بِالرُّوحِ فِي الْبَرِّيَّةِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا يُجَرَّبُ مِنْ إِبْلِيسَ" (لوقا 4: 1–2). لقد تحدّى المسيح إبليس حين كان مقتادًا بالروح ليُجرّب منه، فانتصر فيما أخفق فيه آدم. فقد جرّبت الحيّة يسوع ثلاث مرات، كما فعلت مع حواء وآدم. وبالرغم من أن التوازي واضح، لكن لابد ألا تفوتنا الاختلافات.

فقد كان المناخ مختلفًا اختلافًا واضحًا. فقد واجه حواء وآدم التجربة في جنة كان الطعام متوفرًا فيها على الأشجار في كل موضع من حولهم. لكن المسيح واجه التجربة في برية لم يكن فيها طعام، وكان جائعًا.

كما اختلف صاحب المبادرة الأولى. فقد جاء إبليس بحثًا عن المرأة في الجنة. أما المسيح فقد خرج وراء إبليس إلى البرية. فقد قاده الروح القدس إلى مواجهة مع الشيطان. لاحق المسيح الشيطان، وجذبه إلى العراء، وبادر بالمواجهة.

أما الاختلاف الأعظم فكان ناتج التجربة. ففيما أخفق آدم، انتصر المسيح. وبما أن إبليس كان قد أمطر المسيح بالفعل بأكثر تجاربه مهارة وإتقانًا، فهو كان مجبرًا على التقهقر "إِلَى حِينٍ" (لوقا 4: 13). فإن التغلّب على القدوس بالتجربة والغواية لم يكن حسبما اتضح أمرًا واردًا.

ولانتصار المسيح في التجربة أهمية ضخمة بالنسبة لنا. فقد جلب لنا إخفاق آدم البؤس والشقاء. حيث نقل نتائج وآثار إخفاقه إلى جميع من يستمدون حياتهم منه. فإننا ننتمي بالطبيعة إلى آدم الذي أخفق. ونشترك في إخفاقه هذا. وهكذا فإننا "تَحْتَ الْخَطِيَّةِ" (رومية 3: 9).

إلا أن انتصار المسيح يجلب لنا الرجاء. فكما نقل آدم نتائج وآثار إخفاقه إلى جميع من يستمدون حياتهم منه، هكذا أيضًا ينقل المسيح نتائج وآثار انتصاره إلى جميع من يستمدون منه **حياة جديدة**. فإننا بالنعمة وبواسطة الإيمان ننتمي إلى المسيح المنتصر. وهكذا نشترك في نصرته. ولهذا نحن "تَحْتَ النِّعْمَةِ" (رومية 6: 14).

لكن لايزال ضعف آدم الذي أخفق موجودًا فيك، ولهذا لابد أن تحترس جيدًا من التجربة. وفي المقابل أيضًا قوة المسيح، الذي غلب، هي فيك بالروح القدس، ولذلك حين نُجرَّب، نستطيع أن نثبت راسخين.

وبعد انتصار يسوع في البرية، "رَجَعَ يَسُوعُ بِقُوَّةِ الرُّوحِ إِلَى الْجَلِيلِ، وَخَرَجَ خَبَرٌ عَنْهُ فِي جَمِيعِ الْكُورَةِ الْمُحِيطَةِ" (لوقا 4: 14). وسيساعدك ما حدث بعد ذلك على إدراك وفهم ما نختبره ونجتاز فيه في حياتنا في العالم اليوم.

الرفض

"رُوحُ الرَّبِّ عَلَيَّ، لأَنَّهُ مَسَحَنِي لأُبَشِّرَ الْمَسَاكِينَ، أَرْسَلَنِي لأَشْفِيَ الْمُنْكَسِرِي الْقُلُوبِ، لأُنَادِيَ لِلْمَأْسُورِينَ بِالإِطْلاَقِ وَلِلْعُمْيِ بِالْبَصَرِ، وَأُرْسِلَ الْمُنْسَحِقِينَ فِي الْحُرِّيَّةِ، وَأَكْرِزَ بِسَنَةِ الرَّبِّ الْمَقْبُولَةِ. فَامْتَلأَ غَضَبًا جَمِيعُ الَّذِينَ فِي الْمَجْمَعِ حِينَ سَمِعُوا هذَا" (لوقا 4: 18–19، 28).

تخيّل معي هذا الجمع الصغير المجتمع في المجمع حين كان يسوع يقرأ من كلمة الله ويفسر معناها. فقد كانت كلماته مليئة بالرجاء، لكن الشعب لم يستجب بفرح بل بغضب وحنق شديد. فقد "امتلأوا غضبًا". وهكذا ومنذ البداية، رُفض يسوع المسيح الذي جاء لينقذنا في بعض دوائر خدمته، وتستمر هذه الفكرة عبر الأناجيل.

وفي موقف آخر، شفى يسوع رجلاً كانت يده يابسة. وكانت المعجزة مدهشة، لكن لاحظ معي رد الفعل، فقد "امْتَلأُوا (أي الفريسيون) حُمْقًا وَصَارُوا يَتَكَالَمُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ مَاذَا يَفْعَلُونَ بِيَسُوعَ" (لوقا 6: 11). وفي موقف آخر، أخرج المسيح أرواحًا نجسة من رجل كان يروع مدينته بالعنف. لكن حين رأى الناس الرجل الذي كان يعذبهم لاَبِسًا، وَعَاقِلاً، وجَالِسًا طلبوا إلى يسوع أن يذهب عنهم ويترك الموضع (لوقا 8: 37).

ولكن وصل نمط الرفض هذا إلى ذروته في صراخ الجمع مطالبين بصلب يسوع. وقد حاول بيلاطس التدخل ليثنيهم عن هذا، لكنهم "كَانُوا يَلِجُّونَ بِأَصْوَاتٍ عَظِيمَةٍ طَالِبِينَ أَنْ يُصْلَبَ. فَقَوِيَتْ أَصْوَاتُهُمْ" (لوقا 23: 23).

إننا نعيش في عالم رافض للمسيح. ولا يمكننا أن نفهم جيدًا العالم الذي نعيش فيه إلا إن استوعبنا هذا الكلام: أن المسيح "إِلَى خَاصَّتِهِ جَاءَ، وَخَاصَّتُهُ لَمْ تَقْبَلْهُ" (يوحنا 1: 11).

حين تقع الكوارث الطبيعية، يسأل الناس هذا السؤال: "لمَ لا يعمل الله شيئًا حيال هذا؟" لكنه حين جاء وهدّأ العاصفة، رفضناه. وحين يروّع مُسلّحون المدارس، نسأل هذا السؤال: "لمَ لا يعمل الله شيئًا حيال هذا؟" لكنّه حين جاء بالفعل وطرد الأرواح النجسة، طلبنا إليه أن يذهب عنّا. وحين يحل مرض السرطان، نسأل هذا السؤال: "لمَ لا يعمل الله شيئًا حيال هذا؟" لكنه حين جاء وشفى المرضى، رفضه الناس.

"إِلَى خَاصَّتِهِ جَاءَ، وَخَاصَّتُهُ لَمْ تَقْبَلْهُ". ولكن نشكر الله أن الأمر لم ينته عند هذا الحد. "**وَأَمَّا** كُلُّ الَّذِينَ قَبِلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ سُلْطَانًا أَنْ يَصِيرُوا أَوْلاَدَ اللهِ، أَيِ الْمُؤْمِنُونَ بِاسْمِهِ" (يوحنا 1: 12).

وهكذا، فإن هذا هو وضعنا نحن كمؤمنين: فإننا نحيا في عالم رافض للمسيح بكل ما فيه من خطيّة وموت، لكننا في المقابل ننتمي إلى عشيرة تمجد المسيح وترفّعه بكل ما فيها من حياة وفرح. وهكذا فإننا نختبر كلاً من آلام هذا العالم الساقط، **مع** رجاء جميع من هم في المسيح **في الوقت ذاته.**

وبينما كان العالم رافضًا ليسوع، صعد إلى جبل مع ثلاثة من تلاميذه.

التجلي

"وَفِيمَا هُوَ يُصَلِّي صَارَتْ هَيْئَةُ وَجْهِهِ مُتَغَيِّرَةً، وَلِبَاسُهُ مُبْيَضًّا لاَمِعًا [في الترجمة الإنجليزية: كلمعان البرق]" (لوقا 9: 29)، فقد استطاع بطرس ويعقوب ويوحنا رؤية مجد، ولمعان، وبهاء يسوع المسيح. أي رأوا ما تراه الملائكة في السماء، وما ستراه يومًا ما عين كل إنسان. وما مدى لمعان شعاع البرق؟ فإن يسوع الذي عرفه هؤلاء الرجال كصديق، كان ولا يزال هو "بهاء [لمعان] مجد الله" (عبرانيين 1: 3).

لكن هناك المزيد أيضًا: "وَإِذَا رَجُلاَنِ يَتَكَلَّمَانِ مَعَهُ، وَهُمَا مُوسَى وَإِيلِيَّا، اَللَّذَانِ ظَهَرَا بِمَجْدٍ" (لوقا 9: 30–31). لقد عاش موسى وإيليا وماتا منذ مئات الأعوام. والآن ويا للعجب كانا ظاهرين مع يسوع يتشاركان في مجده.

ثم تكلم الله القدير من السحابة قائلاً: "هذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ. لَهُ اسْمَعُوا" (لوقا 9: 35). حقًا إن العالم اليوم يرفض المسيح. لكن الله يدعوك أن تسمع له. فقد اختاره الله، وهو قادر أن يأتي بالبشر الأموات إلى المجد!

لم يبق التلاميذ فوق الجبل إلى الأبد. فقد انقشعت السحابة، واختفى موسى وإيليا عن الأنظار، ورجع وجه يسوع كما عرفوه قبلاً. فقد كان لزامًا على التلاميذ أن يحيوا بالإيمان، كما نحيا نحن أيضًا. وحين نزلوا من فوق الجيل، ساروا مرة أخرى صوب عالم ملئ بالشر العظيم وبالحاجة العميقة والماسة.

الصلب

"وَلَمَّا مَضَوْا بِهِ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي يُدْعَى «جُمْجُمَةَ» صَلَبُوهُ هُنَاكَ" (لوقا 23: 33). لقد وصلت خطايانا إلى ذروة بشاعتها وظهرت في أسوأ صورها في الصليب. فإننا جميعنا قد عصينا وصايا الله، ثم صلبنا ابن الله. لقد كان لابد أن تسقط دينونة الله على الجنس البشري، لكن الله حول مسار هذه الدينونة التي نستحقها لتسقط على موضع آخر.

وفيما كان الجنود يسمّرون يسوع إلى الصليب، صلى سيدنا قائلاً: "يَاأَبَتَاهُ، اغْفِرْ لَهُمْ، لأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ" (لوقا 23: 34). فحين قال يسوع هذا، كان يفرز نفسه ويضعها تحت دينونة الله. فهو

قد علم أن تلك الدينونة كانت قادمة في ذلك اليوم، وقد كان. لكنه صلى للآب قائلاً: "لا تدعها تسقط فوقهم، دعها تأتي عليَّ أنا".

وهذا هو ما حدث في الجلجثة. فقد سقطت العقوبة المستحَقة عن خطاياك على يسوع. وصار المسيح هو عمود البرق [المترجم: عمود يوضع فوق المباني المرتفعة ليمتص شحنات البرق الكهربائيّة لحماية المباني] الذي امتص كل دينونتنا، وأطلق العنان للغفران بآلامه وموته على الصليب لأجلك. فقد سقطت اللعنة على يسوع لأنه "حَمَلَ هُوَ نَفْسُهُ خَطَايَانَا" (1 بطرس 2: 24)، إذ "وُضع عليه" ثقل إثمنا (إشعياء 53: 6)، وصار ذبيحة عن خطايانا.

وهكذا فقد غيّر موت المسيح من طبيعة موت كل شعبه. فإنك حين تموت، لن تحمل معك في موتك خطاياك وذنوبك لأن المسيح حملها في **موته** عنك. وهكذا، فإن كنت في المسيح، فإنك لن تختبر قط ماذا يعنيه أن تموت ميتة محملة بالخطايا.

حين وصلت خطايانا إلى ذروة بشاعتها، ظهرت محبة الله بكل مجدها. إن كنت تعاني من الشك في محبة الله لك، الق نظرة على الصليب. فلا توجد محبة أخرى يمكنها أن تضاهي هذه المحبة. ولا شيء في كل ما اختبرناه يمكنه أن يقاربها. فإن محبّة الله لنا في المسيح أعظم مما جرؤنا أن نحلم به يومًا على الإطلاق.

القيامة

"لَيْسَ هُوَ هٰهُنَا، لكِنَّهُ قَامَ!" (لوقا 24: 6). في صباح القيامة، ذهبت مجموعة من النساء إلى القبر حيث كان جسد يسوع موضوعًا، فوجدنه فارغًا. لم يكن الخبر السار الذي سمعنه هو أن "يسوع حي" بل كان أنه "قد قام". فقد كان ابن الله حيًا بالفعل في السماء قبل أن يأخذ جسد بشر. وكان بإمكانه أن يعود إلى السماء، تاركًا جسده المصلوب بداخل القبر. وكان بوسع الملائكة أن يقولوا: "إن جسده في القبر، لكن لا تخفن، فإن روحه الآن مع الآب في السماء". لكن هذا لم يكن من شأنه أن يتمم خطة الله لفدائنا.

حين خلق الله الملائكة، خلقهم أرواحًا دون أجساد، وحين خلق الحيوانات، خلقها أجسادًا دون أرواح. لكنه في المقابل خلقنا نحن مزيجًا فريدًا بين الجسد والروح.

إلا أن الموت يفرّق ما جمعه الله. فهو تخريب لطبيعتنا، ولهذا فالموت عدو شديد البشاعة. لكن المسيح اجتاز الموت، وانتصر عليه، وخرج منه حيًا. فهو قد جاء لفداء حياتك – روحًا وجسدًا – ولكي يُوقِفَنا أَمَامَ مَجْدِهِ بِلاَ عَيْبٍ فِي الابْتِهَاجِ ويقدمنا لأبيه في السماء (يهوذا 24).

ثم لاحقًا فتح المسيح أذهان التلاميذ لكي يتسنّى لهم فهم أن رسالة الكتاب المقدس ككل تقود إلى موته وقيامته، وتتبع منهما. فقد قال لهم: "وَهكَذَا كَانَ يَنْبَغِي أَنَّ الْمَسِيحَ يَتَأَلَّمُ وَيَقُومُ مِنَ الأَمْوَاتِ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ، وَأَنْ يُكْرَزَ بِاسْمِهِ بِالتَّوْبَةِ وَمَغْفِرَةِ الْخَطَايَا لِجَمِيعِ الأُمَمِ" (لوقا 24: 45–47).

لقد كان المسيح واضحًا وضوح الشمس بشأن الرسالة التي كان على الرسل أن يكرزوا بها: التوبة ومغفرة الخطايا. التوبة تعني أن تغيّر فكرك بالكامل بشأن خطاياك وتغيّر موقفك ككل تجاه يسوع المسيح. فإنك في التوبة تعزل نفسك عن رفض العالم ليسوع، وتعلن انتماءك له، واثقًا في رحمته، وواضعًا نفسك تحت سلطانه.

أما الغفران فهو يعني قبول يسوع المسيح لك في المحبة. فهو يطهر إثمك، ويصالحك لله الآب، ويدخل إلى حياتك بروحه القدوس، مانحًا إيّاك القوّة لتحيا حياة الإيمان الجديدة وتحيا الطاعة التي يدعوك إليها.

الصعود

"وَرَفَعَ يَدَيْهِ وَبَارَكَهُمْ. وَفِيمَا هُوَ يُبَارِكُهُمْ، انْفَرَدَ عَنْهُمْ وَأُصْعِدَ إِلَى السَّمَاءِ" (لوقا 24: 50–51). إن آخر مشهد رآه التلاميذ ليسوع كان صعوده رافعًا يديه، ومباركًا إيّاهم. لقد أُكمِل عمل يسوع الكفاريّ على الصليب. لكن استمر عمله في مباركة التلاميذ حتى بينما كان يصعد إلى السماء. ولابد أن هذه الحقيقة الرائعة قد انطبعت في أذهانهم وقلوبهم من خلال مشهد صعود المسيح.

واليوم لايزال المسيح، وهو عن يمين الآب، يبارك شعبه. فإن يديه ليستا مرفوعتين ضدنا، بل لأجلنا. وهو لا ينطق علينا باللعنة بل بالبركة. فإن كلامه حياة. حين تكون "في المسيح" فإن كل ما له يصير لك. فإن موته المحمل بالخطايا هو لك، وقيامته أيضًا لك، ويومًا ما ستشترك معه أيضًا في صعوده.

> لأَنَّ الرَّبَّ نَفْسَهُ بِهُتَافٍ، بِصَوْتِ رَئِيسِ مَلاَئِكَةٍ وَبُوقِ اللهِ، سَوْفَ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَمْوَاتُ فِي الْمَسِيحِ [أي المؤمنون الذي اجتازوا الموت ودخلوا محضر يسوع] سَيَقُومُونَ أَوَّلاً. ثُمَّ نَحْنُ الأَحْيَاءَ الْبَاقِينَ سَنُخْطَفُ جَمِيعًا مَعَهُمْ فِي السُّحُبِ لِمُلاَقَاةِ الرَّبِّ فِي الْهَوَاءِ (1 تسالونيكي 4: 16–17).

فحين يأتي المسيح في مجده، سيشترك جميع خاصته معه في صعوده. وستقوم أجساد من ماتوا. وتتغير أجساد الأحياء، ويصير شعب الله المفدي في المسيح معه إلى الأبد.

خاتمة

نجد فيما يلي الموجز المذهل لما يعد به الله في يسوع المسيح. فقد جاء يسوع وعاش ومات وقام ثانية كي:

1) نصير خليقة جديدة تعكس صورة الله كليّة.
2) نخلص ونتحرّر من لعنة الشر.
3) نتمتّع ببركة الله مع أعداد غفيرة من المفديين من كل الأمم والشعوب.
4) نتصالح مع الله بالمسيح، الذي قدّم نفسه ذبيحة عن خطايانا.
5) نحيا تحت بركة حكم الله إلى الأبد.
6) نسلك في طرق الله، ونحبه من كل قلبنا، ونحب قريبنا كنفسنا.
7) نأخذ حياة جديدة من القبر.

ويختم الله جميع وعوده بكلمة "نعم" في يسوع (2 كورنثوس 1: 20)، فإن يسوع هو الضوء الأخضر لجميع وعود الله، ويمكنك أن تحظى بيقين كامل في أن كل ما وعد به الله هو لك فيه.

سنتجه الآن إلى رسائل العهد الجديد، لنرى كيفيّة تطبيق الروح القدس لكل ما أتمّه المسيح في حياة شعبه.

الكنيسة تنقل الوعد: قصة سفر الأعمال

قبل صعود يسوع إلى السماء، وعد تلاميذه بأن يرسل لهم الروح القدس. فقد كان المسيح ذاهبًا مرة أخرى إلى الآب في السماء، لكن حضوره وقوته كانا سيمكثان معهم وفيهم بالروح القدس.

وتحقّق وعد الله هذا في يوم الخمسين. وفي هذا اليوم، خاطب بطرس جمعًا كبيرًا من كل الشعوب المجتمعين في أورشليم. وتحدث عن حياة، وموت، وقيامة يسوع، ثم أعلن وهو ممتلئ من الروح القدس "أَنَّ اللهَ جَعَلَ يَسُوعَ هذَا، الَّذِي صَلَبْتُمُوهُ أَنْتُمْ، رَبًّا وَمَسِيحًا" (أعمال الرسل 2: 36).

ومن الواضح أن الواقفين هناك في ذلك اليوم صدّقوا ما كان بطرس يخبرهم به. وإلا كانوا سيجادلونه أو ببساطة كانوا سيمضون بعيدًا. لكن لم يكن هذا رد فعلهم. "فَلَمَّا سَمِعُوا [أي رسالة بطرس المختصة بيسوع] نُخِسُوا فِي قُلُوبِهِمْ، وَقَالُوا لِبُطْرُسَ وَلِسَائِرِ الرُّسُلِ: «مَاذَا نَصْنَعُ أَيُّهَا الرِّجَالُ الإِخْوَةُ؟»" (أعمال الرسل 2: 37).

حينئذ أجابهم بطرس: "توبوا" (أعمال الرسل 2: 38). هذا الرد له أهمية خاصة. فإن الإيمان الحقيقي دائمًا ما يتضمن التوبة، والتوبة الحقيقية دائمًا ما تتضمن الإيمان. فإن الإيمان والتوبة وجهان

لعملة واحدة، لا يمكنك أن تحصل على الواحد دون الآخر. فالإيمان والتوبة ينشآن معًا حين تدرك محبة الله ورحمته في يسوع المسيح.

ثم استطرد بطرس في حديثه قائلاً: "تُوبُوا وَلْيَعْتَمِدْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ عَلَى اسْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ" (أعمال الرسل 2: 38). فقد كان بطرس يخبرهم بأن يصرّحوا علنًا بانتمائهم للرب يسوع المسيح، وينالوا علامة، أو ختم وعد الله. فإن الله يعد بغفران الخطايا ومنح هبة الروح القدس لكل من يدعوه الله (أعمال الرسل 2: 38–39). فالله سيغفر لك. وسيصالحك لنفسه. وسيهبك المسيح حياة جديدة بالروح القدس الذي سيُعطيه لك.

يجدر بنا أن نتذكر أن بطرس كان يتحدث في المدينة نفسها التي صلب فيها يسوع منذ فقط خمسين يومًا. وهكذا فإن بعض من تواجدوا هناك في يوم الخمسين أيضًا كانوا وسط الحشود التي صرخت مطالبة بصلب يسوع، قائلين: "دَمُهُ عَلَيْنَا وَعَلَى أَوْلاَدِنَا" (متى 27: 25)، و**لأولئك أنفسهم** تحدّث بطرس عن غفران المسيح وعطية روحه القدوس: "لأَنَّ الْمَوْعِدَ هُوَ لَكُمْ وَلأَوْلاَدِكُمْ وَلِكُلِّ الَّذِينَ عَلَى بُعْدٍ، كُلِّ مَنْ يَدْعُوهُ الرَّبُّ إِلهُنَا" (أعمال الرسل 2: 39).

إن الموعد هو "لَكُمْ". فإن آمنتم بالرب يسوع المسيح، وتركتم خطاياكم، سيغفر الله لكم كل ما ارتكبتموه من خطايا. ويهبكم روحه القدوس، مؤهّلاً إيّاكم بهذا للتحرّر من طرقكم القديمة لتحيوا في حياة جديدة.

وهذا الموعد "لأَوْلاَدِكُمْ". أي أنه ليس مقتصرًا على جيل واحد عاش منذ ألفي عام. فهو ليس مقتصرًا على الماضي. ولا يسقط بالتقادم. بل يمتد الوعد عبر القرون، وهو لنا اليوم.

الموعد أيضًا هو "لِكُلِّ الَّذِينَ عَلَى بُعْدٍ". فإن وعد الغفران والحياة الجديدة في يسوع المسيح هو لأناس من أي حال وخلفيّة. إن كنت اليوم تشعر بالبعد عن الله، فإن هذا الموعد لك.

لقد وعد الله أنه من خلال نسل إبراهيم سيتبارك أناس من جميع أمم الأرض. فإن الغفران والحياة الجديدة في يسوع المسيح هما وعد الله لمن هم في أفريقيا، وآسيا، وأمريكا، وأوروبا، واستراليا، والقارة القطبيّة الجنوبيّة. وإرساليّة الكنيسة هي أن تنقل هذا الخبر السار بشأن يسوع المسيح إلى كل إنسان.

الموعد هم "لِكُلِّ مَنْ يَدْعُوهُ الرَّبُّ إِلهُنَا". إن الله يدعو من خلال رسالة الإنجيل. فالله كان يدعو الواقفين هناك في ذلك اليوم فيما كان بطرس يتحدث عن المسيح. والله يدعوك اليوم، فيما تقرأ خبر الإنجيل السار. فاليوم يوجد غفران وحياة جديدة لك في يسوع المسيح.

الروح القدس يقوم بتسليم الوعد: قصة رسائل العهد الجديد

كيف تبدو هذه الحياة الجديدة التي في المسيح؟ وماذا يحدث حين ينقل الروح القدس وعد الله إلى داخل شخص يتوب ويؤمن؟ وماذا فعل الله لأجلك وفيك من خلال يسوع المسيح؟

تأخذنا رسائل العهد الجديد إلى أعماق وعد الله لكي تُظهر لنا كل ما لنا في يسوع المسيح. وأريدك أن ترى حركة انتشار وامتداد عمل الله الفدائيّ في حياة الإنسان. وهذا العمل يبدأ بالتجديد.

التجديد: نلت حياة جديدة

"مُبَارَكٌ اللهُ أَبُو رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي حَسَبَ رَحْمَتِهِ الْكَثِيرَةِ وَلَدَنَا ثَانِيَةً لِرَجَاءٍ حَيٍّ، بِقِيَامَةِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ مِنَ الأَمْوَاتِ... مَوْلُودِينَ ثَانِيَةً، لاَ مِنْ زَرْعٍ يَفْنَى، بَلْ مِمَّا لاَ يَفْنَى، بِكَلِمَةِ اللهِ الْحَيَّةِ الْبَاقِيَةِ إِلَى الأَبَدِ" (1 بطرس 1: 3، 23).

حين خلق الله السماوات والأرض، كان كوكبنا خربًا وخاليًا، أي كانت تعمّه فوضى مظلمة وسبخة. وكان روح الله يرف على وجه المياه (تكوين 1: 2). ثم خلق الله النور بكلمة نطق بها في وسط الظلمة، فجلب الحياة للعالم. لقد صنع الله جمال الأرض.

وهكذا فإن الروح القدس نفسه الذي كان يرف على وجه المياه في أثناء الخلق يشبه الريح التي تهب على حياة البشر (يوحنا 3: 8). فهو يُضيء لأناس لا يستطيعون رؤية مجد المسيح (2 كورنثوس 4: 4)، وهو يجلب حياة جديدة لأموات تجاه أمور الله (أفسس 2: 1).

يقول يسوع: "الْمَوْلُودُ مِنَ الرُّوحِ هُوَ رُوحٌ" (يوحنا 3: 6). حين يجدّدك الروح القدس، فهو يغيّر فيك حتى يتسنّى لك أن تحب المسيح بذهن جديد وقلب جديد، وحتى تثق فيه، وتتبعه طوعًا. ويصف يسوع هذه المعجزة بأنها أن "تولد ثانية"، أو أن "تولد من الروح" (يوحنا 3: 7–8). فوراء كل إيمان تكمن هذه المعجزة التي تجريها نعمة الله المُجدّدة.

وتعد نقطة التلاقي بين التجديد والإيمان لغزًا ينبغي أن يؤدي بك إلى السجود والعبادة. فإن أبناء الله يتميّزون ويُعرَفون من خلال إيمانهم بالرب يسوع المسيح. "وَأَمَّا كُلُّ الَّذِينَ قَبِلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ سُلْطَانًا أَنْ يَصِيرُوا أَوْلاَدَ اللهِ، أَيِ الْمُؤْمِنُونَ بِاسْمِهِ" (يوحنا 1: 12).

لكن لماذا آمنت أنت دون آخرين؟ ولمَ أقبلت إلى الإيمان في وقت معين، وليس قبل هذا الحين أو بعده؟ لقد أخذ الله زمام المبادرة في تجديدك. فالله هو الذي فتح عينيك كي ترى مجد المسيح. لقد رفّ الروح القدس على وجه الفوضى المظلمة لحياتك وصنع منك خليقة جديدة في المسيح.

أيمكنك أن تدرك أن الله قد أجرى أمرًا مذهلاً بداخلك، مانحًا إيّاك حياة جديدة من فوق؟ لقد وهبك الله قلبًا جديدًا. ووضع فيك روحه القدوس. وأعطاك ولادة جديدة لرجاء حي بقيامة يسوع المسيح من الأموات (1 بطرس 1: 3).

الاتحاد: أنت في المسيح

"أَمْ تَجْهَلُونَ أَنَّنَا كُلَّ مَنِ اعْتَمَدَ لِيَسُوعَ الْمَسِيحِ اعْتَمَدْنَا لِمَوْتِهِ، فَدُفِنَّا مَعَهُ بِالْمَعْمُودِيَّةِ لِلْمَوْتِ، حَتَّى كَمَا أُقِيمَ الْمَسِيحُ مِنَ الأَمْوَاتِ، بِمَجْدِ الآبِ، هكَذَا نَسْلُكُ نَحْنُ أَيْضًا فِي جِدَّةِ الْحَيَاةِ؟" (رومية 6: 3–4).

حين أعمّد الناس، فإني أقوم بتغطيسهم في الماء. وهكذا حين يعتمد شخص ما بالروح القدس، فهو يُدفَن أو يغطس "في الروح"، وبهذا يتحد بالمسيح. هذا الاتحاد بالمسيح هو الحقيقة الرائعة التي تشير إليها معمودية الماء.

وقد وصف مارتن لوثر اتحاد المؤمن بالمسيح مستخدمًا صورة الزواج، مستعيرًا فكرته من العهد الجديد:

> إن الإيمان ... يوحّد النفس بالمسيح مثلما تتّحد العروس بعريسها. ومن خلال هذا السر، كما يُعلّم الرسول، يصير المسيح والنفس جسدًا واحدًا. وما داما قد صارا جسدًا واحدًا، وبينهما زيجة حقيقية ... فإن كل ما لهما يصير مشتركًا بينهما ... ووفقًا لهذا فإن النفس المؤمنة يمكن أن تفتخر بكل ما للمسيح وتتهلّل به، وكأنّه لها.[41]

كنت أفكر مُؤخرًا في بعض الرفاق في الكنيسة التي خدمنا بها في إنجلترا، وكيف أني لم أبذل سوى جهدًا ضئيلاً للغاية للبقاء على تواصل معهم. ثم تذكّرت أيضًا بعض المشاريع الأخرى التي كنت متأخرًا في إنجازها، وهكذا كنت أواجه يومًا من قبيل "ويحي أنا الإنسان الشقي". وفي الصباح التالي، كانت كارين زوجتي تجلس على طاولة الطعام منهمكة في كتابة خطابات ورسائل الكريسماس. فعلمت أنها طوال الأعوام الماضية كانت ترسل ما يزيد عن مائة بطاقة تهنئة إلى انجلترا، كل منها تحمل ملاحظة مكتوبة بخط اليد، تقوم بتوقيعها: "من كارن **وكولن**".

وهكذا وفيما كنت أرى إخفاقي البائس في البقاء على تواصل مع أولئك الأشخاص، كنت بالفعل قد كتبت لهم رسالة سنويًا طوال الأربعة عشر عامًا الماضية! فقد كنت مخفقًا وحدي، بينما حين أرى نفسي متحدًا بزوجتي، أفرح إذ أشترك فيما فعلته. إذ أرسلت بطاقة تحمل اسمي سنويًا!

لقد أتمّ المسيح لنا ما قد أخفقنا في فعله بأنفسنا. فهو قد عاش الحياة التي لم نحياها نحن ولا نستطيع أن نحياها. لكن حين نكون "في المسيح"، يصير كل ما فعله لنا؛ أي أن كلاً من حياته، وموته، وقيامته تحمل اسمنا عليها وكأنها تخصّنا.

هذا هو ما يعنيه الاتحاد بالمسيح. فما كان يعنيه للمسيح هو أن يُسمّر فوق الصليب. وما يعنيه لنا هو التبرير.

التبرير: إعلان برك

"فَإِذْ قَدْ تَبَرَّرْنَا بِالإِيمَانِ لَنَا سَلاَمٌ مَعَ اللهِ بِرَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ" (رومية 5: 1). كلمة "تبررنا" كلمة قانونيّة تصف حكم تبرئة. حين يُبرّر الله شخصًا ما، فهو يُعلن بكون هذا الشخص بارًا. وفي المقابل حين يدين شخصًا ما، فهو يصرّح بكونه مذنبًا. فإن التبرير والإدانة يتعلّقان بالإقرار بصحة شيء صحيح بالفعل.

حين تسود العدالة، يصدر الحكم على المذنب، ويتم تبرئة البرئ. إلا أن حكم التبرئة لا يجعل من رجل ما بريئًا، بل براءته الفعليّة هي التي تؤدي لتبرئته. وهكذا أيضًا إصدار الحكم على شخص ما لا يجعل منه مجرمًا، بل جرمه الفعلي هو الذي يؤدي للحكم عليه.

لابد لنا أن نتوقع، على سبيل العدالة البسيطة والمعروفة، أن يدين الله الخطاة ويبرر الأبرار. لكن إليكم الخبر المذهل: فإن الله يبرّر الخطاة. حاول أن تسمح لهذا التناقض الشديد أن يتغلغل داخل ذهنك. فإن الله يبرّر **الخطاة!** كيف له أن يفعل هذا؟

قدّم الله المسيح كفّارة عن خطايانا (رومية 3: 25). وهذا يعني أنه حين مات يسوع، انسكب فوقه كل الغضب والعداوة التي يذخرها الله في عدل تجاه الخطية، والفساد، والشر. وكان هذا الغضب يشبه كأسًا ممتلئة بدينونة الله، شربها يسوع حتى فرغت تمامًا. ففي الصليب امتص المسيح دينونة الله التي كنّا نستحقّها نحن عن خطايانا.

إن الإيمان يُوحّدنا بالمسيح، فحين نكون "في المسيح"، يحسب الله جميع خطايانا للمسيح وكأنّها خطاياه الشخصيّة، ويحسب برّه لنا وكأنّه برّنا نحن. فقد حمل المسيح دينونتنا وعقوبتنا، ونحن نتبرّر فيه. فمن خلال الصليب، أظهر الله بِرِّهِ لِيَكُونَ بَارًّا وَيُبَرِّرَ مَنْ هُوَ مِنَ الإِيمَانِ بِيَسُوعَ (رومية 3: 26).

فإن كان الله يبرّر الأبرار فحسب، فكيف يكون لنا أي رجاء؟ لكن الخبر السار هو أن الله يبرّر الفجّار (رومية 4: 5). وحين نتّحد بالإيمان بيسوع المسيح، تصير قوة ذبيحته الكفاريّة لنا. فنتحرر من خوفنا من الدينونة التي نستحقها عن خطايانا وجرمنا، ونُقبِل إلى محبته الرائعة والفائقة.

التّبني: أنت محبوب

"وَلكِنْ لَمَّا جَاءَ مِلْءُ الزَّمَانِ، أَرْسَلَ اللهُ ابْنَهُ مَوْلُودًا مِنِ امْرَأَةٍ، مَوْلُودًا تَحْتَ النَّامُوسِ، لِيَفْتَدِيَ الَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ، لِنَنَالَ التَّبَنِّيَ. ثُمَّ بِمَا أَنَّكُمْ أَبْنَاءٌ، أَرْسَلَ اللهُ رُوحَ ابْنِهِ إِلَى قُلُوبِكُمْ صَارِخًا: «يَا أَبَا الآبُ». إِذًا لَسْتَ بَعْدُ عَبْدًا بَلِ ابْنًا، وَإِنْ كُنْتَ ابْنًا فَوَارِثٌ للهِ بِالْمَسِيحِ" (غلاطية 4: 4–7)

إن الله يتبنّانا في المسيح داخل عائلته ويحبّنا كأبناؤه وبناته. ولا يوجد اختبار محبة أيّا كان يمكن مقارنته بمحبّة الله لك في المسيح. فقد يتعهّد أحدهم أن يحبنا "حتى يفرق بيننا الموت"، لكن الله يتعهّد بأن يحبنا في الحياة، وعبر الموت، وإلى الأبديّة. لا يوجد آخر يمكنه أن يقول لنا: "لاَ أُهْمِلُكَ وَلاَ أَتْرُكُكَ" [الترجمة الإنجليزيّة: لن أهملك أبدًا ولن أتركك أبدًا] (عبرانيين 13: 5).

إن الله يحبنا محبة أبديّة. وهذا يعني أنّه أحبّنا قبل أن نُولد بل وقبل خلق العالم. فقد كنّا في فكر المسيح حين جاء إلى العالم، وحين تعلّق فوق الصليب، وحين قام من الأموات.

وعمل الروح القدس الخاص هو أن يُقنعنا بأننا أبناء الله الأحباء: "لأَنَّ مَحَبَّةَ اللهِ قَدِ انْسَكَبَتْ فِي قُلُوبِنَا بِالرُّوحِ الْقُدُسِ الْمُعْطَى لَنَا" (رومية 5: 5). فإن الروح القدس يجعل محبة الله واقعًا ملموسًا اختباريًا. وهو يربطنا بحقيقة محبة الله لنا التي ظهرت بشكل قاطع في الصليب.

أحد التحدّيات التي سوف تواجهها في الحياة المسيحيّة هي أن تفطم نفسك عن عادة محاولة تمييز محبة الله على أساس المشاعر أو الظروف. فإن غريزتنا الفطريّة والطبيعيّة تُملي علينا بالشعور بأن الله يحبنا حين نكون أصحّاء، ولدينا وظيفة جيدة، وحين تسير الحياة على ما يرام. لكن حين تسوء الأوضاع، فإن غريزتنا الفوريّة هي التشكّك في محبة الله وافتراض الأسوأ.

ما ينبغي علينا فعله هو أن نذكّر أنفسنا بالاستعلان غير المحدود لمحبة الله في الصليب: "اَلَّذِي لَمْ يُشْفِقْ عَلَى ابْنِهِ، بَلْ بَذَلَهُ لأَجْلِنَا أَجْمَعِينَ، كَيْفَ لاَ يَهَبُنَا أَيْضًا مَعَهُ كُلَّ شَيْءٍ؟" (رومية 8: 32).

التقديس: ستصير مقدّسًا

"وَإِلهُ السَّلاَمِ نَفْسُهُ يُقَدِّسُكُمْ بِالتَّمَامِ. وَلْتُحْفَظْ رُوحُكُمْ وَنَفْسُكُمْ وَجَسَدُكُمْ كَامِلَةً بِلاَ لَوْمٍ عِنْدَ مَجِيءِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ. أَمِينٌ هُوَ الَّذِي يَدْعُوكُمُ الَّذِي سَيَفْعَلُ أَيْضًا" (1 تسالونيكي 5: 23–24).

إن التقديس هو عمل الروح القدس التدريجيّ بداخل المؤمن، والذي به ننمو في الحياة التي يدعونا الله أن نحياها. وهذا التقديس هو شهوة واشتياق قلب كل مؤمن. يقول الأسقف جي. سي. رايل:

> غالبية البشر يتمنون الذهاب إلى السماء حين يموتون، لكن القليل، وهذا ما نخشاه، هم من يتكبّدون عناء التفكير فيما إذا كانوا سيتمتّعون بالفعل بالسماء إن وصلوا إليها أم لا. فإن السماء موضع مقدس في الأساس ... إذن ما الذي يمكن لإنسان غير مُقدَّس أن يفعله في السماء إن وصل إلى هناك؟[42]

ونقول في إعادة صياغة لحديث جون أوين في هذا السياق ذاته:

> لا توجد فكرة أحمق أو أخبث من هذه، أن يُؤخذ شخص ما لم يتقدَّس في هذه الحياة، ولم يُجعَل مُقدَّسًا، إلى البركة التي ينطوي عليها التمتع بالله بعد هذه الحياة. مثل هذا الشخص لا يمكنه التمتع بالله، كما أن الله لن يكون مكافأة بالنسبة له. إن القداسة تتكمّل في السماء، لكنها دائمًا ما تبدأ في هذا العالم.[43]

دائمًا ما يرتبط التبرير والتقديس ببعضهما في المسيح، ويعد فهم كيفيّة ترابطهما أمرًا محوريًا ولازمًا لفهم الإنجيل. فإن أكثر الخطأين شيوعًا هو إمّا الخلط أو الفصل بينهما. فإن الخلط يحدث حين تنجرف في اعتقادك بأن موقفك أمام الله يعتمد بشكل ما على مستوى آدائك في الحياة المسيحيّة. هذا غير صحيح، فإنك تتبرّر بالإيمان بعمل المسيح المُكتمل.

أما الفصل فيحدث حين يعتقد المؤمن بأن طاعة المسيح ليست بالأمر الهام بما أننا نتبرر بالإيمان وحده. هذا أيضًا غير صحيح. فإن المسيح يجمع بركات التبرير والتقديس **في نفسه**. وحين نقبل المسيح بالإيمان، تصير هذه الهبات لنا معًا. فلا أحد يأخذ الواحدة دون الأخرى.

ولهذا يقول الكتاب المقدس: "الْقَدَاسَةَ الَّتِي بِدُونِهَا لَنْ يَرَى أَحَدٌ الرَّبَّ" (عبرانيين 12: 14). هذا لا يعني أننا نخلص بأن نكون مقدسين، بل يعني أن السعي الحثيث وراء القداسة هو برهان على كوننا في المسيح، الذي يبرّرنا بدمه.

ويصلي بولس هكذا لأجل تقديس المؤمنين: "وَإِلهُ السَّلاَمِ نَفْسُهُ يُقَدِّسُكُمْ بِالتَّمَامِ" – وينبغي علينا نحن أن أيضًا أن نصلي لأجل تقديسنا. إلا أن التقديس هو أيضًا وعد: "أَمِينٌ هُوَ الَّذِي يَدْعُوكُمُ الَّذِي سَيَفْعَلُ أَيْضًا" (1 تسالونيكي 5: 23–24).

تمسك بهذا الوعد حين تكون خائب الآمال من جراء غياب التقدم في حياتك الروحيّة. فإن ما بدأته نعمة الله فيك سيكتمل لمجده ولأجل فرحك. فإن الله سيعطيك سؤل قلبك، وستصير مشابهًا صورة ابنه إلى الأبد (رومية 8: 29).

التمجيد: ستعكس مجد المسيح

"مَتَى أُظْهِرَ الْمَسِيحُ حَيَاتُنَا، فَحِينَئِذٍ تُظْهَرُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا مَعَهُ فِي الْمَجْدِ" (كولوسي 3: 4). يظل واقعنا كتلة من التناقضات. وهذا ينطبق على كل مؤمن. فإننا نحب المسيح، لكننا نشعر بقوة جذب العالم، والجسد، والشيطان. ونحن نؤمن بالمسيح ونثق به، لكننا نصارع مع الكثير من الشكوك والمخاوف. كما أننا قد نلنا حياة جديدة في المسيح، لكن في الوقت ذاته أجسادنا معرضة للمرض، والشيخوخة، والموت.

فإن المؤمنين عبارة عن كتلة من التناقضات، لكن الأمر لن يظل هكذا على الدوام. فإن محبتك للمسيح ستكتمل، وسيتحول إيمانك إلى العيان، وستختبر أفراح الحياة الأبديّة في جسد مُقام. وهكذا ستكون مع المسيح في المجد إلى الأبد.

ولن توجد في مجد المسيح فحسب، لكن مجده أيضًا سيكون فيك. يقول بولس: "فَإِنِّي أَحْسِبُ أَنَّ آلاَمَ الزَّمَانِ الْحَاضِرِ لاَ تُقَاسُ بِالْمَجْدِ الْعَتِيدِ أَنْ يُسْتَعْلَنَ فِينَا" (رومية 8: 18). فإن حياتك الروحيّة تشبه شجرة في فصل الشتاء. تبدو عارية، لكنها مع ذلك حيّة، وحين يُقبل الربيع، ستُزهر هذه الشجرة وتثمر. فإن مجدها الكامل عتيد أن يُرى.

فإن لتعلّمك كيفيّة التطلّع إلى مجدك المستقبليّ فائدة عظيمة في الحياة الروحيّة. فإننا لابد أن نستخدم هذا الحق لفائدتنا حين يبدو أن كل شيء يقف ضدنا. وهذا هو ما فعله بولس: "لِذلِكَ لاَ نَفْشَلُ، ... لأَنَّ خِفَّةَ ضِيقَتِنَا الْوَقْتِيَّةَ تُنْشِئُ لَنَا أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ ثِقَلَ مَجْدٍ أَبَدِيًّا" (2 كورنثوس 4: 16–17). وهكذا يخبرنا الرسول من خبرته الشخصيّة كيف نضمن ألا نفشل.

إن الله يعمل من خلال تجارب حياتك التي تضعفك كي يصنع انعكاسًا فريدًا للمسيح فيك، سيدوم لمجده ولفرحك إلى الأبد. وفي ذلك اليوم، سيصير لنا كل ما وعد به الرب:

1) سنعكس صورة وشبه الله بالكامل.
2) سنتحرر من لعنة الشر.
3) سنشترك مع المفديين من كل الأمم والشعوب في فرح الحياة الأبديّة.
4) سندخل إلى محضر الله مفديين بدم يسوع.
5) سنحيا هذه الحياة تحت بركة حكم المسيح في ملكوته إلى الأبد.
6) سنحب الله من كل قلوبنا، ونفوسنا، وأفكارنا، وقدراتنا، ونحب قريبنا كأنفسنا.
7) سنبتهج إلى الأبد في هذه الحياة الجديدة التي نلناها من القبر، والتي لنا من خلال يسوع المسيح ربنا.

نهاية كل شيء: سنرى الله

"ثُمَّ رَأَيْتُ سَمَاءً جَدِيدَةً وَأَرْضًا جَدِيدَةً، لأَنَّ السَّمَاءَ الأُولَى وَالأَرْضَ الأُولَى مَضَتَا، وَالْبَحْرُ لاَ يُوجَدُ فِي مَا بَعْدُ" (رؤيا 21: 1). لقد رأى يوحنا سماءً جديدة وأرضًا جديدة، لم ير أرضًا مختلفة، بل أرضًا جديدة. فإن هذا الأرض ستُفتدى في النهاية من اللعنة، وتعتق من عبودية الفساد (رومية 8: 21).

ثم رأى يوحنا "الْمَدِينَةَ الْمُقَدَّسَةَ أُورُشَلِيمَ الْجَدِيدَةَ نَازِلَةً مِنَ السَّمَاءِ مِنْ عِنْدِ اللهِ" (رؤيا 21: 2). وكان للمدينة أبواب تجاه الشمال، والجنوب، والشرق، والغرب، مما يشير إلى تحقيق الله لوعده بأن يجمع جماعة ضخمة من البشر من كل أمة على الأرض، ويأتي بهم إلى أفراح الحياة في ملكوته الأبدي.

ولا توجد صورة واحدة كافية تمامًا لتصوير مجد ما أعدّه المسيح لنا. لذا فإلى جانب المدينة، رأى يوحنا صورة عروس مزينة بزينة رائعة لرجلها (رؤيا 21: 2). فإن المسيح هو مركز فرح السماء، وسيصير كل فرحنا فيه.

ثم سمع يوحنا صوتًا عظيمًا من عرش السماء قائلاً: "هُوَذَا مَسْكَنُ اللهِ مَعَ النَّاسِ، وَهُوَ سَيَسْكُنُ مَعَهُمْ، وَهُمْ يَكُونُونَ لَهُ شَعْبًا، وَاللهُ نَفْسُهُ يَكُونُ مَعَهُمْ إِلهًا لَهُمْ" (رؤيا 21: 3)، فقد تلاشى كل ما يفصلنا عن الله. وصار الله يشترك في الحياة الأبديّة مع جميع شعبه المُفتدى.

فإن الله سيمسح كل دمعة من عيونكم. وسيصير الحزن أمرًا بعيدًا عن اختبار شعب الله. ولن يوجد موت أو نواح أو بكاء أو وجع.

خاتمة

لقد قطع الله وعودًا رائعة هو الوحيد القادر على الوفاء بها. فهي تتحقق في يسوع المسيح، الكلمة الذي صار جسدًا. هذه الوعود تتضمّن التجديد، والاتحاد بالمسيح، والتبرير، والتبني، والتقديس، والتمجيد، ووعد الفرح الأبدي عند اكتمال قصد الله في الفداء.

كل هذا هو لمن هم في يسوع المسيح. ويمكن أن يكون لك أنت أيضًا. فإن الموعد هُوَ لَكُمْ وَلأَوْلاَدِكُمْ وَلِكُلِّ الَّذِينَ عَلَى بُعْدٍ. فتوبوا. وآمنوا بالرب يسوع المسيح. وبالإيمان ستَكُونَ لَكُمْ حَيَاةٌ بِاسْمِهِ (يوحنا 20: 31).

الفصل السابع

ما هو الإنجيل؟

برايان شابل

لم تكن الأحداث التي أدت إلى إلقاء القبض على دافيد مفاجئة، بل كانت تتطور تدريجيًا لسنوات عدة. فحين ابتدأ يكبر، كانت العبارة المهذّبة التي استخدمتها عائلتنا لوصف قدرات أخي العقليّة هي: "هو يواجه صعوبة أكثر من الآخرين في التعلّم". وعلى الرغم من أن عقله ظل في حالة عدم نمو، إلا أنه ازداد في القوة الجسديّة والإرادة بينما شاخ والداي. وقد أدّت الضغوط التي عانوا منها في التعامل معه، وفي التعامل مع مشكلاتهم الخاصة، إلى انفصالهما، وإلى زيادة وطأة الصعوبات مع أخي. وكشخص بالغ، ظلّت رغبة دافيد في الاستقلال بالإضافة إلى إعاقته في النمو مصدر قلق مستمر. أما بالنسبة للصداقات والإثارة في حياة دافيد، فقد استطاع تكوين علاقات كانت تُنبئ بأزمة وشيكة. وقد كان هذا ما حدث بالفعل.

وقد كان إلقاء القبض على دافيد وإيداعه بالسجن يفوق قدرة عقله على الاستيعاب. ولم يكن ما اختبره سوى الخوف الغامر الذي قد يختبره شخص ما له قدرات عقليّة لطفل صغير داخل زنزانة سجن. فقد انكمش وتقوقع مرتجفًا في ركن من الزنزانة.

وقد أيقظ خوف أخي الواضح شيئًا في صدر رجل آخر في تلك الزنزانة. وعلى الرغم من مشكلات هذا الرجل الخاصة، إلا أنه قدّم لدافيد رسالة رحمة الله، قائلاً له: "يسوع يمكنه أن يساعدك. ثق به".

وفي تلك اللحظة، تدفّقت حقائق دروس مدارس الأحد التي حضرها دافيد وهو طفل في فصول ذوي الاحتياجات الخاصة إلى ذهنه. فصلى طالبًا غفران الله وآمن بيسوع مخلصًا له.

كان لابد لدافيد أن يظل في السجن لفترة كبيرة. ولكنه أيضًا كان سيظل مع يسوع إلى الأبد — مغفور الخطايا، ومستردًا، ومحفوظًا، ومتغيرًا. هذا هو الإنجيل بالنسبة لأخي وبالنسبة لجميع من يؤمنون بيسوع.

فإن كلمة الإنجيل تعني ببساطة "الخبر السار". ويستخدم الكتاب المقدس هذا المصطلح للإشارة إلى الرسالة القائلة بأن الله قد أوفى بوعده بأن يرسل مخلصًا لينجّي المنكسرين، ويستعيد مجد الخليقة، ويملك على الكل برأفة وعدل. ولهذا السبب فإن موجزًا جيدًا للإنجيل يمكن أن يكون: "أَنَّ الْمَسِيحَ يَسُوعَ جَاءَ إِلَى الْعَالَمِ لِيُخَلِّصَ الْخُطَاةَ" (1 تيموثاوس 1: 15).

إن إنقاذ الله، واسترداده، وملكه هي أمور تخص حالتنا الروحيّة، لكنها لا تقتصر على الوقائع الروحيّة فحسب. فإن إلهنا يخلّص شعبه من خلال يسوع المسيح من العواقب الأبديّة لخطية الإنسان التي وصل تأثيرها إلى كل شيء. فإن خلاصنا يشملنا نحن، لكنه أيضًا أكبر وأوسع منّا.

وقبل أن نستكشف المزيد من هذه الحقائق الرائعة، يلزمنا أن ندرك أن الكتاب المقدس لا يبوق بهذه الحقائق فقط لإبهارنا. فالله يعلن هذه الحقائق حتى يتسنّى للخطاة أمثال دافيد ومثلك ومثلي أن يتحرروا إلى الأبد من ذنب الخطية وسلطانها، بالإيمان بالخبر السار القائل بأن يسوع هو الرب الذي يأتي ليخلصنا. وسنستعرض فيما يلي بعض الجوانب الرئيسيّة لذلك الخبر السار.

الله يدبر ما يطالب به[44]

ربما لا تعجبنا فكرة أن يصنّفنا أحدهم على أننا "خطاة"، وخاصة إن كنا نستخدم ذلك المصطلح للإشارة فقط إلى القتلة ومغتصبي الأطفال. لكن الكتاب المقدس يقول إن الله قدوس قداسة مطلقة، وإن جميع من لا يستوفون هذا الكمال هم "خطاة"، وهذا اللفظ يعني ببساطة العجز عن الوصول إلى مقياس الله. فإننا إن أخطأنا بأي درجة، نصير شيئًا على خلاف قصد الله لنا (رومية 3: 23؛ يعقوب 2: 10). فهو قد خلقنا كي نعكس طبيعته المقدسة (1 بطرس 1: 16). وهكذا فإن سقطاتنا لا تسبب الضرر لنا نحن فحسب، بل هي أيضًا تشّوه علاقتنا بالله وتفسدها (أفسس 4: 30).

صورة الله

لقد بدأت أزماتنا في علاقتنا بالله حين فسدت طبيعتنا البشريّة بخطية أبوينا الأولين (رومية 5: 12). ومنذ آدم وحواء، صار كل إنسان يعلم جيدًا معنى أن تخذل أحباءك، وتؤذي آخرين، وتتخلى عن مثالياتك. جميعنا نعلم جيدًا معنى الخزي والندم. فإن هذا فعليًا يعكس واقعًا روحيًا ربما لا ندركه جيدًا: فإننا نشعر بالذنب لأننا قد خلقنا لنكون مشابهين لله، لكننا نخفق في أن نحيا بمقتضى هذا (رومية 3: 10).

لقد خُلقنا على صورة الله (تكوين 1: 26–27). وهو قد خطّط أن نكون مثله حتى نتمكن من أن نحبه ونحب الآخرين المخلوقين على صورته. لكن حين نُخطئ، فإننا نسير في الاتجاه المخالف لطبيعتنا الأصليّة، ولذا فإن شيئًا ما في داخلنا يصدر صريرًا. فإن الذنب الذي نشعر به هو صدى للألم الذي تجتاز فيه قلوبنا في أي وقت تبعدنا الخطية عن العلاقة التي قد خُلقنا لنتمتع بها مع إلهنا.

فإن الله يطالبنا بالقداسة كي يتسنى لنا أن نكون في علاقة وثيقة معه، إلا أن كلاً من طبيعتنا وأفعالنا تبعدنا وتقصينا عنه. كيف يمكننا إصلاح هذا؟ هذا ليس في وسعنا. فإننا مخلوقات غير كاملة، ولا يمكننا أن نجعل من أنفسنا مقدَّسين، تمامًا كما لا يمكن ليد ملوثة بالوحل أن تنظف قميصًا أبيض اللون.

لكن الله هو الوحيد الذي يمكنه إصلاح علاقتنا به، وهو يقوم بهذا من خلال إمدادنا بالقداسة التي يطالب هو نفسه بها. فهو يأخذ زمام المبادرة (1 يوحنا 4: 19). ومن خلال يسوع، ينقذنا إلهنا من عواقب خطايانا. فهو يعطينا ما ليس في إمكاننا أن ندبّره بأنفسنا، ولهذا فإننا أحيانًا ما نشير إلى هذا بأنه "إنجيل النعمة". فإن **النعمة** تعني "الهبة"، أي شيئًا قد أعطي لمن لا يمكنهم تدبير حاجاتهم بأنفسهم، كأن يُعطَى قميص جديد لمن لوّثوا قمصانهم بالوحل.

قداسة الله

يقدم لنا اسم يسوع المسيح قدرًا كبيرًا من المعلومات عن الكيفيّة التي بها نصير قديسين. فإن اسم يسوع يعني "مخلص"، أي أن مهمة يسوع وإرساليته كانت أن يحرّرنا (أو يخلصنا) من عواقب خطايانا. أما كلمة "**المسيح**" التي تُضاف إليها، فهي وصف لهدف مجيء يسوع أكثر من كونها اسمًا بحد ذاتها. لكنها لقب يعني "الممسوح". فإن الله الآب قد مسح يسوع ليكون مبعوثه الخاص لإمداد البشريّة بقداسته. وقد وعد الله لقرون عديدة، من خلال أنبيائه، أنه سيرسل مسيحه كي يخلّص شعبه (أعمال 3: 18–20). ومع ذلك، فقد أصاب أغلب الناس الدهشة والذهول حين تبيّن أن هذا الممسوح كان هو ابن الله.

لقد جاء يسوع باعتباره حاملاً لصورة الله الكامل. وعلى الرغم من لاهوته، إلا أنه حمل الصفات والخصائص البشريّة (غلاطية 4: 4–5؛ فيلبي 2: 6–11). فقد صار هو الله المُتجسّد (كلمة **مُتجسّد** تعني "في الجسد"). شابهنا المسيح في كل شيء ما خلا شيء واحد: أنه كان بلا خطية (عبرانيين 4: 15). فليس فقط إن يسوع لم يفعل خطية، لكنه أيضًا إذ حُبل به بالروح القدس في رحم العذراء مريم، فهو لم يكن لديه أي فساد طبيعيّ، ذلك الفساد الذي يشترك فيه البشر الآخرون (متى 2: 20–23).

وهكذا فإن قداسة المسيح لها فائدتان بالنسبة لنا. أولاً، هي تظهر لنا الكيفية التي نحيا بها لأجل الله. فإن امتلأت حياة ما من المحبة وخلت من الأنانية، فهي حينئذ تشبه حياة يسوع (1 يوحنا 3: 16). ومن خلال يسوع نتعلم كيف نحيا الحياة الأفضل، لنكون كما قصد الله لنا حين خلقنا — بشريين تمامًا ومع ذلك في شركة تامة وكاملة مع الله. وماذا إن أعوزنا مثل هذا السلوك ومثل هذه الشركة ولم نستطع الثبات فيها؟ ماذا إذَن؟ حينئذ نكون في حاجة إلى الإمداد الثاني الذي تدبره قداسة يسوع. ذلك الإمداد يتجاوز تعليمنا كيفية الحياة **لأجل** الله، ويمكّننا فعليًا من أن نحيا **مع** الله باستيفاء مقاييسه.

عدل الله

إن قداسة يسوع قد جعلت منه الذبيحة الكاملة عن خطايانا. وهذا يبدو غريبًا على آذان العصر الحديث، لكن هذه هي الرسالة التي يقدّمها الكتاب المقدس من البداية وحتى النهاية. فإن خطايانا لا تشكل مجرد إزعاجًا ومضايقة لله. بل قد نتج عن خطايا البشرية معاناة وألمًا لا يمكننا التكهّن به. فإن الله لا يتغاضى عن الغضب الذي نطلق العنان له، والإساءة التي نلحقها، والألم الذي نستخف به، والظلم الذي نتجاهله. فإن إلهًا قدوسًا لا يمكنه ببساطة أن يغمض عينيه أو يغلق أذنيه عن هذه الخطايا. إذ يصرخ ضحاياها مطالبين بتحقيق العدالة، ولهذا فإن رأفة الله تدبّر ما يطالب به برّه من خلال ذبيحة يسوع.

بما أن ابن الله كان بلا خطية، فإن استعداده لاجتياز الألم فوق الصليب، وقبوله العقوبة التي نستحقّها كان تعويضًا يفوق تمامًا أي تعويض آخر يمكن للبشريّة أن تقدمه. فهكذا يفوق بر المسيح إثمنا حتى أن ذبيحته كافية للتعويض عن خطايا العالم بأكمله في كل العصور والأزمنة (رومية 5: 15–19؛ عبرانيين 9: 26–28؛ 1 بطرس 3: 18؛ 1 يوحنا 2: 2). وقد قبل الله ذبيحة يسوع كبديل عن تحمّلنا نحن العقوبة (1 بطرس 2: 24). فهو قد سدّد ديننا الذي لم نستطع تسديده للعدالة (مزمور 47: 7–9؛ تيطس 2: 11–14). وهكذا فإن آلامه تكفّر عن أخطائنا (أي تغطيها) (1 يوحنا 4: 10). وموته ينجّينا من الجحيم الذي نستحقه (غلاطية 3: 13–14).

وهكذا يعد إمداد المسيح هذا بشارة مفرحة رائعة لمن يصارعون منا مع الخطية والشعور بالذنب. فلم يكن بإمكان أخي دافيد في السجن تسديد دين الجرائم التي ارتكبها، كما أننا نحن المذنبون بالخطايا لا يمكننا محو الدين الذي ندين به لإله قدوس من أجل كسرنا لشريعته. ولكن لأن يسوع قد جاء ليسدّد ديننا الروحيّ على الرغم من فقرنا الروحي المُدقع، فإن دافيد وأنت وأنا يمكننا أن نحيا بقلوب خالية من الخزي والعار.

بر المسيح

إن ذبيحة المسيح قد أرضت عدل الله (رومية 3: 20–26). وهكذا أصير روحيًا وكأني لم أخطئ قط (إشعياء 1: 18). ويشير اللاهوتيون إلى الإعلان الذي يصرّح به الله عن هذه الحالة المقدّسة الجديدة باسم "التبرير". فإن التبرير ينشأ من عملية تبادل رائعة وقعت فوق صليب المسيح. فهو قد حمل خطايانا في جسده، وبالتالي أعطانا بره (2 كورنثوس 5: 21؛ 1 بطرس 3: 18). وهو قد شابهنا (صار خاطئًا)، حتى نشابهه نحن (نصير مقدّسين).

فإن تدبير المسيح العظيم الذي قام به لأجل الخطية يسمح لي بالإقرار بعظم خطية أخي، وخطيتي، وخطيتك. فبغض النظر عن بشاعة وحجم الشر في حياة جميع البشر، لكن يمكن التكفير عن خطاياهم هم أيضًا من خلال ذبيحة يسوع.

وأحد براهين هذا الخبر السار هو الجزء الثاني من الآية التي قمت باقتباسها في بداية هذا الفصل. فقد كتب الرسول بولس: "الْمَسِيحَ يَسُوعَ جَاءَ إِلَى الْعَالَمِ لِيُخَلِّصَ الْخُطَاةَ الَّذِينَ أَوَّلُهُمْ أَنَا" (1 تيموثاوس 1: 15). فقد جدّف بولس على يسوع سابقًا، وقتل أتباعه. لكنه الآن يستطيع التباهي بأن كفّارة المسيح قد عوّضت تمامًا عن هذه الأخطاء، ليس بسبب تفاهة خطية بولس، بل بسبب عِظَم الصليب. فقد كانت ذبيحة يسوع كافية للتكفير عن أعظم الخطايا وعن أعظم الخطاة.

محبة الله

لكن كيف لنا أن نتأكد من أن تدبيرات المسيح هذه هي لنا؟ فإن يسوع نفسه تحدث بأن البعض سيكون مصيرهم الجحيم (يوحنا 3: 18؛ متى 23: 33)، وهكذا فإننا نعلم أن كفارة المسيح — على الرغم من كفايتها للجميع — لكنها ليست للجميع. أي يقين لنا إذن بأنها لنا؟ تكمن الإجابة في تذكيرنا بأن الله يدبّر ما يطالب به.

فإن الله لا يطالبنا بأن نسعى لنوال صفحه. فهو لا يخبرنا أن نؤدّي بعض المهام الروحيّة العظمى، أو أن نشعر بندم شديد خاص للتعويض عن خطايانا. لكن في المقابل، الخبر السار هو أن الله يمدّنا بصفحه بالنعمة وحدها (رومية 3: 23–24). فهو يهبنا محبته بدلاً من أن يطالبنا بالسعي لنوالها.

فإن كان لابد لنا أن نربح محبة الله، حينئذ سيكون من الصعب للغاية أن نطيع وصيته العظمى: "تُحِبُّ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ، وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ، وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ" (متى 22: 37). فحينما يجعل الناس محبتهم لنا مشروطة بخدمتنا لهم، فإننا يمكننا أن نخدمهم، لكن لا يمكن أن نحبهم. فإن قال أب لطفله: "سوف أحبك فقط إن حصلت على درجة ممتاز في الرياضيات، وقمت بجز العشب، وإطعام القطة". في هذه الحالة ربما يطيعه الطفل بالفعل، لكنه في النهاية لن يحب ذلك الشخص الذي كانت محبته له مناورة.

ولهذا فإن الرب، الذي يطالبنا بأن نحبه، يمدّنا بما يمكّننا من فعل هذا بجعل محبته هبة غير مشروطة. يقول الكتاب المقدس: "نَحْنُ نُحِبُّهُ لأَنَّهُ هُوَ أَحَبَّنَا أَوَّلاً" (1 يوحنا 4: 19). فإن الله هو الذي يبادر كي يُبيّن محبته غير المشروطة.

الأمانة العهديّة

يعلمنا الكتاب المقدس قدرًا أكبر عن الله الذي أخذ زمام المبادرة من خلال المكتوب عن العهود التي قطعها مع شعبه. فمن خلال هذه العهود يعد الله بأن يحب شعبه محبة غير مشروطة. لم تكن هذه العهود عقودًا. فإن العقد يمكن فسخه حين لا يتم استيفاء شروط التعاقد، إلا أن الإخفاق لا يبطل عهد الله. ولهذا يمكن لشعب الله أن يقولوا: "إِنْ كُنَّا غَيْرَ أُمَنَاءَ فَهُوَ يَبْقَى أَمِينًا" (2 تيموثاوس 2: 13).

يعد خروج شعب إسرائيل من العبوديّة واحدًا من أفضل الأمثلة عن هذه المحبة العهديّة. فقبل بضعة قرون، وعد الله بأن يحب إبراهيم ونسله. ومع ذلك فقد خذله هذا النسل مرارًا وتكرارًا. ثم صاروا عبيدًا في مصر حتى أرسل الله موسى ليخرجهم من العبوديّة. لكن لم يعطهم الله الوصايا التي كان من المفترض أن تمكّن بني إسرائيل من أن يحيوا حياة مقدسة إلا بعد أن نالوا حريتهم.

ويعد ترتيب هذه الأحداث محوريًا لأجل فهمنا لمحبة الله العهديّة. فقد أنقذ الله الشعب من العبوديّة **قبل** أن يعطيهم الناموس. فهو لم ينتظر حتى يطيعوه كي يخلصهم (انظر تثنية 5: 6)، فهو لم يقل لهم: "أطيعوني فأحبكم". بل في أمانته العهديّة، قال: "أنا قد أحببتكم بالفعل قبلاً وخلّصتكم، ولهذا لابد أن تتبعوا هذه الشرائع التي من شأنها أن تبارك حياتكم".

إن نعمة الله من نحونا — في محبته لنا حتى قبل أن نحبه أو نطيعه — هي جزء رئيسيّ من خبر الإنجيل السار (رومية 5: 8). فإن كان الله ينتظرنا حتى نصلح حياتنا كي يحبنا، فحينئذ يكون الأمل معدومًا لشخص مثل أخي الذي كان يقبع في تلك الزنزانة. لقد كانت حياة دافيد خرابًا وفوضى. ولم يكن من سبيلٍ يمكنه به إصلاح الخطأ الذي فعله. فهو لم يكن يمتلك الحريّة الجسديّة ولا القدرة العقليّة لإصلاح هذا الضرر الذي تسبب به لآخرين. لكنه حين أقرّ بالحق القائل بأن يسوع قد أحبّه وسيعينه، حينئذ صارت نعمة المسيح لدافيد بالرغم من أعوام طوال من الخطية، وحياة كاملة من العجز.

لم يعتد دافيد طوال حياته أن يتحدث إلى عائلته سوى بعبارات بسيطة وهمهمات. لكنه حين وضع ثقته في محبة يسوع له، بدأ في إرسال خطابات لنا. لم نكن نعلم حتى أنه يستطيع الكتابة. صحيح أن التهجئة والقواعد اللغويّة كانت طفوليّة، لكنها تحسّنت مع الوقت، مثلما تحسّنت قدرة دافيد على وصف إيمانه. فقد كتب الآتي من السجن: "يستطيع الله أن يصنع معجزات لكل من يؤمن به. أنا أؤمن بالله. فهو قد أرسل ابنه يسوع ليموت عن خطايانا. فهكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد. وكل من يؤمن به لن يهلك بل تكون له حياة أبدية".

ومن خلال اقتباس دافيد لكلمات يوحنا 3: 16، أخبر جميع من يعرفهم عن إنجيل يسوع المسيح: فإن هذا الإنجيل عظيم بما يكفي لكل العالم، ولجميع خطايانا، وهو متاح لجميع من يؤمنون به.

الإيمان بالمسيح

إن الإنجيل متاح لجميع من **يؤمنون** بيسوع. فإن الله لا يقول إنه سيخلّص من يتسلقون الجبال، أو يتغلّبون على إدمانهم، أو يخفّفون من حدّة الفقر، أو يصلون إلى مستوى منشود من الصلاح. لكنّه يخلّص من ببساطة يؤمنون بيسوع مخلصًا لهم (يوحنا 3: 16).

تساعدنا حالة دافيد على فهم طبيعة هذا الإيمان. فلا ينبغي أن تضلّلنا المفاهيم المغلوطة القائلة بأن الإيمان بيسوع هو عبارة عن شيء صالح بداخلنا يجعله يحبنا. فوفقًا لهذا التفكير، هذا الإيمان يجعلنا أفضل من الآخرين. إلا أن مثل هذه التعريفات للإيمان ليست منطقيّة على الإطلاق. فكيف يمكن لعمل تافه كالاعتراف بموت يسوع عن الخطايا التعويض عن تجديف الرسول بولس وارتكابه لجرائم القتل؟ كيف يمكن لإيمان أخي البسيط بذبيحة المسيح أن يعوّض عن جرائمه السالفة؟ إن كان الله يضع إيماننا وعدله في كفتي الميزان معًا، فهذا لن يكون عدلاً. فلابد أن ندرك أن ذبيحة المسيح، وليس إيماننا، هي العمل الذي يمكن أن يوضع في الميزان ليكافئ موازين العدل الإلهي.

فإن كان إيماننا هو الذي ربح نعمة الله، حينئذ نكون نحن المسئولين عن خلاصنا. ويُنسَب لنا الفضل في هذا. لكن الكتاب المقدس صريح للغاية في قوله: يسوع يخلّص. فإن إيماننا لا يربح محبة الله أو يستحق نعمته. فكّر في مدى غرابة أن يتباهى رجل ما قد أُنقذ من الغرق في فخر قائلاً: "أنا حي الآن لأني استطعت أن أنادي المنقذ كي يأتي وينقذني". فإن الجميع سيقرّون بأن هذا الشخص الذي أُنقذ ليس لديه أي سبب يدعوه للافتخار. فقد كان إنقاذه نتيجة لاتكاله على حسن إرادة المنقذ وإمكانياته.

هذا الاتكال الكامل على شخص آخر هو نقيض المفهوم المغلوط الثاني الشائع بخصوص إيمان الخلاص: وهو أن هذا الإيمان يصير كافيًا بسبب قوته في ذاته. فإن الناس يعتقدون أنهم يمكنهم بدرجة كافية من الجهد النفسيّ أو الدراسة اللاهوتيّة ضخ كمية كافية من الإيمان داخل قلوبهم لكي يضمنوا بها محبة الله لهم. لكن الاعتقاد بأن الخلاص يعتمد على امتلاكنا لإيمان فائق هو مجرد وسيلة أخرى نجعل بها الإيمان عملاً نحتاج أن نقوم به بشكل أفضل من الآخرين. وهذا يشبه تباهي الرجل الذي تم إنقاذه قائلاً: "أنا نجوت لأني تمسّكت بالمنقذ بقوة أكثر مما فعل الآخرون".

لكن كي نفهم الإيمان الكتابيّ، لابد أن نرى أنفسنا منهكين تمامًا من جهة أي محاولة للنجاة روحيًا، ومعتمدين بالكامل على قوة المنقذ (يسوع) كي يخلصنا. فإن رجاءنا لا يمكن أن يتأسس على قوة إيماننا — إذ أن أمواج الضعف والشك أقوى منه بكثير — بل على هبات يسوع وحدها.

فحين أتصور أخي منكمشًا في زنزانة سجن بإمكانياته العقليّة المحدودة، ومشاعره المُنهَكة، وإحساسه العظيم بالذنب، لا أرغب أن يكون أساس رجائه هو قوة إيمانه. بل أريد أن يكون أساس رجائه هو قوة محبة يسوع. فإن دافيد لا يملك قوة الذهن أو العزيمة لفعل أي شيء آخر. بل لابد أن يكون رجاؤه هو ذات رجاء الرسول بولس، الذي علم ما الذي كان يعنيه أن يستنزف كل حكمته، وغيرته، وقوته، كأساس لقبول الله له. فقد كتب: "لأَنَّكُمْ بِالنِّعْمَةِ مُخَلَّصُونَ، بِالإِيمَانِ، وَذلِكَ لَيْسَ مِنْكُمْ. هُوَ عَطِيَّةُ اللهِ. لَيْسَ مِنْ أَعْمَال كَيْلاَ يَفْتَخِرَ أَحَدٌ" (أفسس 2: 8–9).

وهكذا، ليس الإيمان عملاً، أو تدريبًا عقليًا، أو اختبارًا عاطفيًا. فلا يمكننا أن نفتخر بأن لدينا إيمان كافٍ كي نستحق محبة الله. بل إن الإيمان الخلاصيّ يعبّر عن الاستسلام البشريّ، ويقرّ بأنه لا شيء فينا يجبر الله على أن يحبنا. فإننا نتّكل على يسوع وحده كي يخلّصنا من خطايانا. ولا نثق في كفاية أي شيء نفعله كي نجعل الله يحبنا به — ليس أعمالنا الصالحة، ولا أفكارنا الحكيمة، ولا حتى قوة إيماننا. لكننا نؤمن ببساطة بأن يسوع يخلّص.

إن الإيمان بالمسيح وحده — أي رفض كون الذات أساسًا للرضا الإلهي — هو التأثير الذي يجريه الله في قلوبنا باستخدامه لجميع إحباطاتنا ويأسنا كي يقودنا إلى اتكال كامل عليه. حين لا يكون لدينا أي أساس للرجاء سوى يسوع، فإننا نتحوّل عن كل شيء آخر إليه. هذا هو أحد الأسباب التي لأجلها يقول بولس أن الإيمان نفسه هو عطية من الله (أفسس 2: 8–9). فإن الإيمان الخلاصيّ لا يمكن أن يكون شيئًا نستحضره بجهدنا الشخصيّ. فإن لم يكن الله هو من جعل قلوبنا تنبض بحبه، لكنّا جميعًا الآن أموات روحيًا (حزقيال 36: 26؛ أفسس 2: 1).

الاتّكال على المسيح

ليس الإيمان الكتابيّ هو الثقة في درجة معرفتنا، أو حماسنا، أو توبيخنا لأنفسنا، بقدر ما هو ببساطة الاتّكال على عمل المسيح. فإننا لسنا نتّكل على قوة إيماننا التي تعيننا على التشبّث به، بل على قوة محبته التي ترفعنا إليه. فكما يدخل رجل قوي البنية إلى مصعد غير مستند على عضلاته بل على الكابلات والأسلاك الموجودة فوقه كي ترفعه، هكذا أيضًا الإيمان الكتابيّ لا يتعلّق بالجهد الروحيّ الذي نبذله بل بالاتكال الروحيّ الذي نبديه. فإننا لسنا نتّكل على إيماننا العظيم بيسوع بقدر ما نتّكل على محبته

العظيمة لنا (إشعياء 30: 15؛ عبرانيين 4: 9–11). فإننا نثق في الرحمة غير المحدودة والثابتة لإله كليّ القدرة وليس في جهود بشريتنا التافهة والمشوبة.

وفيما نفتح قلوبنا لحقيقة محبة الله غير المشروطة، نكتشف سلامًا رائعًا ومدهشًا (رومية 5: 1–2). فبدلاً من القلق الذي لا ينتهي حيال إرضاء توقعات الله، أو استرضاء غضبه، نجد قبولاً إلهيًا لا ينضب (أفسس 2: 17–19). كما أننا نكتشف أيضًا أن إيداعنا لأنفسنا لدى يسوع ليس هو الحياة في فزع يومي من غضب الله وعبوسه. ولأن إيماننا هذا هو إيمان بعمل المسيح الخلاصيّ وحده، فإن الحياة المسيحيّة لم تعد بهذا حلقة مفرغة من محاولة البقاء في صف الله. لكننا نتّكل على النعمة التي تغطّي خطايانا، وتتغلّب على إخفاقاتنا، وتمنحنا بر يسوع.

فإننا لم نعد نجاهد ونصارع كي نجعل الله يحبنا. بل إنه يحبنا بالفعل! وإن كان ملك السماء يبتسم لنا، فحينها لا يلزمنا أن نيأس من أن بعض مخلوقاته ليسوا كذلك، أو من أن ظروفنا تبدو محبطة. سواء كانت خطايانا بشعة أو عادية، وسواء كنا نعتقد بأن حياتنا غير ذي جدوى أو حافلة بشكل زائد عن الحد، وسواء كنا نحيا في منزل فخم أو في زنزانة سجن، فإن نعمة الله تجعلنا أبرارًا تمامًا كيسوع أمام وجه الله. فهو يحبنا بنفس قدر محبته ليسوع. وأقول لجميع من ناحوا على ذنبهم، وندموا على إخفاقاتهم، وخافوا من المستقبل، إن هذه المحبة هي مصدر رائع للتعزية نتّكل عليه. لكن هناك أيضًا المزيد من الأخبارالسارة في الإنجيل.

الله يكمِّل ما يدبره[45]

إن تبريرنا بالنعمة لهو أمر رائع، لكن هذا ليس كل ما تحويه خطة الله. فإن يسوع المسيح لا ينجّينا من الخطايا الماضية فحسب، لكنّه أيضًا يضمن أبديتنا معه. ولهذا السبب قال يسوع إن كل من يؤمن به "لاَ يَهْلِكَ ... بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ" (يوحنا 3: 16). فإن خلاص الله ليس كأنك تنجو من هجوم نمر في يوم، ثم تطرَح في الغابة في اليوم التالي. بل يشمل الإنجيل أيضًا الوسائل التي بها يحفظنا الله آمنين روحيًا إلى الأبد.

الاتحاد بالمسيح

لا يقتصر الأمر على أن الله يحبنا بقدر محبته ليسوع، لكن نعمة الله تجعلنا فعليًا أولادًا له. فقد كتب الرسول يوحنا: "اُنْظُرُوا أَيَّةَ مَحَبَّةٍ أَعْطَانَا الآبُ حَتَّى نُدْعَى أَوْلاَدَ اللهِ! الآنَ نَحْنُ أَوْلاَدُ اللهِ!" (1 يوحنا

3: 1). لكن كيف لأي منا أن يصير ابنًا لله في حين أننا ولدنا من أبوين بالجسد؟ تحوي إجابتنا على العديد من تطبيقات النعمة الواسعة: لقد تبنّانا أبونا السماوي (أفسس 1: 5–6).

وكيف تجري عملية التبنّي هذه؟ لقد قمنا بالفعل بوصف جوهر هذه العملية فيما سبق: فإننا نتّكل على المسيح من جهة حياتنا الروحيّة مع الله. وهذا من خلال إقرارنا بحاجتنا ليسوع كي يجعلنا مقدسين، مُقرّين بخطايانا وبعدم كفاية أفكارنا، أو كلماتنا، أو أعمالنا في أن تجعلنا ابرارًا أمام الله. حينئذ يبرّرنا الله بنعمته وحدها، فنصير أبرارًا ومحبوبين كالمسيح تمامًا.

لكننا لم نناقش بعد التطبيقات الكاملة لمثل هذا الاتّكال الروحيّ التام. فإن كان كل جهادنا ليس هو ما ينتج حياة روحيّة مع الله، فإننا بالتالي بمقاييس الإنجاز البشريّ على الأغلب أمواتًا. وبقدر ما يبدو هذا غريبًا، إلا أن الإنجيل يقول إن هذا الاستنتاج صحيح تمامًا. وهذا الموت هو فعليًا الباب الذي يؤدي إلى حياة جديدة في عائلة الله.

متّحدين بالمسيح في موته. بعد أن وصل الرسول بولس إلى استنتاج أن لا شيء من العمل الصالح يمكنه تبرير شخص ما أمام إله قدوس، يضيف: "مَعَ الْمَسِيحِ صُلِبْتُ، فَأَحْيَا لاَ أَنَا" (غلاطية 2: 20). وبقدر ما تبدو هذه الكلمات رهيبة ومخيفة، إلا أنها هي الاستنتاج الواضح والصريح لما يعنيه أن تقف أمام الله على أساس ذبيحة المسيح وليس على أساس قداستك. فإن رجاءنا لا يكمن فيما فعلناه نحن بل فيما فعله هو. ومكانتنا ووضعنا الروحي — أي هويّتنا — مغلّف داخل هويّته.

قد يبدو اتّحادنا بالمسيح في موته أمرًا بشعًا، لكنه فعليًا أمر حسن. فإن كان كل ما هو حق بشأننا قد تسمّر فوق الصليب، فهذا يعني بالتالي أن جميع خطايانا، وقصورنا، وإخفاقاتنا هي أيضًا فوق ذلك الصليب. وإذ صار كل ما يمكن أن يفصلنا روحيًا عن الله فوق الصليب، فهو بهذا يمكنه أن يجتذبنا إليه. لكن أي نفع يعود علينا من هذه الحميميّة وهذا القرب إن كنّا أموات روحيًا؟ يجيب بولس عن هذا بتذكيرنا بأن حياتنا الروحيّة — أي هويّتنا أمام الله — تنبع الآن من مصدر مختلف.

متّحدين مع المسيح في حياته. لسنا متّحدين مع المسيح في موته فحسب، بل إننا متّحدون معه أيضًا في حياته. يقول بولس: "مَعَ الْمَسِيحِ صُلِبْتُ، فَأَحْيَا لاَ أَنَا، **بَلِ الْمَسِيحُ يَحْيَا فِيَّ**" (غلاطية 2: 20). هذه الكلمات لا تعطينا يقينًا في حياة جديدة مع المسيح فحسب، بل هي أيضًا تمسّ جانبًا مفتاحيًا من الإنجيل بالكاد ذكرناه حتى الآن: القيامة.

حين تألّم يسوع فوق الصليب لأجل خطايانا، أبطل العقوبة التي وقعت أولاً حين تركت البشرية طرق الله. وقد أخبر الله آدم بأنه إن عصى، فهو حتمًا سيموت (تكوين 2: 17). وهكذا كسرت خطية آدم

رابطة الحياة الوثيقة التي كانت تربط بين إله قدوس وبين قلب الإنسان. وكان رد الله على هذا أن أقام يسوع من الأموات بقوة الروح القدس كي يبيّن لنا أن تأثيرات ونتائج هذه الخطيّة الأصليّة قد أُبطلت حقًا بذبيحة المسيح (رومية 8: 11؛ 1 كورنثوس 15: 15–20).

وتبرهن حياة يسوع فيما بعد الموت على صحة وعد الله لنا بإبطال الخطية وصحة وعده بالحياة الأبدية. فإن خطيتنا لا تنهي علاقتنا مع الله، كما أن نهاية حياتنا على الأرض لا تنهي هذه العلاقة. فحين تخور أجسادنا الفانية، تستمر أرواحنا في شركة مع الرب إلى الأبد. وسيأتي وقت أيضًا حين يُقيم الله فيه أجسادنا، كما أقام يسوع، حتى نتّحد مرة ثانية جسدًا وروحًا مع يسوع، لكنا سنتحدث عن هذا الجانب من الخبر السار لاحقًا.

أما بالنسبة للوقت الحالي، فمن الهام أن ندرك جيدًا أن روح كل مؤمن، كنتيجة لقيامة يسوع، صارت متّحدة بالفعل بالمسيح. فبالرغم من موته، إلا أنه يحيا ثانية، وهو يحيا بداخلنا — في اتّحاد روحيّ مع أرواحنا. تذكّر قول الرسول بولس: "المسيح يحيا في". فإن كنا بالحقيقة أمواتًا (لأن لا شيء نفعله يدعم موقفنا الروحيّ أمام الله)، وإن كان يسوع حيًا فينا (لأن روحه متّحدة بأرواحنا)، فإننا بالتالي قد حصلنا على هويّة يسوع. وبهذا كل ما هو حق بشأنه — أي حكمته، وقداسته، وبره — يستبدل غباءنا، وخطيتنا، وتمرّدنا (1 كورنثوس 1: 31). وحقًا يبتهج الرسول بكون المسيح هو حياتنا (كولوسي 3: 4)، قائلاً: "لِيَ الْحَيَاةَ هِيَ الْمَسِيحُ" (فيلبي 1: 21). وهكذا فمن خلال اتّحادنا الروحيّ بالمسيح، يصير كل ما يُخزينا ويوصمنا بالعار في عداد الأموات، ويصير كل ما يُكرمه لنا.

امتيازات أهل البيت

وإذ قد تشاركنا في هويّة المسيح، صرنا أعضاء في عائلة الله (عبرانيين 2: 11). لا توجد أهمية لخلفياتنا الشريرة والبشعة. فالأشياء العتيقة قد مضت، ولنا الآن حياة جديدة في المسيح (2 كورنثوس 5: 17). وكل من يتّحد بالمسيح هو ابن الله كالمسيح نفسه. ومن خلال هذا "التّبني"، يمنحنا الله ضمانات خاصة كي يعيننا على أن نُكرم المسيح الذي نشترك الآن في هويّته.

وضع غير متغير. الضمان الأول الذي لنا هو ضمان عدم تغير وضعنا. فحين صدر الحكم على أخي لأجل جريمته، تم السماح لعائلتي بالاجتماع معه في زنزانة احتياطيّة قبل اصطحابه إلى السجن. وفي أثناء هذا الاجتماع رنّم أبي عبر دموعه ترنيمة قديمة لأخي الذي كان قد صار مؤمنًا حديثًا، لكنه لا يستطيع الخروج من السجن:

تصير السجون لي قصورًا،

إن سكن يسوع معي هناك.[46]

وبهذا التعبير الحنون لهذه الكلمات، أكّد أبي لدافيد على محبته له، وعلى تعزيات محبة الرب لدافيد. وعلى الرغم من وصم دافيد لأبي بالعار وخيانته له بصورة بشعة، إلا أنه كان لم يزل ابنًا له. فلا شيء فعله دافيد كان يمكنه أن يغير من طبيعة تلك العلاقة.

هكذا أيضًا، لا تغيّر أفعالنا من طبيعة علاقتنا بالله (عبرانيين 10: 14). فحتى حين نخطئ ونخون محبته، فإننا لا نتوقف عن كوننا أبناءه. فإن وضعنا الروحيّ لا يتحدّد بما نفعله بل بما فعله المسيح. وبما أن المسيح يسكن بداخلنا، فإن الله يحبنا. وهذا الضمان في لطفه غير المحدود يعطينا الرغبة في إكرامه والاستعداد للرجوع إليه حين نخطئ (رومية 2: 4).

ربما يؤدّبنا الله كي يبعدنا عن عواقب أكثر ضررًا من التأديب تنتج عن تمردنا، إلا أن هذا التقويم الروحيّ ليس لأنه يحبنا بقدر أقل. بل الغرض من تأديب أبينا السماوي لنا هو أن يعيننا وليس أن يؤذينا على الإطلاق. حتى حين نجتاز في مخاض أسوأ التأديبات التي يوقعها الله بنا، فإننا نظل محبوبين بشكل غير محدود ومحفوظين روحيًا (عبرانيين 12: 5–11). إذن كأبناء لله، فإن وضعنا لا يتغيّر قط.

حماية دائمة وثابتة. بسبب عدم تغيّر وضعنا، فإن لنا أيضًا ضمان من الله بحمايته الثابتة والدائمة لنا. على الرغم من أن هذا الوعد بالحماية الدائمة والثابتة قد يجعل أولئك الذين يعلمون قصص الشهداء المسيحيين أو المؤمنين العاديين الذين اختبروا الألم والمآسي يقهقهون، لكن حماية الله حقيقيّة وجديرة بالثقة.

وكيف يمكن لمن يجتازون باستمرار في تجارب الحياة أن يؤمنوا بحماية الله الثابتة والدائمة؟ الإجابة تكمن في تذكّر أن هذه الحياة ليست هي نهاية وجودنا، بل وليست هي الجزء الأهم منه. فقد قال يسوع: "وَلاَ تَخَافُوا مِنَ الَّذِينَ يَقْتُلُونَ الْجَسَدَ وَلكِنَّ النَّفْسَ لاَ يَقْدِرُونَ أَنْ يَقْتُلُوهَا، بَلْ خَافُوا بِالْحَرِيِّ مِنَ الَّذِي يَقْدِرُ أَنْ يُهْلِكَ النَّفْسَ وَالْجَسَدَ كِلَيْهِمَا فِي جَهَنَّمَ" (متى 10: 28).

إن اهتمام الله الأكبر هو أن يُؤمِّن وضعنا الأبديّ وليس أن يسهّل من وجودنا الوقتيّ. ولهذا السبب يسيّج الله بسياج روحيّ حول حياتنا حتى لا يدخلها أي شيء يمكنه أن يدمّر وضعنا الأبديّ معه. ففي النهاية، كيف يمكن لله أن يحبنا بقدر محبته لابنه، ثم يسمح لنا أن نفعل شيئًا أو نجوز في شيء ما يمكن أن تنتج عنه أبديّة في الجحيم؟ نعم سنواجه الكثير من الصعوبات والمشقات في هذا العالم الساقط (تكوين 3: 17–19)، لكن الله لن يسمح قط بأي شيء قد يمزّق علاقتنا به ويفسدها (رومية 8: 35–39).

ليس من المحتمل أن نعلم الأسباب المحدّدة لأي تجربة معيّنة حتى يفسّرها الله لنا في السماء، لكننا نعلم بالفعل أهداف الله العامة ومقاصده. فقد قال الرسول بولس: "وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ الأَشْيَاءِ تَعْمَلُ مَعًا لِلْخَيْرِ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَ اللهَ" (رومية 8: 28). هذا وعد مذهل ورائع: فإن أحداث الكون ليست عشوائيّة. لكن الله يعمل كل شيء لخير شعبه. ثم يستكمل بولس حديثه لوصف ماهيّة ذلك "الخير". فيقول إن كل الأشياء تعمل معًا للخير لنكون مشابهين صورة ابن الله "لِيَكُونَ هُوَ بِكْرًا بَيْنَ إِخْوَةٍ كَثِيرِينَ" (رومية 8: 29).

فإن عمل الله اليوميّ هو تكميل وتوسيع عائلته حتى تأهل السماء بأعداد كبيرة من أبناء مشابهين صورة يسوع. فإن إلهنا، كي يبني فينا (ويظهر للآخرين) شخصيات مشابهة لصورة المسيح، يسمح بأن نجتاز في تجارب هذا العالم. هذه التجارب تفطمنا عن المحبة الزائدة عن الحد للأرضيات، وتساعدنا على فهم القيمة الأكبر لأولويات الله الأبديّة، والحياة لأجل هذه القيمة (2 كورنثوس 4: 17). ومع ذلك فهو لا يسمح لنا قط بما يفوق قدرة احتمالنا (1 كورنثوس 10: 13)، ولا يبعد عنا قط حضوره المحب (عبرانيين 13: 5)، وفي وسط التجارب التي تزيد من إيماننا، كثيرًا ما يمنحنا بركات لتعزيز إيماننا (مراثي إرميا 3: 23).

فإن الله يقيس بدقة كلاً من الدموع والضحكات اللازمة لوضعها في وصفة طعام خيرنا الأبدي (وخير الآخرين). ولهذا السبب لم يكن من السذاجة أن يكتب أخي دافيد من داخل السجن في ليلة ما: "أحزن كثيرًا حين أفكر في أمي وأبي [في ألمهما]، وسأبكي لبعض الوقت قبل أن أصلي، ثم أذهب للنوم". قد يقهقه شخص سفسطائيّ بصوت عالٍ على صلاة تصلى لإله هو نفسه من سمح بأسباب هذه الدموع. ولكن لم تكن دموع دافيد إنكارًا ليد الله العاملة في حياته، بل كانت هي السبب ذاته الذي لأجله احتاج أن يصلي. فقد آمن دافيد بأن الله يمكنه أن يعمل بشكل يفوق ألمه وتمرده لكي يحقق خيرًا أعظم. في ذلك الوقت، لم يكن بإمكان دافيد معرفة الخير الأعظم الذي كان الله يجريه، لكنه كان على وشك أن يعلمه قريبًا جدًا إذ أعلن الله أيضًا عن قوة مثل هذه الصلوات.

القوة الشخصية. الضمان الثالث الذي ننناله في التبنّي هو القوة الشخصيّة. فإن الوسائل التي يستخدمها الله ليجعل كل الأشياء تعمل معًا للخير لهي أروع بكثير من الوعد نفسه. على سبيل المثال، يأتي وعد الله بجعل كل الأشياء تعمل معًا للخير في سياق حديث عن الصلاة. فإن الرسول بولس يقرّ أولاً بالآتي: "لأَنَّنَا لَسْنَا نَعْلَمُ مَا نُصَلِّي لأَجْلِهِ كَمَا يَنْبَغِي" (في تناقض صارخ مع بعض المعاصرين الذي يدّعون أنهم يعلمون بالتأكيد). ثم يضيف: "وَلكِنَّ الرُّوحَ نَفْسَهُ يَشْفَعُ فِينَا بِأَنَّاتٍ لاَ يُنْطَقُ بِهَا. ... لأَنَّهُ بِحَسَبِ مَشِيئَةِ

اللهِ يَشْفَعُ فِي الْقِدِّيسِينَ" (رومية 8: 26–27). يا للروعة! فحتى إن كنا لا نستطيع أن نعرف القدر الكافي كي نوجه الله لفعل الأفضل، فإن الروح القدس يترجم صلواتنا إلى التماسات كاملة كي تتحقّق مشيئة الله.

وحين نقدم التماساتنا لله في ظل رغبة أعظم في أن تتمّ مشيئته (قارن متى 6: 10)، فهو يستجيب بأن يجعل **كل الأشياء** تعمل معًا لخيرنا. فإن الله يعيد تشكيل العالم وفقًا لنا حتى يتحقق الأفضل لنا من الناحية الروحيّة. ومن خلال صلواتنا، نشترك مع الله في خلق واقع جديد. فإن كل شيء يتغير لأننا نصلي، ليس لقوة صلواتنا أو جودتها، بل لأجل قوة وروعة الإله الذي نصلي له.

فقد كان التصريح الذي كرّره كتبة العهد الجديد في رسالة الإنجيل هو أن يسوع رب. لم يكن هذا التصريح مجرد حديثًا أدبيًا فصيحًا، بل كان هو التصريح الفعليّ بأن من خلق كل شيء قد جاء كما وعد الله كي يخلص شعبه بسلطان إلهيّ (مرقس 1: 15؛ أعمال الرسل 2: 36؛ 10: 36). هذا السلطان سيصل إلى ذروته عند نهاية كل شيء، لكنه اليوم أيضًا يغيّر كل واقع من خلال صلواتنا.

وقد اكتشفت عائلتي أن مثل هذه الوعود الإنجيليّة ليست باطلة (إشعياء 65: 24؛ أفسس 3: 20). فقد كانت أحد الأسباب التي بكى أخي دافيد لأجلها هو انفصال أمي وأبي. فقد أبعدت بينهما عقود من الضغوط، وجعلت تجربة أخي أصعب احتمالاً بكثير. وهكذا، وبعد رجوع دافيد إلى الله، بدأ في الصلاة لأجل أبوي الشيخين، واللذين كانا قد انفصلا منذ ما يقرب من خمسة عشر عامًا، كي يصيرا معًا مرة أخرى. وأشفقت عليه للغاية من أن أقول له ما اعتقدته بعدم جدوى صلاته. لكني كنت على موعد مع تذكر بعض الحقائق الكتابيّة التي كان قلبي في حاجة لتذكرها مرة أخرى.

فقبل بضعة أسابيع من حفل زفاف ابنتي الكبرى، اتصلت بي والدتي قائلة بأنها قد رتّبت للمجيء مع أبي. وأضافت: "سنمكث في الفندق ذاته، وفي الحجرة ذاتها." وفي ظل صمتي المصدوم، همست قائلة: "تذكّر، هذا ليس أمرًا مخزيًا، فنحن لازلنا زوجين".

فسألتها: "أمي، هل سارت الأمور بينك وبين أبي إلى حال أفضل؟"

أجابتني وسط دموعها: "لقد تعلمنا أنا ووالدك من خلال تعاملنا مع صعوبات أخيك، أن نستند على بعضنا البعض مرة أخرى". حينها أجهشت بالبكاء، وتعجّبت من هذا الإله الذي يجعل كل الأشياء تعمل معًا للخير، ويستخدم أبسط أمور العالم ليخزي بها الحكماء (1 كورنثوس 1: 27). كان ينبغي أن أتوقّع من الرب أكثر بكثير مما كنت أتوقعه. إلا أن أخي الصغير المحدود عقليًا، والمُدان، وحبيس السجن، قد صدق كلمة الله ببساطة وصلّى طالبًا المعونة منه، فاستجاب الله بحسب مشيئته.

والآن حين يزور أبواي، ذوي التسع وسبعين والاثنين وثمانين عامًا، أخي في السجن، يسيران معًا عبر أبواب مغلقة بالأسلاك الشائكة ممسكين بأيدي بعضهما البعض. وأقول الآن لجميع من يتجرأون على أن يصدقوا هذا معي: "هذا الإنجيل حقيقيّ، فهو يغيّر العالم". لن أعدكم بأن الله سيستجيب لما نطلبه بالتحديد، أو أننا دائمًا ما سنعاين نتائج صلواتنا في أثناء فترة حياتنا، لكني أعدكم بهذا — لأن كلمة الله أيضًا تعد به — بأن الله سيجعل كل الأشياء تعمل معًا للخير للذين يحبونه.

النمو الروحيّ. إن القوة الشخصيّة التي يضمنها لنا التبنّي لا تطبّق على العالم الخارجيّ فحسب، بل على كياننا الداخليّ أيضًا. فالمؤمنين لا يصلّون بإخلاص شديد لشيء أكثر من أن تمجّد حياتهم مخلصهم. ولكننا نظلّ محاصرين بالتجارب، بل ونُهزَم في أحيان كثيرة جدًا من ضعفنا الروحيّ. ولأجل هذه الصراعات يقدّم الإنجيل ضمانًا رابعًا لأولاد الله: فإن الله يمنحنا الموارد الداخليّة اللازمة لمحاربة الخطية.

يطلق على العمليّة التي ننمو من خلالها لنشابه صورة المسيح: "التقديس". وهناك بعض الوسائل العمليّة الي بها تساعدنا كلمة الله على أن ننضج هكذا. أولاً، يخبرنا الكتاب المقدس بما ينتظره الله منا. فهو لا يتركنا فريسة للتخمينات. بل يعطينا الله تعليمات تبقينا آمنين روحيًا، وتتمّم رغبتنا في تمجيده. وفي حين يعتبر العالم شرائع الله وقوانينه هادمة للذّات، يدرك المؤمنون جيدًا أن وصايا الله تقودنا فعليًا في مسالك تسرّه وتشبعنا نحن أيضًا.

وكي لا ننجرف في خداع هذا العالم، يخبرنا الله أيضًا بأن نتعلّم من كلمته، ونظل في شركة معه في الصلاة، ونعبده مع شعبه، ونطلب المشورة من أولئك الكاملين في طرقه. وعن طريق الاستخدام المنتظم لهذه التي تدعى "وسائط النعمة"، ننمو في التقوى. إن وسائط النعمة هذه تصير إلى حد ما فعّالة فقط لأننا كائنات طبيعيّة تستجيب للعمليّات الطبيعيّة من التعلم والسلوك. فإن كنّا عطشى، فإن رشفة من الماء ستؤدّي الغرض، وإن كنّا نصارع مع تجربة ما، فإن المشورة الكتابيّة تعيننا على الابتعاد عنها.

إلا أن تقديسنا ليس مجرد عملية طبيعيّة. بل يقول الكتاب المقدس إن مصارعتنا الروحيّة ليست مع دم ولحم بل مع أجناد الشر الروحية، بداخلنا وخارجنا (أفسس 6: 12). هذه المصارعات تحتاج لمقاومة أكبر مما يمكن للعزيمة البشريّة الإمداد بها. ولهذا يستخدم الرب أيضًا وسائط النعمة كي يمدّنا بقوة فائقة تلزمنا للانتصارات الروحيّة التي نحتاجها.

هذه القوة الروحيّة تدخل إلى حياتنا برفقة إيماننا بأننا صرنا كما تقول كلمة الله عنّا: خليقة جديدة في المسيح يسوع. فقبيل حلول المسيح في قلوبنا، كنا **غير** قادرين على **ألا** نخطئ. لكن يسوع قد غيّرنا. فهو يمد قلوبنا بروحه القدوس ليبكّتنا على الخطيّة (أي لإقناعنا بأنها حقًا خاطئة)، وكي يشدّد من مقاومتنا.

نحن لسنا عاجزين أمام إبليس (كولوسي 1: 13). فقد قال الرسول يوحنا: "الَّذِي فِيكُمْ [الروح القدس] أَعْظَمُ مِنَ الَّذِي فِي الْعَالَمِ [إبليس]" (1 يوحنا 4: 4). فإن الروح نفسه الذي أقام يسوع من الأموات يسكن فينا ويمدّنا بقوة تغلب الخطية وتهزمها.

سيحاول إبليس أن يقنعنا بأن الفشل أمر طبيعي، وأننا لسنا بقادرين على مقاومة الخطية. ولكن كلمة الله تقول إننا نستطيع أن نقاوم لأننا لم نعد متكلين على قوتنا الطبيعيّة وحدها (رومية 8: 11). بالتأكيد إن لم نؤمن بإمكانيّة النصرة، فحينئذ نكون قد خسرنا المعركة بالفعل. ولهذا فإن الإيمان البسيط بحق كلمة الله هو بداية النصرة الروحيّة. فإن الاستخدام المنتظم لوسائط النعمة يدعم الإيمان الذي به يمكننا التصرف بناء على واقع وحقيقة قوتنا.

الضمان الروحيّ. ومن أغراض وسائط النعمة أيضًا أن تغرس في أعماقنا القناعة الراسخة بأننا حتى إن لم نربح كل معركة، إلا أننا نظل محبوبين بالقدر نفسه. وقد كتب صديق بحكمة عظيمة قائلاً: "إن من يعلمون أنهم إن لم يصيروا بحال أفضل قط، يظلون محبوبين بالقدر ذاته، هم وحدهم من يصيرون في حال روحيّة أفضل". يبدو هذا مستحيلاً ومناقضًا للترتيب المنطقيّ. فإن علم الناس أن إخفاقهم لا ينقص من محبة الله، ألن يبقوا حينئذ في خطاياهم؟ نعم، فإن بعض النفوس المتمرّدة أو الفاقدة للحس تستغل النعمة استغلالاً سيئًا، لكن هذا لن يحدث مع أولئك الذين أسلموا أنفسهم لروح الله.

قبل أن نفهم معًا كيف أن محبة الله الثابتة تعزز القداسة بالفعل، نحتاج إلى تناول سؤال مفتاحيّ: "ما الذي يمنح الخطية سلطانًا في حياتك؟" الإجابة هي: "الخطية لها سلطان في حياتك لأنك تحبها". إن لم تكن الخطية تجذبك، فهي لن تملك أي سلطان لإغوائك. الآن لدي سؤال آخر: "ما هي الوسيلة الوحيدة لاقتلاع محبة الخطية؟" الإجابة هي: "محبة أكبر". فحين نحب يسوع أكثر من محبتنا للخطية، نرغب في إرضائه أكثر من رغبتنا في التساهل مع الخطأ (يوحنا 14: 15). فإن محبتنا ليسوع تطرد محبة الشر التي تعطي الخطية سلطانها وقوتها، وتطرحها خارج حياتنا.

والآن لدي سؤال أخير: "ما الذي يجعلك تحب يسوع؟" مرة أخرى يجيب الكتاب المقدس بوضوح: "نَحْنُ نُحِبُّهُ لأَنَّهُ هُوَ أَحَبَّنَا أَوَّلاً" (1 يوحنا 4: 19). الآن صرنا أخيرًا نفهم أنه ليس صحيحًا أنه إن "أحبنا الله بالرغم من خطايانا، حينئذ سننغمس فيها حتى الثمالة". لكننا حين نحبه بالحقيقة، نرغب في إرضائه. وما يجعلنا أكثر رغبة في إرضائه هو معرفة أن محبة الرب الثابتة لا تتوقف ولا تنتهي أبدًا (مراثي إرميا 3: 22–23). فإن نعمته المثابرة تجاه أولاده هي القوة الدافعة والمحفزة نحو القداسة في قلوبنا (رومية 12: 1–3).

بعد أن قضى دافيد في السجن وقتًا ليس بكثير، بدأ يرسل لنا بالبريد أوراق مكتوبة في عجالة من آيات كتابيّة، وكلمات من ترنيمات العبادة التي كانت مجموعة الصلاة التي يشترك فيها ترنم بها. كما بدأ في التوقيع على كل خطاباته هكذا: "ليباركك الرب". فعلى الرغم من أنه كان في السجن، مواجهًا إغواءات وتجارب تفوق ما يمكننا تخيله، لكنه كان يرى نفسه أداة لإعلان مجد الله. فهو كان يريد أن تعكس حياته النعمة التي اختبرها. لا أحد يجبره على كتابة هذه الكلمات، ولا أحد يستطيع. إلا أن محبته ليسوع قد صارت قوة دافعة في حياته، وهذا ينطبق دائمًا على من يعرفون محبة المسيح غير المشروطة ونعمته التي لا تنضب.

الميراث الأبديّ. الضمان الخامس لأولاد الله يكمن في ميراثهم (أفسس 1: 14؛ 2: 7). يقول الكتاب المقدس إن أولاد الله بالتبني وارثون مع المسيح (رومية 8: 17). لا يسعنا في هذه المساحة الصغيرة سوى أن نذكر قدرًا ضئيلاً من العناصر الرئيسيّة لهذا الخبر السار. العنصر الأول هو الحياة الأبديّة، والذي هو ليس بمثابة أعوام لا تنتهي من عزف القيثارات على السحب. فحين يموت المؤمنون، تدخل نفوسهم على الفور إلى محضر أبينا السماويّ المجيد (1 كورنثوس 5: 8؛ فيلبي 1: 21–24). هناك يصير القبول الكامل، والفرح الكامل، والسلام الكامل لنا في الحال، لكن هذه ليست نهاية القصة (لوقا 23: 43). ففي يوم ما سيأتي المسيح ويجدّد الأرض التي خلقها في الأصل حسنة جدًا (إشعياء 65: 17–19؛ رومية 8: 21–23). وستُرَد جميع الامتيازات والفوائد التي تمتّعت بها البشريّة في الأصل في جنة عدن — أي عالم ممتلئ بتدبير الله وعنايته، خالٍ من الألم (رؤيا 21: 4).

سيتم استرداد الخليقة، وسنتجدّد نحن روحًا وجسدًا وذهنًا (1 كورنثوس 15: 52–54). فإن أخي المسجون لن يختبر فحسب غفران الله التام، لكن جسده سيصير نقيًا وطاهرًا مرة أخرى، وسيصير ذهنه صحيحًا وكاملاً للمرة الأولى. سيصير أخي ممجدًا أكثر من الملائكة (1 يوحنا 3: 2–3). وسيتجوّل بحريّة في الخليقة الجديدة مرفوع الرأس، لامع العينين، قلبه مبتهج بالجمال المحيط به. أما عائلتي، أولئك الذين قد رحلوا بالفعل عنّا، بالإضافة إلى العتيدين أن يدخلوا إلى السماء، فسيجتمعون معه مرة أخرى، ومع جميع من يحبون يسوع (1 تسالونيكي 4: 14–18). سنحتفل ونبتهج على مائدة ربنا، ونتلذذ بصلاحه، ونتمتع إلى الأبد بعالم قد صار كاملاً بنعمة إلهنا. فإن من جاء كي يخلّص الخطاة يعطي خلاصًا هذا مقداره، حتى أنه يرد الأرض بأكملها، ويشمل كياننا بالكامل، ويدوم إلى الأبد (رؤيا 21: 1).

من يكمّله الله يستخدمه[47]

قصد فرديّ

إن محبة المسيح الممتدة تجاه شعبه وتجاه عالمهم — والتي ظهرت في فدائه لكليهما — لها تأثير قوي على جميع من يحبونه. فإننا إذ نحبه، نحب أيضًا **الأشياء والأشخاص** الذين يحبهم. فبعد وقت قصير من تكريس أخي دافيد حياته للمسيح، كتب ذلك الأخ — الذي كان فيما سبق دنسًا بالقول والفعل — الآتي: "أحب يسوع حبًا شديدًا [حتى أنني الآن] لا أتحمل أن يستخدم الناس اسمه باطلاً. أريدهم أن يعلموا مقدار صلاحه". حين يسكن يسوع في قلوبنا، فإن قلبه يصير لنا (رومية 6: 4–11).

إن من يحبون المسيح يرغبون في إرضائه بأن يحبوا أولئك الذين يحبهم. فإننا نتلذذ بكوننا سفراء عنه لغير المؤمنين، ويديه للمحتاجين، وصوته للمقهورين، ووكلاء على الخليقة التي خلقها في عناية منه بالجميع. كما أننا نبتهج بامتداد عائلة المسيح فوق الحدود البشريّة للعرق، والمكان، والفئة، والثقافة، ونتلذذ بأن نحب الجميع بمقتضى هذا. وفيما نعبر عن محبة المسيح في داخلنا ونظهرها، فإننا نحن الذين كنا قبلاً أنفسنا معوزين نكتشف في نهاية الأمر جانبًا أخيرًا من خلاص المسيح: القصد الإلهي.

لقد نجونا بالفعل من حياة باطلة وبلا قيمة، وأيضًا من حياة مليئة بالخطيّة (1 بطرس 1: 18). فإن يسوع يجعل من المنكسرين أناسًا نافعين. فهو لم يكن قد انتهى بعد من عمله في ذلك الرجل الذي طرحته إخفاقاته في زنزانة بالسجن مع أخي. فحين شارك ذلك الرجل إيمانه مع أخي — الذي كان من عرق آخر — اختبر كلاهما محبة المسيح، وصارا أخوين روحيًا إلى الأبد.

ومرارًا وتكرارًا تلقّى أخي المعاق مساعدة في السجن من رجال كان من المفترض أن يفرّقهم عرقهم أو خلفياتهم في المجتمع الطبيعيّ. وفيما تعلّم دافيد محبة أعظم من تعصّبه وتحيّزه، صار أداة لمحبة المسيح. فإن ثقته البسيطة فيمن يختلفون عنه وصداقته معهم قد دشّنت بداخل حوائط السجن مجد العلاقة الأخويّة الأبديّة في السماء.

قصد جماعيّ

إننا نشترك في مقاصد المسيح المُغيّرة كأفراد لكن أيضًا كجماعة. فإننا من خلال الكنيسة ننادي بخبر المسيح السار بالكلمة والفعل حتى ينتشر ملكه وحكمه من قلب لآخر عبر كل الأمم (كولوسي 1: 22–24). فإن ملكوته التام هو القصة التي تكشف عنها كلمة الله تدريجيًا منذ صفحاتها الأولى. فإن إلهنا لن يترك خليقة متألّمة في ألمها. وعلى الرغم من الخيانة التي أدّت إلى انهيار العالم والساكنين فيه، لم

يتخلّ الله عن ذلك العالم أو عن أولئك الساكنين فيه. فهو يفتدي الشعب حتى يعرفوا نعمته ويساهموا في امتدادها. وهكذا، فإن الخلاص الذي يأتي به الله هو لأجل الخطاة وهو أيضًا من خلالهم. ونحن في الكنيسة نجتمع معًا كي نسبّحه لأجل هذا الصلاح، وكي نشجّع أحدنا الآخر كي نحيا له، وكي نساعد الآخرين على إدراك محبته المُغيّرة واختبارها.

إن قصة الخلاص القديمة والتي تم إعلانها هي لأجلنا، وهي تشملنا، وهي أيضًا تجمعنا في حضن أكبر. فهناك قصد يفوقنا، وفي تتميمنا لهذا القصد مع الآخرين، نحتفل مع جسد المسيح بهويتنا الجماعيّة. فإن المسيح يمنحنا ككجماعة تتميمًا لامتداد ملكوته واشتراكًا فيه، ذلك الملكوت الذي يغير كل شيء لمجده (أفسس 1: 21). وفيما نعيش في جماعة مؤمنين، مشجّعين، ومرشدين، ومشدّدين، ومسامحين بعضنا بعضًا، نصير نورًا وملحًا مغيّرًا للعالم الذي نحيا فيه (متى 5: 13–16؛ أفسس 3: 10–21).

قصد فدائيّ

لقد خلصنا لأجل هذا الامتياز العظيم أن نشترك في عمل المسيح المغيّر، ونحن لأجل هذا القصد العظيم، نكرم ملكنا ونعكس نعمته في جميع أبعاد حياتنا — أي في علاقاتنا، وأعمالنا، وتسلياتنا، وعبادتنا. فإننا لا نحجب أي جانب من حياتنا ونمنعه أن يعكس مجد المسيح حيث ينشر ملكه في كل أنحاء وأبعاد الحياة.

لا يمكن للاختلافات الطقسيّة واللا دينيّة أن تستخدم لعزل أمور المسيح عن أي جانب من جوانب الحياة. فهو الرب الذي جاء وسيأتي كي يسود بملكه الرحيم والمنعم على الكل. فهو يخلّصنا كي نكون له. وإذ نجد أكبر قدر من الاكتفاء والشبع في تكريس كل جانب من جوانب حياتنا له، هو أيضًا يتلذّذ باستخدامنا لأجل مقاصده الأبديّة وكي يفتدي العالم من خلال جهودنا الفرديّة والجماعيّة.

حين أعلن كتبة الأناجيل عن إنجيل يسوع المسيح، كان هذا الإعلان عادة مصحوبًا بإعلان أن رب الكل قد جاء. ولا يوجد فرح يمكن أن يصاحب مثل هذا التصريح إن كان يشير فحسب إلى بداية حكم طغياني مستبد. ولكن إن أتى الملك ليخلص الخطاة، وكان خلاصهم هذا يتضمّن قلبًا متجددًا، وحياة تتميز بالقوة، وعالمًا متغيرًا، حينئذ يكون هذا هو حقًا الخبر السار. فإن هذا الخبر سار حتى أن الملائكة أنفسهم يشتهونه، ونحن أيضًا من نحب مانح هذا الإنجيل أيضًا نعتز بالمناداة به (1 بطرس 1: 10–12). وسواء اختبرنا سجنًا للجسد، أو الذهن، أو العادات، أو الذنب، أو العلاقات، أو الظروف، فإن يسوع المسيح يأتي كي يخلصنا أبديًا من كل هذا. هذا هو الخبر السار، وهذا هو الإنجيل!

الفصل الثامن

فداء المسيح

ساندي ويلسون

حين تخرج أحد أبنائي من الجامعة، كان من عادة الجامعة التي كان يرتادها أن تقيم احتفالاً للخريجين في الليلة التي تسبق حفل التخرّج الرسميّ. وبالطبع، كان من المعتاد تاريخيّاً أن يُخصَّص هذا الاحتفال لراعي كنيسة حيث كانت تقدَّم عظة عن الإنجيل. أما اليوم، فما لم تكن المؤسسة المستضيفة للاحتفال إنجيليّة، لا مجال أن نتوقع تقديم عظة مسيحيّة. وبالطبع لم أكن أتوقع بالتالي أن أسمع مثل هذه العظة. وفي واقع الأمر، تم دعوة رابي يهوديّ كي يلقي خطاب الاحتفال، وقد صادف معرفتي به. فهو شخص بارز، ومؤثر، ومثير للانتباه، وهكذا لم يفاجئني أن أجد خطابه مشجعًا، وعمليًا، وعميقًا من جهة الفكر. بل في حقيقة الأمر، كان هذا الخطاب أفضل خطاب سمعته بحسب ما أتذكّر، فقد وجدت أني أوافق على كل ما قاله دون استثناء.

وبعد هذه التجربة، لم يسعني سوى أن أتأمل في حال الكثير من الوعظ المسيحيّ في هذه الأيام. فهو عادة ما يكون أقل لفتًا للانتباه من عظة هذا الرابي، وكثيرًا ما لا يحوي شيئًا يمكن للرابي نفسه أن يختلف معه. فالكثير من العظات التي تُلقى في التلفاز، أو الإذاعة، أو فوق منابر الكنائس خالية للأسف من أي شيء يتميز بكونه مسيحيًا. بل غالبًا ما تحتوي على أمور "منطقيّة" يتفق معها جميع البشر أصحاب النوايا الحسنة بوجه عام. كما أننا غالبًا ما لا نقدم سوى حكمة "كيف تفعل كذا" ذاتها التي يقدمها الآخرون، فيما عدا أننا نستشهد فيها بقصة من الكتاب المقدس أو بحقيقة كتابيّة. لكن صديقي الرابي أيضًا كان يستخدم قصصًا ومبادئ من العهد القديم والعهد الجديد على حد سواء، وقد أجاد حقًا في هذا. إذًن ما الذي ينبغي أن يميّز الوعظ المسيحيّ؟

يدور الوعظ المسيحيّ في الأساس حول يسوع المسيح وما فعله ليفتدي شعبه. فإن الإنجيل ينادي بالمسيح. فالإنجيل يمجد الله الآب من خلال تمجيده للمسيح. وبالتالي، فإننا إن أسأنا فهم أو تفسير هويّة المسيح وعمله، فإننا بهذا نعرّض خلاصنا الأبديّ للخطر. ولذلك، فقد وضعنا في مركز وقلب إقرار إيمان هيئة ائتلاف الإنجيل تصريحنا عن يسوع المسيح وعن عمل فدائه العظيم. وهذا التصريح هو جوهر ما نعلّم به، ونعظ به، وما نقدمه كمشورةٍ.

المسيح، الابن الأزليّ

"**نؤمن بأن المسيح، مدفوعًا بمحبته لأبيه وطاعته له ...**"[48] من البداية، يتناول إقرار الإيمان هذا السؤال: "لِمَ قد يفعل يسوع ما فعله؟" ما نتعلمه من الكتاب المقدس هو أنه يوجد تفسير واحد لهذا: أن يسوع المسيح يحبنا، وهذه المحبة ليست لأجل شيء فينا، بل لأجل شخصه. ولا مجال لفهم وإدراك يسوع المسيح بمعزل عن المحبة. فإن المحبة هي التي حفّزت وحرّكت كل فعل قام به. وإن لم يكن بإمكاننا أن نستقبل المحبة، لن نتمكن من أن نستقبل المسيح. وإن لم نستطع أن نقدم المحبة، فإننا لن نتمكن من أن نخدم المسيح. فإن الدافع الأكبر وراء جميع أقوال المسيح وأعماله، ووراء تضحيته العظيمة لأجلنا، هو محبته لنا التي لا نستحقها والتي لم تكن لأيّة مؤهلات فينا.

وما يزيد من روعة وجمال هذه المحبة هو أن يسوع المسيح، قبل أن يأتي إلى الأرض، كان موجودًا بالفعل باعتباره الأقنوم الثاني في اللاهوت، الابن الأزلي لله. يقول يوحنا: "فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللهِ، وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللهَ" (يوحنا 1: 1). أيضًا يطلق يوحنا عليه "وَحِيدٍ مِنَ الآبِ" (يوحنا 1: 14). فهو كان "قبل كل الدهور، إله من إله، ونور من نور" (قانون الإيمان النيقوي). فهو منذ الأزل كان في فرح وسعادة كاملة، مساويًا لله الآب والله الروح القدس. وهو لم يكن في حاجة إلى أحبّاء، إذ كان في شركة حميمة مشبعة بلا حدود مع أبيه، وهكذا كان يتمتع بجميع ملذّات ومسرّات النعيم الأزلي.

فإن المحبة التي دفعت المسيح أن يترك مكانه المبارَك ويأتي إلى هذه الأرض هي محبة يشترك فيها مع أبيه منذ الأزل — من نحونا! فقد قال يسوع أنه أتى ليعمل مشيئة أبيه، ومشيئة أبيه هي خلاص شعبه. فإن ابن الله يشترك اشتراكًا كاملاً في ذلك القصد المحب — في محبة شديدة النقاوة، وشديدة القوة، وشديدة الرأفة حتى أن البشر والملائكة عاجزون تمامًا عن استيعابها.

المسيح، مخلّصنا المتّضع

"... **صار الابن الأزليّ إنسانًا** ...". واحدة من صفات المسيح الملحوظة بشدة هي صفة اتضاعه. فإننا عاجزون عن سبر غور عمق وشدة الاتضاع اللازم كي يترك المسيح عرش السماء ويُولد على الأرض من امرأة ريفيّة فقيرة. وقد كُتبت آلاف الترنيمات والأشعار في محاولةٍ لفهم هذه الحقيقة الرائعة.

أنت يا من كنت غنيًا،
فوق كل عظمة وغنى؛
فقط لأجل الحب افتقرت،
تركت عروشًا لأجل مذود،

وقصورًا مفروشة بالياقوت لأجل حظيرة.
أنت يا من كنت غنيًا،
فوق كل عظمة وغنى؛
فقط لأجل الحب افتقرت.[49]

وينضم بولس لجوقة التسبيح فيقول: "الَّذِي إِذْ كَانَ فِي صُورَةِ اللهِ، لَمْ يَحْسِبْ خُلْسَةً أَنْ يَكُونَ مُعَادِلاً للهِ. لكِنَّهُ أَخْلَى نَفْسَهُ، آخِذًا صُورَةَ عَبْدٍ، صَائِرًا فِي شِبْهِ النَّاسِ. وَإِذْ وُجِدَ فِي الْهَيْئَةِ كَإِنْسَانٍ، وَضَعَ نَفْسَهُ وَأَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتَ مَوْتَ الصَّلِيبِ" (فيلبي 2: 6-8)

كان هذا الاتضاع لازمًا كي ينجو البشر من المأزق الذي هم موضوعون فيه. فقد كانت ظروفنا سيئة حتى أنه كان من المستحيل أن نخلص بالجهد البشريّ. فإن ما فعله يسوع المسيح لأجلنا، لم يكن من الممكن أن نفعله نحن لأنفسنا. وكانت الوسيلة الوحيدة على الإطلاق لخلاصنا هي أن يتنازل الله إلى حالتنا البائسة في عالمنا المنهار. ولذا كان لابد له أن يأتي ليأخذنا. وهذا هو بالتحديد ما فعله.

ويمكن تقسيم حياة يسوع المسيح إلى قسمين تاريخيين متتاليين: اتّضاعه ثم تمجيده. وبالحديث عن اتضاعه، غالبًا ما نشمل في حديثنا تجسّده، وخضوعه الكامل لناموس الله، وآلامه، وموته، ودفنه. ويمكننا ملاحظة هذا التتابع في إقرار الإيمان الخاص بنا. فإن كل جانب من جوانب اتّضاعه لازم لأجل فداء شعب الله، ولذلك حسن وجيد لنا أن نؤمن بهذه الأشياء، ونتأمل فيها، ونذيعها، ونحيا في نورها.

تجسّده

"...**الكلمة صار جسدًا، إلهًا كاملاً وإنسانًا كاملاً، شخصًا واحدًا ذي طبيعتين. الإنسان يسوع، مسيّا إسرائيل الموعود به، حُبل به بتدخل معجزيّ من الروح القدس، ووُلد من مريم العذراء**". لم يكن الحبل بيسوع المسيح وولادته أمرًا غير معتاد أو معجزيّ فحسب، بل كان أيضًا أمرًا فريدًا من نوعه (*sui generis*). ولكي نتأكد من هذا، فإننا نجد في العهد القديم بعض وقائع الحبل والولادة غير المعتادة بشكل كبير، وأولها واقعة إبراهيم (تسعة وتسعين عامًا) وسارة (تسعين عامًا) اللذين أنجبا إسحاق. أيضًا توجد ولادة صموئيل العجيبة (1 صموئيل 1)، وولادة شمشون (قضاة 13)، وولادة يوحنا المعمدان (لوقا 1). إلا أن جميع هذه الولادات، بالإضافة إلى أي ولادة أخرى قد وقعت يومًا ما، كانت تتضمن أبًا من البشر، وأمًا من البشر.

أما في حالة يسوع الناصري وحدها، يُحبل بإنسان ويُولد من أم من البشر ومن الله. وبمرور السنوات، وحتى في هذه الأيام، يقول البعض إن عقيدة الحبل العذرويّ هي عقيدة لطيفة وجيدة ولكنها

ليست ضروريّة، فهي شيء لا ينبغي علينا أن نتصارع لأجله، أو نشغل فكرنا به بشكل زائد عن الحد. على النقيض من هذا، علَّم اللاهوتي العظيم أثناسيوس (296 – 373 م) بأن الناسوت الكامل للمسيح كان لازمًا لأن الله لم يكن يمكنه أن يخلِّص سوى ما أصبح عليه المسيح، ولذا فإن لم يكن المسيح إنسانًا كاملاً، لم يكن من الممكن أن يخلص البشر على الإطلاق. أيضًا علَّم أنسلم (1033 – 1109 م) بأن المسيح كان لابد أن يكون إلهًا كاملاً كي تكون ذبيحته كافية لجميع شعب الله، وإلا فإن إنسانًا واحدًا يمكنه على أقصى تقدير أن يموت بديلاً عن إنسانٍ واحدٍ فحسب.

لازلنا اليوم نؤمن بهذا، ليس في الأساس بسبب تعليم أنسلم وأثناسيوس بهذا، بل لأن كتابات متى ولوقا الموحى بها تعلّمه (متى 1؛ لوقا 1–2). كيف لنا أن نستوعب شدّة اتّضاع المسيح في تجسّده؟ فإن ترك بيل جيتس وميليندا زوجته بيتهما الفخم الواقع على الساحل الغربيّ، ومكثا في منزل وسط أحياء كيبيرا الفقيرة في نيروبي، بكينيا، فهما مع كل هذا لن يرتقيا إلى مستوى إنكار الذات الذي وصل إليه المسيح في أخذه لجسم بشريّتنا. حقًا ياله من مخلّص محب!

خضوعه الكامل للآب

"**هو أطاع أباه السماوي طاعة كاملة، وعاش حياة خالية من الخطية، وصنع آيات معجزيّة ...**". منذ وقت ليس ببعيد، قامت كنيستي، الكنيسة المشيخيّة الثانية في مدينة ممفيس بولاية تينيسي، بمنحي أنا وزوجتي أجازة مدفوعة الثمن، فقضينا أربعة أسابيع نسافر ونتجول كثيرًا. وكنا في كل أحد نزور كنيسة مختلفة، وصدمني ما سمعته من واعظين على مدار يومي أحد متتاليين، في كنيستين تبعدان عن بعضهما مئات الأميال، وهما يقدمان أعذارًا لكنيستيهما عن نفاذ صبر المسيح، ونوبات غضبه، وتبلد إحساسه. لم أستطع تصديق ما أسمعه. ماذا يعتقد هذين الواعظين في نفسيهما؟ هل يفهمان خطورة ونتائج هرطقتهما هذه؟ هل يدركان أنه إن كان المسيح خاطئًا بأي شكل أو بأي درجة، كان سيصير ذبيحة "مشوبة بالعيب"، غير جديرة بالتكفير عن خطايانا؟

لكن مجدًا للرب أن الكتاب المقدس يعلن أنه ذبيحة ثمينة لأجلنا، لأن المسيح، مع كونه مجربًا في كل شيء مثلنا، لكنه لم يخطئ قط — سواء بالفكر، أو بالقول، أو بالفعل. فلم تكن حياته ذبيحة ثمينة فحسب لأجل خطايانا، لكن الكتاب المقدس يعلّم أيضًا أن المسيح وضع نفسه طوعًا تحت الناموس، كي يتمّم من أجلنا جميعًا ما قد أخفق أبونا البشريّ الأول، آدم، في فعله. فإن يسوع "ولد تحت الناموس" (غلاطية 4: 4–7)، وختن (لوقا 2)، ونشأ وكبر (لوقا 2)، واعتمد من يوحنا المعمدان (يوحنا 1)، كي يتمّم عنّا كل بر.

آلامه، وموته، ودفنه

"... **وصُلب في عهد بيلاطس البنطيّ** ...". لقد عانى المسيح الكثير في خلال سنوات خدمته العلنيّة الثلاثة: طلبات المساكين والبرص والثكالى، بالإضافة إلى احتقار القادة الدينيين له، وعدم إيمان تلاميذه أنفسهم به، وقسوة المحتل الروماني في إسرائيل. إلا أن ألمه الأعظم جاءه من يد أبيه. ففي الليلة التي سبقت صلبه، في بستان جثسيماني، صلى يسوع تحت ضغط وكرب عنيف، قائلاً: "يَا أَبَتَاهُ، إِنْ شِئْتَ أَنْ تُجِيزَ عَنِّي هذِهِ الْكَأْسَ. وَلكِنْ لِتَكُنْ لاَ إِرَادَتِي بَلْ إِرَادَتُكَ" (لوقا 22: 42). ثم من فوق الصليب، وتتميمًا للمزمور المسيانيّ (مزمور 22)، صرخ يسوع إلى أبيه قائلاً: "إِلهِي، إِلهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟" (متى 27: 46).

لمَ قد يسمح الله، أو حتى يعيّن مُسبقًا، مثل هذه التحريف البادي للعدالة؟ (أعمال الرسل 2: 22–23). يفترض القرآن إجابة على هذا السؤال: أن يسوع لم يمت حقًا. بل من مات هو شخص آخر (يهوذا)، بدا فحسب وكأنه هو يسوع. فإن القرآن يتصور أن نبيًا بارًا مثل يسوع لا يمكن أن يُذَل هكذا قط، فإن الله لم يكن من الممكن أن يسمح بهذا. لكن الشيء المذهل أن الله لم يسمح بهذا فحسب، لكنه قضى به وعيّنه منذ الأزل (1 بطرس 1: 19–20). فإن يسوع، بدافع محبته لنا، قاسى المهانة التامة للجلد والصلب مثله مثل مجرم عادي. **ما أعجب هذه المحبة! كيف لك أنت يا إلهي أن تموت عني؟**

المسيح، ربّنا المُمجّد

لا يسعنا سوى أن نتخيل الحالة البائسة التي عانى منها التلاميذ في السبت الذي تلا صلب يسوع. فهم كانوا قد آمنوا بأنه هو المسيّا المنتظر منذ زمن طويل. لكن الجميع يعلمون أن المسيّا يملك، وكي يملك لابد أن يكون على قيد الحياة. أما يسوع فقد مات. وكان موته يناقض كل ما سمعوه ورأوه فيه خلال الثلاث سنوات التي جالوا فيها معه.

فقد خدموا معه، وأكلوا معه، وناموا معه، وصلوا معه؛ ولم يسمعوا منه قط كلمة شريرة، أو يروا فيه تصرفًا فاسدًا. ولم يشهدوا نقصًا في محبته تجاه المحتاجين، ولم يروه قط مرتبكًا بسبب العلماء ورجال الدين. فقد رأوه يهدّئ الرياح والأمواج، ويخرج الأرواح النجسة، ويشفي العميان، بل ويقيم الأموات. وقد أطلقوا عليه اسم "المسيح"، وهو قد أكّد لهم بأن الروح القدس هو من أعلن لهم ذلك الحق. فقد كان كل شيء يشير إلى مسيانيّته. فكيف أنى له أن يموت؟ فإن "مسيّا ميت" يعد تناقضًا لفظيًا، مثل أن نقول "الثلوج الساخنة".

وفي صباح الأحد الذي يلي الصلب الذي وقع في يوم الجمعة، شقّت بعض النسوة طريقهنّ إلى قبر يسوع كي يعتنين بجسده ويكرّمنه بالحنوط والأطياب. وهكذا صرن أولى الشاهدات من البشر على أعظم انقلاب في المصير اختبره أي إنسان على الإطلاق. لقد مات يسوع، وهو الآن حيّ! وهنا بدأ ما يطلق عليه اللاهوتيّون تمجيد المسيح، وهذا التمجيد يتضمّن قيامته، وصعوده، وجلوسه عن يمين الله، ومجيئه الثاني في المجد.

قيامته

"... **وقام بالجسد من الأموات في اليوم الثالث** ...". تعد قيامة يسوع المسيح هي الحادث الذي توّج جميع أعمال الله العظيمة والقديرة في الفداء — وهي أروع وأعظم من شق البحر الأحمر، وأجمل من زلزلة جبل سيناء، وأضخم من إسقاط أسوار أريحا، وأكثر إبهارًا من انتصار داود على جليات. فإن مستقبل العالم المخلوق يستند على هذا العمل العظيم الذي عمله الله. ورجاء كل مؤمن حقيقيّ يستند بشدة على الحقيقة التاريخيّة لهذا الحدث.

لم تكن قيامة المسيح مجرد فكرة كما يدَّعي البعض، ولم تكن "قيامة روحيّة" من نوعها، بل كانت قيامة بالجسد ذاته الذي تألّم ومات على خشبة الجلجثة. هذا هو ما نادى به التلاميذ الأوائل بقوّة وجسارة ودون هوادة، قائلين: "أَنَّ اللهَ جَعَلَ يَسُوعَ هذَا، الَّذِي صَلَبْتُمُوهُ أَنْتُمْ، رَبًّا وَمَسِيحًا" (أعمال الرسل 2: 36). وقد تلذّذ التلاميذ كثيرًا بحقيقة أن ربّهم يسوع قد تبرّأ بالكامل وتمجّد "وَتَعَيَّنَ ابْنَ اللهِ بِقُوَّةٍ مِنْ جِهَةِ رُوحِ الْقَدَاسَةِ، بِالْقِيَامَةِ مِنَ الأَمْوَاتِ: يَسُوعَ الْمَسِيحِ رَبِّنَا" (رومية 1: 4).

صعوده

"... **وصعد إلى السماوات** ...". كان التلاميذ مبتهجين ليس لأنهم علموا أن يسوع حيّ فحسب، بل لأنهم شاهدوه وهو يصعد إلى السماء (لوقا 24؛ أعمال الرسل 1). فإنه بالصليب والقبر الفارغ غلب جميع أعدائه وأعدائنا، والآن شاهدوه أمام أعينهم يعود إلى موطنه كملك. فلم يعد من الممكن أن يتعرّض ثانية لكبرياء الفريسيين، أو مؤامرات الصدوقيين، أو قسوة الرومانيين. ولن يُقبَض عليه ثانية بيدي قيافا، وبيلاطس، وتابعيهم — أو حتى بيدي الشيطان نفسه. فقد صعد عن يمين الله، آمنًا إلى الأبد، وفرحًا إلى الأبد، وملكًا إلى الأبد.

أيها القديسون انظروا فالمشهد مجيد:
انظروا رجل الأحزان؛
عاد من الحرب غالبًا،

ستسجد له كل ركبة؛
توجوه، توجوه،
توجوه، توجوه،
صارت التيجان من سيماء الغالب،
صارت التيجان من سيماء الغالب. ...

اصغوا إلى صرخات التهليل!
واصغوا إلى نغمات الغلبة العالية!
فقد شغل يسوع المكانة الأسمى؛
يا لبهجة هذا المشهد!
توجوه، توجوه،
توجوه، توجوه،
ملك الملوك ورب الأرباب!
ملك الملوك ورب الأرباب![50]

جلوسه

"**وهو جالس الآن، كملك وسيط، عن يمين الله الآب، ممارسًا في السماء وعلى الأرض كل سيادة الله، وهو رئيس كهنتنا وشفيعنا البار**". منذ بضعة سنوات، كنت أقود مجموعة صلاة مكونة من رعاة كنائس، ومرسلين، وزوجاتهم. وقبل أن نصلي، طلبت منهم أن يغلقوا أعينهم ويتخيلوا يسوع المسيح. وبعد بضعة لحظات، طلبت منهم أن يشاركوا بقية المجموعة بما "رأوه" في تخيلاتهم. رآه واحد يحب الأطفال الصغار ويباركهم، وآخر رآه يعلّم الجموع، وآخر رآه يبارك الخبز والسمك، ورآه آخر يصلّي في بستان جثسيماني.

ومن خلال تأمّلنا في هذا، أدركنا أمرًا هامًا (إلى جانب حقيقة أن غالبيّة صورنا كان مصدرها الصور البسيطة الموجود في الكتاب المقدس العائلي القديم): وهو أن جميع تخيّلاتنا عنه كانت سابقة للصعود. فإننا لم نكن نفكّر في يسوع كما هو في الوقت الحالي، بل كما كان قبلاً. فإن تمجيد يسوع المسيح ليس حدثًا تاريخيًا فحسب، بل هو أيضًا واقع حالي. فإن يسوع لم يعد متسربلاً بجسدٍ فانٍ، بل بمجدٍ لا يُفنى. وحين رأى الرسول يوحنا يسوع في رؤيا كما هو الآن، سقط يوحنا كميت. ووحده الله هو من كان يستطيع أن يقيمه (رؤيا 1: 17).

هذا المسيح الممجّد والبرّاق بشكل غامر وساحق هو المسيح الذي عرفه يوحنا، وأحبّه، وعبده، وخدمه. وهو يملك الآن كملك وسيط، يشفع فينا، ويملك علينا، ويحامي عنّا. فهو قد أخذ جسدنا إلى داخل بلاط عرش الله الثالوث حيث يتم الآن تمثيلنا على نحو كامل، وحيث نختبر حماية مستمرة. ولذلك ليس لدينا شيء نخشاه سوى الله نفسه (متى 10: 28).

مجيئه الثاني المجيد

سيأتي المسيح ثانية في مجد لينهي كل شيء ويأخذ مكانته الصحيحة كملك ورب ممجّد، الذي فيه وتحت ظلاله سيتّحد الكون بأكمله في تسبيح لا ينتهي (أفسس 1: 10).

المسيح، ممثّلنا وبديلنا

"**نؤمن بأن يسوع المسيح بتجسّده، وحياته، وموته، وقيامته، وصعوده، كان ممثّلاً وبديلاً عنّا. وهو فعل هذا حتى نصير نحن بر الله فيه** ...". سيكون لدينا بالفعل سبب كافٍ لنحمد يسوع المسيح ونعبده، إن كان جلّ ما عرفناه هو ما تحدّثنا عنه بالفعل في هذا الفصل: لاهوته الأزليّ، وطاعته المُحبة لأبيه، واتّضاعه، ومجده الفريد عن يمين الله. إلا أن الكتاب المقدس مع هذا يقدّم لنا المزيد من الأسباب الشخصيّة التي تجعلنا نحبّه ونعبده. فإن كل ما فعله كان لأجلنا.

فهو وُلد في هذا العالم لأجلنا (غلاطية 4: 4–7)، وصُلب لأجل خطايانا (غلاطية 3: 13)، وأقيم لأجل تبريرنا (رومية 4: 25)، وصعد إلى السماوات ليعد لنا مكانًا (يوحنا 14: 12). ونتعلّم من كلمة الله أن الوسيلة التي بها صنع المسيح هذا هي أن يصير بديلاً عنّا حتى يتسنّى له أن يتمّم بدلاً عنّا ما لا نستطيع نحن فعله بأنفسنا. هذا المفهوم يقع في جوهر وقلب الإيمان المسيحيّ، وبدونه يفقد الإنجيل قوّته الفريدة.

الكثير من الديانات تعلّمنا بأننا نحتاج إلى الإصلاح، والبعض منها تقدّم لنا النماذج الأوليّة العظيمة التي ينبغي علينا محاكاتها: مثل إبراهيم وموسى (اليهوديّة)، ويسوع (المسيحيّة)، ومحمد (الإسلام)، وبوذا والدالاي لاما (البوذيّة)، وكونفوشيوس (الكونفوشيوسيّة)، إلخ. لكن ديانة واحدة فحسب (المسيحيّة الإنجيليّة) هي التي تعلّمنا أن شخصًا آخر قد أتمّ بالفعل الآتي نيابة عنا: 1) عاش تلك الحياة، 2) أخذ العقوبة التي نستحقّها عن جميع خطايانا، وأيضًا 3) بلغ الحياة المقامة والحالة الممجدة، حتى أننا نحن، من الجهة الروحيّة، صرنا جالسين بالفعل عن يمين الله. هذا هو سر الإيمان المسيحيّ العميق (كولوسي 1: 25؛ 1

تيموثاوس 3: 16): فمن خلال الحياة البدليّة والموت البديليّ لربنا يسوع المسيح، نصير نحن بر الله (2 كورنثوس 5: 21).

حياة بلا خطيّة لأجلنا

يعلّم الكتاب المقدس بأن آدم، الإنسان الأول، كان هو فعليًا ممثّلنا الأول (رومية 5: 12). وباعتباره كذلك، فإن نجح، ننجح نحن، وإن أخفق، نخفق نحن. وهو قد أخفق. فأخفقنا نحن. وهو أخطأ، ولذلك نخطئ نحن. هو صار خاطئًا، وهكذا فإننا خطاة. أيبدو هذا ظلمًا؟ أتعتقد أنك كنت ستبلي بلاء أفضل منه؟ ها هو كبرياؤك قد ظهر، مبرهنًا مرّة أخرى على أنك خاطئ.

إلا أن جمال القصة يكمن في أنه بعد سقوط الإنسان وعد الله مباشرة بمجئ ممثّل جديد، من نسل حواء، ويومًا ما سيسحق هذا الممثّل عدونا إبليس (تكوين 3: 15). وكان يسوع هو ذلك النسل، أي آدم الثاني، وهو قد عاش حياة كاملة لأجلنا، حتى حين نضع ثقتنا فيه، ننال جميع مزايا عمله الكامل، وطاعته الكاملة للآب. فإن كل ما فعله يوضع في سجلاتنا. وحين ينظر الله إلى "سجل الأداء" الخاص بالمؤمنين، فهو يرى أن ابنه الحبيب يسوع هو من أتمّ هذا العمل. فإننا قد لبسنا المسيح، وقد حسب الله لنا استحقاقات حياة ابنه الكاملة. فإنه لحقٌ مبارك أن يسوع قد عاش حياة بلا خطية **لأجلنا**.

موت أليم لأجلنا

كثيرًا ما نستخف على نحو سيء بحجم مشكلاتنا الأدبيّة والروحيّة. فكنتيجة لسقوط آدم، صرنا خطاة مذنبين، موضوع غضب الله. فإننا فاسدون من كل جوانب ونواحي طبيعتنا البشريّة، متجنّبون عن حياة الله، وقد صرنا أعداءً له. كما أننا عاجزون أدبيًا وروحيًا عن تغيير أو خلاص أنفسنا. فقط الموت البديلي لربنا يسوع المسيح هو ما يمكنه أن يحل هذه المشكلات العويصة.

لقد مات يسوع بدلاً عنّا. وهو لم يكن مستحقًا للموت. بل نحن من كنّا نستحقه. وهو مات لأن الله، لأجل مجده وبدافع نعمته غير المحدودة من نحونا، قد حسب جميع خطايانا على ابنه الحبيب. وهكذا، حمل يسوع المسيح، بموته الكفاريّ (أي بدمه)، خطايانا في جسده، رافعًا إيّاها عنّا. فقد أشار يوحنا المعمدان إلى يسوع، قائلاً: "هُوَذَا حَمَلُ اللهِ الَّذِي يَرْفَعُ خَطِيَّةَ الْعَالَمِ!" (يوحنا 1: 29، 36). لقد كفّر يسوع عن خطايانا (أي رفعها ومحاها) بأن أخذها على عاتقه. "لأَنَّهُ جَعَلَ الَّذِي لَمْ يَعْرِفْ خَطِيَّةً، خَطِيَّةً لأَجْلِنَا، لِنَصِيرَ نَحْنُ بِرَّ اللهِ فِيهِ" (2 كورنثوس 5: 21).

ويشرح بولس سبب موت يسوع فوق صليب خشبيّ قائلاً: "اَلْمَسِيحُ افْتَدَانَا مِنْ لَعْنَةِ النَّامُوسِ، إِذْ صَارَ لَعْنَةً لأَجْلِنَا، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: «مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ عُلِّقَ عَلَى خَشَبَةٍ»" (غلاطية 3: 13). فإذ صار يسوع لعنة لأجلنا، أرضى غضب الله البار على كل من يخطئون، أي أن المسيح "استرضى" الله. فهو قد حوّل عنّا غضب الله. وهو أرضى مطالب عدل الله البارة. وهذه الذبيحة البدليّة لازمة لأجل خلاصنا لأن "الَّذِي يُؤْمِنُ بِالابْنِ لَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ، وَالَّذِي لاَ يُؤْمِنُ بِالابْنِ لَنْ يَرَى حَيَاةً بَلْ يَمْكُثُ عَلَيْهِ غَضَبُ اللهِ" (يوحنا 3: 36).

لقد وصفنا بولس في حالتنا الطبيعيّة الساقطة بأننا "أَمْوَاتً بِالذُّنُوبِ [ذنوبنا] وَالْخَطَايَا [خطايانا] ... بِالطَّبِيعَةِ أَبْنَاءَ الْغَضَبِ" (أفسس 2: 1، 3). لكن ونحن بعد خطاة، وأعداء لله، مات المسيح لأجلنا (رومية 5: 8). ولكن في النهاية، فإن دم المسيح، وموته الكفاريّ كذبيحة لأجلنا، يصالحنا مع الله حتى يتسنّى لنا أن نستعيد علاقتنا الحميمة معه التي فقدناها في جنة عدن بخطايانا. ويصيغ بولس الأمر هكذا: "وَلكِنَّ الْكُلَّ مِنَ اللهِ، الَّذِي صَالَحَنَا لِنَفْسِهِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، وَأَعْطَانَا خِدْمَةَ الْمُصَالَحَةِ، أَيْ إِنَّ اللهَ كَانَ فِي الْمَسِيحِ مُصَالِحًا الْعَالَمَ لِنَفْسِهِ، غَيْرَ حَاسِبٍ لَهُمْ خَطَايَاهُمْ، وَوَاضِعًا فِينَا كَلِمَةَ الْمُصَالَحَةِ" (2 كورنثوس 5: 18-19). فقد كان موته الأليم والمؤسف **لأجلنا**.

قيامة غالبة لأجلنا

لقد صرنا بسبب خطايانا عرضة لجميع مآسي وأحزان هذه الحياة، وأيضًا عرضة للموت، وللجحيم الأبديّ. لكن يسوع بموته البديلي وعمله الفدائيّ هزم الخطيّة، والموت، وغلب جميع الرياسات والسلاطين التي تحاول أن تهلكنا. وبقيامة يسوع من القبر، صرنا مبررين تمامًا وإلى الأبد أمام الله، وقمنا إلى حياة أبدية. فمن خلال الإيمان بيسوع المسيح، نكون بالفعل قد قمنا روحيًا معه، ويومًا ما سنكون مثله في أجساد جديدة مقامة. فإن مستقبلنا متعلّق به: فكما صار عارنا هو عاره، هكذا أيضًا يصير تمجيده هو تمجيدنا نحن. فإننا نقوم، ونصعد إلى محضر الله، ونملك مع المسيح، ويومًا ما سنكون مثله في أجساد ممجدة. فقد كانت قيامته الغالبة **لأجلنا**.

صعود مجيد لأجلنا

حين كان يسوع مع تلاميذه في العليّة، استشفّ قلقهم حيال رحيله المستقبليّ. فشرح لهم أن ذهابه كان فعليًا أمرًا جيدًا لسببين. أولاً، أنه كان سيرسل لهم الروح القدس، المشير، الذي سيرشدهم، ويشدّدهم، ويعلّمهم. ثانيًا، أنه سيذهب إلى بيت الآب كي يعدّ مكانًا لهم هناك.

حين كنت طفلاً، كان أحد جوانب حياتي المشرقة هو زيارتي لجدّتي، التي كانت تحدث عادة مرة واحدة كل عام. وكنا نمكث في بيتها الصغير لعدة أيام. فقد كانت سيدة بسيطة تعيش في قرية ريفيّة صغيرة

في الجبال المدخّنة. ربما يتعجّب البعض كيف لطفل صغير يبلغ من العمر ثماني سنوات أن يكون متحمّس لزيارة مكان ليس به تلفاز، أو ملعب كرة سلة، أو ألعاب حديثة، وليس به سوى متجر عام صغير على الطريق. كان السبب هو أن جدّتي كانت تنتظرنا طوال شهور. وحين نصل إلى هناك، كانت تقف على عتبة بيتها الصغيرة تنتظرنا. فكنا نركض لنحصل على الحضن الملئ بالمشاعر. وكانت تطلق على كل منّا أسم حركي. ثم كنّا نصعد إلى غرف نومنا التي تقع تحت السقف الصفيحي مباشرة، والذي كان يصدر أصواتًا صاخبة حين كانت السماء تمطر ليلاً. ثم لاحقًا كنا نستمتع بالأطباق الشهيّة والحلوى التي كانت جدّتي تعدّها لنا. بعد هذا كنا نذهب في نزهات وجولات، ونقوم بأنشطة بسيطة كانت تخطط لها جدّتي لأجلنا. والأكثر من هذا كلّه أننا كنا نشعر بالدفء في هذه المحبة المطلقة، والشديدة، والثابتة التي كانت لجدّتنا تجاهنا.

حسنًا، إن كانت جدّتي ذات الخمس وسبعين عامًا بمواردها المحدودة جدًا وخيالها المحدود قادرة على إعداد مكان مثير لي، أيمكنك تصوّر ما سيفعله الرب يسوع المسيح، بموارده العظيمة، وقوته وخياله غير المحدودين، ومحبته اللا نهائيّة، لأجلنا؟ فهو ينتظر وصولنا إليه بلهفة، ولديه اسم حركي معدّ لكل واحد من خاصته. وهو أعدّ منزله كي يجلب لنا فرحًا ثابتًا. وسنسبح في محيط محبته وعاطفته من نحونا. لقد كان صعوده المجيد هذا **لأجلنا**.

المسيح، رجاؤنا الوحيد

"**نُؤمن بأن الخلاص لا يُوجد في أي شخص آخر، إذ ليس اسم آخر تحت السماء قد أُعطي بين الناس به ينبغي أن نخلص**". توجد العديد من الجوانب في الإيمان المسيحيّ التي وجدها غير المؤمنين عبر القرون كريهة ومنفرة. هذه الجوانب تشمل الفساد الطبيعيّ للقلب البشريّ، وعجز الإنسان عن محاولته إنقاذ نفسه من حالته الضالة، وحقيقة الجحيم. وفي زمن الرسول بولس، كانت هناك تعاليم أخرى أيضًا تثير ردود أفعال عدائيّة مثل: دينونة الله على إسرائيل، دخول الأمم إلى الكنيسة، وتحرّرنا من الشرائع الطقسيّة للعهد القديم.

ربما يكون أحد أكثر التعاليم المنفرة في زماننا هذا، والذي تحرص وسائل الإعلام المعاصر على تناوله في اللقاءات الدينيّة مع المؤمنين الإنجيليّين، هو تعليم الكتاب المقدس عن تفرّد يسوع المسيح باعتباره الطريق الوحيد إلى الحياة الأبديّة. وسبب النفور من هذا التعليم واضح: أن المؤمنين يدَّعون أنّهم وحدهم هم من يعرفون الله الواحد الحيّ الحقيقيّ، وهم وحدهم من ينادون به، وأن الآخرين جميعهم هم في الجانب الخطأ، وأن عواقب مثل هذا الضلال عواقب وخيمة وقاسيّة بشكل مرعب.

وعلاوة على ذلك، بعض المؤمنين يتخذون هذا الموقف بوقاحة غير محتملة وبتبلّد مشاعر ظاهر تجاه الدينونة المقدَّرة على كل غير مؤمن وعلى كل جماعة دينيّة أخرى. لماذا إذًن نحن في هيئة ائتلاف الإنجيل نجعل من هذه العقيدة إحدى أساسياتنا العقائديّة غير القابلة للتفاوض؟ إليك السبب:

1) ما لم يقبل أحد هذا الحق بكل قلبه، فهو لم يفهم إنجيل المسيح على الإطلاق. فإننا إن صدّقنا ما يعلّمه الكتاب المقدس بشأن مأزق البشريّة الساقطة (فسادنا الأدبيّ، وموتنا الروحيّ، ودينونتنا العادلة في الجحيم الأبديّ)، حينئذ فقط سنفهم تمامًا العلاج الفريد الذي يقدمه الله وسنقبله، فهو العلاج الوحيد الذي يمكنه على الأرجح أن يفدينا من حالتنا هذه. ولأننا لا نملك برًا من أنفسنا، فإننا لابد أن نثق في بر المسيح وحده. ولأننا بالطبيعة أموات بالذنوب والخطايا، فلابد لنا أن ننال معجزة الحياة المقامة من المسيح. وبسبب لزوم إرضاء عدالة الله من نحو خطايانا إرضاءً كاملاً، فإننا لابد أن نقبل الكفارة الكاملة والبديلة للمسيح. ولأننا لا يمكن أن نقبل إلى الله بناء على استحقاقاتنا، فإننا بالتالي لابد أن نتّكل على شفاعة المسيح لأجلنا أمام عرش الله. تلك هي الإنجازات الفريدة لعمل المسيح الفدائيّ التي تحل مشكلة خطايانا حلاً فريدًا. فقد قال يسوع: "أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ. لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَى الآبِ إِلاَّ بِي" (يوحنا 14: 6).
2) إن كان هناك طريق آخر لنوال الحياة الأبديّة، فإن الله سيكون حينئذ مذنبًا بأعظم انتهاك للعدالة في تاريخ الكون. فإن صلب المسيح، على الصعيد البشريّ وحده، كان أعظم تحريف للعدالة في كل التاريخ البشريّ. فإن يسوع، كما رأينا، هو الإنسان الوحيد الذي لم تخرج منه كلمة رديّة، ولم يقبل بداخله أي فكرة شريرة، ولم يرتكب عملاً خاطئًا. بل خدم الفقراء بمحبة، وتراءف على الضعفاء والذين يشعرون بالوحدة، وشفى المرضى. فقد كان أعظم إنسان عاش على وجه الأرض على الإطلاق، ومع ذلك فهو قد قاسى عقوبات أشد من أي مجرم آخر في التاريخ. والأعجب من هذا أن الله نفسه هو من عيَّن هذه الهزيمة، فهو الذي أسلم ابنه للرجال الأشرار كي يواجه كرب الموت المؤلم فوق صليب خشبي (أعمال الرسل 2: 23). فإن كانت هناك وسيلة أخرى يمكن أن يخلص بها البشر من مأزقهم في الخطيّة، وإن كان الله لديه خطة بديلة يمكن أن تعمل بنفس كفاءة خطة "طريقة يسوع"، إذًن يمكننا حينئذ أن نستنتج أن موت يسوع المسيح لم يكن ضروريًا حقًا لخلاص الخطاة. وبالتالي سنكون مجبرين أيضًا على استنتاج أن الله كان مقترفًا لأكثر الانتهاكات بشاعة وعدم جدوى لعدله. لكن يسوع **هو** الطريق الوحيد، ولذلك فإن قضاء الله المهيب بأن يبذل ابنه الوحيد لم يكن أعظم فعل ظلم في العالم، بل بالحري كان أعظم عمل محبة تم على الإطلاق.

3) إن كانت هناك وسيلة أخرى للخلاص، فكان لابد أن تكون مؤسّسة على الأداء الأدبيّ والأخلاقيّ للإنسان، إذ أن الإنجيل المسيحيّ وحده يخلّص بالنعمة. ولذلك، فإن أي وسيلة أخرى للخلاص تناقض بشكل مباشر الخلاص بالنعمة وحدها، وخاصة كما يعلّم بولس في رسائله. فإن وُجد أي طريق آخر للخلاص، فإن فكرة النعمة ستصير غير ذي جدوى وغير ذي نفع، وبالتالي لن يوجد الإنجيل المسيحيّ على الإطلاق.

4) إن كان هناك طريق بديلي للخلاص، فسيكون من المستحيل مصالحة هذه الفكرة مع تصريحات كلمة الله الواضحة (يوحنا 14: 6؛ أعمال الرسل 4: 12؛ رومية 3: 19–20؛ 1 تيموثاوس 2: 5–6). فإن كنا لا نستطيع الثقة بأن كلمة الله يمكن أن تقدّم لنا سجلاً حقيقيًا عن هذه العقيدة الجوهريّة، فكيف لنا أن نثق في دقة الكتاب المقدس في أي جانب آخر؟

5) إن كان هناك طريق آخر للخلاص، فمن المفترض أن هذا الطريق سيكون مصممًا لمن لم يسمعوا قط برسالة الإنجيل، لكن يرغبون في الذهاب إلى السماء. لكن ما الذي يجعلنا نعتقد أن الإنسان الطبيعيّ قد يرغب في الذهاب إلى السماء؟ يعلّمنا الكتاب المقدس بأن مواطني السماء يستحوذ عليهم مدح وتمجيد يسوع المسيح — ذلك الشيء نفسه الذي يتحاشاه ويتجنّبه الإنسان الطبيعيّ. فإن أي شخص لا يحب المسيح سيزدري بالطبيعة بالسماء. على الصعيد الآخر، يمكننا أن نقول بأن لا أحد يرغب حقًا في الذهاب إلى السماء سيُرفض أو يُمنع من هذا. لكن قلوب الخطاة تختبر شوقًا نحو السماء فقط باستماعها لرسالة الإنجيل والإيمان بها، وهذا بالطبع يعني أن طاعة الكنيسة للإرساليّة العظمى هو أمر ذو أهميّة عظمى.

فإن من قد يكتشف محبة الله في العمل الفدائيّ ليسوع المسيح بالفعل لا يصاب بصدمة من كون الله قد دبر وسيلة واحدة للخلاص، بل بالأحري يزداد حيرة وارتباكًا بأن الله دبّر أي وسيلة على الإطلاق. وفيما ينمو التلميذ المسيحيّ في فهمه لذاته، ويصل إلى درجة من الوعي بأنانيته الشديدة، وكبريائه العظيم، وتجاهله المتعمّد لحاجات الآخرين، وتمرّده غير المبرَّر على وصايا الله القدير المقدسة، فهو حينئذ يتعجّب في ذهول مرتبك من لطف، وصبر، ورحمة، وأمانة الله التي لا توصف.

لمَ قد يخلّص الله أحدًا على الإطلاق؟ السبب هو كي يتمجّد. ولهذا فهو اختار أن يبيّن نعمته من نحو خطاة غير مستحقين. فلم يحدث قط أن تكبّد المؤمنون العناء لكتابة ترنيمات بعنوان "ما أعجب العدل"، أو "ما أعجب الغضب" — فإن غضبه وعدله ليس بمثابة مفاجأة كبيرة لنا. فإننا قد تم تحذيرنا جيدًا من هذا الغضب في جنة عدن. لا، بل كتب المؤمنون "Amazing Grace" [ما أعجب النعمة] (جون نيوتن)، وأيضًا "And Can It Be" [وكيف لهذا أن يحدث؟] (تشارلز ويسلي).

وهكذا، ومن بين جميع القادة الدينيين الذين ادّعوا مساعدتهم، وإرشادهم، وتخليصهم للبشر، يسوع المسيح وحده هو من أتمّ الأمر حقًا، وهو قد فعل هذا وكان الثمن دمه.

المسيح، الكل في الكل لنا

يقول إقرار إيمان هيئة ائتلاف الإنجيل الآتي: "لأن الله قد اختار أَدْنِيَاءَ الْعَالَمِ وَالْمُزْدَرَى وَغَيْرَ الْمَوْجُودِ، لِيُبْطِلَ الْمَوْجُودَ، فلا مجال إذن أن يفتخر كل ذي جسد أمامه — فقد صار يسوع المسيح لنا حكمة من الله — أي صار لنا برًا، وقداسةً وفداءً" (انظر 1 كورنثوس 1: 28–30).

منذ ما يقرب من عشرين عامًا، بعد فترة العبادة مباشرة في صباح يوم الأحد، اعتقدت أني قدمت عظة جيدة على نحو خاص (أي سليمة لاهوتيًا، ومتبصرة تفسيريًا، وموضحة ومفسرة بالأمثلة والصور بشكل جيد). وتلقّيت العديد من المجاملات من شعب الكنيسة أكدت افتراضي المتفائل هذا. ثم انتظرت إحدى السيدات المحبوبات المتقدّمات في العمر بعد انتهاء العبادة للتحدث معي. وإذ كنت متوقّعًا أن تحاكي الآخرين الممتنين، التفت إليها، واتّضعت بشدة حين قالت لي: "أيها القس، أشكرك على عظتك البارعة، لكن أيمكنك في الأسبوع القادم أن تخبرنا عن يسوع؟" وأدركت في تلك اللحظة أني أخفقت في أن أجعل من يسوع الكل في الكل لي في وعظي، وإلى حد ما في حياتي.

ولكي نجعل من المسيح الكل في الكل لنا، لابد أن نعمل أمرين. أولاً، لابد أن نخلي أنفسنا. فإننا ننادي به للآخرين فقط حين نعرف مقدار حاجتنا الماسة له نحن أنفسنا. يقول الرسول بولس إن البعض لن يرثوا ملكوت الله: الزناة، وعبدة الأوثان، والفاسقون، والمضاجعو الذكور، والسارقون، والطمّاعون، والسكيرون، والشتامون، والخاطفون. ثم يقول: "وَهكَذَا كَانَ أُنَاسٌ مِنْكُمْ" (1 كورنثوس 6: 9–11).

وفي أثناء وصف بولس للحال الذي كان عليه مؤمنو كورنثوس، قال: "فَانْظُرُوا دَعْوَتَكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ، أَنْ لَيْسَ كَثِيرُونَ حُكَمَاءَ حَسَبَ الْجَسَدِ، لَيْسَ كَثِيرُونَ أَقْوِيَاءَ، لَيْسَ كَثِيرُونَ شُرَفَاءَ" (1 كورنثوس 1: 26–27). إن الله لم يخترنا لأننا فعلنا شيئًا ما أو كنّا سنفعل شيئًا يستحق رحمته بأي صورة من الصور. بل كان اختياره لنا دون سبب أو مبرر على الإطلاق. فهو اختارنا على الرغم من عدم استحقاقنا. ويفسّر بولس تأثير هذه الحقيقة على تقييمنا ونظرتنا لأنفسنا: "فَأَيْنَ الافْتِخَارُ؟ قَدِ انْتَفَى" (رومية 3: 27). فإن كنا نخلص من خلال الإنجيل، فإننا بهذا نقر أنه "لَيْسَ سَاكِنٌ فِيَّ، أَيْ فِي جَسَدِي، شَيْءٌ صَالِحٌ" (رومية 7: 18).

ثانيًا، إن كان لابد أن نتوقف عن الافتخار بأنفسنا حين نقبل إلى المسيح، فإننا لابد أيضًا أن نبدأ في الافتخار بالمسيح: "حَاشَا لِي أَنْ أَفْتَخِرَ إِلاَّ بِصَلِيبِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي بِهِ قَدْ صُلِبَ الْعَالَمُ لِي وَأَنَا

لِلْعَالَمِ" (غلاطية 6: 14). الآن صار لدينا مصدر افتخار واحد: وهو الله ذاته. ويهتف الملك داود قائلاً: "بِالرَّبِّ تَفْتَخِرُ نَفْسِي...عَظِّمُوا الرَّبَّ مَعِي، وَلْنُعَلِّ اسْمَهُ مَعًا!" (مزمور 34: 2–3). ولماذا نفتخر به؟ لأنه هو وحده من أتمّ لأجلنا كل شيء يحمل قيمة ثابتة وباقية: أي قبولنا أمام الله، وفرحنا في الحياة، وحكمتنا، وآمالنا للمستقبل. فهو الكل في الكل لنا. فإن المسيح، بسبب فدائه المجيد للخطاة، قد صار مركز ومحور حياتنا.

يمكننا أن نلقي نظرة عامة على قصص الإنجيل لنرى ما المقصود بأن يكون المسيح مركز حياتنا. فعلى سبيل المثال، في إنجيل متى، نتعلم أنه إن كانت لنا حياة مركزها المسيح، فإننا حينئذ نعبده ونسجد لجلاله (متى 2)، ونؤمن برسالته (متى 4)، ونطيع تعليمه (متى 5–7)، وندعو الله "أبانا" (متى 6)، ونختبر شفاءه (متى 8–9)، ونشترك في إرساليته (متى 10)، ونحمل صليبنا (متى 16)، ونحب كنيسته (متى 18)، ونقدم له محبة لقاء محبته (متى 26)، ونفتخر بصليبه (متى 27)، ونبتهج بقيامته (متى 28). هذا هو كل ما تدور حوله الحياة الحقيقيّة.

وفي ضوء خوائنا وملئه، وخطيتنا وبره، وحماقتنا وحكمته، توجد بعض التطبيقات العمليّة على عمل يسوع المسيح الفدائيّ:

1) لابد أن نجد كفايتنا فيه هو وحده. دعونا نتوقف عن الشكوى وعن سعينا الذي لا يكل وراء ملذّات هذا العالم. أليس هو كافيًا لنا؟ فإن كان الرب لك، فهل يمكنك أن تكون مكتفيًا أكثر من هذا؟ انظر إلى اكتفاء بولس التام، بغض النظر عن ظروفه المتعبة والمضنية، في فيلبي 4: 10–20.
2) علينا أن نصبغ خدماتنا المسيحيّة بإنجيل المسيح. فلابد أن تنصبّ كرازتنا وتعليمنا عليه، أيضًا لابد أن تكون ممارستنا للمشورة بداخل الكنيسة منصبّة على علاقتنا به (وهذا هو الحل المطلق والنهائيّ لأي مشكلة في المشورة). أيضًا لابد أن تتمركز عباداتنا واجتماعات الصلاة حوله، وأن تصب جميع برامج كنائسنا وجهود إرسالياتنا عنده وفيه. وإليك السبب: حين نمجّد الرب يسوع المسيح ونبتهج بعمله الفدائيّ، فإننا بهذا نمجّد الله الثالوث، الذي أعلن عن نفسه إعلاناً كاملاً في المسيح.

يقع فداء المسيح في قلب وجوهر اللاهوت المسيحيّ. وليته يكون أيضًا في مركز حياة كل مؤمن.

الفصل التاسع

التبرير

فيليب جراهام رايكن

تخيّل معي هذا المشهد: مجرم يقف متّهمًا أمام قاضٍ نزيه ليلقى حكمه العادل. وتبدأ الإجراءات القانونيّة بسرد موظف المحكمة لقوانين وشرائع المملكة. وفيما كان المجرم يستمع إلى هذه الشرائع، بدأ في إدراك أنه مستحق أن يُدان، إذ يتبيّن له أنه قد انتهك كل قانون موجود في دستور المملكة. وبغض النظر عن التهمة الموجَّهة إليه، فهو كان متيقّنًا من أنه سيُوجَد مذنبًا. وهكذا، فحين التفت القاضي أخيرًا إليه وسأله ماذا لديه ليقول دفاعًا عن نفسه، وقف الرجل أمام القاضي، عاجزًا عن الكلام. وقف في رعبٍ صامتٍ، غير قادر على التفوّه بشيء دفاعًا عن نفسه.

الحاجة إلى التبرير: عامّة وماسّة

هذا هو المأزق القانونيّ اليائس الذي تصفه لنا الإصحاحات الافتتاحية لرسالة رومية. فإن البشريّة بأكملها تقف داخل قفص الاتهام. إذ الجميع — متديّنون وغير متديّنين، يهوداً وأمماً، مؤمنون وملحدون على حد سواء — لابد أن يُظهَروا أمام عرش الله للدينونة. فمقياس العدالة هو ناموس الله الكامل. وبهذا المقياس، يستحق الجميع أن يُدانوا: "إِذِ الْجَمِيعُ أَخْطَأُوا وَأَعْوَزَهُمْ مَجْدُ اللهِ" (رومية 3: 23)، "لَيْسَ بَارٌّ وَلاَ وَاحِدٌ" (رومية 3: 10؛ قارن مزمور 14: 3).

ولذلك، فحين يُقرَأ الناموس، تصير كل وصية اتهامًا. وليس ما نقوله دفاعًا عن أنفسنا: "وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ مَا يَقُولُهُ النَّامُوسُ فَهُوَ يُكَلِّمُ بِهِ الَّذِينَ فِي النَّامُوسِ، لِكَيْ يَسْتَدَّ كُلُّ فَمٍ، وَيَصِيرَ كُلُّ الْعَالَمِ تَحْتَ قِصَاصٍ مِنَ اللهِ. لأَنَّهُ بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ كُلُّ ذِي جَسَدٍ لاَ يَتَبَرَّرُ أَمَامَهُ. لأَنَّ بِالنَّامُوسِ مَعْرِفَةَ الْخَطِيَّةِ" (رومية 3: 19–20).

إن مشكلة البشريّة بمنتهى البساطة هي الخطيّة. فإننا خطاة مذنبون لا نستحق سوى غضب الله. كما أنه لا يوجد ما في وسعنا فعله كي نُخلِّص أنفسنا. إذ أن متطلبات بر الله لا يمكنها أن تخلصنا، بل هي فقط تديننا لعجزنا عن حفظها. ولذلك، فحين نقف أمام الله للمحاكمة، لا توجد أدنى فرصة أن نُقبل بناء على أي شيء فعلناه. فهذا ليس نوع المحاكمة الذي فيه نكون أبرياء حتى تثبت إدانتنا، بل هي محاكمة قد ثبتت فيها إدانتنا بالفعل، ولابد أن نظل مُدانين حتى يصدر حكم ببرنا.

وحين ندرك موقفنا القانونيّ الميئوس منه، حينئذ فقط يمكننا أن نبدأ في فهم عقيدة التبرير الكتابيّة. ونجد مثالاً صارخًا على حالة الخاطئ الميئوس منها في حياة دونالد سمارتو. فبينما كان سمارتو يدرس للحصول على وظيفة قس، طُلب منه أن يؤدّي دور أسقف في مسرحيّة دينيّة. وكي يساعده الدير الذي كان ينتمي إليه على تقمّص الدور، دبّر له أن يقترض رداء أسقف من الأسقفيّة. وقد كتب سمارتو في سيرته الذاتيّة هذا الكلام: "لقد كنت في شدة الحماس لهذا، وحين وصل الرداء، ذهبت إلى غرفتي، وأغلقت الباب، وأخرجت بحرص الرداء القرمزي، والوشاح، وغطاء الرأس من الحقيبة."[51]

وإذ ارتدى سمارتو هذه الثياب كل ليلة قبل أن يؤدّي دوره، ازداد هوسه بها يوما بعد يوم:

> بالرغم من أن العرض المسرحيّ كان يبدأ في الساعة الثامنة، إلا أني وجدت نفسي أرتدي الثياب في ساعة مبكرة يومًا فيوم. وكان الأمر يتطلّب مني حوالي نصف الساعة لإحكام وغلق جميع الأزرار، لكني بحلول الأيام الأخيرة من العرض المسرحيّ، كنت أرتدي الثياب منذ حوالي الساعة الثانية بعد الظهر، أي قبل بداية العرض بخمس ساعات. وكنت أختال جيئة وذهابًا أمام مرآة كاملة الطول، وفيما كنت أفعل هذا، كان يتملّكني شعور ما. كنت أقف لأطول وقت ممكن أنظر لصورتي في المرآة، وأعجبني ما رأيته... وانتباني شعور بأني كنت مقدسًا. ولم أفكر في كوني خاطئًا، بل شعرت بأن أعمالي كانت ترضي الله.[52]

ولكن تحطّمت ثقة سمارتو الزائفة في الوقت الذي رأى فيه حقيقة الشخص الذي كان تحت الملابس. وقد حدث هذا في أثناء مشاهدته لعرض سينمائي:

> في أحداث الفيلم، دخل أسقف إلى المشهد. وإذ كان يرتدي ملابس كهنوتيّة رائعة مرصّعة بالأحجار الكريمة المتألّقة، خرج ببطء من خلف ستار. ولكن فيما كان يسير، هبّت عاصفة شديدة ومزّقت رداءه، فانفتح الرداء كاشفًا تحته عن هيكل عظمي متعفن.
>
> في لحظة، فكرت قائلاً: **هذا أنا**... ولكني تجاهلت الفكرة في الحال... وقلت: "هذا ليس أنا!"... وأردت أن أنتزع صور هذا الفيلم من ذهني، لكن الأمر لم يُجدِ... وظللت أحاول أن أجبر نفسي على التحسن. ثم قلت لله: "دع هذا الشعور يفارقني، **لست** مرائيًا. **ولست** ممثلاً. أنا **شخص صالح!**" وظللت أفكر في جميع الأعمال الصالحة التي فعلتها... إلا أن هذه الأفكار لم تجلب لي أي عزاء.[53]

وحين نرى حقيقة خطايانا القاسية والمرة، حينئذ فقط نكون على استعداد فعلي للالتفات إلى الله لطلب المساعدة، وبالأخص، لأجل طلب غفران وبر يسوع المسيح. كما كتب جيمس بوكانان في كتابه

الشهير عن التبرير: "ليس أفضل إعداد نقوم به لدراسة هذه العقيدة هو القدرة الفكريّة العظيمة، أو التعليم الأكاديميّ المكثَّف، بل ضمير متأثر بوعي سليم بحالتنا الحقيقيّة كخطاة في نظر الله".[54]

مركزيّة التبرير: "مفصل"، و"أساس"، و"بند رئيسيّ"

بعد أن وصف الرسول بولس المأزق الذي نحن فيه بكل تفاصيلة البائسة، أعلن عن علاج قانونيّ قد أصبح متاحًا: "وَأَمَّا الآنَ فَقَدْ ظَهَرَ بِرُّ اللهِ بِدُونِ النَّامُوسِ" (رومية 3: 21). تشير الكلمات "أما الآن" إلى تحوّل جوهريّ في مسار حديث بولس. والأكثر من ذلك، هي تُطلعنا أيضًا على نقطة التحوّل الكبرى في تاريخ الخلاص. فإننا حتى هذه المرحلة نقف في موقف إدانة. إذ يخبرنا الناموس الكامل لله بأننا لا يمكن أن نصير أبرياء أمام منصة القضاء الإلهيّة. وأما الآن، فقد ظهر بر **من** الله. إذ دبر الله لنا وسيلة لإصدار حكم ببراءتنا. أو كي نصيغ هذا بالمفردات الكتابيّة، لقد أتاح الله وسيلة بها **نتبرر**.

لا يقتصر الخلاص على التبرير بالإيمان. إلا أننا لابد أن نقول، دون أن نكون بهذا مغالين في تقدير أهمية هذه العقيدة، إنها تشغل مكانًا يقترب كثيرًا من مركز الإنجيل. فإن التبرير هو أحد الموضوعات الرئيسيّة المركزيّة في كلمة الله، وخاصة في العهد الجديد، حيث نجد مشتقات متنوعة من كلمة "يبرر" (*dikaioo*) أكثر من مائتي مرة.[55] ويعد انتشار هذه المفردات دليلاً يشير إلى أهميّة عقيدة التبرير في اللاهوت الكتابيّ.

وقد أقرّ العديد من اللاهوتيين في تاريخ الكنيسة المسيحيّة بمركزيّة عقيدة التبرير. فقد أطلق عليها جون كالفن "المفصل الرئيسيّ الذي يدور حوله الخلاص".[56] أما المُصلِح البريطانيّ توماس كرانمر، فقد وصفها بأنها "الصخرة والأساس المتين للديانة المسيحيّة".[57] وربما الوصف الأشهر على الإطلاق هو وصف مارتن لوثر، إذ دعا التبرير "البند الرئيسيّ للعقيدة المسيحيّة"، حتى أنه "إذا تهدّمت عقيدة التبرير، تهدّم معها كل شيء آخر".[58] وسواء كان التبرير في اعتقادنا هو المفصل، أو الأساس، أو البند الرئيسيّ الذي يحدّد ثبات أو سقوط الخلاص، فإن لا رجاء في الخلاص بدونه. وقد قال لوثر في مناسبة أخرى إن هذه هي العقيدة التي "تلد كنيسة الله، وتطعمها، وتبنيها، وتحفظها، وتدافع عنها، ودونها لا يمكن لهذه الكنيسة أن توجد لساعة واحدة".[59]

معنى التبرير: إصدار حكم براءة

يعد التبرير عقيدة مركزيّة بالنسبة للإنجيل المسيحيّ، لأنها تجيب عن السؤال الأساسيّ: "كيف يمكن لخاطئ أن يتبرّر أمام إله قدوس؟" ويكمن الجواب عن هذا في التعليم الكتابيّ عن التبرير، والذي يصيغه إقرار إيمان هيئة ائتلاف الإنجيل كما يلي:

> نؤمن بأن المسيح، بطاعته وموته، قد سدّد دين جميع المتبررين كاملاً. فهو بذبيحته، تحمّل عنا العقوبة التي نستحقّها عن خطايانا، صانعًا عنّا إرضاءً ملائمًا، وحقيقيًا، وكاملاً لعدل الله. وبطاعته الكاملة أرضى مطالب بر الله عنّا، بما أن تلك الطاعة الكاملة توضع بالإيمان وحده في حساب جميع من يتّكلون على المسيح وحده لأجل قبول الله لهم.

تأتي حصيلة كلمات عقيدة التبرير من مصطلحات المحاكمات القضائيّة، حيث أن الفعل "يبرر" هو فعل تصريحيّ. أما كلمة "التبرير" في صورتها الإسميّة فهي كلمة قانونيّة تشير إلى الموقف القضائيّ للشخص. أما المصطلحات الكتابيّة التي تحيط بعقيدة التبرير فهي تنتمي في أصلها إلى العلاقات القانونيّة. فإن الفعل اليونانيّ *dikaioo*، والذي يعني "يبرّر"، هو في الأساس مصطلح قضائيّ "يشير في الأساس إلى إصدار حكم بالبراءة".[60] فأن تُبرّر يعني أن تصدر حكمًا بالبراءة، أي أن تعلن براءة شخص ما، أو تعلن العفو القانونيّ. فإن التبرير هو التبرئة. فهو قرار يصدر من المحكمة يفيد بأن شخصًا ما هو في موقف سليم مع الله ومع ناموسه. فهي التصريح — قانونيًا — بأن المتهم غير مذنب بل بريء.

توجد وسيلة جيّدة لتعريف التبرير وهي تعريفه بالمقابلة مع النقيض: أي الإدانة. أن تدين هو أن تصدر حكمًا بأن شخصًا ما ليس بريئًا. فهو الحكم القضائيّ — بحسب القانون — بأنه مذنب. بالطبع ليس فعل الإدانة نفسه هو ما يجعل من شخص ما مذنبًا. بل أفعاله هي التي جعله مذنبًا، فهو يصير مذنبًا في اللحظة ذاتها التي ينتهك فيها القانون. ولذلك فحين يدان في النهاية، فإن كل ما تقوم به المحكمة فقط هو التصريح بما هو عليه بالفعل: أي أنه خاطئ مذنب.

أما التبرير فهو على النقيض من الإدانة. أن تُبرّر هو أن تصدر حكم براءة. وهكذا ففي التبرير، لا **يُجعَل** الشخص بارًا، بل **يُصرَّح** أنه بارًا. وهكذا، فإن التبرير ليس عملية ما، بل هو فعل. فهو ليس انتقال البر بالإيمان مضافًا إليه الأعمال والفرائض المقدسة، كما حاول بعض اللاهوتيين الادعاء، لكنه احتساب البر بالإيمان وحده.

ويمكن أن نبيّن المعنى الحقيقيّ للتبرير — الذي هو "إعلان الشخص بارًا قانونيًا"، وليس "جعل الشخص بارًا فعليًا" — من كلمة الله. على سبيل المثال، يقدم الكتاب المقدس في تثنية 25: 1 التعليم

الآتي: "إِذَا كَانَتْ خُصُومَةٌ بَيْنَ أُنَاسٍ وَتَقَدَّمُوا إِلَى الْقَضَاءِ لِيَقْضِيَ الْقُضَاةُ بَيْنَهُمْ، فَلْيُبَرِّرُوا الْبَارَّ [في اللغة الإنجليزية: فليبرّئوا البريء] وَيَحْكُمُوا عَلَى الْمُذْنِبِ". فمن الواضح إذن أن القاضي لا يجعل هذا الشخص مذنبًا، بل ببساطة يصرح بكونه مذنبًا، وبهذا التصريح يحكم عليه بالعقوبة التي يستحقها. وقياسًا على هذا، فإن كلمة "يبرّئ" (والتي هي في أصل الفعل العبريّ *hatsdiq*، أي "يبرر") تعني "تصريح بالبر".

أو لنتناول أيضًا أمثال 17: 15 "مُبَرِّئُ الْمُذْنِبَ وَمُذَنِّبُ الْبَرِيءَ كِلاَهُمَا مَكْرَهَةُ الرَّبِّ". هنا أيضًا تشير الكلمتان "مبرّئ" أو "مبرّر" (*hatsdiq*) بوضوح إلى تصريح قانونيّ. فمن خلال تعبير الله عن امتعاضه من تبرير المذنب، فهو لا يحاول منع أحد من تحويل المذنبين إلى مواطنين صالحين وشرفاء. فإن كان تبرير المذنبين يعني جعلهم أبرارًا، فإن الله بالتأكيد كان سيصدِّق عليه! لكن اعتراضه بالأحرى كان على التصريح ببراءة المذنب، والذي هو تصريح كاذب وبغيض.

وحين نذهب إلى العهد الجديد، نجد كلمة التبرير مستخدمة تقريبًا على النحو ذاته. فنظير العهد القديم، أن تُبرّر هو النقيض من أن تدين. ويتضح هذا، على سبيل المثال، من المقابلة التي يصنعها بولس بين خطية آدم وهبة المسيح: "لأَنَّ الْحُكْمَ مِنْ وَاحِدٍ لِلدَّيْنُونَةِ، وَأَمَّا الْهِبَةُ فَمِنْ جَرَّى خَطَايَا كَثِيرَةٍ لِلتَّبْرِيرِ" (رومية 5: 16). وبالتالي، أن تُبرّر يعني أن تصرّح ببراءة متهم من تهمة ما. وفي سياق موضوع الخلاص، هو تصريح الله بقبول شخص ما أمامه، أي بأنه في موقف قانونيّ سليم قدّامه.

لاحظ أن التبرير يتعدّى فكرة التبرئة. فأن تبُرّئ هو أن تُصرّح بأن شخصًا ما "غير مذنب". أما في التبرير، فإن الله لا يتوقف عند حد تبرئة الخاطئ من جميع التهم الموجَّهة إليه، بل هو يُصرّح بكون الخاطئ بارًا إيجابيًا. فإن التبرير هو التصريح القضائيّ لله، بناء على حياة يسوع المسيح الكاملة وموته كذبيحة، والذي يُؤخَذ بالإيمان، بأن الخاطئ بار البر ذاته الذي لابنه الحبيب.

يعترض بعض اللاهوتيّين على هذا الكلام مشيرين إلى أنه يسلّط الضوء بشكل زائد عن الحد على الجوانب القضائيّة. فهم يعترضون على فكرة أن الصليب كان عمليّة نقل قانونيّة فيها أُجبر ضحيّة بريئة على تسديد العقوبة عن جرائم آخرين. إلا أن الكتاب المقدس يُعلِّم عن التبرير القضائيّ، ولأسباب وجيهة. ففي حين توجد عدة طرق لوصف نعمة الله الخلاصيّة، إلا أن الجانب القانونيّ الخاص بالتبرير يعد أساسيًا بالنسبة للإنجيل. وبما أن الله قاضٍ بقدر ما هو أب أيضًا، فإن موقفنا معه لابد أن يكون **سليمًا**. ويعد استبعاد الأساس القانونيّ لهذا الموقف السليم (أي التبرير) بمثابة جعل معرفة الله الخلاصيّة أمرًا مستحيلاً بالنسبة للخاطئ. والأسوأ من هذا، هو بمثابة أن تؤمن بإله محبته جائرة، يغفر لأناس دون أن يكون له أي حق في فعل هذا.

مصدر التبرير: نعمة الله المجانيّة

إن كان البر لازمًا للتبرير، فمن أين يأتي هذا البر؟ كما رأينا قبلاً، إن مشكلتنا تكمن في أننا لا نملك أي بر في أنفسنا. ما هو إذًا مصدر البر الذي يبرّر؟

إن مصدر تبريرنا هي نعمة الله المجانيّة. ويصيغ الرسول بولس هذا ببساطة شديدة: "مُتَبَرِّرِينَ مَجَّانًا بِنِعْمَتِهِ" (رومية 3: 24). ويقدّم إقرار إيمان هيئة ائتلاف الإنجيل جوابًا أكثر توسعًا كالآتي:

> نظرًا لأن الآب قد بذل المسيح لأجلنا، ونظرًا لأن طاعة المسيح وعقوبته قد تم قبولها بديلاً عن طاعتنا وعقوبتنا، مجانًا وليس لأي شيء فينا، فإن هذا التبرير هو بالتالي بنعمة مجانيّة تمامًا، كي يتمجّد عدل الله التام وأيضًا نعمته الغنيّة في تبرير الخطاة.

أن نقول إننا متبرّرون بالنعمة فهذا يعني أن التبرير هو أكثر بكثير مما نستحق. فهو عمل من أعمال إحسان الله غير المستحَق. كما كتب توماس كرانمر في كتابه "*Homily on Salvation*" [أي: عظة عن الخلاص]: "لا يوجد إنسان يمكنه بأعماله أن يتبرر ويصير بارًا أمام الله، بل كل إنسان لابد بالضرورة أن يطلب برًا أو تبريرًا آخر، كي يُقبَل بين يدي الله".[61] إن رسالة الإنجيل هي أن الله يقدّم هذا البر عطية للخطاة: "اَللهُ هُوَ الَّذِي يُبَرِّرُ" (رومية 8: 33).

هذا يأتي بنا إلى نقطة تعد محل نزاع في تفسير العهد الجديد. فإن عطية بر الله الذي يبرر قد جاءت مرتين في رومية 3، في كل من العدد 21 ("وَأَمَّا الآنَ فَقَدْ ظَهَرَ بِرُّ اللهِ [في الترجمة الإنجليزية NIV: "بر من الله"] بِدُونِ النَّامُوسِ، مَشْهُودًا لَهُ مِنَ النَّامُوسِ وَالأَنْبِيَاءِ")، والعدد 22 ("بِرُّ اللهِ [في الترجمة الإنجليزية NIV: "بر من الله"]). لكن في حقيقة الأمر، هذان العددان لا يتحدثان عن "بر **من** الله"، كما جاء في ترجمة NIV، بل عن "**بر الله**".

هناك أكثر من طريقة لتفسير هذه العبارة. فربما تعبّر عبارة "بر الله" عن ما يطلق عليه علماء اللغة "مضاف إليه الملكيّة". ونجد مثالاً على هذا في عبارة "شعب الله"، حيث ينتمي هذا الشعب موضوع الحديث إلى الله، ويعد الله هو الشخص الذي إليه ينتمون. وهكذا فربما تعني عبارة "بر الله" ببساطة البر الذي يملكه الله، والذي ينتمي إليه، ويظهره في الخلاص. ونجد هذه الفكرة أيضًا في مزمور 98: 2 "أَعْلَنَ الرَّبُّ خَلاَصَهُ. لِعُيُونِ الأُمَمِ كَشَفَ بِرَّهُ".

لكن مع ذلك يوجد احتمال آخر. فعبارة "بر الله" قد تدل على المصدر الذي يأتي منه هذا البر، وهو ما يطلق عليه علماء اللغة "مضاف إليه المصدر". ونجد مثالاً على هذا في عبارة "موسيقى بتهوفن"، حيث أن مصدر الموسيقى موضوع الحديث هو بتهوفن. فإن كان "بر الله" هو مضاف ومضاف إليه بمعنى

المصدر، فإن الله حينئذ سيكون هو مصدر البر. ويتضح أن هذا هو التفسير الذي تفضله ترجمة NIV، حين مكتوب "بر **من** الله". وبناء على هذا، يكون الله هو أصل ومصدر البر الذي يغدقه على الخطاة.

أي تفسير هو التفسير الصحيح؟ هل ينتمي البر لله، أم يأتي كعطية من عند الله؟ بالتأكيد كلا التصريحين صحيحان. فإن البر ينتمي لله باعتباره أحد صفاته الرئيسيّة، كما جاء بالفعل في الخاتمة القوية لحديث بولس في رومية 3 حيث قال إن الله بينما يبرّر الخطاة، من جميع الشعوب، فهو لا يزال يحتفظ ببره! ففي التبرير "[يظهر الله] بِرِّهِ فِي الزَّمَانِ الْحَاضِرِ، لِيَكُونَ بَارًّا وَيُبَرِّرَ مَنْ هُوَ مِنَ الإِيمَانِ بِيَسُوعَ" (رومية 3: 26).

ومع ذلك، فإن بر الله هو أيضًا "ذلك البر الذي يطالبه بره بأن يطالب به"،[62] والذي يقدّمه بالنعمة عطيّة لكل من يؤمن. وهكذا، فإن لنا بر **من** الله — بر لا يملكه الله ويُظهره فحسب، بل أيضًا يغدقه. فإن القضية المطروحة في التبرير لا تقتصر على إن كان الله بارًا أم لا، بل إن كان من الممكن أن نوجد نحن أبرارًا أم لا. ويبدو أن بولس يزيل جميع الشكوك بشأن هذا في العدد 20، حيث يصل إلى الخاتمة المرعبة بأن "كُلُّ ذِي جَسَدٍ لاَ يَتَبَرَّرُ أَمَامَهُ".

ثم في عدد 21، يعلن بولس الخبر السار بأنه يمكن أن يُصرّح لنا أننا أبراراً أمام الله، ليس ببرنا الذاتيّ، بل بالبر الذي يأتي من الله. ويؤكد عدد 22 على هذا التفسير، إذ يبيّن بوضوح أن بر الله يأتي "إِلَى كُلِّ ... الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ". كما يوجد المزيد من التأكيد على هذا في رومية 5: 17، الذي يتحدث عمّن ينالون فيض نعمة الله، و**عطية** البر.

وهكذا، فإن البر لا يقتصر على كونه صفة يُظهرها الله، بل هو عطية يمنحها ويوزّعها. ودعونا هنا نستخدم عبارة لا تُنسى قالها جون ستوت، بأن التبرير هو "وسيلة الله البارة لتبرير غير الأبرار".[63]

فإنه إن صُرّح لنا أننا نتبرر بناء على عطية، فلابد وأن مصدر تبريرنا إذن هو نعمة الله. إذ النعمة هي: عطيّة مجانيّة من الله لخطاة غير مستحقين على الإطلاق. هذه هي عطيّة البر التي كانت في ذهن بولس حين شهد لأهل فيلبي عن رغبته في أن "يوجد فيهِ، وَلَيْسَ لِي بِرِّي الَّذِي مِنَ النَّامُوسِ، بَلِ الَّذِي بِإِيمَانِ الْمَسِيحِ، الْبِرُّ الَّذِي مِنَ اللهِ بِالإِيمَانِ" (فيلبي 3: 9؛ قارن عبرانيين 11: 7).

هذا هو أيضًا ما قصده مارتن لوثر حين تحدّث عن "بر دخيل". فبما أنه لا يوجد فينا بر، فإننا لا يمكن أن نتبرّر سوى من خلال بر يأتي من خارجنا. هذا البر هو بر الله الشخصيّ، الذي يهبه لنا بالإيمان بيسوع المسيح.

أساس التبرير: حياة يسوع الكاملة وموته كذبيحة

على أي أساس قانونيّ يهب الله عطيّة برّه؟ يعلّمنا الكتاب المقدس بأن الله "يُبَرِّرُ الْفَاجِرَ" (رومية 4: 5). لكن إن كنّا بالفعل فجّارًا، فكيف يمكن أن يصرّح الله بكوننا شيئًا على خلاف حقيقتنا؟ وكيف له أن يبرّر الفاجر دون أن يُعتبَر هو نفسه فاجرًا؟ فمن الجور أن يتغاضى إله بار عن خطيّة أو يلتمس لها عذرًا. وهكذا، فإن كان الله ينوي تبرير الخطاة، فلابد أن يكون لديه أساس شرعيّ قضائيّ لهذا. كما كتب جون ستوت: "ليس التبرير كلمة مرادفة للعفو العام"،

> الذي هو في حقيقة الأمر عفو دون أساس قانونيّ، أي هو غفران يتغاضى — بل وينسى — الفعل الخاطئ ويرفض تقديمه للعدالة. لا، بل التبرير هو فعل عدل، عدل منعِم... فحين يبرّر الله الخطاة، فهو لا يصرّح بصلاح أشخاص أشرار، ولا يقول إنهم ليسوا خطاة على أية حال. بل هو يصرّح بكونهم أبرارًا قانونيًا، خالين من أي مسئوليّة قانونيّة تجاه القانون المكسور، لأنه هو نفسه في ابنه قد حمل العقوبة الواجبة عن كسرهم لهذا القانون.[64]

كيف إذن يحافظ الله على برّه بينما في الوقت ذاته يبرّر الفاجر؟ الإجابة على هذه المُعضلة اللاهوتيّة هي أن الله يبرّر الخطاة بناءً على حياة يسوع المسيح الكاملة وموته كذبيحة. فأن نقول إن يسوع عاش حياة كاملة فهذا يعني أنه حفظ ناموس الله كاملاً، دون أن يقترف تعديًا واحدًا صغيرًا على الإطلاق. كما هو مكتوب في التصريح العقائديّ لهيئة ائتلاف الإنجيل عن "فداء المسيح": "هو أطاع أباه السماويّ طاعة كاملة". وهذا تماشيًا مع كلمة الله التي تقول: "الَّذِي لَمْ يَفْعَلْ خَطِيَّةً" (1 بطرس 2: 22). فقد عاش يسوع الحياة البارّة التي يطالب بها الله.

علاوة على ذلك، حين نقبل يسوع بالإيمان، يُحسَب لنا بره، وكأننا نحن أنفسنا قد عشنا تلك الحياة البارّة التي يطالب بها الله. ونقتبس في هذا أيضًا من إقرار إيمان هيئة ائتلاف الإنجيل: "لقد أوفى [يسوع] من خلال طاعته الكاملة مطالب بر الله عنّا، إذ تُحسَب هذه الطاعة الكاملة بالإيمان وحده لجميع من يتّكلون على المسيح وحده لأجل قبول الله لهم".

وبفضل حياة يسوع الكاملة هذه، حين مات على الصليب، قدم ذبيحة كاملة عن خطايانا. وهذا أيضًا يعد جزءًا من أساس تبريرنا: فإننا "مُتَبَرِّرِينَ مَجَّانًا بِنِعْمَتِهِ بِالْفِدَاءِ الَّذِي بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي قَدَّمَهُ اللهُ كَفَّارَةً بِالإِيمَانِ بِدَمِهِ" (رومية 3: 24–25). فمن خلال دم يسوع أي حياته، كفل تبريرنا. كما يستكمل بولس حديثه في رومية 5: 9 قائلاً: "نَحْنُ مُتَبَرِّرُونَ الآنَ بِدَمِهِ". فلا تبرير بدون صلب. وهكذا فإن الإنجيل يرسّخ أساس عطيّة البر الخلاصيّ في الموت الأليم ليسوع المسيح. كما كتب جون ستوت:

> إن عمل الله الخلاصيّ قد تحقّق من خلال سفك الدم، أي من خلال ذبيحة المسيح البدليّة... فكان موت يسوع هو الذبيحة الكفاريّة التي بسببها حوّل الله غضبه عنّا، والفدية التي بها افتدينا، وإدانة البرئ كيما يتبرّر المذنب، وجَعْل مَن لم يعرف خطيّة خطيّة لأجلنا.[65]

تناولنا فيما سبق الاختبار الصادم الذي مر به دون سمارتو حين اكتشف أن تحت ثياب برّه الخارجيّة الفاخرة يوجد هيكل عظمي من الخطية. لكن لنا في هذه القصة بقيّة. فحين عاد سمارتو إلى ديره في تلك الليلة، خاض صراعًا كي يبرّر نفسه أمام الله. فظل يحاول أن يخبر نفسه بأنه صالح بما يكفي لله. وإذ خرج للتجوّل في حقول الذرة المحيطة بالمكان في ضوء القمر، سرعان ما غطّت القمر غيوم، وتحوّلت الليلة إلى ظلام حالك. وفيما كان سمارتو يتعثّر في الظلام، وكان قلبه يخفق بشدة، صرخ إلى الله قائلاً: "أخبرني بأني أفعل الصواب. أخبرني بأن كل ما أفعله يرضيك. تحدّث إليَّ بوضوح!"

وحين كاد يسقط في اليأس التام، سمع سمارتو صوت همهمة غريبة فمشى صوبها. ومد يده في الظلام فلمس قطعة خشب صلبة. ولم يكن هذا سوى عمود أسلاك الهواتف. لكن حين نظر سمارتو إلى أعلى، بدأت الغيوم في الانقشاع شيئًا فشيئًا، واستطاع أن يرى العارضة التي تثبتت عليها أسلاك وخطوط الهواتف. وهناك ارتسم أمامه في ضوء القمر ظل على هيئة صليب. وهكذا كان دون سمارتو يقف عند أسفل الصليب، إن جاز القول، راجيًا من يسوع أن يخلّصه. وإليك ما كتبه سمارتو عن هذا اللقاء له مع يسوع ومع الصليب:

> الآن صرت أعلم، صرت أعلم حقًا، أن المسيح قد مات عنّي. كانت هذه المعرفة مقترنة بالإعلان الأهم عن كوني خاطئًا، وكوني لست ذلك الشخص الصالح كما كنت أعتقد منذ لحظات. وفي الحال احتضنت عمود الهواتف وشرعت في البكاء. ربما بقيت محتضنًا تلك القطعة الخشبيّة لحوالي الساعة. إذ استطعت تخيّل يسوع مسمَّرًا إلى هذا العمود، والدم يقطر من جراحه. وشعرت وكأن الدم كان يسيل فوقي، مطهرًا إيّاي من خطاياي ومن عدم استحقاقي.[66]

ما حصل عليه دون سمارتو في هذا اللقاء الدراميّ هو في واقع الأمر ما يحصل عليه كل تائب عند الصليب: الذبيحة الدمويّة المطهرة التي تكفّر عن الخطايا وتبرر الخطاة أمام الله.

بر التبرير: احتساب ثلاثيّ

حين مات يسوع على الصليب، عُومل كمجرم مدان. فقد كان الرومان يدخرون عقوبة الصلب لأحط فئات البشر على الإطلاق — للخونة، والقتلة، والمخربين الأدنياء. لكن يسوع لم يكن خائنًا أو قاتلاً، بل في حقيقة الأمر، وكما رأينا، هو لم يعمل خطية واحدة (انظر عبرانيين 4: 15). ومع ذلك فقد سمح الله بأن يُصلَب كي يرفع عنّا خطايانا. ولكي نستخدم اصطلاحًا تقنيًا، نقول إن الله **احتسب** خطايانا على

المسيح. فأن تحتسب هو أن تضع شيئًا في حساب شخص ما، وهذه هي بالتحديد الكيفية التي بها صرنا خطاة في المقام الأول: فقد وضعت خطية آدم في حسابنا الشخصيّ (انظر رومية 5: 12–19). ومن خلال احتساب خطية آدم علينا، حسبنا نحن أنفسنا خطاة.

ومما يبعث على الفرح هو أنه يوجد احتساب ثانٍ، وهو احتساب خطايانا على يسوع المسيح. فقد كان يسوع بارًا برًا كاملاً، ومع ذلك مات ميتة خاطئ. كيف لله أن يسمح بحدوث هذا؟ لابد أن الإجابة تتعلق بالاحتساب. فقد رفع الله خطايانا ووضعها في حساب المسيح، كما وعد تمامًا على فم عبده إشعياء: "وَعَبْدِي الْبَارُّ بِمَعْرِفَتِهِ يُبَرِّرُ كَثِيرِينَ، وَآثَامُهُمْ هُوَ يَحْمِلُهَا" (إشعياء 53: 11). وبمجرد احتساب خطايانا على المسيح على هذا النحو، أُدين وحُكم عليه بالموت، ليس لأجل خطاياه الشخصيّة، بل لأجل خطايانا نحن. لقد حُسب يسوع فوق الصليب فاجرًا. ونظرًا لأنه كان يحمل ذنب خطايانا، فقد أدان الله خطايانا في جسده (انظر رومية 8: 3)، كما هو مكتوب: "لأَنَّهُ جَعَلَ الَّذِي لَمْ يَعْرِفْ خَطِيَّةً، خَطِيَّةً لأَجْلِنَا، لِنَصِيرَ نَحْنُ بِرَّ اللهِ فِيهِ" (2 كورنثوس 5: 21). وأيضًا: "فَإِنَّ الْمَسِيحَ أَيْضًا تَأَلَّمَ مَرَّةً وَاحِدَةً مِنْ أَجْلِ الْخَطَايَا، الْبَارُّ مِنْ أَجْلِ الأَثَمَةِ" (1 بطرس 3: 18).

إلا أن موت المسيح لم يكن نهاية القصة. بل يذكر الكتاب المقدس أيضًا احتسابًا ثالثًا: "لأَنَّهُ جَعَلَ الَّذِي لَمْ يَعْرِفْ خَطِيَّةً، خَطِيَّةً لأَجْلِنَا، لِنَصِيرَ نَحْنُ بِرَّ اللهِ فِيهِ" (2 كورنثوس 5: 21). فإن كان يلزم أن نتبرّر، فلا يكفي أن تُحتسب خطايانا على المسيح، بل لابد أيضًا أن يُحتسب برّه لنا. حينئذ، وحينئذ فقط، يمكن أن يُصرَّح ببرّنا. وهذا هو ما فعله الله تمامًا. وهكذا فقد وُهبنا برًا من الله، احتُسِبَ لنا بناء على حياة المسيح الكاملة وموته كذبيحة عنّا.

ربما يكون من المفيد هنا أن نميّز بين البر الإيجابيّ والبر السلبيّ. فقد أظهر يسوع برّه الإيجابيّ من خلال إتمامه لوصايا الناموس، وأظهر أيضًا برّه السلبيّ من خلال تسديده لعقوبة الخطية. فقد أطاع المسيح ناموس الله عنّا (بر إيجابيّ)، وقاسى أيضًا عقوبة عصياننا (بر سلبيّ).

ويعد البر الإيجابيّ والبر السلبيّ جانبين مختلفين لبر يسوع المسيح الواحد الكامل والتام، فكلاهما لازمان للتبرير الكامل. فكي يصدر حكم "غير مذنب" بشأننا، يلزم أن نحصل على بر المسيح السلبيّ من خلال موته الكفاريّ. أما كي نُحسَب أبرارًا بصورة إيجابيّة، فإننا نحتاج أيضًا أن يُوضَع بر المسيح الإيجابيّ في حسابنا الشخصيّ. وبالتالي، ليس موته الكفاريّ وحده هو الذي يخلصنا، بل أيضًا حياة طاعته.

لا يعد احتساب البر هذا "حيلة قانونيّة" [المترجم: هذا المصطلح يعني افتراض أمر مخالف للواقع يترتب عليه تغيير حكم القانون دون تغيير نصه، أو الاستناد إلى واقعة كاذبة حتى ينطبق حكم القانون

على حالة لم يكن ينطبق عليها من قبل]، كما زعم البعض، بل هو حقيقة قانونيّة مُؤسّسة على صلتنا الروحيّة الحقيقيّة بيسوع المسيح. فإن التبرير، مثله مثل أي فائدة أخرى من فوائد الخلاص، ينبع من اتحادنا بالمسيح. فإن يسوع هو برّنا (1 كورنثوس 1: 30)، ولهذا ففي اشتراكنا فيه نُحسَب نحن أبرارًا. كما قال كالفن: "بما أن المسيح قد صار لنا، فهو يجعلنا شركاء معه في الهبات التي أُغدقت عليه. ولذلك فإننا لسنا نتطلّع إليه خارج أنفسنا من مبعدة حتى يُحتَسَب برّه لنا، بل نحن نلبس المسيح، كما أننا مغروسون في جسده — وباختصار، هو يتنازل ليجعلنا واحدًا معه. ولهذا السبب نفتخر، لأن لنا شركة بر معه".[67]

وهكذا يعتمد الخلاص على عمليّة احتساب ثلاثية: أولاً، بسقوط آدم، احتُسبت الخطية على الجنس البشريّ؛ وثانيًا، بالتوبة، تُحتسب خطية المؤمن على المسيح؛ وثالثًا، بالإيمان، يُحتسب بر المسيح إلى الخاطئ المؤمن. ويوجز بولس كل هذا في رومية 5، حيث كتب:

> فَإِذًا كَمَا بِخَطِيَّةٍ وَاحِدَةٍ صَارَ الْحُكْمُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ لِلدَّيْنُونَةِ، هكَذَا بِبِرّ وَاحِدٍ صَارَتِ الْهِبَةُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ، لِتَبْرِيرِ الْحَيَاةِ. لأَنَّهُ كَمَا بِمَعْصِيَةِ الإِنْسَانِ الْوَاحِدِ جُعِلَ الْكَثِيرُونَ خُطَاةً، هكَذَا أَيْضًا بِإِطَاعَةِ الْوَاحِدِ سَيُجْعَلُ الْكَثِيرُونَ أَبْرَارًا. (رومية 5: 18–19).

فإن عمليّة احتساب البر الذي يبرر يستعيد البر الذي فقدته البشريّة بالخطيّة الأصليّة. ومن الرائع أن نقول إن هذا البر يتم استرجاعه دون اقتراف أي جور في حق بر الله الشخصيّ. فقد تعامل الله في عدل مع خطايانا بإنزال العقوبة عليها في شخص المسيح المصلوب. كما أنه تعامل في عدل معنا بالتصريح بأننا أبرار في المسيح. وقد حقّق الله عمل التبرير هذا بالصليب "لإِظْهَارِ بِرِّهِ فِي الزَّمَانِ الْحَاضِرِ، لِيَكُونَ بَارًّا وَيُبَرِّرَ مَنْ هُوَ مِنَ الإِيمَانِ بِيَسُوعَ" (رومية 3: 26).

وهكذا فإن تبرير الخطاة يعد أيضًا تبريرًا أو تبرئة لله. ففي التبرير، يبرهن الله على عدله من خلال التعامل بعدل وبرحمة أيضًا مع الخطاة من خلال الصليب. فقد أُبرمت صفقة: إذ احتسبت خطايانا على المسيح، فأُدين هو، واحتُسب برّه لنا، فتبرّرنا نحن.

وسيلة التبرير: الإيمان بالمسيح

لقد قمنا سابقًا بتعريف التبرير. والآن وصلنا إلى مرحلة يمكننا فيها إثراء فهمنا قليلاً بالمزيد من التأمل اللاهوتيّ:

> التبرير يعني تغييرًا دائمًا في موقفنا القضائيّ مع الله، وبه نُعفى من تهمة الإدانة، وبواسطته أيضًا يغفر الله جميع خطايانا بناء على عمل يسوع المسيح المكتمل. فإن موقفنا القضائيّ مع الله بدون المسيح هو

موقف إدانة، فإننا نقف مُدانين بسبب خطايانا، كل من الخطيّة الأصليّة والخطايا الفعليّة. وحين نتبرّر، يتغيّر هذا الموقف القضائيّ مع الله من الإدانة إلى التبرئة.[68]

يقدم لنا دليل أسئلة وأجوبة ويستمنستر المُوجَز تعريفًا أكثر اختصارًا: "يعد التبرير عملاً لنعمة الله المجانيّة، حيث من خلاله يصفح الله عن جميع خطايانا، ويقبلنا أبرارًا في نظره، فقط لأجل بر المسيح الذي احُتسب لنا، والذي نلناه بالإيمان وحده" (الإجابة رقم 33).

تعد العبارة الأخيرة في هذا التعريف عبارة أساسيّة وجوهريّة لأنها تعرّف الإيمان بكونه الأداة الوحيدة للتبرير. فقد جاءت كلمة الإيمان ست مرات على الأقل في رومية 3: "بِرُّ اللهِ **بِالإِيمَانِ** بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ إِلَى كُلِّ وَعَلَى كُلِّ الَّذِينَ **يُؤْمِنُونَ**" (رومية 3: 22). "الَّذِي قَدَّمَهُ اللهُ كَفَّارَةً **بِالإِيمَانِ** بِدَمِهِ" (رومية 3: 25). وفي عدد 26 يوصف الله بأنه "يُبَرِّرَ مَنْ هُوَ مِنَ **الإِيمَانِ** بِيَسُوعَ". وفي عدد 27 يقتصر الافتخار على مبدأ الإيمان وحده: "إِذًا نَحْسِبُ أَنَّ الإِنْسَانَ يَتَبَرَّرُ **بِالإِيمَانِ** بِدُونِ أَعْمَالِ النَّامُوسِ" (رومية 3: 28؛ قارن 5: 1). وهكذا، فإن ما يسلّط هذا النص الضوء عليه مرة تلو الأخرى هو شيء جوهريّ في رسالة الإنجيل: أننا نتبرر **بالإيمان**.

أحيانًا يتساءل الناس عمّا ينبغي أن يعملوا ليبرّروا أنفسهم أمام الله. والإجابة هي أنه لا يوجد ما يمكننا أن نفعله سوى أن نؤمن. وهذا هو وجه الاختلاف بين المسيحيّة وأيّة ديانة أخرى، بل وأيّة محاولة بشريّة للبلوغ إلى البر. ومن بين جميع أوجه الاختلاف، يعد هذا الاختلاف في الأساس هو الاختلاف الذي يصعب على غير المؤمنين فهمه تمامًا: ألا يوجد ما يمكننا فعله كي نجعل من أنفسنا صالحين بما يكفي لله؟

ونجد مثالاً صارخًا على ثقة البشريّة التي في غير محلّها في الأعمال لأجل التبرير في النقش الذي كُتب على ضريح قبر يعود للقرن الأول:

> هنا ترقد ريجينا... وهي ستحيا ثانية، وترجع إلى النور، إذ تستطيع أن ترجو في يقين حقيقيّ أن تقوم للحياة التي وُعد بها المستحقون والأتقياء. إذ أنها استحقّت أن تمتلك منزلاً في الأرض المقدسة. فإن يقينك مصدره تقواك، وطهارة حياتك، ومحبتك للآخرين، وحفظك للناموس، وإخلاصك في زواجك الذي كان ثمينًا بالنسبة لك. ولأجل هذه الأعمال جميعها، فإن رجاءك في المستقبل يصير مكفولاً لك.[69]

هذا النقش عن ريجينا هو مثال نموذجيّ خاصة بالنسبة للمتديّنين. فهو يفترض أن أعمال البر هي أفضل ضمان، بل وهي الضمان الوحيد لوصول شخص ما إلى السماء. ومع ذلك، فإن أي شخص يأمل في نوال قبول من الله بحفظه للناموس قد سقط في ناموسيّة مدمّرة للنفس. وقد أثار مارتن لوثر هذه الفكرة

بأسلوبه الاستفزازي المعتاد حين قال أن اعتقادنا بأننا يمكن أن نستحق النعمة بأعمالنا هو حقًا طريقة "لمحاولة استرضاء الله بالخطايا".[70]

وحين أوضح يسوع لتلاميذه الوسيلة الصحيحة للتبرير، كان حريصًا على التمييز بين الإيمان والطاعة. فقد سأله التلاميذ: "مَاذَا نَفْعَلُ حَتَّى نَعْمَلَ أَعْمَالَ اللهِ؟"، فأجابهم يسوع: "هذَا هُوَ عَمَلُ اللهِ: أَنْ تُؤْمِنُوا بِالَّذِي هُوَ أَرْسَلَهُ" (يوحنا 6: 28–29). وطرح سجّان فيلبي السؤال نفسه على الرسول بولس: "مَاذَا يَنْبَغِي أَنْ أَفْعَلَ لِكَيْ أَخْلُصَ؟"، فأجابه بولس الإجابة ذاتها التي أجاب بها يسوع: "آمِنْ بِالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ فَتَخْلُصَ" (أعمال الرسل 16: 30–31). بكلمات أخرى، لا يوجد ما يمكننا أن نفعله كي نبرّر أنفسنا أمام الله. بل البر الوحيد المقبول لديه يأتي "بِدُونِ النَّامُوسِ" (رومية 3: 21).

وهكذا الشيء الوحيد الذي يمكننا فعله هو أن نؤمن بيسوع المسيح لأجل خلاصنا. فإن وضعنا ثقتنا فيه وفي عمله التبريري على الصليب، فحينئذ سيصدر الله حكمًا بأننا أبرار. فإننا مقبولون لدى الله، ليس بحفظنا لناموسه، بل بثقتنا في الإنسان الوحيد الذي حفظه على الإطلاق — أي يسوع المسيح.

ونجد مثالاً رائعًا يصوّر الفارق بين التبرير بالأعمال والتبرير بالإيمان في اختبار اهتداء مارتن لوثر. ففي الأيام التي كان لا يزال فيها هذا اللاهوتيّ الشهير راهبًا، استهوته بشكل كبير آية من سفر حبقوق النبي، اقتبسها الرسول بولس في رسالته إلى أهل غلاطية، وهي: "الْبَارَّ بِالإِيمَانِ يَحْيَا" (غلاطية 3: 11؛ قارن حبقوق 2: 4).

وقد اصطدم لوثر بهذه الآية حين كان في دير ارفرت، بالرغم من عدم تأكده في البداية من معناها. ثم لاحقًا اجتاز في فترة مظلمة من المرض والاكتئاب، وفي أثنائها تصوّر أنه ماكث تحت غضب الله. وحين كان لوثر يرقد في سريره في إيطاليا، خاشيًا من أنه كان يقترب من الموت، وجد نفسه يكرر هذه الكلمات مرة تلو الأخرى: "البار بالإيمان يحيا. البار بالإيمان يحيا".

وحمدًا للرب، تعافى لوثر. وبعد ذلك بفترة وجيزة، ذهب إلى روما، حيث زار كنيسة القديس يوحنا اللاتراني. وكان البابا قد وعد بمنح صك غفران للخطايا لأي سائح يتسلّق درج الكنيسة، الذي كان يزعم أنه جاء من دار ولاية بيلاطس البنطي. وبما أن السائحين كانوا يصدّقون أن هذا الدرج كان مصبوغًا بدم المسيح نفسه، فقد كانوا يصعدون الدرج منطرحين على ركبهم، متوقفين بين الحين والآخر للصلاة وتقبيل الدرج المقدس.

وتستكمل قصة لوثر على لسان ابنه (من مخطوطة محفوظة في مكتبة مدينة رودولستادت): "وفيما كان يتلو صلواته فوق درج الكنيسة اللاترانيّة، قفزت كلمات حبقوق النبي على نحو فجائي إلى ذهنه: "البار

بالإيمان يحيا". وعند ذلك، توقف عن الصلاة ورجع إلى ويتنبرج، واتخذ هذا العدد أساسًا لكل عقيدته". ولم يعد لوثر بعد هذا يؤمن بأن هناك ما في وسعه أن يفعله لاسترضاء الله، وابتدأ بدلاً من هذا يحيا بالإيمان بابن الله. ثم بعد وقت لاحق، قال الآتي:

> قبل أن تضيء هذه الكلمات ذهني، كنت أبغض الله، وكنت في خصومة معه... لكن حين أدركت بروح الله هذه الكلمات: "البار بالإيمان يحيا!" "البار بالإيمان يحيا!"، حينئذ شعرت بأني ولدت ثانية وصرت إنسانًا جديدًا، فقد دخلت من الأبواب المفتوحة إلى فردوس الله عينه.[71]

حين يقول الكتاب المقدس إننا قد تبرّرنا "بالإيمان" أو "بواسطة الإيمان"، فهو بهذا يؤكد على أن الإيمان هو أداة تبريرنا، أي هو القناة التي من خلالها ننال بر يسوع المسيح. وبحسب كلمات جي. آي. باكر، فإن الإيمان هو "اليد الفارغة الممدودة التي تنال البر بنوالها المسيح".[72] وبالمثل أيضًا، عرّف جي. سي. رايل الإيمان الحقيقيّ بأنه:

> الإمساك بيد مخلّص، والاستناد على ذراع زوج، وتناول دواء طبيب. فهو [الإيمان] لا يصطحب معه للمسيح سوى نفسًا خاطئة. ولا يقدّم شيئًا، أو يساهم بشيء، أو يسدّد ثمن شيء، أو يفعل أيّ شيء. بل فقط يأخذ، وينال، ويقبل، ويمسك، ويغتنم عطية التبرير المجيدة التي يغدقها المسيح عليه.[73]

هذا يعني إذًا بكل تأكيد أن الإيمان نفسه (أو حتى عقيدة التبرير بالإيمان) ليس هو ما يخلّصنا. بل المسيح هو من يخلّصنا، مع كون الإيمان وسيلة من خلالها نمتلك المسيح. كما قال كالفن: "مَن يتبرّر بالإيمان هو مَن، إذ أُقصي من بر الأعمال، يحكم قبضته على بر المسيح بواسطة الإيمان، وإذ يلبس هذا البر، يظهر أمام الله ليس كخاطئ بل كإنسان بار."[74]

بالرغم من أن رومية 3 لا يقول إن التبرير هو "بالإيمان وحده" (على الأقل بكلمات صريحة)، إلا أن هذا ما يلمّح إليه النص ضمنيًا، وخاصة في ختامه: "فَأَيْنَ الافْتِخَارُ؟ قَدِ انْتَفَى. بِأَيِّ نَامُوسٍ؟ أَبِنَامُوسِ الأَعْمَالِ؟ كَلاَّ. بَلْ بِنَامُوسِ الإِيمَانِ. إِذًا نَحْسِبُ أَنَّ الإِنْسَانَ يَتَبَرَّرُ بِالإِيمَانِ بِدُونِ أَعْمَالِ النَّامُوسِ" (رومية 3: 27–28؛ قارن غلاطية 2: 16).

فإن كنا نتبرّر بالأعمال، أو حتى بالإيمان والأعمال معًا، فإن الخلاص حينئذ يصبح شيئًا يمكننا الافتخار به (انظر أفسس 2: 9). ولكننا رأينا بالفعل أن لا أحد على الإطلاق سيتمكّن من الافتخار بوصوله إلى السماء بناء على استحقاقاته. فإننا نتبرّر بناء على حياة يسوع المسيح الكاملة، وموته كذبيحة، ولا يوجد ما يلزم فعله أكثر من هذا سوى أن نؤمن. ونقتبس الآتي من إقرار إيمان هيئة ائتلاف الإنجيل: "نؤمن بأن الله يبرّر ويقدّس من يؤمنون بيسوع بالنعمة".

غاية التبرير: أعمال صالحة لمجد الله

يعتقد البعض أن الرسول يعقوب ناقض عقيدة التبرير بالإيمان وحده. فإنه يؤكد على أيّة حال على أن "بِالأَعْمَالِ يَتَبَرَّرُ الإِنْسَانُ، لاَ بِالإِيمَانِ وَحْدَهُ" (يعقوب 2: 24). لكن ما يقوله يعقوب حقًا هو شيء من هذا القبيل: "إن ما يُبرهن على أن شخصًا ما قد تبرّر هو أعماله وليس إيمانه فحسب". فعلى خلاف بولس الذي كان في حاجة إلى مقاومة الفكرة الشائعة بأن الخطاة يمكنهم أن يخلصوا بالأعمال الصالحة، كان يعقوب يحارب الفهم المغلوط بأن المؤمنين بإمكانهم الاستغناء تمامًا عن الأعمال. ولكي نوضّح الفرق بينهما بمفردات لاهوتيّة، نقول إن بولس كان يتعامل مع أناس أرادوا جعل التقديس جزءًا من أساس تبريرهم، بينما كان يعقوب يتعامل مع أناس أرادوا أن يتبرّروا دون أن يتقدّسوا!

بالنسبة ليعقوب وبولس على حد سواء، كانت كلمة "يبرّر" تعني "التصريح ببر". لكن الفارق هو أنه في حالة بولس الله هو من يصرّح ببر المؤمن، بينما في حالة يعقوب الأعمال هي التي تصرّح ببره بأن تبرهن على حقيقة وأصالة إيمانه. وبكل تأكيد كان كلا الرسولين سيتّفقان مع كلمات كالفن بأن "الإيمان وحده هو الذي يبرّر، ومع ذلك فإن هذا الإيمان الذي يبرّر لا يثبت وحده".[75] فإن الإيمان والأعمال معًا لا ينتجان التبرير (الإيمان + الأعمال >> التبرير)، لكن الإيمان يبرّر فينتج الأعمال الصالحة (الإيمان >> التبرير + الأعمال).

ولكي نعبّر عن هذا بطريقة أخرى نقول إن الإيمان الذي وحده يبرّر هو **إيمان عامل**. وهذا يفسّر سبب اختتام هيئة ائتلاف الإنجيل لتصريحها عن التبرير بهذه الكلمات: "نؤمن بأن غيرة وحماسًا من نحو الطاعة الشخصيّة والعامة تنبع من هذا التبرير المجاني". فإن عقيدة التبرير الكتابيّة الصحيحة ليست على النقيض من الأعمال الصالحة بل في حقيقة الأمر هي تنتجها. فإن تبريرنا متصل بصورة حيويّة بتقديسنا.

فمن جهة التبرير، يعد عمل المسيح وأعمالنا على طرفي النقيض. كما يقول بولس في رسالة غلاطية: "الإِنْسَانَ لاَ يَتَبَرَّرُ بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ، بَلْ بِإِيمَانِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ" (غلاطية 2: 16). وهكذا فإن التبرير يأتي بالإيمان وليس بالأعمال: "وَأَمَّا الَّذِي لاَ يَعْمَلُ، وَلكِنْ يُؤْمِنُ بِالَّذِي يُبَرِّرُ الْفَاجِرَ، فَإِيمَانُهُ يُحْسَبُ لَهُ بِرًّا" (رومية 4: 5). فمن جهة التبرير، يضع الكتاب المقدس الإيمان والأعمال في طرفي النقيض. فإن كان التبرير بالإيمان، إذن فهو ليس بالأعمال. ومع إقصاء الكتاب المقدس للأعمال بهذا الشكل، فهو يقول فعليًا إن التبرير هو بالإيمان وحده. وإن لم يكن التبرير بالأعمال، فلابد وأنه إذن بالإيمان وحده.

وهناك سبب هام لعمل هذه المقابلة بين الإيمان والأعمال، وهو سبب يساعدنا على فهم وإدراك غاية تبريرنا في خطة الله. فإن كان التبرير يأتي بالإيمان وحده، فحينئذ تكفل وسيلة التبرير الكتابيّة أن

يعود كل المجد إلى الله وحده. فإن كنّا نتبرّر بعمل يسوع الخلاصي وليس بعملنا نحن، فحينئذ كل التسبيح والحمد لأجل خلاصنا يُوجَّه إلى الله وليس إلينا. وهكذا فإن غاية التبرير — كأي جانب آخر من جوانب الإنجيل — هي مجد الله.

المستفيدون من التبرير: بشر مثلنا

أحد أروع التأكيدات على عقيدة التبرير الكتابيّة على الإطلاق نجدها في دليل أسئلة وأجوبة هيدلبرج، الذي جاء به هذا السؤال: "كيف تكون بارًا أمام الله؟ (السؤال رقم 60). والإجابة هي كما يلي:

> فقط بالإيمان الحقيقي بيسوع المسيح. فبالرغم من واقع شكاية ضميري عليَّ بأني قد أخطأت بشكل مؤسف ضد جميع وصايا الله، ولم أحفظ أيًّا منها، وبأني لازلت ميّالاً تجاه كل ما هو شرير، إلا أن الله مع ذلك، ودون أي استحقاق في ذاتي، بدافع نعمة خالصة، يهبني فوائد ومزايا كفارة المسيح الكاملة، مُحتسبًا لي برّه وقداسته وكأنّي لم أرتكب قط خطيّة واحدة، أو لم أكن يومًا خاطئًا، وكأنّي أنا نفسي قد أتممت كل الطاعة التي أتمّها المسيح عنّي، وهذا فقط إن قبلت مثل هذا الإحسان بقلب مؤمن.

لاحظ أن هذا الدليل يتحدّث عن التبرير بضمير المتكلم. وهذا يوجّهنا إلى حقيقة هامة: إن كان التبرير هو بالإيمان، فإننا لابد أن نؤمن نحن أنفسنا بيسوع المسيح — إيمانًا شخصيًا وفرديًا — كي نتبرّر. فإن التبرير لا يقتصر على كونه مبدأ عامًا يختص بوسيلة الخلاص، بل هو دعوة للقيام بتعهّد إيمان شخصي أمام المسيح، إذ بدون المسيح مصيرنا الدينونة. بل ويحذّرنا الكتاب المقدس بأن "الَّذِي لاَ يُؤْمِنُ قَدْ دِينَ [بالفعل]، لأَنَّهُ لَمْ يُؤْمِنْ بِاسْمِ ابْنِ اللهِ الْوَحِيدِ" (يوحنا 3: 18). ومع ذلك يعدنا العدد نفسه بأن "الَّذِي يُؤْمِنُ بِهِ لاَ يُدَانُ". فإن أردنا إذن أن نتبرّر ولا ندان، فلابد لنا أن نؤمن بيسوع المسيح.

أما بالنسبة لمن يؤمنون بالفعل، فإن حكم الله النهائي — "بار إلى الأبد" — قد صار بالفعل حقيقة اختباريّة حياتيّة. فإن كلمة الله تقول: "فَإِذْ قَدْ تَبَرَّرْنَا بِالإِيمَانِ لَنَا سَلاَمٌ مَعَ اللهِ بِرَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ" (رومية 5: 1). فقد تم الفصل بالفعل في موقفنا القانوني، ولا يمكن أن نصير يومًا غير مبررين. إذ قد صرنا الآن وإلى الأبد مقبولين لدى الله، لمجد الله. وسيؤكد يوم الدينونة ما قد أعلنه الله بالفعل: "لاَ شَيْءَ مِنَ الدَّيْنُونَةِ الآنَ عَلَى الَّذِينَ هُمْ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ" (رومية 8: 1).

ومن الرجال الذين اختبروا فرحة الإيمان الذي يبرّر كان الشاعر ويليام كوبر. فقد عانى كوبر طويلاً من مرض الاكتئاب، ومكث لبعض الوقت في مشفى للأمراض العقليّة حيث كان الوضع مروعًا وبغيضًا. وعلى الرغم من كل عذابه الجسدي والنفسي، إلا أن أشد آلامه قسوة كانت آلامه الروحيّة، إذ كان

يحسب نفسه خاطئًا مدانًا. لكن جاء اليوم الذي فيه وجد كوبر علاجه القانوني في رسالة التبرير بالإيمان الخلاصيّة. وفيما يلي القصة التي رواها بنفسه:

> لقد حل الآن زمن البهجة الذي كان من شأنه أن يسقط أغلالي ويفتح أمامي بابًا واسعًا إلى رحمة الله المجانيّة في المسيح يسوع. في ذلك اليوم طرحت نفسي على كرسي بجوار النافذة، وحين رأيت كتابًا مقدسًا هناك، غامرت مرة أخرى باللجوء إليه لأحصل على تعزية وإرشاد. وكانت الأعداد الأولى التي وقع نظري عليها هي في الإصحاح الثالث من رسالة رومية: "مُتَبَرِّرِينَ مَجَّانًا بِنِعْمَتِهِ بِالْفِدَاءِ الَّذِي بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي قَدَّمَهُ اللهُ كَفَّارَةً بِالإِيمَانِ بِدَمِهِ، لإِظْهَارِ بِرِّهِ". وفي الحال حلّت عليَّ قوة كي أؤمن، فسطعت آشعة شمس البر كاملة عليَّ. ورأيت كفاية الكفارة التي صنعها، والصفح عني في دمه، ورأيت ملء وكمال تبريره. وفي لحظة آمنت وقبلت الإنجيل.[76]

إن عطية البر هذه متاحة لكل من يؤمن ويقبل الإنجيل. فإن الله، بنعمته المجانيّة، يقدّم تبريرًا كاملاً وتامًا على أساس عمل يسوع المسيح الكفاري. وكل من له إيمان بيسوع المسيح سيتبرّر إلى الأبد أمام منصة عدل الله الأبدي.

للمزيد من الاطلاع:

Buchanan, James. *The Doctrine of Justification*. Reprint, Grand Rapids, MI: Baker, 1955.

Carson, D. A., ed. *Right with God: Justification in the Bible and the World*. Exeter: Paternoster, Grand Rapids, MI: Baker, 1992.

Piper, John. *The Future of Justification: A Response to N. T. Wright*. Wheaton. IL: Crossway, 2007.

Sproul, R. C. *Faith Alone: The Evangelical Doctrine of Justification*. Grand Rapids, MI: Baker, 1995.

Vickers, Brian. *Jesus' Blood and Righteousness: Paul's Theology of Imputation*. Wheaton, IL: Crossway, 2006.

الفصل العاشر

الروح القدس

كيفين ديبانج

دعونا نكون صادقين مع أنفسنا، فإن من أكثر الأشياء الممتعة والمفرحة في الكريسماس هو تلقّي الهدايا. البعض يحصلون على القليل جدًا منها، والبعض الآخر يحصلون على الكثير جدًا. لكن الغالبيّة يحصلون على شيء ما. في العام الماضي، حصلت على بعض الكتب (يا لفرحي الشديد!)، وبعض الملابس (حسنًا، هذا جيد)، ولعبة الوي (كانت في الواقع لأبنائي)، وتمثال كاريكاتيري لجون كالفن (هدية لا تقدّر بثمن). وقد كانت هذه ككل غنيمة جيدة.

فكّر في أكثر هديّة مفضّلة لديك، ليست تلك التي تحصل عليها في الكريسماس فحسب، بل أفضل هديّة على الإطلاق. من الصعب أن تجد شيئًا يفوق خاتم الخطبة من جهة التأثير طويل المدى. لكن ماذا إن أخبرتك عن هديّة شكّلت عهدًا أكثر يقينًا وأكثر دوامًا من عهد الزواج؟ ربما يكون المال هو هديّتك المفضّلة، فعلى أيّة حال، يمكنك بالمال ممارسة السلطة على نحو كبير، وعمل الكثير من الأشياء الممتعة. لكن ماذا إن أخبرتك عن هديّة شكّلت قوّة أكثر تغييرًا للحياة، وشكّلت سلطة ونفوذًا أكثر تغييرًا للعالم، من الثروة والغنى؟ ربما تكون من النوع المرهف الحس، فتكون هداياك التي تعتز بها أكثر من كل شيء هي الصور القديمة التي تحصل عليها من أصدقائك وعائلتك. حسنًا. لكن ماذا إن أخبرتك عن هديّة شكّلت ما يفوق كونه صورة لمحبوبك، بل أمدتك بحضوره بذاته معك طوال الوقت؟

هذه الهدية هي إذن: هدية عهد، وقوة، وحضور. وقد حصل عليها الملايين في جميع أنحاء العالم. أو ينبغي أن أقول حصلوا **عليه هو**. إذ أن الهديّة، كما أعتقد أنك قد خمّنت، هي الروح القدس. لا توجد ممتلكات أخرى تفوق الروح القدس في القيمة، والفائدة، والديناميكيّة، والقوة، والمحبة، ذلك الروح الذي يسكن بداخل من ينتمون لله بالمسيح (1 كورنثوس 3: 16).

الروح القدس في كل الكتاب المقدس

إن الكلمة المرادفة لكلمة "روح" في اللغة العبريّة هي كلمة *ruach*، وفي اللغة اليونانيّة هي كلمة *pneuma*. استُخدمت الكلمة الأولى ما يقرب من تسعين مرة للتعبير عن الروح القدس في العهد القديم. أما الأخيرة فقد وردت أكثر من 250 مرة كإشارة إلى الروح في العهد الجديد. كلا الكلمتين يمكن أن تشيرا

أيضًا إلى الريح أو النفَس، لكن الفكرة العامة هي نفسها: فإن كلمتي *ruach*، و*pneuma* تعبّران عن طاقة، وحركة، وحياة، ونشاط. أمّا الروح القدس فهو ذلك الروح المميَّز، الذي ينتمي إلى الله. فهو قوة الله وحضوره وسط شعبه.[77]

هذا الروح القدس، بالرغم من كونه "واضحًا" بشكل أكبر في العهد الجديد، لكنه كان عاملاً أيضًا في العهد القديم. فهو كان موجودًا في الخلق، يرفّ على وجه المياه، على استعداد لترتيب وإكمال ما قصده الآب وخطّط له (تكوين 1: 2). كما كان للروح القدس دور فعّال في الخروج (إشعياء 64: 7–14). وهو أيضًا الذي أعطى شعب الله مواهب لعمل الخدمة، مؤهلاً بصلئيل وأهوليآب ليس ببراعة فنيّة فحسب، بل أيضًا بقوة من الروح ليصنعا ما شبه السماء على الأرض (خروج 35: 30–35). ونرى كثيرًا كيف حل الروح القدس في العهد القديم على أشخاص مثل بلعام، وجدعون، ويفتاح، وشمشون، وعزريا لإتمام مهام خاصة من إخبار أو فعل (عدد 24: 2؛ قضاة 6: 34؛ 11: 29؛ 13: 25؛ 14: 6، 19؛ 15: 14؛ 2 أخبار الأيام 15: 1). كما كان من الممكن أيضًا أن يحل الروح على أشخاص لفترة معينة ثم يفارقهم، كما حدث مع شاول (1 صموئيل 16: 14)، وكما كان داود يخشى (مزمور 51: 11).

لقد كان نشاط الروح في العهد القديم قويًا لكنه لم يكن مكتملاً على الإطلاق. ولهذا ليس من الغريب أن يتطلّع العهد القديم إلى عصر آتٍ للروح. وتوجد ثلاث نبوّات على وجه الخصوص تتنبّأ بمجد هذا اليوم الجديد: فإن يوئيل 2: 28–32 يتطلّع إلى حلول الروح على كل شعب الله. كما يتوق حزقيال 36: 22–37: 14 إلى اليوم الذي فيه سيسكن الروح في شعب الله سكنى فرديّة وأبديّة. أيضًا يعد إشعياء 11: 1–5 بأن غصنًا ممسوحًا بالروح القدس من أصل يسّى سيأتي بيوم خلاص شعب إسرائيل. هذا هو عصر الروح الذي يتطلّع إليه العهد القديم: روح يشمل الجميع، وروح ساكن، ومخلّص مفوَّض من الروح. هذا الانسكاب تحقّق تحت بنود العهد الجديد (2 كورنثوس 3: 1–11). فإننا نجد الروح ينسكب على كل بشر (أعمال الرسل 2: 14–21)، ويسكن في جميع المؤمنين (رومية 8: 9)، ويفوّض المسيّا الممسوح بالروح، ويمجّده في خدمته الأرضيّة وعمله الخلاصي.

وتسلّط أسفار العهد الجديد الضوء على هذه النقطة الأخيرة أكثر مما نتخيّل. فإن الروح القدس قد فوّض الابن وأيده عبر كل مرحلة من مراحل خدمته. إذ ظلّل الروح القدس مريم في الحبل العذراوي (متى 1: 18، 20؛ لوقا 1: 35). كما حل الروح القدس على سمعان الشيخ حين تحدّث عن يسوع في الهيكل (لوقا 2: 25). واستقر الروح القدس على يسوع في معموديته (متى 3: 16). ثم اقتاد الروح يسوع، الذي يقول لوقا أنه كان ممتلئًا من الروح القدس، إلى البرية ليجرَّب من الشيطان (متى 4: 1؛ لوقا 4: 1). وبعد

التجربة، رجع يسوع إلى الجليل بقوة الروح (4: 14)، وأعلن في المجمع أن روح السيد الرب عليه ليبشّر المساكين بالخبر السار (4: 18).

أيضًا بالروح القدس أخرج يسوع الشياطين (متى 12: 28). ويقول عبرانيين 9: 14 إن المسيح قدّم نفسه كذبيحة لله بروح أزلي. ووفقًا لما جاء في رومية 1: 4، تعيّن يسوع بقوة ابنًا لله بقيامته من الأموات بواسطة روح القداسة. وهكذا فمنذ الحبل بالمسيح، وحتى ميلاده، وطوال حياته، وخدمته، وموته، وقيامته، كان الروح عاملاً فيه ومن خلاله.

من هو الروح القدس؟

هو شخص

إن الروح القدس شخص. فهو يحزن (أفسس 4: 30)، ويشفع (رومية 8: 26–27)، ويشهد (يوحنا 16: 12–15)، ويتكلّم (مرقس 13: 11)، ويخلق (تكوين 1: 2؛ لوقا 1: 35)، وله اهتمام وفكر (رومية 8: 27)، ويمكن التجديف عليه (مرقس 3: 28–29).[78] (بالطبع يُقال أيضًا عن كلمة الله أنها "تشهد"، و"تتكلم"، ولا أحد يعتقد بأنها شخص، ومع ذلك فإن السياق في مثل هذه الحالات يُظهر أن هذا يعد تجسيدًا لكلمة الله، وهذا التجسيد يرمز في حقيقة الأمر إلى أن الله يتكلم ويشهد من خلال هذه الكلمة). وفي الحديث الوداعي ليسوع (يوحنا 14–16)، يعد بإرسال "باراقليط [*parakletos*] آخر" [والكلمة تمثل معاني مختلفة: "المعين"، و"المشير"، و"المؤيّد"]، أي الروح القدس، الذي هو خليفة يسوع في الخدمة الأرضيّة، ومن بعض النواحي بديل له. وعلى هذا النحو، لا يمكن لقوة غير عاقلة أو ما شابه ذلك أن تلائم وصف ما سيفعله الروح المتوارَث عن يسوع.

هو الله

ليس الروح القدس مجرد شخص، لكنه شخص إلهي. يقدم لنا مزمور 139: 7 لمحة عن وجوده في كل مكان. فهو "الروح الأزلي" (عبرانيين 9: 14). كما يعد الكذب على الروح القدس مساويًا للكذب على الله (أعمال الرسل 5: 3–4). أيضًا يستخدم بولس عبارة "هيكل الله" بالتبادل مع "هيكل الروح القدس"، مساويًا بهذا بين الإثنين (1 كورنثوس 3: 16؛ 6: 19).

متميز عن الآب وعن الابن

يشترك الروح القدس في الجوهر نفسه مع الآب والابن، ومع ذلك فهو متميز عنهما (انظر متى 28: 19؛ 1 كورنثوس 12: 4–6؛ 2 كورنثوس 1: 21–22؛ 13: 14؛ 1 بطرس 1: 2). وببساطة شديدة، الروح القدس هو الله، لكنه ليس الآب وليس الابن، بل هو أقنوم إلهي مستقل.

وعلى الرغم من تمّيز الروح القدس عن الآب والابن، إلا أنه هو روح الله، وهو أيضًا روح المسيح (رومية 8: 9). فأن تقول إن "روح الله ساكن فيك"، أو إن "روح المسيح فيك"، أو إن "المسيح ساكن فيك"، فهذه ليست سوى ثلاث طرق نقول بها الشيء ذاته (رومية 8: 10).[79] فإن الروح مرسَل من الآب (يوحنا 14: 26)، ومن الابن أيضًا (16: 7؛ 20: 22).[80] بل في الحقيقة، يوجد تداخل كبير بين هوية كل من الابن والروح حتى أن بولس استطاع أن يقول "الرَّبُّ فَهُوَ الرُّوحُ" (2 كورنثوس 3: 17–18).

هذا لا يعني أن الابن والروح هما واحد من حيث كينونتهما، لكنه يعني أن إرساليّتهما شديدة الالتحام حتى أنهما واحد في نشاطهما الفدائي المشترك. فإن يسوع هو الحق (يوحنا 14: 6)، والروح يرشد التلاميذ إلى معرفة كل الحق (يوحنا 16: 13). أيضًا جاء يسوع ليشهد ويخبِّر عن الله الآب (يوحنا 1: 14–18)، ويأتي الروح ليشهد للمسيح (يوحنا 15: 26). ولم يقبل العالم الخاطئ المسيح (يوحنا 1: 11؛ 5: 43)، وأيضًا لن يقبل العالم الخاطئ الروح (يوحنا 14: 17). فإن الروح القدس بصورة مجيدة ليس سوى معزي **آخر** (يوحنا 14: 16)، فهو قوة وحضور المسيح القائم من الأموات والذي صعد عن الأرض.

عمل الروح القدس

بعد أن تحدثنا عن "مَن" الخاصة بالروح القدس، نتجه الآن إلى الحديث عن "ما"، أي : "ما هو العمل الفعلي الذي يقوم به الروح القدس؟" فلأن الروح ليس واضحًا تمامًا في الكتاب المقدس، فإن لدينا الكثير لنقوله من جهة عمل الروح القدس، أكثر مما لدينا لنقوله عن **أقنوم** الروح القدس. فإن الطريقة المُثلى لمعرفة الروح هي بأن نفهم ونختبر تأثيراته. وقد قمت بتقسيم عمل الروح إلى سبعة أقسام: الروح القدس يبكّت، ويجدّد، وينفِّذ، ويمجّد، ويقدّس، ويؤهّل، ويَعِد.

الروح القدس يبكّت

من الجدير الملاحظة أن نرى يسوع يقضى ساعاته المعدودة الأخيرة قبل موته يعلّم تلاميذه عن الثالوث. فمن بين كل شيء آخر كان يستطيع أن يقوله، شعر يسوع بضرورة أن يتحدّث عن وحدته مع الآب واتّحاده مع الروح القدس العتيد أن يأتي. فقد وعد يسوع بالروح القدس خمس مرات في حديث العليّة

(يوحنا 14: 16–17، 26؛ 15: 26–27؛ 16: 4ب–11، 12–15). وفي التصريح الرابع من تصريحات هذا الحديث تحدّث يسوع عن قوة تبكيت الروح:

> لكِنِّي أَقُولُ لَكُمُ الْحَقَّ: إِنَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ أَنْ أَنْطَلِقَ، لأَنَّهُ إِنْ لَمْ أَنْطَلِقْ لاَ يَأْتِيكُمُ الْمُعَزِّي [الباراقليط]، وَلكِنْ إِنْ ذَهَبْتُ أُرْسِلُهُ إِلَيْكُمْ. وَمَتَى جَاءَ ذَاكَ يُبَكِّتُ الْعَالَمَ عَلَى خَطِيَّةٍ وَعَلَى بِرّ وَعَلَى دَيْنُونَةٍ: أَمَّا عَلَى خَطِيَّةٍ فَلأَنَّهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ بِي. وَأَمَّا عَلَى بِرّ فَلأَنِّي ذَاهِبٌ إِلَى أَبِي وَلاَ تَرَوْنَنِي أَيْضًا. وَأَمَّا عَلَى دَيْنُونَةٍ فَلأَنَّ رَئِيسَ هذَا الْعَالَمِ قَدْ دِينَ. (يوحنا 16: 7–11)

ويمكننا أن نفهم جيدًا أن التلاميذ في ذلك الوقت كانوا منزعجين بشدة من أن يسوع كان سيرحل عنهم (يوحنا 16: 6). لكن يسوع طمأنهم بأن هذا كان خيرًا لهم، فإنه إن لم ينطلق، لن يأتيهم المعزي (البارقليط). ولم يكن هذا لأن الروح والابن لا يمكنهما أن يشغلا المكان ذاته، بل لأن الروح لم يكن ممكنًا أن يأتي إلا بعد موت الابن، وقيامته، وصعوده. فإن تأسيس ملكوت الله الذي بدأ من خلال المسيح، سيكتمل من خلال الروح، لكن هذا لن يحدث إلا بعد اكتمال عمل المسيح.

وهكذا إذن، فإن المفارقة هنا هي أن الكنيسة هي في حال أفضل لأن يسوع لم يعد موجودًا بالجسد. ففي القرن الأول، كان لابد لنا أن نذهب إلى فلسطين كي نكون مع يسوع. أما الآن، على الضفة الأخرى من يوم الخمسين، يمكن أن يكون المسيح موجودًا في كل مكان بروحه. ليس علينا أن نرتحل إلى إسرائيل كي نكون معه، أو أن نحيا في الجبال، أو نضيء شمعة كي نجده. فهناك ما يعد أفضل من السير معه أو رؤيته بعيوننا. فهو يمكنه أن يسكن فينا في أي مكان وفي أي زمان.

بالنسبة للتلاميذ، كان مجيء الروح خبرًا سارًا. فهو كان من شأنه أن يصير معينًا – ومعزيًا – ومؤيدًا لهم. أما بالنسبة للعالم، أي أولئك الغارقين في وحل الخطيّة، كان الروح من شأنه أن يمارس قوة تبكيت أو قوة فضح (انظر يوحنا 3: 20، حيث تستخدم الكلمة اليونانية ***elegcho*** نفسها التي استخدمت في هذا النص [المترجم: والتي ترجمت "تُوَبَّخ"]). فإن الروح القدس يقوم بدور كشاف ضوئي عملاق، يفضح شر العالم، ويدعو الناس في كل مكان إلى التوبة. فالأمر يبدو وكأن العالم جالس في عشاء رومانسي لطيف على ضوء الشموع، معتقدًا بأن كل شيء وردي، ثم فجأة، يضئ الروح الأنوار ليكشف عن حشرات تركض على الحوائط، وعن قمامة متناثرة على الأرض. فإننا لسنا صالحين كما نتخيل، وهذا يمكن أن يبرهن عليه الروح.

يقول يسوع إن الروح يبكّت العالم على ثلاثة أشياء على وجه الخصوص:[81]

1) على خطية، لأن هذا العالم لا يؤمن بيسوع. فإن كل خطية هي في جوهرها عدم إيمان. ولا توجد علامة على عدم الإيمان أفضل (أو ربما نقول أسوأ؟) من رفض الاعتراف بهوية يسوع.
2) على بر، لأن يسوع ذهب إلى الآب. فإن العالم يستهويه برّه الشخصي الافتراضي (إشعياء 64: 6)، بينما لابد أن يستهويه يسوع. فإننا نريد أن نحدّد هويّة يسوع ونتخذ قرارًا بشأن ما قد حقّقه بالفعل. لكن صعوده إلى السماء كافٍ لإثبات هويته باعتباره الابن القدوس لله، الواحد مع الآب.
3) على دينونة، لأن رئيس هذا العالم قد دين. هذا هو أكثر دليل إدانة يمكن للروح أن يقدّمه ضد اليهود: فهم قد قتلوا الشخص الخطأ، ويعبدون الآن الملك الخطأ. لكن الروح سيأتي ويشهد عن المسيح المُقام حتى يتسنّى لهم أن يروا أن من يتبعونه قد هُزم، وأن من قتلوه برهن على غلبته. فإن الضربة التي وُجِّهت لإبليس على الصليب كانت نذيرًا بالهزيمة الأخيرة التي تنتظره وتنتظر أبناءه الروحيّين. ربما مازال إبليس يستطيع أن ينبح ويعض، لكنه مربوط بحبل قصير في الحظيرة.

وقد وقع التتميم المبدئي لهذا الوعد الثلاثي في يوم الخمسين (أعمال الرسل 2: 22–24، 37)، إلا أن عمل التبكيت الذي يقوم به الروح مستمر أينما وجدت خطية ينبغي كشفها وغفرانها. إن تبكيت الروح هو العنصر الأول في التجديد. فإن الله الروح القدس لابد أن يُوقظ فينا وعيًا بأنانيتنا، وبغضنا للتقوى، وعدم اكتراثنا بالمسيح. وقد دون جوناثان ادواردز ملاحظته قائلاً:

> إن الروح العامل يحوّل أذهان البشر عن أباطيل العالم، ويشغلهم باهتمام عميق بالسعادة الأبديّة، ويدفعهم لطلب خلاصهم بصدق، مقنعًا إياهم ببشاعة وروع الخطيّة، وبحالهم المذنب والبائس بالطبيعة. فهو يوقظ ضمائر البشر، ويجعلهم أكثر حساسيّة تجاه بشاعة غضب الله، ويخلق بداخلهم رغبة عظيمة، وحرصًا، وسعيًا صادقًا لنوال رضاه.[82]

حين يكون الروح عاملاً، فإننا لن نتوقف عند الخجل من إخفاقاتنا، أو الندم على أخطائنا، لكننا سنرى خطايانا من حيث علاقتها بالله، فنختبر ما شعر به داود حين صرخ: "إِلَيْكَ وَحْدَكَ أَخْطَأْتُ، وَالشَّرَّ قُدَّامَ عَيْنَيْكَ صَنَعْتُ" (مزمور 51: 4). لا يوجد إنسان واعٍ يصير مؤمنًا دون أن يرى خطيته في ضوء عمل تبكيت الروح، معتبرًا إياها تعديًا ضد الله القدير.

الروح القدس يجدّد

النص النموذجي الذي يتحدّث عن التجديد هو يوحنا 3، الذي فيه يتحدّث يسوع مع نيقوديموس، الذي كان فرّيسيًا ورئيسًا لليهود (عدد 1). وبخلاف الكثير من الفريسيين الآخرين في الأناجيل، بدا نيقوديموس باحثًا أمينًا، لكنه كان جبانًا بعض الشيء. فهو لا يبدو أنه يضمر العداء ليسوع. لكنّه في حقيقة الأمر يعطي انطباعًا بكونه رجلاً متدينًا أمينًا مهتمًا حقًا بالتعلّم من يسوع. لكن توجد مشكلة واحدة ضخمة

بشأن نيقوديموس: أنه لم يكن مولودًا من فوق. فهو يقر بأن يسوع معلم أتى من الله. ويؤكد على أنه قد صنع آيات بقوة الله (عدد 2)، لكن هذا لم يكن كافيًا. فقد قال له يسوع في هذا الشأن: "لا يهمّني أنك ترى الآيات بعينيك. بل أريدك أن **تختبر** الآية في قلبك".[83]

وبالتالي، فإن نيقوديموس، مثلنا جميعًا، كان لابد أن يُولد ثانية (يوحنا 3: 3). وبكلمات أخرى، إننا لابد أن نُولد من الماء والروح (عدد 5). وكان ينبغي على نيقوديموس أن يكون ملمًا بهذه الصورة غير المعتادة، لأنها مشتقة من العهد القديم (انظر 3: 10). فبلا شك، كان نص حزقيال 36 هو ما كان يدور في ذهن يسوع، وخاصة في إشاراته إلى الماء والروح (حزقيال 36: 25، 27). ففي نبوة حزقيال، يشير الماء إلى التطهير، ويشير سكنى الروح إلى نوال قلب جديد (36: 26–25). وهكذا، فإن يسوع في يوحنا 3 لم يكن يتحدّث عن فريضة المعموديّة بل عن العمل الخارق للطبيعة الذي يزيل صبغة الخطيّة ويخلقنا من جديد.[84]

هذا هو ما يعنيه الكتاب المقدس بالولادة الجديدة، أو التحوّل، أو التجديد، أو الولادة الثانية. فإن التحوّل يُجرى بداخلنا بواسطة الروح القدس. ويطلق عليه تيطس 3: 5 "غُسْلِ الْمِيلاَدِ الثَّانِي وَتَجْدِيدِ الرُّوحِ الْقُدُسِ". فكما أن الريح (*pneuma*) تهب حيث تشاء، هكذا أيضًا كل من وُلد من الروح (*pneuma*). فإن الله الروح القدس لابد أن يجتاح قلبنا، ويوقظ وعينا بنجاسة وشر الخطية، وبصدق كلمة الله، وبقيمة المسيح الثمينة.

لم يكن من الممكن أن يكون يسوع أكثر وضوحًا من هذا: فلا حياة روحيّة مسيحيّة دون عمل تجديد الروح. فهو يمكّننا من فهم أمور الله، وتمييزها روحيًا (1 كورنثوس 2: 12–14). ويهبنا التوبة للحياة (أعمال الرسل 11: 18). ويسكب محبة الله في قلوبنا (رومية 5: 5). ويمكّننا من أن نؤمن بمواعيد الله (يوحنا 1: 12–13). ويقول يسوع في يوحنا 6: 65 "لاَ يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَ إِلَيَّ إِنْ لَمْ يُعْطَ مِنْ أَبِي".

وكيف يأتي المختارون إلى الله؟ "اَلرُّوحُ هُوَ الَّذِي يُحْيِي. أَمَّا الْجَسَدُ فَلاَ يُفِيدُ شَيْئًا. اَلْكَلاَمُ الَّذِي أُكَلِّمُكُمْ بِهِ هُوَ رُوحٌ وَحَيَاةٌ" (يوحنا 6: 63). وبالتالي فإننا نؤمن بالابن بواسطة تعيين الآب وعطية الروح القدس. وهكذا، فإن الإيمان نفسه عطية، عطية تُمنح عند التجديد حين نُولد ثانية بعمل الروح من خلال كلمة الله (1 بطرس 1: 23–25).

الروح القدس ينقّذ

فكّر في كل ما حقّقه المسيح. فقد حفظ جميع متطلبات الناموس التعليميّة والعقابيّة. إذ أخذ جسدًا بشريًا وأرضى العدل الإلهي. وقد غلب الموت، والخطية، والشيطان. وكونه المسيّا الحافظ للعهد، حصل

لشعبه على كل بركة روحيّة (أفسس 1: 3). فإن يسوع المسيح هو الحكمة، والبر، والقداسة، والفداء (1 كورنثوس 1: 30).

الاتحاد بالمسيح. لكن كيف يصير لنا كل ما حقّقه المسيح؟ هذا سؤال لم يفكر فيه غالبيتنا. ويسأل جون كالفن قائلاً:

> كيف لنا أن نحصل على تلك المزايا التي أغدقها الآب على ابنه الوحيد، ليس لأجل استعمال المسيح الشخصي، بل كي يغني بها البشر المساكين والمحتاجين؟ لابد أن نفهم أولاً أنه طالما ظل المسيح خارجنا، وطالما نحن منفصلون عنه، فإن كل ما قاساه وعمله لأجل خلاص الجنس البشري يظل بلا جدوى وبلا قيمة بالنسبة لنا.[85]

وهكذا كيف نشترك نحن في مزايا المسيح؟ إليك جواب كالفن: "الروح القدس هو الرباط الذي بواسطته يوحّدنا المسيح بشكل فعّال معه".[86]

في رومية 8: 9–11، يناقش بولس هذا الموضوع بصورة مشابهة. فحين يسكن الروح فينا، يصير لنا روح المسيح (عدد 10)، وإن كان الروح فينا، فإن لنا حياة في يسوع المسيح (عدد 11). باختصار، حين يكون الروح لك، فإن المسيح لك؛ وحين يكون المسيح لك، فإن الروح لك. فإن الروح القدس يوحدنا بالمسيح، لأن الروح هو روح المسيح. فهو روح التبني، الذي يجعلنا أبناء لله الآب، عن طريق ربطنا بالمسيح أخينا (رومية 8: 15؛ غلاطية 4: 6؛ عبرانيين 2: 17). فإن الله، بالروح، قد مزق ملابس فريق "آدم الأول" من علينا وأدرجنا ضمن فريق "آدم الثاني".

نحن لا نفكّر كثيرًا في هذا الجانب من الفداء، إلا أن جون مَري يقول إن ذلك الاتّحاد مع المسيح هو "الحق المركزي لعقيدة الخلاص بأكملها".[87] فإن اتّحادنا بالمسيح أمر محوري للغاية حتى أن بولس يستخدم عبارة "في المسيح" حوالي 160 مرة.[88] فإن التبرير، والمصالحة، والفداء، والتبنّي، والتقديس، والتمجيد، جميع هذه هي لنا بسبب اتّحادنا بالمسيح. فإن المسيح فينا بالروح، على نحو فوق طبيعي يسمو في غموض يفوق حدود المكان، وهذا حتى يتسنّى لنا أن نكون في شركة مع المسيح ونشترك في جميع مزاياه.

معموديّة الروح القدس باعتبارها اتّحادًا لنا بالمسيح. هناك نص آخر جدير بذكر خاص هنا: "لأَنَّنَا جَمِيعَنَا بِرُوحٍ وَاحِدٍ أَيْضًا اعْتَمَدْنَا إِلَى جَسَدٍ وَاحِدٍ، يَهُودًا كُنَّا أَمْ يُونَانِيِّينَ، عَبِيدًا أَمْ أَحْرَارًا، وَجَمِيعُنَا سُقِينَا رُوحًا وَاحِدًا" (1 كورنثوس 12: 13). يوجد جدل مستمر بين المؤمنين بشأن معنى هذا العدد. هل

هذه المعموديّة هي شيء يختبره جميع المؤمنين، أم هي بركة خاصة ينالها فقط بعض المؤمنين؟ الإجابة على هذا السؤال مباشرة وواضحة تمامًا.

فقد وردت عبارة "المعمودية في/بـ/بواسطة الروح" (*en pneumati*) سبع مرّات في العهد الجديد. أربع مرّات منها في الأناجيل، حيث يتنبّأ يوحنا المعمدان بأن الرب يسوع سيعمّد بالروح القدس (متى 3: 11؛ مرقس 1: 8؛ لوقا 3: 16؛ يوحنا 1: 33). أما المرّة الخامسة فقد جاءت في أعمال الرسل 1: 5، حيث يلمِّح يسوع إلى نبوّة يوحنا. والمرّة السادسة كانت في أعمال الرسل 11: 16، حين يتذكّر بطرس كلمات يسوع التي قالها قبل صعوده في أعمال الرسل 1: 5. وهكذا فإن جميع الإشارات الستة إلى المعموديّة في/بـ/بواسطة الروح تتطلّع إلى المستقبل أو تعود إلى الماضي للشيء ذاته: سكيب الروح في يوم الخمسين.

أما النص السابع، وهو 1 كورنثوس 12: 13، فهو نص فريد لأنه لا يشير إلى يوم الخمسين على نحو مباشر (فإن أهل كورنثوس وبولس لم يتواجدوا في أورشليم كي يعتمّدوا بالروح). ولهذا السبب إذن، علَّم بعض المؤمنين بأن هذا النص يتحدّث عن اختبار بركة ثاني، يلي اختبار التجديد، ويتمتّع به فقط بعض المؤمنين. إلا أن هذا التفسير بشأن بركة ثانية لا يجدي نفعًا. إذ أول كل شيء، يقول النص إن **الجميع** اعتمدوا بالروح **والجميع** سقيوا الروح.

أيًا كان ما يقصده بولس، فمن الواضح أنه يفترض هنا أن الجميع في كورنثوس قد اختبروه. علاوة على ذلك، وبحسب السياق، ليس من الممكن أن يكون بولس يتحدّث عن بركة ثانية فريدة يختبرها فقط بعض المؤمنين. إذ أنه بعد أن سلّط الضوء على تنوّع المواهب في الجسد، يحوّل بولس انتباهه إلى الوحدة المشتركة بين مؤمني كورنثوس. فربما جميعهم لهم مواهب مختلفة، إلا أنهم جميعًا قد اعتمدوا بروح واحد.

وهكذا فإن معموديّة الروح القدس هي شيء قد اختبره بالفعل كل مؤمن، لأن كل مؤمن قد وُلد ثانية، واتّحد بالمسيح من خلال سكنى الروح القدس. فإن معموديّة الروح ليست إلا اتّحادنا بالمسيح. فإن الروح عينه الذي انسكب أولاً في يوم الخمسين، يسكن الآن في كل مؤمن، موحّدًا إيّاه بالمسيح وغارسًا إيّاه في جميع مزاياه.

اسمح لي أن أضرب مثلاً بسيطًا ومألوفًا: فإن معموديّة الروح تشبه ذلك السيل الرائع من طبقة الطلاء البرّاق التي تسيل فوق كعك الدونات المقرمش المغطّى بالكريمة، وتستمر في النزول حتى إلى حافة الطبق. فإن كل كعكة تحصل على هذا الطلاء، وكل كعكة تستحقه. هكذا أيضًا، يعمّدنا يسوع بالروح كي نعرف قوته ونغتسل في بركاته. أو هكذا يوجز جون ستوت الأمر: "معموديّة الروح القدس هي بركة خاصة

(أي تتحقّق فقط في العهد الجديد)، وبركة أوليّة (أي تُعطى عند التجديد)، وبركة عامة (أي تتسكب على كل مؤمن حقيقي)".[89]

الروح القدس يمجّد

قد تعتقد من هذا العنوان الفرعي أني سأستكمل هنا شرح "ترتيب الخلاص"، وأفسّر كيف يقود الروح القدس المؤمن إلى التمجيد النهائي. لكن ليس هذا ما أقصده هنا، لأن هذا ليس ما تحدّث يسوع عنه في العليّة. ففي وعد يسوع الخامس عن الروح القدس، تحدث عن نوع مختلف من التمجيد:

> وَأَمَّا مَتَى جَاءَ ذَاكَ، رُوحُ الْحَقِّ، فَهُوَ يُرْشِدُكُمْ إِلَى جَمِيعِ الْحَقِّ، لأَنَّهُ لاَ يَتَكَلَّمُ مِنْ نَفْسِهِ، بَلْ كُلُّ مَا يَسْمَعُ يَتَكَلَّمُ بِهِ، وَيُخْبِرُكُمْ بِأُمُورٍ آتِيَةٍ. ذَاكَ يُمَجِّدُنِي، لأَنَّهُ يَأْخُذُ مِمَّا لِي وَيُخْبِرُكُمْ. كُلُّ مَا لِلآبِ هُوَ لِي. لِهذَا قُلْتُ إِنَّهُ يَأْخُذُ مِمَّا لِي وَيُخْبِرُكُمْ. (يوحنا 16: 13–15)

ما لدينا هنا هي كلمات يسوع الأخيرة عن الروح القدس. وما الذي سلّط الضوء عليه إذن فيما كان يقترب إلى الصليب سوى عمل الروح القدس المركزي في تمجيد المسيح، والذي كثيرًا ما يتم إهماله؟ فقد تحدّث يسوع على نحو مباشر للغاية إلى الإثنا عشر عن العمل الذي سيقوم به الروح في الأيام التالية للإعلان لهم عن المجد الكامل للمسيح (يوحنا 7: 39). لكن على نحو فرعي داخل هذا الحديث، يتعلق وعد المسيح أيضًا بعمل الروح لتمجيد المسيح في قلوبنا من خلال الحق الذي كان التلاميذ على وشك أن يعاينوه. هذا النص هام للغاية لأنه يساعدنا على تجنب خطأين شائعين.

الخطأ الأول هو أن نضع الروح في منافسة مع كلمة الله. لكن وعد يسوع لا يمت بأيّة صلة لإرشاد الروح القدس لي عن من أتزوج أو أيّة وظيفة أُقبل عليها. فلم يكن هذا ما دار في ذهن المسيح حين قال إن الروح "يُرْشِدُكُمْ إِلَى جَمِيعِ الْحَقِّ" (يوحنا 16: 13). بل كان يسوع يتحدّث إلى التلاميذ (عدد 12). وهم من كانوا سينالون الإرشاد إلى "جميع الحق".

لم يكن "جميع الحق" هذا الذي كانوا عتيدين أن يأخذوه هو الحق المختص بكل ذرة من المعرفة في الكون، بدءًا من المعرفة عن الانفجارات النجميّة الضخمة (supernova)، وحتى المعرفة عن الحمض النووي. لكن هذا "الحق" يشير إلى الحق الكامل عن كل ما يتعلّق بيسوع المسيح، الطريق، والحق، والحياة. فإن الروح سينير الأمور الآتية (يوحنا 16: 13)، ليس من جهة تنبؤية، بل لأنه كان من شأنه أن يكشف معنى ودلالة الأحداث التي كانت عتيدة أن تأتي، وهي موت يسوع، وقيامته، وارتفاعه. فإن الروح، متحدّثًا بالنيابة عن الآب والابن، سيعين الرسل على تذكّر ما قاله يسوع، وعلى فهم المعنى الحقيقي لمن هو يسوع وما الذي حقّقه (يوحنا 14: 26).

هذا يعني أن الروح هو المسئول عن الحقائق التي بشّر بها الرسل، والتي بدورها تم تدوينها فيما نطلق عليه الآن أسفار العهد الجديد. فإننا نثق في الكتاب المقدس، لأن الرسل، ومن كانوا تحت مظلة سلطانهم، كتبوه بإعلان من الروح. فإن الكتاب المقدس هو كتاب الروح القدس. إذ الروح هو من أوحى بالعهد القديم، كما يفترض الرسل (أعمال الرسل 4: 25؛ 28: 25؛ عبرانيين 3: 7؛ 2 بطرس 1: 21)، وأوحى أيضًا بالعهد الجديد، كما وعد يسوع بشكل غير مباشر في يوحنا 16.

وبالتالي، فإننا لا يمكننا أن نترك أي مجال لأولئك، كالمرمونيين، الذين يتجادلون لصالح استمرار الإعلان الذي يضيف إلى المحتوى العقيدي للعهد الجديد. كما لا يمكننا أن نوافق على الافتراض الذي يفترضه اللاهوتيّون الليبراليّون كثيرًا بأن الالتزام بدقة هكذا بالمكتوب ما هو إلا إهانة للروح القدس. فإن الكلمة والروح هما معًا دون انفصال. فإننا نسمع من الروح حين نفحص الأسفار المقدّسة. وفي فحصنا للأسفار المقدّسة، لابد أن نصلي لنحصل على استنارة من الروح.

الخطأ الثاني الذي يمكن لهذا النص أن يساعدنا على تجنّب الوقوع فيه هو خطأ وضع الروح في منافسة مع المسيح. فإن الروح القدس هو روح خادم. فهو يتكلّم فقط بما يسمع به (يوحنا 16: 13). ويعلن ما قد أُعطي له، فإن مهمته هي تمجيد آخر (عدد 14). فإن الثلاثة أقانيم في الثالوث جميعهم هم الله بالكامل، ومع ذلك ففي التدبير الإلهي، يُعرِّف الابن بالآب، ويمجّد الروح الابن. حقًا من المؤسف تجاهل الروح القدس، والتغاضي عن الدور الفعّال الذي يلعبه في حياتنا. لكن لابد ألا نعتقد مع هذا أننا إن ركّزنا على المسيح فهذا يعد أمرًا زائدا عن الحد. فإن الروح لا يتألّم حين نثبت اهتمامنا على المسيح.

فإن التهلل بالمسيح هو دليل على عمل الروح! إذ أن بؤرة تركيز الكنيسة ليس على الحمامة بل على الصليب، وهذا أيضًا ما يريده الروح نفسه. كما يقول جي. آي. باكر: "إن رسالة الروح لنا لم تكن قط: 'انظروا إلي، واصغوا إلي، وتعالوا إلي، واعرفوني'، لكنها لطالما كانت: 'انظروا **إليه**، وشاهدوا **مجده**، واصغوا **إليه**، واسمعوا **كلمته**، واذهبوا **إليه**، وخذوا حياة، **اعرفوه**، وذوقوا هبة الفرح والسلام التي يعطيها لكم'".[90]

كل هذه القضية بشأن عمل الروح في إعلان وتمجيد الابن هي سبب الخطأ الرهيب الذي نجده في أفكار بعض المؤمنين غير المعروفين. فأنا أتذكّر أستاذًا في الجامعة كان يتجادل في أنه مادام الله صاحب سيادة، ومادام الروح يهبّ حيث يشاء، فإن الروح يمكنه إذن أن يكون عاملاً في الخلاص في جميع الأديان، محدثًا الولادة الثانية في أناس، وضامًا إيّاهم إلى المسيح، دون أن يعلموا بهذا. فهو كان يؤمن بأن البشر

يمكنهم أن يخلصوا في المسيح دون أن يسمعوا عن المسيح أو دون أن يجاهروا بإيمانهم به. هذه الطريقة "الشموليّة" في التفكير شائعة، حتى أن سي. إس. لويس المحبوب كان يعتنقها:

> يوجد أناس لا يقبلون العقيدة المسيحيّة الكاملة عن المسيح، لكنه مع هذا يجتذبهم إليه بقوة شديدة، حتى أنهم يصيرون له على نحو عميق لا يدركونه هم أنفسهم. فيوجد أناس في ديانات أخرى ينقادون من خلال تأثير إلهي سري للتركيز على تلك الجوانب من ديانتهم التي تتفق مع المسيحيّة، وبهذا هم ينتمون للمسيح دون أن يعلموا. على سبيل المثال، ربما ينقاد بوذي عن حسن نية للتركيز أكثر فأكثر على التعليم البوذي عن الرحمة، مع ترك التعليم البوذي في نقاط وجوانب أخرى في الخلفيّة (على الرغم من أنه قد لايزال يقول إنه يؤمن بها).[91]

لقد حصلت على استفادة في أحيان كثيرة من لويس، لكن تفكيره بهذا الشكل يعد بمثابة سوء فهم لإرساليّة الروح في يوم الخمسين وفي عصر الخمسين. فإن عمل الروح القدس هو أن يمجّد المسيح بأن يأخذ مما له — أي من تعليمه، ومن الحق المختص بموته وقيامته — ويخبر به. فإن الروح لا يعمل بشكل عشوائي دون وضع إعلان المسيح نصب عينيه. بل يمكننا القول إن أهم عمل للروح القدس هو أن يمجّد المسيح، وهو لا يفعل هذا بمعزل عن تسليط الضوء أمام المختارين على المسيح كي يروه ويتذوّقوه.

الروح القدس يقدّس

تقدم لنا التحية الافتتاحيّة لرسالة بطرس الأولى مثالاً واضحًا عن الطبيعة الثالوثيّة للخلاص. فإن "المختارين المتغربين" قد أُختيروا بمقتضى علم الله الآب السابق، في تقديس الروح، كي يتسنى لهم أن يطيعوا يسوع المسيح ويُرَشّوا بدمه (1 بطرس 1: 2). فإن الروح القدس يقدّس من خلال وسيلتين. أولاً، هو يفرزنا **في المسيح** كي نتطهّر بدمه. ثانيًا، هو يعمل **فينا** كي نتمكّن من أن نطيع يسوع المسيح. ومن خلال تقديس الروح نُعطَى مكانة جديدة، وتُغرَس فينا قوة جديدة.

عادة ما يكون العنصر الثاني، أي القوة الجديدة، هو ما نفكّر فيه حين نناقش موضوع التقديس. وعلى الرغم من كون التقديس أمرًا مكانيًا أيضًا، إلا أنه كمصطلح لاهوتي عادة يشير إلى تقديسنا التدريجيّ، أي الوسيلة التي من خلالها يعمل الله فينا لأجل مسرّته، فيما نتمّم نحن خلاصنا بخوف ورعدة (فيلبي 2: 12–13). أو كما هو مكتوب في رومية 8: 9–13، أننا لم نعد في الجسد بل في الروح (المكانة)، ولهذا فإننا بالروح ينبغي أن نميت أعمال الجسد (القوة).

على الرغم من وجوب أن نبذل اجتهادًا كي ننمو في التقوى (2 بطرس 1: 5)، لكن الروح أيضًا يشدّدنا تشديدًا تامًا. فإن الكتاب المقدس ليس إعلانًا دعائيًا إخباريًا بخس الثمن يخبرنا أن نتغير، ثم يؤدّي

دور قائد فريق التشجيع المتحمّس قائلاً: "يمكنك أن تفعل هذا!" لكننا قد تغيّرنا بالفعل. وقد صرنا بالفعل خليقة جديدة في المسيح (2 كورنثوس 5: 17)، وصارت لنا قوة جديدة عاملة لتأييدنا في الإنسان الباطن (أفسس 3: 16)، مثمرة فينا ثمار الإنجيل بالروح (غلاطية 5: 22–23). ويتوقّع الكتاب المقدس أنه، إذ يسكن فينا الله بالروح، فإننا يمكننا بهذا الروح عينه أن نبدأ في الاشتراك في الصفات التي تميّز الله نفسه (2 بطرس 1: 4). بالطبع لازالت هناك حرب محتدمة بداخلنا. لكن مع الروح يمكن أن يحدث التقدم الحقيقي والغلبة الحقيقيّة. فإن العهد الجديد لا يطلب منا سوى أن نكون من نحن عليه بالفعل.

كيف إذن يؤيّدنا الروح بالتحديد لأجل النمو في التقوى؟ فكّر مرة أخرى في صورة النور البلاغيّة. فإن الروح القدس، كما رأينا فيما سبق، هو كالنور الذي يسطع في مواضعنا المظلمة، كاشفًا وفاضحًا خطايانا، ومقتادًا إيّانا إلى التوبة. كما أن الروح أيضًا هو سراج يضيء كلمة الله، معلّمًا بالحق، ومعلنًا إيّاه باعتباره شيئًا ثمينًا (1 كورنثوس 2: 6–16). وكما نرى في يوحنا 16، يلقي الروح بالضوء على المسيح حتى نتمكّن من رؤية مجده وجماله، فنتغيّر بموجب هذا.

هذه هي الحُجّة المذهلة التي يقولها بولس في 2 كورنثوس 3: 18 "وَنَحْنُ جَمِيعًا نَاظِرِينَ مَجْدَ الرَّبِّ بِوَجْهٍ مَكْشُوفٍ، كَمَا في مِرْآةٍ، نَتَغَيَّرُ إِلَى تِلْكَ الصُّورَةِ عَيْنِهَا، مِنْ مَجْدٍ إِلَى مَجْدٍ، كَمَا مِنَ الرَّبِّ الرُّوحِ". فكما تغيّر وجه موسى حين نظر مجد الرب فوق جبل سيناء، هكذا أيضًا سنتغير نحن حين ننظر مجد الله في وجه يسوع المسيح. عدا أننا لن نحصل على مجرد وجه ساطع تغيّر لونه، لكننا سننمو أكثر فأكثر إلى صورة ذاك الذي نراه. فإننا نصير على شاكلة من ننظره.

تحب زوجتي كثيرًا مشاهدة مباريات التزلج على الجليد. إذ تستهويها البراعة الفنيّة والجمال الذي تراه فيها. كما تستمتع أيضًا بمقالات المديح التي تُكتَب عن هؤلاء الفتيات. أما أنا فأجدها مثيرة للغثيان. لكن لابد أن أقر بأنه من المثير للانتباه أن ترى ما يمكن أن تفعلنه هؤلاء. أتخيّل أن معظمهن نشأن على مشاهدة مباريات التزلج على الجليد. وربما تعجّبن من حركات الدوران الخلفيّة، وقفزة أكسل المزدوجة، والقفزة الثلاثيّة. وأنا على يقين من أن الكثيرات منهن قد أصابهن الانبهار كفتيات صغيرات بكريستي ياماجوتشي أو ميشيل كوان. وبما فكّرن هكذا: "أريد أن افعل هذا، هذا مذهل ورائع! هذا لا يصدق! كيف لي أن أكون مثلها؟" بالطبع يتطلّب الأمر الكثير من التمرين كي تكون متزلجًا على الجليد على مستوى عالمي، وهكذا أيضًا يتطلّب التقديس بذل الجهد من جانبنا. لكن الجهد في الحالتين يأخذ إلهامه وحافزه من المجد، ويتشكل وفقًا له. فإن رؤية التألّق والجلال هي رؤية مغيّرة من تلقاء نفسها.

ولهذا فحين يكون الروح عاملاً فينا لتقديسنا — بكشفه عن الخطية، وإعلانه للحق، وإعلانه عن مجد المسيح — ثم نحول نحن وجوهنا عنه، فهذا يعد إهانة بالغة. يشير الكتاب المقدس إلى هذا على أنه مقاومة (أعمال الرسل 7: 51)، أو إطفاء (1 تسالونيكي 5: 19)، أو إحزان للروح القدس (أفسس 4: 30). ربما تكون هناك بعض الفروق الدقيقة بين الثلاث كلمات، لكنها جميعها تتحدّث عن مواقف لا نقبل فيها عمل الروح في حياتنا. فحين نرفض ما لابد أن تقوله كلمة الله لنا، وحين نحوّل أعيننا عن فضح الروح لخطايانا، وحين كمؤمنين نقول شيئًا ونفعل شيئًا آخر، فإننا نخطئ بهذا في حق الروح.[92]

الروح القدس يؤهّل

لا يقتصر عمل الروح القدس على تشديدنا فحسب كي نحيا حياة مشابهة للمسيح، لكنّه أيضًا يؤهّلنا لخدمة على شاكلة خدمة المسيح. وتعد كلمة "الملء" وسيلة لوصف عمل التأهيل هذا. فإن الروح يملأ بالجرأة، والشجاعة، والحكمة، والإيمان، والفرح (أعمال الرسل 6: 3؛ 11: 24؛ 13: 52). وعلى الرغم من كون الروح يسكن في داخلنا، إلا أنه مع هذا يستطيع أن يملأنا بدرجة أكبر أو أقل، كما أن البالون يمكن أن يكون ممتلئًا بالهواء، وإن نفخت فيه، يتمدد ويمتلئ أكثر. ربما يجعلك امتلاؤك بالروح شخصًا عاطفيًا أو لا، وربما يجعلك عفويًا أو لا. لكنّك كلما اشتركت في العبادة، والشكر، والخضوع الحقيقي، حينئذ يمكنك أن تتأكد من أن هذا هو الروح الذي يملأك (أفسس 5: 18–21).

المواهب الروحيّة. تعد كلمة "موهبة" وسيلة أخرى للحديث عن عمل الروح التأهيلي. فإن كلمة "موهبة" (*charisma*) هي كلمة مرنة.[93] وبشكل عام، تعد الموهبة ببساطة هي استعلان وإظهار نعمة الله في شعبه ومن خلالهم.[94] في 1 كورنثوس 12: 4–6، تعد الموهبة شيئًا يعادل الخدمة أو النشاط. ولم يُقصَد من قوائم المواهب الرئيسيّة في العهد الجديد أن تكون وصفًا شاملاً متكاملاً لعمل تأهيل الروح (انظر رومية 12: 6–8؛ 1 كورنثوس 12: 8–10، 28؛ أفسس 4: 11)، لكن هذه القوائم متداخلة فيما بينها، وغير محدّدة، وموسميّة عرضيّة في طبيعتها. فإن بولس كان يقول ببساطة: "إن الكنيسة مكوَّنة من جميع أصناف البشر الذين يعملون كافة أنواع الأعمال بواسطة يد الله. على سبيل المثال...". بمعنى آخر، أينما ظهرت نعمة الله بوضوح في شعبه لأجل المنفعة، فهناك نرى المواهب الروحيّة عاملة.

ليس الغرض من المواهب الروحيّة الإبهار، أو حتى الإمداد باختبار شخصي قوي. لكن استعلان الروح هو للمنفعة ولبناء الكنيسة (1 كورنثوس 12: 7؛ 14: 12، 26). فإن المواهب موجودة لأجل الخدمة والوعظ لمنفعة جسد المسيح.

علاوة على ذلك، يقسّم الروح القدس المواهب لكل واحد بمفرده كما يشاء (12: 11). لا يبدو الأمر وكأن الروح القدس ملأ شاحنة ضخمة بالمواهب، ثم قام بإفراغها وتوزيعها عشوائيًا على شعب الله. فهو لم يوزّع المواهب بأن وضعنا في كابينة الأموال [المترجم: هذه لعبة فيها يدخل أحدهم داخل كابينة هاتف وتتطاير الأوراق المالية من حوله وهو يحاول الإمساك بأكبر عدد ممكن] مع تطاير المواهب الروحيّة من حولنا (وقد يحصل شاب مسكين على موهبة الإدارة). كلا، فقد قسم الروح القدس المواهب بعناية وبصورة شخصيّة. فإن كل شخص لديه مواهب من الروح للخدمة. وهذا يعني أننا **نستطيع** أن نخدم. ويعني أيضًا أننا **لابد** أن نخدم. وسواء كانت هذه الخدمة داخل جدران الكنيسة أم خارجها، لكن لابد أن يعمل كل منا لأجل المنفعة. فإن الكنيسة ليست كالذهاب للسينما، بل هي بالأكثر تشبه التجنّد في جيش. فعلى كل جندي أن يعمل الدور الخاص به، لكن من غير الملائم أن يلتهم جندي الفيشار بينما يحارب زملاؤه من الجنود في الخنادق.

المواهب المثيرة للجدل. سيكون تقصيرًا مني أن أتحدّث عن المواهب الروحيّة دون أن أقول شيئًا عن الجدال الدائر حول "المواهب المعجزيّة". فمن جانب، يوجد مؤيدو توقّف المواهب (cessationists)، الذين يدَّعون أن بعض المواهب كالتكلّم بالألسنة والتنبّؤ قد توقّفت بعد عصر الرسل. وهم يؤكدون على الآتي:

1) كانت الحاجة إلى المواهب المعجزيّة فقط لتكون آيات تعطي مصداقيّة لأجل التأسيس الأول للإنجيل وللكنيسة.
2) تقول 1 كورنثوس 13: 8–10 بأن النبوّات، والألسنة، والعلم ستبطل "متى جاء الكامل". وهناك أقليّة من مؤيدي توقف المواهب المعجزيّة يؤكدون بأن "الكامل" قد جاء بالفعل مع اكتمال الكتاب المقدس.
3) المواهب الإعلانيّة كالألسنة والنبوّة تحط من شأن سلطان وكفايّة الكتاب المقدّس.
4) المواهب المعجزيّة التي نراها اليوم ليست مشابهة لتلك التي كانت تُمارَس في العهد الجديد.

من الجانب الآخر، يوجد مؤيدو استمراريّة المواهب المعجزيّة (continuationists)، الذين يدَّعون أن جميع المواهب لازالت متاحة اليوم، وحُجتهم هي كالتالي:

1) مع غياب أي كلمة واضحة تثبت النقيض، فإننا لابد أن نفترض أن جميع المواهب لازالت فعّالة ولابد أن نَجِدَّ في طلبها (1 كورنثوس 14: 1).

2) "الكامل" في 1 كورنثوس 13 يشير إلى المجيء الثاني للمسيح، وليس لاكتمال الأسفار القانونيّة (ولابد من أن نشير إلى أن الكثير من مؤيدي توقف المواهب المعجزيّة يقبلون هذا التفسير أيضًا لكنهم يستخلصون منه استنتاجات مختلفة).
3) المواهب الإعلانيّة لا تملك السلطان ذاته الذي للكتاب المقدس. بل لابد من امتحانها باستمرار.
4) سواء كانت المواهب مطابقة لتلك التي كانت في القرن الأول أو لا، فلابد أن نرحب بعمل الروح في وسطنا.

أعتقد أن كلا الجانبين قد وصلا إلى إدراك أنهما يتّفقان في أشياء تفوق ما كانوا يعتقدون من قبل، فهم يتّفقون على الآتي:

1) كل إعلان لابد أن يُمتحَن في ضوء الكتاب المقدس.
2) لا يوجد ما يمكن أن يُضاف إلى الكتاب المقدس.
3) من غير الحكمة أن ندَّعي نوالنا لكلمات شخصيّة من الرب لأجل شخص آخر.
4) لابد أن نكون منفتحين لعمل الروح بطرق غير معتادة، سواء أطلق على هذا اسم "النبوة"، أو "الاستنارة"، أو أي شيء آخر.

أحد العلامات المشجعة في العالم الإنجيلي هي أن مؤيدي توقّف المواهب ومؤيدي استمراريّتها استطاعوا الاشتراك والعبادة معًا في السنوات الأخيرة، مدركين جيدًا أن القواسم المشتركة فيما بينهم في الإنجيل أعظم بكثير من القضايا التي تفرّقهم فيما يخص المواهب الروحيّة.

الروح القدس يعد

في أفسس 1: 3، يبدأ بولس انفجاره المجيد في التسبيح، مسبّحًا على البركات التي لنا في المسيح يسوع. هذا الحفل الموسيقي للبركات يصل إلى ذروته بالحديث عن ختم الروح: "الَّذِي فِيهِ أَيْضًا أَنْتُمْ، إِذْ سَمِعْتُمْ كَلِمَةَ الْحَقِّ، إِنْجِيلَ خَلاَصِكُمُ، الَّذِي فِيهِ أَيْضًا إِذْ آمَنْتُمْ خُتِمْتُمْ بِرُوحِ الْمَوْعِدِ الْقُدُّوسِ، الَّذِي هُوَ عُرْبُونُ مِيرَاثِنَا، لِفِدَاءِ الْمُقْتَنَى، لِمَدْحِ مَجْدِهِ" (أفسس 1: 13–14).

الختم. ما الذي يعنيه أن نُختَم بروح الموعد القدوس؟ ربما تبدو اللغة غامضة بالنسبة لنا، لكنها على الأرجح لم تكن كذلك بالنسبة لمؤمني أفسس. فقد كان الختم في العالم القديم يقوم بثلاثة أشياء: 1) يثبت أصالة الشيء — مثل رسالة مختومة بختم الملك الرسمي المثبَّت عليها بالشمع. 2) يؤمِّن— مثل الختم الحديدي الذي يوضع كعلامة على الماشية لحمايتها من اللصوص. 3) يشير إلى الملكيّة — مثل

ذلك النقش الباهظ الثمن الذي يعد بصمة أدبيّة في الصفحة الافتتاحيّة للكتب. ولهذا يستخدم بولس صورة الختم ليوحي بهذه الأفكار عينها.

فإن ختم الروح يثبت أصالتنا نحن كمؤمنين حقيقيين، ويؤمّن سلامتنا الأبديّة، ويضع علينا علامة باعتبارنا ملكيّة خاصة بالله. وكأن الله أخذ نقشه الروحي وختمنا كخاصته.

على الرغم من أن بعض المؤمنين سيخالفونني الرأي، لكني أعتقد وأؤمن بأن ختم الروح يقع عند التجديد. كما يقول بيتر أوبريان: "يعد الختم عند قراء هذا النص إشارة إلى النوال الفعلي للروح. فإننا نجد فيه رابطة بولسيّة بين استماع رسالة الإنجيل، والإيمان بها، ونوال الروح، وتعد هذه عناصر هامة لعمل التجديد."[95]

في هذه الآيات الكتابيّة، تقوم الترجمة الإنجليزية ESV بترجمة اسم الفاعل المبهم بكلمة "when" (حين). فإننا حين سمعنا الكلمة وآمنا، خُتمنا. هذه الأشياء — أي الإيمان والختم — قد حدثت في الوقت ذاته، ولهذا استطاع بولس كتابة الرسالة لأهل أفسس من مسافة بعيدة وهو متيقّن من أنهم جميعًا قد خُتموا بالفعل بروح الموعد القدوس. فإن الختم هو عمل موضوعي تم فينا بالتزامن مع التجديد وسكنى الروح القدس.

لكن ليس لأن هذا العمل موضوعي، فهذا يعني أننا لا يمكننا أن نختبره ذاتيًا. بل **لابد** أن نصلي كي نختبر انسكاب محبة الله في قلوبنا (رومية 5: 5). فعلينا أن نرجو لا أن نعرف فحسب أن الروح هو ضماننا، بل أن نشعر في أعماقنا بالخبر السار الذي يفيد بأنه عربون ميراثنا (2 كورنثوس 5: 5؛ أفسس 4: 30). فإن ختم الروح موجود بالفعل حتى في غياب اليقين الكامل بالخلاص، كما أن ارتفاع قدمين من الجليد يظل متماسكًا بالفعل حتى حين نعتقد أن الارتفاع لا يزيد عن بوصتين. لكن يا له من شعور أفضل أن نتزلج بحرية فوق بركة ماء، مطمئنّين ومتيقّنين بأننا بعيدون عن الخطر.

إن ختم روح الموعد القدّوس، الذي يحفظنا سالمين إلى يوم الفداء الأخير، هو عطية يمتلكها كل مؤمن، والقصد أن يتمتّع بها كل مؤمن (أفسس 1: 18). فإن الروح يشبه خاتم الخطبة الذي به يقول الله: "هذا الوعد هو مجرد البداية، لا يمكنك أن تتخيل كم سأباركك، فهناك وليمة عرس لن تصدّقها عتيدة أن تأتي إليك. لكني قد أعطيتك روحي كيما تؤمن بأنها عتيدة أن تأتي".

هلمَّ اقرع. ماذا ينبغي أن نفعل بكل هذا الحق عن شخص الروح القدس وعمله؟ لدى يسوع بعض النصائح المفيدة لنا. لكن، أولاً، لنستمع إلى هذه القصة.

حدث هذا في باكر يوم سبت، فقط في السابعة صباحًا. وهذا يعني أننا إن كنا في الشتاء، وإن كنت تقطن حيث أقطن أنا، فإن الشمس لا تزال في مهدها نائمة. وإذ دفعك جوعك، ولم يوقفك الظلام، شرعت في عمل فطائر محلاة، فأخذت بعض الدقيق والقليل من الزيت، ثم توجهت إلى الثلاجة لتجلب بيضة. فإن كل ما تحتاجه هو بيضة واحدة كي تشبع جوعك وتشبع عائلتك أيضًا. لكن للأسف الشديد، لم تجد بيضًا.

حينئذ تذهب سريعًا إلى منزل جيرانك وتطرق الباب بحذر. وبعد دقيقة من الصمت انفتح الباب فتحة صغيرة.

"ماذا تريد؟ نحن في صباح السبت، والأطفال جميعهم نائمون. وأنا أيضًا لابد أن أكون الآن نائمًا في سريري".

فترد أنت: أتأسف على هذا الإزعاج، لكني فقط أحتاج إلى بيضة واحدة".

"اذهب الآن وعد ثانية في التاسعة والنصف".

لكن فيما تعترض الباب بقدميك، توسلّت مرة أخرى قائلاً: "أرجوك، يمكنني أن أرى ثلاجتك من هنا. لن يتطلّب منك الأمر أكثر من عشر ثواني. فقط بيضة واحدة. ثم يمكنك العودة بعدها إلى النوم". وبالتأكيد، مع القليل من المثابرة والإصرار، تحصل على بيضتك، وتحصل عائلتك على الفطائر.

لقد قصّ يسوع قصة مثل هذه في يوم ما. وإليك ما قاله في نهايتها:

> وَأَنَا أَقُولُ لَكُمْ: اسْأَلُوا تُعْطَوْا، اُطْلُبُوا تَجِدُوا، اِقْرَعُوا يُفْتَحْ لَكُمْ. لأَنَّ كُلَّ مَنْ يَسْأَلُ يَأْخُذُ، وَمَنْ يَطْلُبُ يَجِدُ، وَمَنْ يَقْرَعُ يُفْتَحُ لَهُ. فَمَنْ مِنْكُمْ، وَهُوَ أَبٌ، يَسْأَلُهُ ابْنُهُ خُبْزًا، أَفَيُعْطِيهِ حَجَرًا؟ أَوْ سَمَكَةً، أَفَيُعْطِيهِ حَيَّةً بَدَلَ السَّمَكَةِ؟ أَوْ إِذَا سَأَلَهُ بَيْضَةً، أَفَيُعْطِيهِ عَقْرَبًا؟ فَإِنْ كُنْتُمْ وَأَنْتُمْ أَشْرَارٌ تَعْرِفُونَ أَنْ تُعْطُوا أَوْلاَدَكُمْ عَطَايَا جَيِّدَةً، فَكَمْ بِالْحَرِيِّ الآبُ الَّذِي مِنَ السَّمَاءِ، يُعْطِي الرُّوحَ الْقُدُسَ لِلَّذِينَ يَسْأَلُونَهُ؟ (لوقا 11: 9-13)

إن أباك السماوي يحبك أكثر مما تحب أنت عائلتك. لم يحدث قط أن تلقّى أحد أطفالنا الصغار في صباح الكريسماس علبة حيات، لأننا، وإن كنا أشرارًا، لكننا نحب أن نعطي أولادنا وأحفادنا هدايا جيدة. فكم بالحري إذن يتلذذ الله بإعطائنا مواهب جيدة؟

ولهذا، هلمَّ اقرع. اطلب منه أفضل موهبة على الإطلاق. اطلب منه المزيد من حضور الروح القدس في حياتك. اطلب من الله أن يملأ كنيستك بقوة الروح. ألا ترغب في المزيد من المسيح، المزيد من

التوبة، والمزيد من التقوى في حياتك؟ ألا ترغب في أن تزداد كنيستك في المحبة، والأمانة، والشجاعة، وفي إكرام الله؟ ألا تبغي ملئًا أفضل وأكثر؟

كل ما علينا فعله هو أن نسأل. فإن يسوع نفسه يعد باستجابة مرضيّة. اسأل الروح القدس وسيُعطَى لك، اطلب تجد، اقرع يُفتَح لك الباب.

الفصل الحادي عشر

ملكوت الله

ستيفن أوم

يواجه الناس في العصر الحالي صعوبة ومشكلة مع السلطة. فإن ذاك الذي يطلق على نفسه لقب المفكر الحر (libertine) يرفض أي كيان حاكم — فيما عدا سلطته الذاتيّة الباطنة — لأنه يؤمن بأنه لا توجد قوة ذات سلطة قادرة على العتق والتحرير. فإن السلطة الخارجيّة يُنظر إليها على أنها سلطة قمعيّة في جوهرها. فقط اقبل هذا الاستنتاج، وسيسهل عليك بعد هذا أن تغذّي الوهم القائل بأننا كبشر لسنا في حاجة إلى أيّة سلطة خارجيّة. ويصوّر مشهد في مسرحيّة "الكأس المقدسة"، التي قدمتها فرقة مونتي بايثون الكوميديّة، هذا الفكر المضاد للسلطة على نحو جيد، مفترضًا على نحو هجائي بأن هناك صورًا معينة من السيادة يمكن أن تكون قمعيّة أو قسريّة.

الملك آرثر: أيتها المرأة العجوز.

دينيس: أنا رجل.

الملك آرثر: آسف، أيها الرجل. من هو الفارس الذي يقطن بالقلعة هناك؟

دينيس: أبلغ من العمر 37 عامًا.

الملك آرثر: ماذا؟

دينيس: أبلغ من العمر 37 عامًا، لست عجوزًا.

الملك آرثر: حسنًا، لا يمكنني أن أدعوك "يا رجل" فحسب هكذا.

دينيس: حسنًا، يمكنك أن تدعوني "دينيس".

الملك آرثر: لم اكن أعلم أن اسمك دينيس.

دينيس: حسنًا، أنت لم تتكبد العناء كي تكتشف هذا، أليس كذلك؟

الملك آرثر: لقد اعتذرت لك بالفعل عن قولي "أيتها المرأة العجوز"، لكنك بدوت من الخلف ...

دينيس: إن اعتراضي الأساسي هو أنك تعاملني تلقائيًا على أني أدنى منزلة منك.

الملك آرثر: حسنًا، أنا ملك.

دينيس: ملك! حقًا؟ هذا رائع. ومن أين حصلت على هذا الملك؟ باستغلال العمال، وبالتمسك بمبادئ امبرياليّة قد عفا عليها الزمن، تخلد الفوارق الإقتصاديّة والإجتماعية في هذا المجتمع...

الملك آرثر: أنا ملكك.

المرأة: لم أكن أعلم أن لدينا ملك، اعتقدت أننا أناس مستقلون جماعيون...

الملك آرثر: أنا ملككم.

المرأة: حسنًا، أنا لم أصوّت لك.

الملك آرثر: لا يوجد تصويت للملوك.

المرأة: كيف إذن أصبحت ملكًا؟

[موسيقى ملائكيّة هادئة]

الملك آرثر: سيدة البحيرة، مرتدية أنقى الثياب البرّاقة المرصعة بخيوط الذهب والفضة، رفعت السيف المسحور "إكسكاليبور" من وسط المياه، مشيرة بهذا من خلال تدبير إلهي، إلى أني أنا آرثر، لابد وأن أحمل هذا السيف. ولهذا السبب أنا الآن ملككم.

دينيس: [مقاطعًا إياه] اسمعني جيدًا، إن السيدات العجيبات القابعات في البرك، واللواتي توزعن السيوف، لسن أساسًا يبنى عليه أي نظام حكم. فإن القوة التنفيذيّة العليا تأخذ سلطتها من تفويض جموع الشعب، وليس من طقس هزلي يجري في البحر.

هذا التفسير لحرية وحق تقرير المصير السائد مجتمعيًا مُؤيَّد أيضًا من قبل مُفكري ما بعد الحداثة مثل "دون كيوبيت"، الذي يقول: "لقد ولّى عصر سلطة المؤسّسات الكبرى، والخرافات التشريعيّة، والحق المطلق".[96] ويدلي كيوبيت بهذا التصريح بسلطان جسور مما يجعله بالتأكيد مثيرًا للسخرية، بل ومناقضًا لنفسه. هذه هي مفارقة الاختيار (the paradox of choice). فإن البشر في العصر الحديث يعتقدون أن تعدد الخيارات أمر مُحرر، لكنه فعليًا مُوهِن للعزيمة، ومُثبِّط للهمم، بل هو أيضًا مستبد.[97] كما قال ريتشارد باكام:

وهكذا، ودون شك، تم شمول الله داخل أزمة الحريّة المعاصرة... فإن الإيمان بالله... يبدو بالنسبة للكثيرين غير متوافق مع الاستقلال البشري... ففي كثير جدًا من الأحيان عبر تاريخ الكنيسة، تم تمثيل الله بالخطأ على أنه قامع للحرية وليس معززًا لها. فهو لطالما كان الطاغية السماوي الذي يعد النموذج والوازع لنظم الحكم القمعيّة والاستبداديّة على الأرض. من الواضح أن هذا ليس هو الإله الكتابي. فإن سيادته تحرر من كل سيادة بشريّة. هذا لأن الله السيد نفسه يحقق سيادته ليس بالهيمنة بل بخدمته كعبد (فيلبي 2: 6-11).[98]

ماذا إذن عن السلطة والمُلك في الإيمان المسيحي؟ يؤيد فكر ما بعد الحداثة سلطة الفرد الفطريّة الداخليّة، ويضعها في تضاد ومناقضة مع ادّعاءات الفكر التنويري العقلاني التي هي في الحقيقة استبداد خارجي، وفي مناقضة أيضًا مع السلطة الدينيّة السابقة لعصر الحداثة. وفي مقابل ذلك، تعزز رسالة الكتاب المقدس سلطان النعمة وليس السيادة الذاتيّة. فإن السلطان ينتمي في المقام الأول لله ولتقديمه لذاته بالنعمة لنا.[99] بكلمات أخرى، إن زيادة الحميميّة التي يتمتّع بها الأفراد في علاقة ما، بالطبيعة، وحتميًا، وفي الوقت ذاته، تتنقص من مستوى استقلالهم.

ويقدم لنا الكتاب المقدس حقيقة سلطان الله، وسلطان كلمته، وسلطان الحق الذي أعلنه، تلك الحقيقة التي لا نزاع عليها. ولهذا، تعد فكرة ملك الله أحد الموضوعات المركزيّة والمفتاحيّة في كل الكتاب المقدس. ويناقش هذا الفصل لاهوتًا، وهويّة، ومجتمعًا قد شكّله هذا الملكوت.

لاهوت شكَّله الملكوت

يعد مفهوم ملكوت الله تعليمًا هامًا نجده في كل الكتاب المقدس. ويطلق عليه الكتاب المقدس أيضًا "ملكوت السماوات"، و"ملكوت المسيح"، و"ملكوت ربنا"، و"الملكوت". وبما أن الكتاب المقدس كتاب واحد، فقد حاول الكثير من المفسرين إيجاد فكرة كتابيّة توحيديّة تجمع العهدين القديم والجديد معًا. ومن الواضح أن هناك الكثير من المواضيع الكتابيّة المتلازمة ذات أهميّة عظمى، لكن يمكننا إيجاد براهين وافية لإثبات الرأي القائل بأن "الرابطة التي تربط [العهدين القديم والجديد] معًا هي المفهوم الديناميكي لحكم الله".[100]

من المثير للفضول أن نلاحظ وجود العديد من التفسيرات والشروحات للمصطلح الكتابي "**ملكوت**" في حقل التفسير الكتابي. البعض قد اختزلوا ملكوت الله على النطاق الحاضر الشخصي، وعلى قوة الروح القدس الداخليّة العاملة في القلب البشري. بينما آخرون إما قاموا بقصر الفكرة على نظام روحي مستقبلي سماوي جديد، أو قاموا بمساواة الملكوت بالكنيسة المنظورة.

آخرون أيضًا اتّخذوا منهجًا اختزاليًا في فهم الملكوت معتبرين إيّاه برنامجًا اجتماعيًا مثاليًا لتحقيق التحضّر الإنساني دون الإشارة إلى الفداء الفردي. وبالتالي، ووفقًا لهذا المنهج، فإن "بناء" الملكوت يعني القضاء على جميع المشكلات الاجتماعيّة كالفقر، والظلم الاجتماعي، والأشكال المختلفة من عدم المساواة.

ويرجع وجود هذا التنوع الكبير في التفسيرات عبر التاريخ إلى تبنّي التعليم الكتابي لمعاني متباينة: أي الملكوت باعتباره واقعًا حاليًا (متى 12: 28؛ 21: 31؛ مرقس 10: 15) وبركة مستقبليّة (1 كورنثوس 15: 50؛ متى 8: 11؛ لوقا 12: 32) على حد سواء، وباعتباره بركة الحياة الجديدة الروحيّة الخلاصيّة (رومية 14: 17؛ يوحنا 3: 3) وحكمًا مستقبليًا ممتدًا للمجتمع على حد سواء (رؤيا 11: 15).

ويعد المفتاح لحل مشكلة هذا التباين هو اكتشاف ما الذي يعنيه الكتاب المقدس بكلمة "**ملكوت**". ما هو ملكوت الله؟ غالبية القواميس الحديثة تترجم الكلمة بأنها "مجال" أو "نطاق" أو "مكان". وقد ضلّل هذا المعنى المفسرين بعيدًا عن الفهم الكتابي الذي يسلّط الضوء على المكانة، والحكم، والملك، والسيادة، وعلى سلطان الله الملكي.[101]

ويوضح المثل الذي قصّه يسوع في لوقا 19 المعنى الأساسي لملكوت الله. فإن القصة تصف إنسانًا شَرِيفُ الْجِنْسِ "ذَهَبَ إِلَى كُورَةٍ بَعِيدَةٍ لِيَأْخُذَ لِنَفْسِهِ مُلْكًا وَيَرْجِعَ" (لوقا 19: 12). لم يقم هذا الإنسان بزيارة كورة أخرى كي يؤمّن لنفسه مكانًا أو مملكة ليمارس حكمه عليها، بل قد ترك موضعه وذهب إلى موضع آخر ليأخذ السلطان، أي الملك، أي الحق في حكم الكورة التي كان سيرجع إليها (لوقا 19: 15؛ تترجم ترجمة RSV الإنجليزية الكلمة بأنها "سلطة ملكيّة (kingly power)"). (ربما ما كان يدور في ذهن يسوع حين كان يقص هذا المثل هو هيرودس، الذي ذهب إلى روما ليضمن نواله بركة من قيصر حتى تتسنّى له العودة إلى اليهوديّة ليملك ويصير هيرودس الملك).

وهكذا، فإن ملكوت الله هو في الأساس حكم الله السيادي، كما يظهر جليًا ويتحقّق عبر مراحل تاريخ الفداء المختلفة. هذه العقيدة الكتابيّة مشتقّة من الحق القائل بأن الله، باعتباره الحاكم الواحد، والحقيقي، والحي، والسرمدي، لطالما كان موجودًا، ولهذا فهو يملك على خليقته. "إن ملكوت الله، الموجود بالفعل لكنه غير مُدرَك بالكامل، هو ممارسة الله لسيادته على العالم حتى الفداء النهائي لكل الخليقة".[102]

حكم الله في عمل الخلق

كثيرون في مناقشتهم لعقيدة الملك لم يركّزوا بالقدر الكافي على حكم الله الكوني باعتباره خالق العالم (مزمور 24: 1؛ 47: 1–9؛ 83: 18؛ 93: 1؛ 95: 3–7؛ 103: 19؛ 113: 5؛ دانيال 4: 25–26؛ 5: 21؛ متى 5: 34؛ أفسس 1: 20؛ كولوسي 1: 16؛ عبرانيين 12: 2؛ رؤيا 7: 15). وهناك رابطة واضحة بين حكم يهوه الملكي وتاريخ ملوك شعب إسرائيل (1 صموئيل 8)، إلا أن حكم الله الملكي بدأ مع إدارته السياديّة للنظام الكوني الذي خلقه وحفظه. يقول جولدزوورثي الآتي:

> لقد تجسّد حكم الله السيادي في العالم الاختباري والتجريبي الذي وضع حدودًا للحريّة البشريّة داخل نطاق المملكة (تكوين 2: 15–17). فقد تمثّلت سعادة وبركة وجود الملكوت في كل من العلاقة التي تربط بين الإنسان والله والعلاقة التي تربط الإنسان بالخليقة. فقد كانت الطبيعة خاضعة لسيادة الإنسان، وكانت تثمر تسديدًا لاحتياجاته.[103]

فإن إدارة الله، الرب–الخالق، الملكيّة كانت تجرى بواسطة "تكليف الإنسان بالسيادة على العالم تحت ظروف نعيم جنة عدن (تكوين 1: 28)، [وهذا] يمكن أن نراه إشارة إلى وجود علاقة عهديّة بين الله والإنسان".[104]

وقد تم التصديق على موضوع ملكوت الله بشكل جيد في الفترات التاريخيّة المختلفة التي تظهرها لنا كلمة الله. فإن مفهوم ملك الله كان مفهومًا جوهريًا بالنسبة لشعب رحّال اعتبر إلهه هو ملكه الحاكم

والمتسيّد. فقد رافقهم الله في ارتحالهم، ووفر لهم الحماية والملجأ، بينما كان ينشئ نسلاً عتيدًا أن يُختار ليكون خاصته.

والتركيز الرئيسي لهذا الوصف عن ملك الله هو في الأساس على أبناء إبراهيم وأرض إسرائيل.[105] فإن تكوين 4–11 يصف نسل إبراهيم الذي له أعطيت المواعيد العهديّة البارزة، والتي كانت تختص بأمة عظيمة، وأرض عظيمة، وحكم وعلاقة عهديّة (تكوين 12: 1–3). البعض قد فسروا هذا الوعد الثلاثي باعتباره وعدًا يقدم الوصف الكتابي لملكوت الله، أي شعب الله، ونطاق حكم الله، وحكم الله.[106]

حكم الله في سفر الخروج

في زمن الخروج من أرض مصر، ثبَّت الله ملكه على تاريخ إسرائيل من خلال سلسلة من التدخّلات الإلهيّة وأعمال الخلاص المعجزيّة والقديرة (مثال: انظر خروج 15؛ تثنية 6: 20–24؛ 26: 5–10؛ يشوع 24: 5–13؛ مزمور 78؛ 105؛ 106؛ 114؛ 135؛ 136؛ نحميا 9: 9–15)، ومن خلال تحرير الشعب من عبوديتهم، وإجراء معجزات الضربات، وشق البحر، وحفظ شعب إسرائيل في البرية، جنبًا إلى جنب مع بعض اختبارات الظهور الإلهي. فقد أدرك الشعب أن سيادة يهوه قد تأكّدت وترسّخت من خلال أعمال الخلاص المتتالية، "مكونة توالي واستمراريّة تقع تحت سيطرة الله، أي صانعة تاريخًا، وهذا التاريخ كان يسير للأمام نحو مستقبل وفقًا لمشيئة الله".[107] وقد أكّد الله على حكمه حين خلّص شعبه من يدي فرعون، وقادهم إلى أرض الموعد (خروج 15؛ 19: 5–6).

حكم الله في زمن الملوك والأنبياء

يعجّ تاريخ الخلاص في أثناء فترة حكم الملوك بالمآسي. فقد دُعي شعب إسرائيل وأُفرِزوا ليكونوا بركة للعالم، ونائبين عن الله في الحكم للإشراف على الأرض (1 أخبار الأيام 29: 23؛ 2 أخبار الأيام 6)، لكن للأسف تميّز تاريخ هذا الشعب بالقدر الكبير من الخيانات بدلاً من الإخلاص، ومن عبادة الأوثان بدلاً من عبادة الله، ومن التمرد بدلاً من الطاعة. ولطالما عبد جند السماء الله، وهم مستمرون في تمجيد قداسته "في عبادة تامة طوعيّة"،[108] لكن البشر رفضوا أن يكرموا الله كملك، مما يفسر ظهور الممالك الأرضيّة المليئة بالمقاومة الشريرة له. ولذلك، تستعرض الأسفار النبويّة رسالة رجاء سيأتي بها المسيا الذي "سيدين الأشرار، ويأتي بالبشريّة المفديّة إلى خليقة جديدة (حزقيال 36؛ 47؛ إشعياء 35؛ 55؛ 65؛ زكريا 14)".[109]

ستكون هذه المرحلة في تاريخ الفداء، التي هي يوم عظيم ومجيد سيأتي في المستقبل حين يُرَد كل شيء، هي المرحلة التي فيها سيقتحم حكم الله الكوني المشهد (إشعياء 26: 1–15؛ 28: 5–6؛ 33: 5–

24، 17–22؛ 44: 5؛ حزقيال 11: 17–21؛ 20: 33–38؛ هوشع 2: 16–17؛ زكريا 8: 1–8)، مصطحبًا معه بر الملكوت (إشعياء 11: 3–5؛ إرميا 23: 5–6)، والسلام والتآلف الأبديين (إشعياء 2: 2–3؛ 9: 5–6؛ 11: 6–7؛ 35: 9؛ ميخا 5: 4؛ زكريا 9: 9–10).[110]

حكم الله المَسِيَّاني في العهد الجديد

في أسفار العهد الجديد، أعلن كل من يسوع ويوحنا المعمدان أن ملكوت السماوات قد اقترب (متى 3: 2؛ 4: 17؛ مرقس 1: 15)، وأن المرحلة الأخيرة من الملكوت على الأرض كانت قيد التحقق من خلال تجسّد المسيح وخدمته الجاريّة (متى 2: 2؛ 4: 23؛ 9: 35؛ 27: 11؛ مرقس 15: 2؛ لوقا 16: 16؛ 23: 3؛ يوحنا 18: 37). وعلى الرغم من أن هذه الخدمة الأرضيّة كانت موجودة بالفعل، إلا أن التتميم الكامل والفائق لها لن يتحقق إلا عند المجئ الثاني للمسيح في المجد (1 كورنثوس 15: 50–58؛ رؤيا 11: 5).

وقد ظهرت هذه الإرساليّة المركزيّة المختصة بتأسيس المرحلة الأخيرة من الملكوت بغرض السماح لبشريّة مُحطَّمة وساقطة بالدخول إلى ملكوت الله (متى 5: 20؛ 7: 21؛ يوحنا 3: 3). فإن الملكوت المُدرَك، أي الحكم القدير لله، قد دخل إلى "الحياة التاريخيّة في صورة جديدة، فها هو الملك ذاته آتيًا 'ليعلن عمل الله الفدائي النهائي، وليتمّمه'"[111]. فحتّى أمثال المسيح كانت مستخدمة كوسيلة تعليم يصوّر بها لأتباعه حقائق ملكوته (متى 13: 11). وعلى الرغم من أن مزايا وفوائد الإنجيل كانت موجودة بالفعل جزئيًا (أفسس 1: 3)، إلا أن سعادة ونعيم المجد المستقبلي موعودة لمن قد أعدّت لهم (متى 25: 31، 34).[112]

وطوال العهد القديم، توجد العديد من الموضوعات في كل الأسفار حيث تتضخّم حبكات القصص في حدّة دراميّة وفي قرارات تبدو بلا حلول.[113] فقط في شخص المسيح يمكن أن توجد حلول لهذه التوتّرات الحادة، ويمكن أن يتحقّق تمامًا توقّع مجيء حكم بار بالكامل، ومليء بالسلام، ومدبر للخلاص. فمنذ جنة عدن، فقدت البشريّة بسقوطها حريّة التمتّع بأمجاد حكم الله، ولذلك فإن دراما التاريخ الإنساني ظلّت منخرطة إلى الأبد في سعي حثيث لا يكل لإيجاد المَلك الكامل الحقيقي.

إن مأساة التاريخ الكتابي، خاصة في عصر الملوك، تعد صورة عن محاولات الشعب الفاشلة لتعلّم كيفيّة الخضوع لحكم الله. ولكن بدلاً من تنازل البشر عن فكرة ذاتيّة الخلق، وتعزيز الذات، وذاتيّة الخلاص، لإله واحد، يظهر تاريخ شعب إسرائيل عبوديّة قلب الإنسان للوثنيّة. وقد أخفق جميع ممثلي شعب الله الرئيسيّين — من آدم، ونوح، وإبراهيم، ويعقوب، وموسى، وداود إلى جميع شخصيّات التاريخ الفدائي البارزة الأخرى — جميعهم أخفقوا في حل التوتر المتصاعد في قصة الخلاص، وفي تدبير الشفاء والتحرير من

العبوديّة والقيود. لكن الحل الذي دبّره الله كان غير متوقع: فإن الله نفسه من خلال التجسّد قام بزيارة البشريّة الساقطة، وتم تجديد كل شيء محطّم من خلال عمل مسيّا متألم. وفي مفارقة بديعة، تلاحم الله مع أولئك الذين هجروا الله.

هذه الصورة المتناقضة عن رغبة الله في التلاحم في موته مع شعب ترك الله مرتبطة بفكرة العبد المتألم في إشعياء 52: 13 – 53: 12، ذلك العبد الذي حمل آثام الكثيرين وتألّم كبديلٍ عنهم.

> في هذا السياق عن الرابطة الأساسيّة التي تربط بين تفرّد الله وبين أفعاله [الأخيرة] لخلاص شعب إسرائيل وخلاص العالم، يقرأ المؤمنون الأوائل عن شخصيّة عبد الرب الغامضة، الذي يشهد عن تفرّد لاهوت الله، والذي في الاصحاحات 52 – 53، يقاسي المهانة والموت، وأيضًا يتمجّد ويرتفع.[114]

وبهذا يظهر الرجاء في فداء تمرّد الإنسان وتجديد الخليقة المُحطّمة، بل ويتحقّق، في يسوع المسيح الذي جاء في الجسد. فإن الملكوت الآن صار حقًا موضوعيًا [المترجم: الحق الموضوعي هو حقيقة الشيء كما هو عليه بالفعل، وليس بحسب رؤيتنا نحن] تحقّق بالمجيء الزمني للملك المسياني وعمله. فإن الوصف الكتابي للملكوت الذي يسلّط الضوء على شعب الله، ونطاق حكم الله، وسلطانه، قد وجد التتميم النهائي له في يسوع الذي هو الشعب الحقيقي لله، والحضور الحقيقي لله، والسلطان الحقيقي لله.

تحقيقٌ لشعب الله. يصف لوقا آدم بأنه ابن الله (لوقا 3: 38)، بينما يشير خروج 4: 22 إلى إسرائيل، شعب الله، باعتبارهم ابن الله البكر. وقد تحقّقت فكرة البنوّة في يسوع، الذي باعتباره آدم الثاني الكامل، "الابن الحبيب" (لوقا 3: 22)، وإسرائيل الحقيقي، تمّم ما قد أخفق فيه كل من آدم الأول وإسرائيل، وهو الخضوع للملك الكوني. "وهكذا تمثّل قصة التجربة النقيض لتغلب إبليس على آدم في الجنة، وعلى إسرائيل في البرية"، ولذلك، "فإن جميع النبّوات التي تختص برد شعب إسرائيل [باعتبارهم] شعب الله لابد وأن تتحقّق فيه".[115]

تحقيقٌ لحضور الله. "إن رمز خيمة الاجتماع يستطيع... تصوير شخص يسوع باعتباره موضع كلمة الله ومجده بين الجنس البشري".[116] فما كان مستحيلاً على موسى، أي رؤية مجد الله (خروج 33: 20)، صار ممكنًا لجميع من يؤمنون (يوحنا 1: 14)، بما أن الكلمة المتجسّد قد رأى الله بالفعل (يوحنا 1: 18؛ 3: 11).

وبالتالي، فإن وصف يسوع باعتباره رمزًا للاستعلان النهائي والمطلق لموضع سكنى الله، يستعرض أمامنا فكرة الهيكل في إنجيل يوحنا. فهو "الهيكل الأبدي البشري–الكوني لله"، [117] الذي حل (بسط خيمته) بين شعبه "في صورة من القرب مختلفة تمامًا"،[118] ترمز إلى بدء الحضور الأخير لهيكل الله في العصر

المسياني. في هذا "الهيكل"، أي جسد المسيح (يوحنا 2: 19–22)، كانت الذبيحة التامة والكاملة عتيدة أن تقدم، ومع ذلك يقول يسوع أن بعد ثلاثة أيام سيقوم الهيكل الروحي، الحقيقي، من الأموات ليستبدل هيكل أورشليم.[119]

لا يمكن فصل ملكوت الله عن حضور يسوع (عبرانيين 12: 22–23).[120] فإن إعلان الله عن نفسه يتم من خلال استعلان حضوره الحي في الهيكل الحقيقي. وقد صار للعبادة الحقيقيّة هيكل جديد، فقد استبدل يسوع الموضع المؤقّت. وصار شعب الله الآن قادرًا على اختبار ملء الحياة الأبديّة والبركات الوافرة للخليقة الجديدة، التي لم تعد متاحة من خلال حقوق امتلاك أرض أو ميراث وقتي.

وأخيرًا، صارت الكنيسة قادرة على أن تُعرَف تمامًا من قبل إله قدوس، ولا تُرفض. فقد كانت خيمة الاجتماع هي الموضع الذي فيه تتقابل السماء والأرض مع مجد الله الجالس على العرش غير المنظور فوق كرسي الرحمة [المترجم: الغطاء] الذي لتابوت العهد خلف "الحجاب" في قدس الأقداس. وقد صار هذا الدخول متاحًا على نحو أكبر حين "حل" الهيكل الحقيقي بيننا (كولوسي 2: 17). فحين صلب الله– الإنسان، الهيكل الحقيقي، تمزّق جسده وسُفك دمه ليسدّد ثمن خطايانا، "وَإِذَا حِجَابُ الْهَيْكَلِ قَدِ انْشَقَّ إِلَى اثْنَيْنِ، مِنْ فَوْقُ إِلَى أَسْفَلُ" (متى 27: 51).

فإن الخفي المطلق، الذي تمتع بشركة في ذات لاهوت الله، قد جاء إلى كورة بعيدة كي يطلب الضالين، والغرباء المهمّشين، بأن صار هو نفسه غريبًا، فرُفض، وتُرك، وذَبُلَ، وسُحق، واحتُقر لأجل آثام الكنيسة (قارن عبرانيين 13: 11–12). لقد انشقّ حجاب الهيكل، والتهم لهيب السيف المتقلّب الذي بيد الملاك الذبيحة الكاملة، حتى يتسنّى لنا نحن الكنيسة أن ندخل إلى الأبد إلى محضر إلهنا القدوس. يقول خروج 40: 33: "وَأَكْمَلَ مُوسَى الْعَمَلَ" (قارن تكوين 2: 2 "وَفَرَغَ اللهُ ... مِنْ عَمَلِهِ الَّذِي عَمِلَ")، مما يلقي بظلال على كلمات يسوع الأخيرة، عند تتميمه الكامل للفداء: "قَدْ أُكْمِلَ" (يوحنا 19: 30). فقد أعتقت الكنيسة مجانًا من العبودية، كي يمكننا أن نتمتع بإلهنا، الذي هو روح، وكي نسجد له بالروح وفي واقع الهيكل الحقيقي.

تحقيقٌ لحكم وسلطان الله. إن يسوع ليس هو شعب الله الحقيقي، وحضور الله النهائي فحسب، لكنه أيضًا هو سلطان قوة الله الملكيّة التام والنهائي. على سبيل المثال، إن عمل منح المياه التي تعطي حياة (أو منح الحياة ذاتها)، الذي يُعرَف بأنه عمل إلهي يعمله خالق صاحب سيادة له السلطان كي يمنح الحياة (انظر إشعياء 44: 3)، هو أيضًا عمل منسوب ليسوع (يوحنا 14: 13–14؛ انظر أيضًا 4: 10). فإن قصص العهد القديم عن كل من الخلق والخلاص تصف دون أي غموض الله باعتباره واهب الحياة

الأوحد وصاحب السلطان (تكوين 1: 11–12، 20–31؛ 2: 7؛ أيوب 33: 4؛ إشعياء 42: 5؛ حزقيال 36: 26). فإن العمل الإلهي المختص بمنح الحياة ينبع من هويّة الله وهو شيء يميّز تفرّده.

هذه الأدوار والأفعال الإلهيّة قد مارسها يسوع أيضًا. بكلمات أخرى، يشترك يسوع في العمل المتفرد لله في الخليقة الأولى وفي الخليقة الجديدة.[121] فإن يسوع يجيب المرأة في يوحنا 4 قائلاً: "وَلكِنْ مَنْ يَشْرَبُ مِنَ الْمَاءِ الَّذِي **أُعْطِيهِ أَنَا** فَلَنْ يَعْطَشَ إِلَى الأَبَدِ"، ثم قال: "بَلِ الْمَاءُ الَّذِي **أُعْطِيهِ** يَصِيرُ فِيهِ يَنْبُوعَ مَاءٍ يَنْبَعُ إِلَى حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ" (4: 14). فإن يسوع يعطي حياة، وأيضًا يعطي السلطان والحق في أن نصير أبناء الله (انظر يوحنا 1: 12، "وَأَمَّا كُلُّ الَّذِينَ قَبِلُوهُ **فَأَعْطَاهُمْ** سُلْطَانًا [حقًا] أَنْ يَصِيرُوا أَوْلاَدَ اللهِ، أَيِ الْمُؤْمِنُونَ بِاسْمِهِ"، ويوحنا 5: 21 "لأَنَّهُ كَمَا أَنَّ **الآبَ** يُقِيمُ الأَمْوَاتَ **وَيُحْيِي**، كَذلِكَ **الابْنُ** أَيْضًا **يُحْيِي** مَنْ يَشَاءُ").

هويّة المؤمن التي يشكّلها ملكوت الله

تقول إقرارات إيماننا إن "جميع من خلصوا بنعمة الله بواسطة الاتّحاد بالمسيح بالإيمان، وبواسطة التجديد بالروح القدس، **يدخلون ملكوت الله**، ويتلذّذون ببركات العهد الجديد". وهكذا، فإن مكان المؤمن في ملكوت الله بالضرورة يشكّل هويّته. فإن خطة الخلاص الخاصة بالحكم السياديّ لله تُستعلن في حياة المؤمن من ثلاثة جوانب مختلفة: أعمال النعمة، فوائد النعمة، وتأثيرات النعمة.

أعمال النعمة

أولاً، يعد حكم الله الملكي في عملية الفداء، التي توسط فيها يسوع المسيح وتمّمها، عملاً خلاصيًا تأسّس بنعمته. وفي هذا العمل يتجدّد خاطئ أجنبي، وتتم مصالحته، ويُسمَح له بالدخول إلى ملكوت الله. أما البشر الذين يتبنّون تمركزًا حازمًا حول الذات، فهم يقاومون النعمة لأنهم لا يشعرون براحة تجاه أي سلطان في حياتهم سوى سلطان ذواتهم. فإن هذا في الأساس صراع شديد وضخم على العرش. ويصوّر الكتاب المقدس أزمة البشر قائلاً إنهم يعيشون تحت سلطان الخطية وشهوات الجسد (أفسس 2: 1–3). ولهذا نحن في حاجة إلى الفداء من الخطايا من خلال عمل خلاص يقوم به إله رحيم. يقول باكام:

> علينا أن نفكّر في إلزام الخطية التي لا نستطيع التحرر من قبضتها بأنفسنا، على أنه ليس مجرد إلزام على ارتكاب الخطية داخلي في الطبيعة البشريّة الساقطة، لكنه أيضًا قوى خارجيّة، مثل النزعة الاستهلاكيّة، التي تخاطب الرغبات الدُنيا في الطبيعة البشريّة، وتستغل البشر بأن تلتحم بالميول البشريّة كالطمع، والشهوة، والحسد، والإسراف. فإن القبضة التي تمسك بالكثيرين في العصر الحديث هي تحالف بين أسوأ القوى التي تسيطر على مجتمعنا وأسوأ الجوانب في ذواتهم الداخليّة.[122]

يقول بولس إن القلب البشري ساقط، لكنه لا يقول إننا نغلّظ قلوبنا لأن فكرنا قد أظلم، بل بالحري يقول إن فكرنا قد أظلم بسبب غلاظة وفساد قلوبنا (أفسس 4: 18). لقد أظهر الله حكمه الملكي على الأرض ليفدي البشر الساقطين. وتعد الخطية هي أي مركز أو قيمة مطلقة داخل قلوبنا تزيح الله من المشهد حتى تحكم وتدير بشكل أساسي لهثنا وراء السعادة، والأهمية، والهويّة (انظر خروج 20: 1–2؛ رومية 1: 25). فإن الخطية هي رغبتنا في أن نضع أنفسنا في مكان الله، بينما يعلن الله عن نعمته في يسوع بأن يضع نفسه بديلاً عنا.[123] فهو قد افتدانا بأن صنع كفارة كاملة، وامتص العقوبة التي كانت خطايانا تستحقها، وضمن لنا التبرير والقبول مجانًا بنعمته.

وبسبب قمع وإلزام الخطية الداخلي، يسلّط الكتاب المقدس الضوء على الأولويّة الجذريّة للحياة الداخليّة وليس الخارجيّة. فإن دورة الوثنية (غلاطية 4: 8) تمتد على نحو مؤثّر وفعّال عبر مراحل الزنا والاستقلال الذاتي (يعقوب 4: 13–16). وسواء كان المحور الذي يدور حوله أي شخص هو مهنته، أو علاقاته، أو المال، أو الإنجاز الأكاديمي، أو الجنس، فإن عاش الفرد لأي شيء آخر غير يسوع، فإن ذلك الإله سيسيء معاملة قلبه، ويسحقه، ويستبد به.

أما أولئك الذين يعيشون لأجل يسوع، فهم سينالون القبول المحب لهذا الإله، وسيتحررون (غلاطية 5: 1). فإن الحياة لأجل كبرياء الإنسان الأناني ستجعله يحيا تحت ثقل لعنة، بما أن الناس لا يمكنهم أن يحيوا قط بمقتضى تطلعاتهم وتوقعاتهم، أو يصلوا قط إلى مقاييس سامية، ناهيك عن الناموس المقدّس الكامل لله. فإن هويتي لا تتعلّق بمن أنا بل لمن أنتمي. وهكذا فإن كلاً من المتديّنين وغير المتديّنين يتجنّبون الله مخلصًا وربًا — لكن بطرق ووسائل مختلفة. كلا الفئتين تسعى نحو إحكام السيطرة على حياتها من خلال التطلّع لشيء آخر غير الله لخلاصهم.[124]

يمدّنا الكتاب المقدس بصورة رائعة عن إنجيل متعدّد الأوجه. البعض حاولوا أن يصنعوا مقابلة بين "إنجيل الحياة الأبدية" الذي ينتشر عبر أرجاء إنجيل يوحنا وبين "إنجيل الملكوت" الموجود في الأناجيل الإزائيّة (السينوبتيّة) (متى، ومرقس، ولوقا). إلا أن كل كاتب من كتّاب الأناجيل يعبّر عن صورة لا تفيد بؤرة تركيزه اللاهوتي فحسب، بل أيضًا تنفع مستمعيه المحددين.

علاوة على ذلك، يمكن لكل من إنجيل يوحنا والأناجيل الإزائيّة الربط بين "الحياة" و"ملكوت الله". فإن المسيح، في إجابته على نيقوديموس في إنجيل يوحنا، يجمع بين فكرة التجديد والحياة الجديدة مع ملكوت الله، كي يقدّم لفريسي حقائق حول هذه الحياة الجديدة (يوحنا 3: 3، 5).

وبالمثل أيضًا، سجّل مرقس قول يسوع: "وَإِنْ أَعْثَرَتْكَ يَدُكَ فَاقْطَعْهَا. خَيْرٌ لَكَ أَنْ **تَدْخُلَ الْحَيَاةَ** أَقْطَعَ مِنْ أَنْ تَكُونَ لَكَ يَدَانِ وَتَمْضِيَ إِلَى جَهَنَّمَ، إِلَى النَّارِ الَّتِي لاَ تُطْفَأُ" (مرقس 9: 43). على الصعيد الآخر، يؤكّد يسوع في عدد 47: "وَإِنْ أَعْثَرَتْكَ عَيْنُكَ فَاقْلَعْهَا. خَيْرٌ لَكَ أَنْ **تَدْخُلَ مَلَكُوتَ اللهِ** أَعْوَرَ مِنْ أَنْ تَكُونَ لَكَ عَيْنَانِ وَتُطْرَحَ فِي جَهَنَّمَ النَّارِ". وهكذا يشير مرقس إلى كون ملكوت الله هو "الحياة".

كما يستخدم إنجيل يوحنا كلمتي "الحياة" و"الحياة الأبديّة" للإشارة إلى ملكوت الله. فإن الحياة الأبديّة بالنسبة ليوحنا هي ذاتها ملكوت الله. فإنهما تستخدمان بالتبادل للإشارة ليس فقط إلى القوة ذات السلطان التي يملكها مخلص يهب حياة أبدية، بل أيضًا للإشارة إلى ملك سيادي ينتمي لملك يحكم قلوب البشر.

فوائد النعمة

أحد فوائد اتحادنا بالمسيح ونوالنا الحياة الأبديّة وغفران الخطايا هي أننا صرنا مواطنين جدد في ملكوت الله (أفسس 2: 19؛ فيلبي 3: 20). هذه الصورة البولسيّة تمس كل من اختبار المؤمن الشخصي وتفاعله العام. فإن بولس يصف مختلف حقوق وواجبات مواطن غريب وأجنبي في أرض غريبة. فإن المؤمنين يدخلون في علاقة مع الآخرين بوسائل تزيّن الإنجيل، وتطلب خير الآخر، وتمجّد المسيح. وهم يقومون بهذا لأنهم أعضاء في مجتمع مختلف جذريًا، أي ملكوت الله، وهم متحدون بالشخص المتولّي شئون التاريخ.

فحتى حين كان يخرج مواطن روماني خارج مدينته، كانت حقوقه ومسئوليّاته كمواطن تظل سارية أينما ارتحل داخل الامبراطوريّة. هكذا أيضًا، تمتد حقوق المؤمن ومسئوليّاته داخل ملكوت يسوع الملك إلى أبعد ما يمكن أن يصل إليه ملكه. ومرة ثانية، كما أن بولس كان لديه الحق في أن يرفع دعواه لامبراطور روما، هكذا أيضًا يمكن لمواطن في ملكوت الله أن يرفع دعواه إلى سلطان يسوع الملك المطلق.

ولكن، ينبغي للمؤمن أن يتشدّد بمعرفة أن يسوع امبراطور من نوع مختلف، فهو دائمًا يستجيب باهتمام لأيّة قضية أو مشكلة تواجه أي من مواطنيه. وبما أن الإنجيل يؤكّد للمؤمن موقفه القانوني ووضعه الأبدي، فهو يمكنه أن ينال اليقين بمعرفته لهذا الحق بأنه لا توجد أيّة درجات أو تصنيفات في هذه المواطنة.

بمعنى آخر، إما أن تكون مواطنًا أو لا، وإما أن تكون ابنًا أو لا. هذا الحق سيرفض أيّة أفكار مغلوطة أو أي قلق حيال كون أداء الفرد هو ما يحدّد وضعه كمواطن. أي أننا لا نصير مواطنين من الدرجة الثانية حين نكون أقل طاعة، أو مواطنين من الدرجة الأولى حين نكون أكثر طاعة.

وما هو المعيار الأساسي الذي يجعل من شخص ما مواطنًا في دولة ما؟ ليس جنسه، أو عرقه، أو لغته، أو شكله، أو خلفيته الثقافيّة والاجتماعيّة والاقتصادية. بل ما يحدّد ذلك هو إن كان هذا الشخص قد حصل على الجنسيّة في هذه الدولة كمواطن أم لا. وما هو المعيار الذي يجعل من شخص ما مؤمنًا مسيحيًا؟ هو حقيقة أنه قد نال حق المواطنة ليس بسبب مكانة اجتماعيّة، أو ثقافيّة، أو عرقيّة، أو أخلاقيّة بل بسبب نعمة الملك. فإذ كان قبلاً أجنبيًا (أفسس 2: 19)، فهو الآن مواطن له جميع الحقوق والامتيازات في جماعة جديدة.

تأثيرات النعمة

إلى جانب هذه الحقوق والامتيازات، على المواطن مسئوليّة أن يمثّل الملك في هذا الملكوت على نحو جيد. فإن شعب الله باعتباره "رَعِيَّةٌ مَعَ الْقِدِّيسِينَ [مواطنين على درجة رفيعة]" (أفسس 2: 19)، يعد مجتمعًا مختلفًا جذريًا، له ثقافة تناقض ثقافة مجتمعه. هو مجتمع من جميع الأجناس، أي غير محلي. فهم يشتركون في لغة روحيّة واحدة، وفي ولاء لذاك الذي يسمو فوق كل ولاء آخر. كما أنهم لا يشتركون فقط في واجبات ومسئوليّات مشتركة، لكن الأهم من ذلك أنهم يشتركون في هدف مشترك، أي التلذّذ بتمجيد، وإكرام، وطاعة الملك الواحد الحقيقي.

لكننا بدلاً من أن نحب إلهنا، فإننا كثيرًا ما ننخرط في تمجيد ومدح ذواتنا. إلا أن تأثير النعمة المُخلّصة يوقظنا لنرى يسوع في جلاله المطلق. فإن صورة بهائه في دخوله الانتصاري (يوحنا 12: 12–19) تعد مزيجًا عجيبًا ومتناقضًا من الجلال والوداعة، ومن القداسة والاتضاع. هذه هي المفارقة التي نجدها في ملك يسوع. فهي صورة معكوسة، تقلب الموازين، عن كيف أن الملك – العبد جاء متّضعًا. فإننا جميعنا نتوق إلى ملك كامل يأتي ليمنحنا ملكوتًا نرجوه بشدة. فإننا نريد مَلكًا مثاليًا، يكون جريئًا ولطيفًا، شجاعًا ووديعًا، في الوقت ذاته.

في إنجيل يوحنا، حين يستخدم يوحنا الفعل "يتمجّد" أو "يرتفع"، فهو يشير بهذا عادة إلى الصليب. إذن ما يحاول يوحنا أن يقوله هو أنك إن كنت تريد أن تعرف ملء مجد الله، فإن هذا لا يُوجد في الأمجاد التي تحقّقها المعجزات، بل في الصليب. فقد جاء يسوع المسيح إلى العالم في صورة متناقضة وتمجّد. فهو قال في هذا الشأن: "إن الوسيلة التي بها سأظهر لكم عظم ملكي هو أني تركت غناي السماوي، وأتيت إلى هذا العالم، وصرت لا شيء، وجعلت منكم أنت الفقراء، أغنياء".

لقد كانت لدى الشعب تطلّعات مغلوطة عن ملكهم المسياني، ولم يتوقّعوا أن يكون حفل تتويج ملكهم هو في الصليب. كلما فكرنا في هذا المُلك المعكوس والمتناقض الذي ملكه يسوع، الذي هو جليل

ووديع، قدوس ومتّضع، فإننا نرغب في هذا المُلك ذاته الذي يجعل قلوبنا كالحملان وأيضًا كالأسود، يجعلها قلوبًا شجاعة ومترائفة في الوقت ذاته. ويوجز كيلر هذا التفرّد الإلهي بشكل جيد، كما يلي:

> هذا يعد تناقضًا فقط بالنسبة للعالم. لكنه جلال وملك حقيقي بالنسبة لنا. فإننا في يسوع المسيح نرى المزيج بين القوة غير المحدودة والضعف التام، والعدل غير المحدود ومع ذلك الرحمة التي لا تنضب، والسمو الفائق والقرب وسهولة الاقتراب. فإننا نشعر في الحاضر بأن هذا شيء عاصف تمامًا وغير متوقّع. شيء قدير، وقوي، ومع ذلك تحت السيطرة تمامًا. إن قوة الجذب شديدة. شديدة حقًا. إنه جلال وملك، ملك نتوق جميعنا إليه. فإن الجلال يزداد جلالاً باللطف، واللطف يزداد لطفًا بالجلال. فإن وقفت وجهًا لوجه أمام هذا الملك الحنون الذي يأتي راكبًا على جحش، فستصير أنت ملكًا حنونًا، وستصير أكثر جرأة ومع ذلك أكثر اتّضاعًا في الوقت ذاته. لكن هذا سيحدث فقط إن علمت كيف يمكن أن تخلص، وأن هذا يتم ليس بالقوة، بل بالضعف. وليس من خلال اجتهادك الأخلاقي، بل بالخضوع لنعمة الله.[125]

مجتمع شكَّله الملكوت

جميع الشعوب، والمؤسّسات، والجماعات لديها اهتمام كبير بتغيير، أو تجديد، أو تحويل المجتمع من خلال فرض قيمهم الرئيسيّة والجوهريّة على المجتمع. ولأجل هذا، لا يسعنا سوى أن يكون لنا تأثير على مجتمعنا. فإن اللحظة التي يفتح فيها أحدهم فمه، فهو حينئذ يتحدث بلغة خاصة، ومن خلال سياق مجتمعي خاص، وبرؤية خاصة عن الأخلاق والتعريفات المختلفة الأخرى بخصوص ما يؤمن به أنه "الحق"، و"الخير" و"الجمال". لا يجب أن يعتقد أحد أنه لا "يظهر في هذه الساحة العامة".

وفي تناولنا لهذا السؤال: "هل مسئوليّة الكنيسة أن تأخذ على عاتقها شئون الدولة المدنيّة (مثل التعليم، الفقر، الظلم الاجتماعي، الفنون، ...الخ)؟" نحتاج أن نضع الآتي في اعتبارنا. ليس للكنيسة أي سلطة قانونيّة أو قضائيّة في ميدان الدولة/المدينة، لكن هذا لا يعني أن الكنيسة ينبغي أن تظل على الهامش. فإن على الكنيسة مسئوليّة أن تعمل أعمال رحمة وأن تنخرط في المجتمع من خلال أعمال العدل الاجتماعي (انظر يعقوب 1: 27).[126]

يقول بولس في غلاطية 6: 10 "فَإِذًا حَسْبَمَا لَنَا فُرْصَةٌ فَلْنَعْمَلِ الْخَيْرَ لِلْجَمِيعِ، وَلاَ سِيَّمَا لأَهْلِ الإِيمَانِ"،[127] ويقول يعقوب إن الديانة الحقيقية هي هذا: "افْتِقَادُ الْيَتَامَى وَالأَرَامِلِ فِي ضِيقَتِهِمْ، وَحِفْظُ الإِنْسَانِ نَفْسَهُ بِلاَ دَنَسٍ مِنَ الْعَالَمِ" (1: 27). بمعنى آخر، إن مسئوليّة الكنيسة هي أن تتبع كل من الرأفة العامة والشفقة الفرديّة. على سبيل المثال، على الرغم من أن فشل نظام التعليم المدرسي لا يقع ضمن المسئوليات

المدنية للكنيسة، إلا أن الكنيسة يمكنها أن تشترك في "عمل الخير" بأن تدعم المدرسة المحليّة في تقديمها لدروس خاصة بعد اليوم الدراسي.

أيضًا على المؤمنين بناء صداقات مع من هم في محيط سكنهم. وهذا ربما يعني الانضمام إلى الجمعيات والمنظمات، والدخول في شراكة مع منظمات تختص بأعمال الرحمة والأعمال الخيريّة. لا شيء من هذا يعني التحقير من شأن أولويّة التبشير بالإنجيل. بل إن التأثير الذي يجريه الإنجيل هو التغيير الحتمي لرجال ونساء، فيبدأون أن يحبوا قريبهم، بينما قبلاً كانوا يحبون أنفسهم فحسب.

> هذا النمط يناقض بشدة فكر وممارسة العالم، حتى أنه يخلق "ملكوتًا بديلاً"، و"مدينة بديلة" (متى 5: 14–16)، تحوي مناقضة تامة لقيم العالم من حيث السلطة، والتقدير، والمكانة، والثروة. فإن الإنجيل يعكس مكانتي الضعيف والقوي، "الغريب" و"الوطني". فإنه لشيء إيجابي، روحيًا، أن نرى ضعفنا، وهناك خطر شديد، روحيًا، يكمن في أن نكون ناجحين وبارعين. وحين ندرك أخيرًا أننا يمكن أن نخلص بالنعمة فحسب بواسطة المسيح، نتوقّف عن السعي وراء الخلاص (سواء الخلاص المختص بالإنجاز النفسي، أو التغيير الاجتماعي، أو البركة الروحيّة، أو ثلاثتهم) بقوتنا، ومكانتنا، وإنجازاتنا. هذا إذن يبيد سلطان هذه الأشياء في حياتنا. وهكذا فإن التحوّل الذي يُحدِثه الصليب، ونعمة الله، يحررنا من العبوديّة لأية قوة أخرى من الأشياء الماديّة والمكانة العالميّة في حياتنا. فنبدأ في أن نحيا حياة جديدة دون وضع اعتبار كبير لها.[128]

البعض يعيشون في المدينة، ويجدون احتياجاتهم مُسددة فيها: فهم يحصلون على شهادات، ومكانة، وتعليم، وتدريب، وتأثير فعّال. آخرون في الأغلب تبتلعهم المدينة. لكن ما يريده المؤمنون هو أن يعيشوا مناقضين لثقافة مجتمعهم كي يخلقوا المجتمع الجديد البديل لملكوت الله. فهم يشتركون في دخول حضور الله وحكمه وسط شعب هم خاصته، بينما يشكلهم، ليصنع منهم مجتمعًا مميزًا جذريًا، ومنفصلاً، يشتاق إلى الظهور الكامل لسلطانه عبر جميع أنحاء العالم.[129]

يرفض المؤمنون أن يصدقوا وجود خيارين فحسب من جهة الانخراط في المجتمع: إما أن تشابه هذا المجتمع أو تنعزل عنه، إما أن تستسلم له أو تهرب منه، إما أن تواكبه بشكل زائد عن الحد أو تخفق في التكيف معه. لكن في المقابل، يشجع إرميا 29 شعب الله على ألا يشابهوا المجتمع الغريب عنهم، بل أن يتحركوا إليه وينخرطوا في حياة المدينة اقتصاديًا وثقافيًا. فقد كان النبي يطلب من الشعب أن يكونوا روحيًا ذوي مجتمعين. فهم لم يُدعوا لكي يعبدوا المدينة ولا لكي يبغضوا المجتمع، بل كي يحبوا المدينة.

يقول باري شوارتز إن البشر منهمكون في سيكولوجيّة من الاستقلال الشخصي.[130] فإن لدينا جميع أنواع الأهداف، والتوقّعات، والرغبات للوصول إلى أسمى المواضع، لأننا أناس نطلب الأفضل، ولأننا

منخرطون في مقارنة اجتماعيّة، وفرص مختلطة، وفي ندم، وتكيّف، محاولين استيفاء توقّعاتنا الكبرى. فهو يقول إن هناك سيكولوجيّة من الاستقلال الشخصي، لكن هناك أيضًا منظور آخر يطلق عليه "الوَسَط البيئي للاستقلال الشخصي". أي أننا إن تتبّعنا سيكولوجيّتنا الخاصة لأجل أهدافنا الخاصة، فإن آجلاً أو عاجلاً، هذا سيدخل في نزاع مع الوسط البيئي للاستقلال الشخصي (أي الهيكل البيئي، الذي فيه كل فرد يسعى نحو أهدافه الشخصية، حتى أن الهيكل الذي يحافظ على الاستقلال الشخصي يضعف)، وحينها لابد من أن يطغى شيء على الآخر. فلا يمكنك أن تتعقّب أهدافك الخاصة وأيضًا تدعم أهداف شخص آخر إن كانا في تناقض مع بعضهما البعض. من الصعب أن نتبع الصالح العام بينما هو في مناقضة حادة مع المصلحة الذاتيّة. ومع ذلك:

> يخلق الإنجيل "مجتمع الملكوت" — أي مجتمعًا مناقضًا للمجتمع، وهو الكنيسة — حيث يوجد "كهنة ملوكيون" يُظهرون للعالم ما سيبدو عليه الملكوت المستقبلي (1 بطرس 2: 9–10). فإننا "نقدم نموذجًا" يبيّن أنه من الممكن لكل الحياة — الممارسات التجاريّة، والعلاقات العرقيّة، والحياة العائليّة، والفن والثقافة — أن تلتئم وتُشفى، وأن يعيد الملك نسجها وصنعها.[131]

وهكذا هذه المجتمعات البديلة المدفوعة بفكرة الملكوت سيكون لديها توازن صحي بين "الوعظ المتين لاهوتيًا، والكرازة النشطة، والدفاعيات، ونمو الكنيسة"، وبين زراعة كنائس "تُسلّط الضوء على التوبة، والتجديد الشخصي، وقداسة الحياة"، وبين جاذبية "الانخراط في الكيانات المجتمعيّة للأناس العاديين، والانخراط الثقافي في الفن، والتجارة، والعلم، والحكومات"[132]. فإن نسيج مجتمعاتنا ودواخل قلوبنا ستظل تتعافى، وستتشكّل ثانية تحت حكم المسيح الملوكي، ذاك الذي هو رأس الخليقة بأكملها.

الفصل الثاني عشر

الكنيسة

شعب الله الجديد

تيم سافاج

هي جماعة البشر الأكثر استراتيجيّة على وجه الكوكب. فمن خلال الخدمات التي تقدمها، تنجو قطاعات شاسعة من البشريّة من الشر وتُنتشل من أعماق اليأس. ومن خلال صوت هذه الجماعة، يُنادَى بالحياة الجديدة لحضارات كاملة. فهي جماعة من البشر تنبض بمجد الله. فأي اجتماع بشري يمكنه أن يضمن وجود مثل هذه المميّزات؟ فقط جماعة واحدة تفي بهذه المؤهّلات: كنيسة يسوع المسيح.[133]

قليلون من المؤمنين لديهم دراية بخطورة طبيعة الكنيسة التي ينتمون إليها. فمنذ عدة سنوات، حين كنت أقل القس الإنجليزي جون ستوت للموضع الذي كان سيعظ فيه، سألته عن رأيه في أكثر عقيدة مُهمَلة بين المؤمنين في العصر الحديث. وإذ كنت أفترض أنه سيقول "عقيدة الله" (فإن منظورنا عن الله محدود للغاية)، أو ربما "عقيدة الخلاص" (فإن وسائل الخلاص تعتمد على ذوتنا بشكل زائد عن الحد)، أصابتني الدهشة حين سمعته يجيب دون تردد: "عقيدة الكنيسة". فقد كانت هذه العقيدة تبدو بالنسبة لي عقيدة فرعيّة بالنسبة للعقائد الهامة الأخرى عظيمة الشأن، وكنت أعتقد أنها بالتأكيد لا تستحق المنزلة الرفيعة التي منحها إياها هذا الرجل. لكن في السنوات التي تلت هذا، وبعد تأمّلي في التعليم الكتابي عن الكنيسة، صرت أرى الأمر بصورة مختلفة. فإن كنيسة يسوع المسيح هي محلُّ تنفيذ خطة الله للخليقة.

الكنيسة وبرنامج الله

وفقًا لما يقوله الكتاب المقدس، يقوم الله بتنفيذ وإجراء خطة ذات أبعاد كونيّة. فهو الآن يعمل على رد كل شيء وإخضاعه لمجده. وحين كتب الرسول بولس للمؤمنين في أفسس، أبدى ملاحظة مدهشة: أن الله "يجمع كل شيء — ما في السماء وما على الأرض — تحت رأس واحد وهو المسيح" (أفسس 1: 10).[134] ويوضح بولس بعد بضعة أعداد قليلة الموضع المحدّد لوقوع هذا "الجمع" الشامل، فإن الله قد جعل المسيح "رَأْسًا فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ **لِلْكَنِيسَةِ**" (أفسس 1: 22).

من اللافت للنظر أن الكنيسة تعد هي نقطة البداية في مشروع الإصلاح الطموح الذي يجريه الله. إنها القاعدة القاعدة الرئيسيّة لتنفيذ عمل الله في العالم، أي هي الموضع الذي يتم فيه جمع وجذب "كل شيء" معًا تحت إمرة المسيح. فإن أردنا أن نرى ما يعمله الله على هذا الكوكب — ومن قد يرغب في أن يفوته شيء بهذه الروعة؟ — فلابد لنا أن ننظر إلى الكنيسة. فهناك، وهناك فقط، نجد شعبًا مجتمعًا معًا وممتلئًا بكل ملء الله (أفسس 1: 23؛ 3: 19).

إن الرابطة بين المسيح والكنيسة هي رابطة تكاد تكون كاملة لا تنفصم. فالكنيسة هي جسد المسيح، والمسيح هو رأسها (كولوسي 1: 18). هذه الكنيسة تدوي بصدى قوة قيامة المسيح نفسه (أفسس 1: 19–20). وتجسّد محبته (أفسس 5: 2). وتظهر ملئه (كولوسي 2: 9–10). فهي "الإنسان الجديد" الذي يصل إلى قياس قامة ملء المسيح نفسه (أفسس 4: 13). ومع ذلك فإن الكنيسة أيضًا مميَّزة عن المسيح. فهي عروسه (أفسس 5: 25–27). تلك التي يقوتها ويربيها كجسده (أفسس 5: 29). وهي مستودع حكمة الآب (أفسس 3: 10). والموضع الذي فيه يأخذ الله كل المجد (أفسس 3: 21). وهي منارة النور الإلهي، وعربون المجد السماوي (أفسس 1: 18).

شعب الله كعشيرة

ربما تكون أفضل وسيلة لتصور الكنيسة — أي لتعليل كل من الرابطة العضويّة التي تربطها بالمسيح وأيضًا لتعليل تميّزها عنه — هو أن نتخيلها في صورة عشيرة متّصلة معًا برابطة عضويّة أو رابطة الدم. فإن أعضاء الكنيسة هم "أقارب تربطهم رابطة الدم". فهم لديهم الآب ذاته، الَّذِي مِنْهُ تُسَمَّى كُلُّ عَشِيرَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَعَلَى الأَرْضِ (أفسس 3: 14). ولهم الأخ البكر ذاته، وهو المسيح (عبرانيين 2: 17)، الذي بدمه المسفوك على الصليب قد صالحهم مع الآب السماوي (كولوسي 1: 20). كما أنهم يشتركون في علاقة أخوة مع إخوتهم الروحيّين، إخوة وأخوات في المسيح (كولوسي 1: 2)، الذين تصالحوا مع بعضهم البعض بنفس دم الصليب (أفسس 2: 13).

إن الكنيسة كعشيرة بوجه خاص تشكّل قاعدة عمل الله في الخليقة. لا ينبغي أن يدهشنا هذا، لأن الله لطالما عمل من خلال عشائر وقبائل. فمنذ البدء صاغ الله برنامجه على أساس العشيرة. وسيكون نافعًا لنا بشكل كبير، فيما نسعى لفهم دور الكنيسة الفريد والقوي، أن نغامر بالرجوع إلى التاريخ البدائي، وننظر إلى العشيرة الأولى، أي عشيرة آدم وحواء، ونلاحظ كيف أن اتّحادهما معًا هو صورة لما ستصير عليه لاحقًا كنيسة يسوع المسيح.

العشيرة الافتتاحيّة

لا تتوقف دراما اليوم السادس للخلق البتة عن إدهاشنا. ففي هذا الوقت صنع الله تحفته، الإنسان، وورَّثه جنة مذهلة ورائعة الجمال. وبدا أن المخلوق الجديد لا يعوزه شيء. فقد كان المستفيد من سخاء لا يُقدَّر بثمن أغدقته عليه يدا خالقٍ محب. ومع ذلك، ومما يثير الدهشة، كان هناك خلل ما. فإن شيئًا ما "لم يكن حسناً" أو جيّداً. فقد كان الإنسان الوحيد ينقصه "معين"، وشخص نظيره (تكوين 2: 18). فهو، إذ كان وحده، لم يكن سوى قطعة من أحجية مكونة من قطعتين، وكانت القطعة الأخرى مختفية عن المشهد. وهكذا، لم يكن محرومًا فحسب من تعزيات الرفقة، لكن الأهم من ذلك أنه كان عاجزًا عن اتمام الغرض المُعيّن له في الخليقة.

فقد خُلق الإنسان ليحمل صورة الله، وليظهر شبهَ صانعه (تكوين 1: 26). وهذه المهمة الضخمة لم يكن من الممكن أن تتحقق بالعزلة. وهكذا فحين كوَّن الله الإنسان، خلقه "ذكرًا وأنثى" (تكوين 1: 27). بكلمات أخرى، لقد صنع الله الإنسان في صورة عشيرة، خاضعة للعلاقات بين الأفراد، تلك العلاقات الموجودة بالطبيعة داخل كل عشيرة. هذا العنصر العلاقاتي للصورة الإلهيّة ليس بالأمر الذي يفاجئنا، نظرًا لحقيقة أن الله نفسه هو عشيرة في علاقات ثالوثيّة — بين الآب، والابن، والروح القدس. وهكذا، فإن إعلان الصورة الإلهيّة كان يتطلّب شخصين على الأقل. فإن الإنسان يحتاج إلى معونة لأجل إتمام دعوته السامية. فهو يحتاج إلى عشيرة.

وقد أوكلت العشيرة الأولى مهمة رفيعة المستوى. فلم يكد الله يستثمر صورته في آدم وحواء، حتى أصدر الإلزام والأمر الآتي: "أَثْمِرُوا وَاكْثُرُوا وَامْلأُوا الأَرْضَ، وَأَخْضِعُوهَا" (تكوين 1: 28). فإن ما يبدو لنا وكأنه وصفة للزيادة السكانيّة هو فعليًا وصفة للبركة البيئيّة. فإن الله بدعوته لتكاثر العشائر، ينوي أن يغرق الكوكب بوحدات علاقاتيّة تعلن صورته، حتى يتم إخضاع كل ركن وكل زاوية من الخليقة من خلال وجود صورة الله فيه. فتحت الحكم السيادي لإله كلي الحكمة، تعد العشيرة هي الوسيلة التي من خلالها ستعم صورة الله الثالوث أربعة أركان الأرض.

شعب الله، وصورة الله، والمسيح

لكن هذا يدفع بنا دفعًا إلى طرح هذا السؤال: أي جانب من الصورة الإلهيّة من المفترض للعشائر أن تنشره؟ أو علاوة على هذا، ما هي الطبيعة الحقيقيّة لصورة الله؟ عبر العصور السالفة قادت أسئلة مثل هذه إلى الكثير من التخمينات، إذ في السياق القريب لسفر التكوين (كما في االسياق الأبعد أيضًا للعهد القديم بأكمله)، لم يتم تسليط الكثير من الضوء على طبيعة صورة الله. ولهذا السبب، توصل الرابيّون الذين

كانوا يجتهدون فيما بين العهد القديم والعهد الجديد إلى أفكار من ابتكارهم، وعملوا للربط بين الصورة الإلهيّة ومجد الله. فأن تُظهر صورة الله هو في رأيهم أن تعكس مجده. وبما أن التفسير لم يكن موحى به من الله، فهو قد يبدو لنا اليوم ليس وثيق الصلة بنا، فيما عدا حقيقة أن واحدًا من أولئك الرابيّين، وهو فريسي اهتدى إلى المسيحيّة، كتب رسائل كرّر فيها مرة أخرى فكرة وجود رابطة بين صورة الله ومجد الله. وكانت تلك الرسائل، أي رسائل الرسول بولس، موحى بها! ففيها يكتشف بولس آفاقًا جديدة، ويحدد رابطة أكثر استراتيجيّة: أي صلة بين صورة الله ومجد يسوع المسيح.

وبحسب فكر بولس، فإننا نرى في المسيح بشكلٍ كاملٍ صورة ومجد الله (2 كورنثوس 4: 4؛ كولوسي 1: 15). فإن طبيعة الصورة الإلهيّة إذن لم تعد مسألة تخمين، إذ لا يلزمنا سوى النظر إلى المجد الإلهي في وجه يسوع المسيح (2 كورنثوس 4: 6). وتعد الفقرة التي تقدّم على الأرجح أدق تعريف لصورة الله في كتابات بولس هي ترنيمة فيلبي 2 الشهيرة. فإننا نقرأ هذا النص كالتالي في ترجمة موسّعة:

> الَّذِي [المسيح] إِذْ كَانَ فِي صُورَةِ اللهِ، لَمْ يَحْسِبْ خُلْسَةً أَنْ يَكُونَ مُعَادِلاً للهِ [في الترجمة الإنجليزية: لم يحسب مكانته الرفيعة فرصة لتعظيم ذاته بل بالأحرى دعوة لفعل النقيض تمامًا]. لكِنَّهُ أَخْلَى نَفْسَهُ، [ووضع نفسه] آخِذًا صُورَةَ عَبْدٍ، صَائِرًا فِي شِبْهِ النَّاسِ. وَإِذْ وُجِدَ فِي الْهَيْئَةِ كَإِنْسَانٍ، وَضَعَ نَفْسَهُ وَأَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتَ [في الترجمة: خضع للموت ميتة عبد] مَوْتَ الصَّلِيبِ [حتى تلك الميتة المُنفّرة بشكل لا يمكن تصوّره للصليب]! (فيلبي 2: 6–8)

من غنى المعادلة مع الله التي لا يُنطق بها إلى أفقر ميتة في العصور القديمة، ومن سمو بعيد عن الفحص إلى أعماق بعيدة عن التصور، من طرف قطب إلى الآخر، هذا هو قياس موت المسيح الإخلائي. فهو أروع تعبير تاريخي على الإطلاق عن المحبة الباذلة المُضحّية. وبحسب قول بولس، هو أيضًا أوضح إعلان عمّا يعنيه إعلان صورة الله. فإننا في يسوع نرى صورة وشبه الآب السماوي. وفي الصليب ننظر صورة الله، وبالتالي نرى الكيفيّة التي ينبغي بها أن تكون العشائر المخلوقة على صورته. فهو صورة لمحبة غير محدودة.

شعب الله، وصورة الله، والمحبة

تتفق هذه الصورة مع ما نعرفه عن الله في كل موضع آخر في الكتاب المقدس. يقول الرسول يوحنا: "اللهُ مَحَبَّةٌ" (1 يوحنا 4: 8، 16). وإن محبته لهي محبة لا مثيل لها على الأرض، تفوق تلك المحبة السطحيّة، والمشروطة، والعاطفيّة التي تسود بين أنصار هذا المصطلح في عصر ما بعد الحداثة. فالمحبة الإلهيّة هي محبة خارقة للطبيعة، وهي ذلك النوع من المحبة الذي وحده الرب ومن يحملون صورته قادرون على أن يقدّموها. فهي محبة "أعظم" (يوحنا 15: 13)، ومحبة على استعداد أن تضع نفسها (1 يوحنا 3:

16)، وأن تستوعب داخل كيانها حياة شخص آخر (لوقا 10: 25–37)، وأن تضحّي بكل شيء لافتداء حياة آخرين (مرقس 10: 45). علاوة على ذلك، هي بالتحديد تلك المحبة المتبادلة بين أعضاء الذات الإلهيّة. فإن الآب يحب الابن (يوحنا 17: 26)، والابن يحب الآب (يوحنا 15: 9)، والروح القدس يمجّد الآب والابن (يوحنا 14: 26).

قام العديد من الكُتّاب بتعريف هذه المحبة الموجَّهة نحو الآخر باعتبارها السمة المميزة للذات الإلهيّة. "فإن جوهر الله هو المحبة، الموجودة سرمديًا وبالضرورة بين أقانيم الذات الإلهيّة".[135] فإن الله "الثلاثي الأقانيم" يُظهِر "محبة غير محدودة في العلاقة".[136] فإن "المحبة الباذلة للنفس هي تلك العملة المتداولة في حياة الله الثالوثيّة".[137] وهكذا، فإن "صورة الله" هي صورة تعبّر عن ذاك الذي "محبته، حتى قبل خلق أي شيء على الإطلاق، هي محبة موجَّهة نحو الآخر".[138]

الشيء الأخّاذ على نحو أكبر في محبة الله، والذي هو بالتأكيد وثيق الصلة بفهمنا عن الكنيسة، هو أن الرب يريد أن نشترك معه في محبته، ليس فقط بأن يجعلنا موضوع تلك المحبة، بل أيضًا بتأهيلنا كي نشارك آخرين بتلك المحبة. فهو، بخلقه إيّانا على صورته، قد أهّلنا كي نقدّم نسخة طبق الأصل من محبة العلاقات المتبادلة بين عشيرة الثالوث، والمتبادلة بين أعضاء عشائرنا، المحبة التي يتردّد صداها داخل الذات الإلهيّة المقدّسة.

وحين نتمّم رسالتنا، وحين تنتشر هذه العشائر الموزِّعة للمحبة في جميع أنحاء الكرة الأرضيّة، فإننا حينئذ نُخضِع هذا الكوكب بنوع من الإدارة تسبّب الرخاء للعالم ولكل ما يحويه. فمن خلال الهجرات بعيدة المسافات للعشائر التي تعكس صورة الله الباذلة للنفس، فإن الخليقة تنفجر في ترنيمة من الشكر الجياش لخالقها.

شعب الله، وصورة الله، والخطية

لكن توجد مشكلة، فإن شعب الله لم يكونوا أمناء تجاه المأموريّة التي أُوكلوا إيّاها. فبدلاً من أن يُظهروا المحبة الباذلة، أظهروا الجشع. "فَرَأَتِ الْمَرْأَةُ ... الشَّجَرَةَ ... **فَأَخَذَتْ** مِنْ ثَمَرِهَا وَأَكَلَتْ، وَأَعْطَتْ رَجُلَهَا أَيْضًا" (تكوين 3: 6). وعلى نحو مأساوي، صارت خطية العشيرة الأولى هي حال كل عشيرة: "إِذِ الْجَمِيعُ أَخْطَأُوا وَأَعْوَزَهُمْ مَجْدُ اللهِ" (رومية 3: 23). فبدلاً من أن تنشر العشائر مجد صورة الله في جميع أنحاء الأرض، جدت في أثر مجدها الشخصي، وألحقت ظلمة مروعة بالكوكب. بل وإن كل علّة أرضيّة يمكن أن تُنسَب إلى هذا الخلل الآدمي الواحد. وكل تفكّك وانقسام في العلاقات — سواء كان سوء معاملة بين الأشخاص، أو نزاع عرقي، أو شقاق دولي — ينبع من الإخفاق في تجسيد مجد محبة الله.

لكن دراستنا لشعب الله كانت لتؤدي بنا إلى توقف باغت لولا حقيقة أن محبة الله للخطاة أقوى من إدانته للخطية. بالتأكيد يبغض الآب السماوي الخطية. فهي تمثّل إساءة شخصيّة له. وتُبخس من قدر مجده في العالم، وتطمس بهاء الرجال والنساء المخلوقين على صورته. فأي أب صالح لن يهتاج غضبًا من انحدار أبنائه؟ ومن يمكنه أن يلوم مثل هذا الأب، إن قام في غضبه، بالتخلّي عن نسله تاركًا إيّاهم لعواقب تمرّدهم — بل وتاركًا عشائره لسرطان تمركزهم حول ذواتهم؟

إنقاذ شعب الله

حقًا، مما يصيبنا بالذهول أن أبانا السماوي قد ابتكر خطة إنقاذ للبشريّة. إذ انتخب عشيرة واحدة من عدد وفير من العشائر، ملزمًا هذا الشعب المختار أن يسطع مرة ثانية ببهاء مجد صورته في العالم. أولاً، كانت عشيرة نوح، إذ حُفظت من الطوفان، هي التي دعيت لتكثر وتملأ الرض (تكوين 9: 1). لكن للأسف، سقط نوح وذريته في الخطية ذاتها التي حطّمت آدم وحواء.

وهكذا اختار الله عشيرة أخرى، وهذه المرة كان رأسها هو أبانا إبراهيم، وأوكل لنسله مهمة أن يكونوا شعبًا فيه "تَتَبَارَكُ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ" (تكوين 12: 3). لكن هذه العشيرة أيضًا سقطت في الخطية، مُبخسة من قدر مجد الله وصورته، مختزلة إيّاها إلى مجرد ومضة من القصد الأصلي منها. لكن الله مرة تلو الأخرى قام بتجديد شعبه، مقيمًا صورًا ونسخًا جديدة من أمة إسرائيل، داعيًا إيّاهم كي يكونوا أوفياء تجاه عهده وأن يظهروا صفاته في جميع أنحاء العالم. لكن مرارًا وتكرارًا — ولو مع وجود أمثلة ومواقف نادرة من النجاح — تخفق إسرائيل في أن تحيا بمقتضى دعوتها.

من الواضح أن عشيرة الله كانت عاجزة عن تتميم المهمة الإلهيّة. فهي بها خلل في لب جوهرها وكيانها. إذ هي في الأساس لا تمجّد الله. بل تسعى نحو مجدها الذاتي. وبسبب قساوتها الداخليّة، صارت إسرائيل على النقيض ممّا قصد الله لشعبه أن يكون عليه.

لكن إخفاق شعب الله المختار لم يأخذ الله على حين غرة، بل ولم يحبط خطته للخليقة. بل إلى حد كبير، كان الجزء الأكبر من الخطة لازال عتيدًا أن يأتي. ويقدم العهد القديم مفاتيح مثيرة عن الإعلان التام والمطلق. سيقطع الله "مَعَ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ عَهْدًا جَدِيدًا"، فيه يُباد خلل الخطية. "أَجْعَلُ شَرِيعَتِي فِي دَاخِلِهِمْ وَأَكْتُبُهَا عَلَى قُلُوبِهِمْ" (إرميا 31: 31–33). "وَأُعْطِيكُمْ قَلْبًا جَدِيدًا، وَأَجْعَلُ رُوحًا جَدِيدَةً فِي دَاخِلِكُمْ" (حزقيال 36: 26–27).

فإن الله بروحه كان سوف يجري عمليّة جراحيّة في القلب، غارسًا نزعة وقوة محركة جديدة داخل القلوب البشريّة، أي شريعة داخليّة عرَّفها الرسول بولس بأنها ناموس المحبة: "لأَنَّ كُلَّ النَّامُوسِ فِي كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ يُكْمَلُ: تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ" (غلاطية 5: 14). هذا الوعد مذهل. فمنذ زمن سحيق، كان قصد الله هو أن ينتخب عشيرة جديدة سيتنقّى قلبها من خلل الخطية، وتمتلئ بناموس المحبة، والذي هو قوّة محرّكة مكّنها لها روح الله نفسه الساكن فيها. فإن الخليقة تنتظر بتوق ولهفة بزوغ هذه العشيرة!

التنبّؤ عن شعب جديد

يتطلّع النبي إشعياء إلى هذه العشيرة المخلوقة ثانية. ويقوم بتعريف "إسرائيل" الجديدة بأنها عبد الرب، الذي (بكلمات تذكّرنا بسفر التكوين) سيكون "نُورًا لِلأُمَمِ لِتَكُونَ خَلاَصِي إِلَى أَقْصَى الأَرْضِ" (إشعياء 42: 6؛ 49: 6). لم يعلن إشعياء بالتحديد قط عن زمن مجيء هذه العشيرة، لكنه قد أمدّنا بالفعل بمفاتيح هامة. فإن ولدًا سيُولد (إشعياء 9: 6–7)، وهذا الولد سيصير عبدًا يقاسي آلامًا لا يُنطق بها (إشعياء 52: 13 – 53: 12).

عند هذه المرحلة، تزداد صعوبة حل لغز وغموض المفاتيح. فأحيانًا يتم ربط هذا العبد بعشيرة الله (إشعياء 41: 8)، وأحيانًا أخرى يُعرَّف على أنه شخص واحد (إشعياء 49: 6–7). أما الكيفيّة التي بها يمكن لهذا العبد (الذي من آلامه ستأتي على الأرجح بشريّة جديدة) أن يكون جماعة من البشر وأيضًا أن يكون شخصًا واحدًا، فهي قد تُركت لفكر وتأمل القارئ. لكن مع مرور القرون، يتضح كل شيء: ففي مدينة صغيرة، وفي مقاطعة منعزلة في الضفة الشرقيّة للبحر المتوسط، وُلد ولدٌ. في "مِلْءُ الزَّمَانِ، أَرْسَلَ اللهُ ابْنَهُ" (غلاطية 4: 4).

المسيح وشعب الله

هذا الابن — الذي دعي اسمه يسوع، والذي كانت دعوته هي أن يكون المسيّا، والذي لُقّب بالرب — كان من شأنه أن يتمّم الخطّة الأزليّة التي تنبّأ بها إشعياء. ويتهلّل الرسول بولس بأن يقدم تعريفًا لهذه الخطة: "السِّرِّ الْمَكْتُومِ مُنْذُ الدُّهُورِ... لكِنَّهُ الآنَ قَدْ أُظْهِرَ... الَّذِي هُوَ الْمَسِيحُ فِيكُمْ رَجَاءُ الْمَجْدِ" (كولوسي 1: 26–27). هنا وأخيرًا نعاين وصول سكنى حضور الله، الذي أشار إليه الأنبياء، أي مجد صورة الله المنقوش على قلوب البشر، وإحلال الخطيّة بناموس المحبة الداخلي. فإن المسيح، الذي مثَّل موته الإخلائي على الصليب التعبير الكامل والمثالي عن المحبة الإلهيّة، يأتي الآن ليمكث فينا. فإن محبة الله الخارقة للطبيعة يمكنها، بسبب سكنى حضور المسيح، أن تتكمل في قلوبنا (1 يوحنا 4: 12).

جسد المسيح: شخصي وجماعي

بسبب تركيزنا على طبيعة الكنيسة ودورها، من الضروري أن نقر بأن محبة المسيح الساكنة فينا تنسكب في جماعة متعدّدة من القلوب البشريّة. فحين كان الرسول بولس ينقش هذه الكلمات القاطعة في المخطوطة: "الْمَسِيحُ فِيكُمْ رَجَاءُ الْمَجْدِ"، كان يشير (باستخدامه لضمير الجمع "فيكم") إلى أنها بركة تُمنَح لجماعة من البشر.

هذا لا يفترض أن المسيح لا يسكن في القلوب على نحو فردي. بل هو بكل تأكيد يفعل هذا، لكن ليس في قلوب منعزلة عن قلوب أخرى. ففي النهاية، يأتي المسيح ليسكن في عشيرة من القلوب (2 كورنثوس 4: 6). وأين يمكننا أن نجد على الإطلاق مثل هذه العشيرة الممتلئة بالمحبة؟ إن كلمة الله توضح هذا جيدًا، أننا نجد هذا في الجسد الذي رأسه يسوع المسيح، أي في الكنيسة التي تحمل اسمه.

وأخيرًا وصلنا إلى مرحلة يمكننا فيها فهم العَجَب الكامل لهذه الجماعة المقدسة. لكن قبل أن نستخلص العديد من التطبيقات، من الهام أن نضع في اعتبارنا نقطة حيويّة: بينما يتم منح العضويّة في الكنيسة مجانًا ودون مقابل، إلا أنها ليست إنجازًا يحدث تلقائيًا. بل هو شيء تم الحصول عليه بثمن باهظ. فإننا بالطبيعة ممتلئون بالخطية، وغير مؤهّلين تمامًا لسكنى حضور الرب. لكن على الصليب، وفي فعل بذل للذات يفوق بمراحل أي شيء حدث قبلاً على الإطلاق في التاريخ، أبطل المسيح دين خطايانا، ووضع بره في حسابنا [المترجم: حسب لنا بره] (كولوسي 2: 13–14؛ 2 كورنثوس 5: 21).

ليس هذا فحسب، لكنه أيضًا قطع رباطات الخطايا بأن صار أول إنسان على الإطلاق يمضي حياته كاملة دون أن يلهث وراء مجده الذاتي، إلى حد خضوعه طوعًا لعار الموت على صليب (1 يوحنا 3: 5). ومن خلال دحره التام للخطية على هذين الصعيدين — أي تسديده لثمن عقوبة الخطية وكسح سلطانها — يؤهّلنا المسيح للعضويّة في جماعته المقدسة. فقد كان دخولنا إلى جسد المسيح أمرًا مُكلّفًا بالنسبة له، ولا يقدر بثمن بالنسبة لنا.

في كثير جدًا من الأحيان، نفكر في الصليب فقط من حيث تطبيقه على الأفراد. فبسبب إنجيل يسوع المسيح، يمكن للبشر أفرادًا أن يخلصوا من غضب الله، ويُكفل لهم موضع في أبديّة سماويّة. وفي حين لا ينبغي الحط من قدر هذه الحقائق بأيّة صورة من الصور، بل بالأحرى تقديرها في حمد من كل الكيان، لكن أن نحصر ثمار عمل المسيح في خلاص قلوب فرديّة، هو بمثابة قراءتنا للكتاب المقدس عبر العدسة الفرديّة التي يتميّز بها عصرنا. فإن كل من تصالح فرديًا في جسم بشريّة المسيح يتم غرسه وتثبيته في جسد المسيح المشترَك والجماعي. "لأَنَّنَا جَمِيعَنَا بِرُوحٍ وَاحِدٍ أَيْضًا اعْتَمَدْنَا إِلَى جَسَدٍ وَاحِدٍ" (1

كورنثوس 12: 13). وإنه لداخل هذا الجسد المشترَك والجماعي، أي داخل شعب الله الذي تكوّن حديثًا في المسيح وبالمسيح، يتم، فوق الكل، تعريف الأبعاد الأكبر لخطط الله للخليقة، تعريفًا أخّاذًا.

جسد المسيح: محلي وكوني

إن كنيسة يسوع المسيح هي جسد ضخم للغاية، لا يقل عن كونه جماعة من المؤمنين بالمسيح في جميع أنحاء العالم. بكلمات أخرى، هي كنيسة كونيّة. ولكن — وهنا لدينا تفرقة محوريّة وهامة — هذه الكنيسة الكونيّة لا تختبر القوة إلا حين تكون مظاهرها المحليّة نامية ومزدهرة. فإن دراما خطة الله للخليقة تتضح وتتبلور على نحو خاص على صعيد الاجتماع المحلي. ولهذا السبب يصلي الرسول بولس بصورة خاصة لأجل الكنائس المحليّة في غلاطية وأفسس، ويزور الكنائس المحليّة في كورنثوس وفيلبي، ويكتب للكنائس المحليّة في رومية وتسالونيكي — رسائل كثيرًا نفسرها على الصعيد الفردي في خصوصية قراءاتنا اليوميّة للكتاب المقدس، إلا أن محتواها كان موجهًا في المقام الأول لبناء مجتمعات كاملة من البشر، يطلق عليها الكنائس المحليّة.

وهناك سمة معينة تميّز البُعد الجماعي والمشترك لخطة الله. فإن العالم ذاته ليس سوى تشكيلة من العلاقات الإنسانيّة، غالبيّتها مُحطّمة، ومُمزّقة من جرّاء الشقاقات والنزاعات، خربة تمامًا من جرّاء اللهث الذاتي وراء الخطيّة. فإن غياب الوحدة يسود على جميع الأصعدة، بدءًا من الوحدات العلاقاتيّة الضيقة النطاق كالزيجات (حيث أن ما يقرب من نصف جميع الزيجات في أمريكا الشماليّة تنتهي بالطلاق) إلى الوحدات واسعة النطاق كالدول (حيث أن ما يقرب من أربعين حربًا في الوقت الحالي يتم شنّها على الصعيد الدولي) إلى كل شيء يقع بينهما (حيث تقطع خيوط النزاع قطعًا غائرًا بين الأجناس، والأعراق، والأحزاب السياسيّة، والأجيال، والميول الجنسيّة، وقائمة من العلاقات الأخرى الكثيرة جدًا). فإن الكسور والانقسامات داخل الوحدات العلاقاتيّة هي الظلمة الأكثر إحداقًا بعالمنا.

الوحدة في الكنيسة

إلا أن الكنيسة المحليّة لديها المؤهّلات على نحو مميز واستثنائي لتبديد هكذا الظلمة. فإن وحدة مدهشة ومذهلة تسود داخل عشيرة الله. وقد تم إصلاح العلاقات التي انكسرت قبلاً على نحو خارق للطبيعة. حتى اليهود والأمم، هذان العرقان اللذان اشتهرا بالعداء المتبادل، قد اجتمعا معًا إلى جسد واحد. وكيف هذا؟ لقد صاروا "قَرِيبِينَ بِدَمِ الْمَسِيحِ" (أفسس 2: 13). وقد تصالحوا "فِي جَسَدٍ وَاحِدٍ مَعَ اللهِ بِالصَّلِيبِ، قَاتِلاً الْعَدَاوَةَ بِهِ" (أفسس 2: 16). فقد سدّد المسيح ضربة قاضية إلى الخطية المسبّبة للانقسمات، وإلى الأوبئة

الاجتماعيّة من أنانية وكبرياء، وهكذا حطّم حوائط الانقسام، وجمع في إنسان واحد بيتًا جديدًا وعائلة جديدة فيها "كُلُّ الْبِنَاءِ مُرَكَّبًا مَعًا، يَنْمُو هَيْكَلاً مُقَدَّسًا فِي الرَّبِّ... مَسْكَنًا للهِ فِي الرُّوحِ" (أفسس 2: 15، 19-22).

فإن الله، بواسطة المسيح، يجعل موضع سكناه وراحته في هذه العشيرة المكوّنة حديثًا. هذا أمر حسن، إذ بهذه المحبة المُخلية للذات، التي تسكن القلوب الجماعيّة لهذا الإنسان المقدس، رابطًة بين أعضائه معًا بثبات وقوة أكثر فأكثر، تصير هذه العشيرة المتّحدة حديثًا هي منارة الرجاء للعشائر المُحطّمة والمُفكَّكة في العالم. فمن خلال الكنائس المحليّة، فيما تكثر وتملأ الأرض، يصير مجد المسيح المُوحِّد مرئيًا أمام عيون العلاقات المُمزّقة في الكوكب.

المواهب الروحيّة

من الهام أن نقدر قيمة الكيفيّة المحدّدة التي تعمل بها محبة الله على نحو عملي. فمن الجدير بالملاحظة أن كل فرد وُلد ثانية في المسيح يُقبِل إلى الكنيسة المحليّة ومعه ميراث خارق للطبيعة تركه له إله رحيم، وهي موهبة من الروح القدس، أي موهبة خاصة وفريدة. قد تكون هذه الموهبة هي موهبة الخدمة، أو التعليم، أو الإيمان، أو التدبير، أو أيّة مواهب أخرى (للاطلاع على القوائم انظر رومية 12: 6-8؛ 1 كورنثوس 12: 7-10).

ولا ينبغي قط الاستهانة بأيّة موهبة، فإن كل واحدة تمثل هبة ضخمة وعظيمة، تم منحها وتخصيصها "حَسَبَ قِيَاسِ هِبَةِ الْمَسِيحِ" (أفسس 4: 7)، وكل واحدة منها فعّالة بصورة ديناميكيّة، "يَعْمَلُهَا الرُّوحُ الْوَاحِدُ بِعَيْنِهِ" (1 كورنثوس 12: 11). فإن الله يُوزّع المواهب بين شعبه استراتيجيًا ، كافلاً أن يتم إمداد الكنائس المحليّة بالموارد اللازمة كي تزدهر لمجده؛ فهو يرتّب "الأَعْضَاءَ، كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهَا فِي الْجَسَدِ، كَمَا أَرَادَ" (1 كورنثوس 12: 18).

وها هو أهم شيء ينبغي أن نفهمه عن المواهب الروحيّة: أنها مُعطاة بالروح القدس كي تُعطى، وكي تفيض على أعضاء الجسد الآخرين ليحصل نمو الجسد، "لِبُنْيَانِ جَسَدِ الْمَسِيحِ" (أفسس 4: 12). فحين يفيض كل عضو من الكنيسة المحليّة بموهبته، وحين يستثمر كل فرد في الآخرين روحيًا، تكون النتيجة مذهلة بكل المقاييس: يرتبط أعضاء الكنيسة معًا في وحدة مجيدة. "كُلُّ الْجَسَدِ مُرَكَّبًا مَعًا، وَمُقْتَرِنًا بِمُؤَازَرَةِ كُلِّ مَفْصِلٍ، حَسَبَ عَمَلٍ، عَلَى قِيَاسِ كُلِّ جُزْءٍ، يُحَصِّلُ نُمُوَّ الْجَسَدِ لِبُنْيَانِهِ فِي الْمَحَبَّةِ" (أفسس 4: 16). حقًا!

حين يجود البشر بمواهبهم بسخاء على أعضاء الجسد الآخرين، فهم يحتذبون آخرين معهم إلى قوام يكاد يكون كاملاً خاليًا من الشوائب ولا ينفصم. فهم إذ يفيضون للخارج، يجتذبون آخرين للداخل. وقد

تبدو قوانين الفيزياء في هذا وكأنها قد انتُهكت (إذ من قد سمع قبلاً عن دفعة للخارج تخلق وحدة كاملة لا تنفصم؟)، ومع ذلك فهذا منطقي تمامًا. فحين ينهمك كل عضو في الجسد في أن يفيض بالخدمة على الآخرين، فإن وحدة جميع الأعضاء تزداد كثيرًا حتى أنهم فعليًا يبدأون في مشابهة المسيح نفسه.

بل وإن ما يتم تبادله بينهم هي بالتحديد محبة المسيح الساكنة فيهم. وإذ تتميّز الكنيسة المحليّة بتنوع ووفرة التعبيرات عن محبة المسيح هذه كما ظهرت في الصليب، فإنها تصل إلى "قِيَاسِ قَامَةِ مِلْءِ الْمَسِيحِ" (أفسس 4: 13) و"[تنمو] فِي كُلِّ شَيْءٍ إِلَى ذَاكَ الَّذِي هُوَ الرَّأْسُ: الْمَسِيحُ" (أفسس 4: 15). فأن تنظر إلى هذه الجماعة من البشر هو بمثابة أن تنظر — بالحقيقة — إلى الرب يسوع نفسه.

قوة الكنيسة

إن قوة هذا المشهد لا ينبغي الاستخفاف بها على الإطلاق. فهو يشبه الانصهار النووي. فإن الذرّات تعد من بين أدق وأصغر عجائب الطبيعة التي لا يمكن ملاحظتها أو رؤيتها، لكن حين تنصهر ذرتان من هذه الكيانات شديدة الصغر، ينتج عن هذا تفاعل شديد القوة والضخامة. وحين تنصهر العديد من هذه الذرات المنصهرة بدورها مع ذرات أخرى، يتولّد شيء أعظم بكثير: انفجار ذات طاقة حراريّة نوويّة قادرة على إنارة مدن كاملة.

كيف يمكن لمثل هذه الذرّة الدقيقة والتي تبدو عديمة الأهميّة أن تُنتِج مثل هذه المظاهر للقوة اللافتة للنظر؟ في أيام شبابي، كنت أتأمّل في هذا السؤال عينه حين كنت أركب الأمواج في البحر على مبعدة من محطة الطاقة النوويّة (المفاعل النووي) بمدينة سان أونوفري بولاية كاليفورنيا. وبينما كنت أنتظر قدوم الموجة الجيدة، كنت أتفرّس في قبته الضخمة، وأتعجّب من الآلاف من أبراج المرافق المرتّبة مثل جيش مصطف جيدًا، وهي على استعداد لنقل كميات ضخمة من الطاقة الصادرة من جزيئات صغيرة للغاية حتى أنها لا تُرى بالعين المجرّدة. كان هذا مشهدًا أخّاذًا ومذهلاً.

ومع ذلك، فإن طاقة الانصهار النووي تعد تافهة إذا ما قُورنت بالقوة التي تسري بداخل الكنيسة المحليّة. فحين يفيض أعضاء الكنيسة المحليّة بمحبة المسيح داخل بعضهم البعض، تقع سلسلة من "الانفجارات" الشديدة، ويحدث تفاعل تلو الآخر، مولدًا طاقة تكفي ليس لإمداد مدن كاملة بالكهرباء للإنارة، ولتشغيل أفران الميكروويف، بل الأهم، أنها تجلب النور الروحي إلى عالم يحتضر في ظلمته. فأمام أعين مواطني العالم رثي الحال، الغارقين في وحل الشقاقات والانقسامات، تعد محبة الكنيسة المحليّة هي أكثر صورة منعشة ومجددة على الإطلاق. فهي ستجعل الكثيرين يرفعون أصوات التمجيد إكرامًا لمصدر هذه المحبة (متى 5: 16).

المحبة والكنيسة

ولهذا السبب، يظل حث الرسول بولس للكنائس المحليّة هو هو دون أي تغيير: "الْبَسُوا الْمَحَبَّةَ الَّتِي هِيَ رِبَاطُ الْكَمَالِ" (كولوسي 3: 14)؛ "لاَ تَكُونُوا مَدْيُونِينَ لأَحَدٍ بِشَيْءٍ إِلاَّ بِأَنْ يُحِبَّ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، لأَنَّ مَنْ أَحَبَّ غَيْرَهُ فَقَدْ أَكْمَلَ النَّامُوسَ" (رومية 13: 8)؛ "أَمَّا الآنَ فَيَثْبُتُ: الإِيمَانُ وَالرَّجَاءُ وَالْمَحَبَّةُ، هذِهِ الثَّلاَثَةُ وَلكِنَّ أَعْظَمَهُنَّ الْمَحَبَّةُ" (1 كورنثوس 13: 13)؛ "بِالْمَحَبَّةِ اخْدِمُوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا. لأَنَّ كُلَّ النَّامُوسِ فِي كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ يُكْمَلُ: «تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ»." (غلاطية 5: 13–14)؛ "وَالرَّبُّ يُنْمِيكُمْ وَيَزِيدُكُمْ فِي الْمَحَبَّةِ بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ وَلِلْجَمِيعِ" (1 تسالونيكي 3: 12).

والدعوة ذاتها يقدمها الرسول يوحنا: "لأَنَّ هذَا هُوَ الْخَبَرُ الَّذِي سَمِعْتُمُوهُ مِنَ الْبَدْءِ: أَنْ يُحِبَّ بَعْضُنَا بَعْضًا" (1 يوحنا 3: 12)؛ "أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ، لِنُحِبَّ بَعْضُنَا بَعْضًا، لأَنَّ الْمَحَبَّةَ هِيَ مِنَ اللهِ" (1 يوحنا 4: 7). وهكذا أيضًا الرسول بطرس: "وَلكِنْ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، لِتَكُنْ مَحَبَّتُكُمْ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ شَدِيدَةً" (1 بطرس 4: 8). وهذه النصائح دون شك مصدرها كلمات يسوع نفسه: "بِهذَا يَعْرِفُ الْجَمِيعُ أَنَّكُمْ تَلاَمِيذِي: إِنْ كَانَ لَكُمْ حُبٌّ بَعْضًا لِبَعْضٍ" (يوحنا 13: 35). فإن المحبة هي الشرط الأساسي الذي يميز عشيرة الله.

وتوجد أمثلة على كيفيّة تطبيق هذه المحبة في المجال العملي في كل موضع في الرسائل الرسوليّة: "اِحْمِلُوا بَعْضُكُمْ أَثْقَالَ بَعْضٍ، وَهكَذَا تَمِّمُوا نَامُوسَ الْمَسِيحِ" (غلاطية 6: 2)؛ "[انظروا كل واحد] إِلَى مَا هُوَ لآخَرِينَ أَيْضًا. فَلْيَكُنْ فِيكُمْ هذَا الْفِكْرُ الَّذِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ" (فيلبي 2: 4–5)؛ "اتَّبِعُوا الْخَيْرَ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ وَلِلْجَمِيعِ" (1 تسالونيكي 5: 15)؛ "وَكُونُوا لُطَفَاءَ بَعْضُكُمْ نَحْوَ بَعْضٍ، شَفُوقِينَ مُتَسَامِحِينَ" (أفسس 4: 32)؛ "فَرَحًا مَعَ الْفَرِحِينَ وَبُكَاءً مَعَ الْبَاكِينَ. مُهْتَمِّينَ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ اهْتِمَامًا وَاحِدًا" (رومية 12: 15–16). ويمكننا أن نكثر من الأمثلة على نحو غير محدود بما أنه لا حدود للطرق التي بها يمكن للكنيسة المحليّة أن تظهر شيئًا غير محدود كمحبة المسيح. فهي محبة فائقة المعرفة (أفسس 3: 19).

لا توجد كلمات بشريّة يمكن أن تنجح في وصف الأهميّة الاستراتيجيّة لهذه المحبة. فإن الكنيسة المحليّة ومحبتها يمثلان الترياق اليقيني الوحيد المضاد لعالم ما بعد الحداثة، المتمرّغ في وحل الخطية واليأس. فإن الناس يحاولون اليوم التقدّم إلى الأمام والحفاظ على حياة ذات معنى، لكنهم بالأحرى يغرقون تمامًا في رمال متحرّكة من عدم اليقين والارتباك. وإذ يبحثون عن صداقات، يلعقون جراح نفوسهم. وإذ يلهثون وراء الرفقة، يغرقون في وحل الوحدة. وإذ يسعون وراء اليقين، يُمزّقهم الشك. وإذ يصبون نحو الأمان، يُحطّمهم القلق.

فإن البشر منهَكون تمامًا، منعزلون في ظلام عدم الرضا، ومع ذلك فهم يتقدمون بتثاقل إلى الأمام سعيًا وراء السلوان في أي شيء قد يلهيهم عن حياتهم الفارغة — سواء كان نظرهم في شاشة ما، أو زجاجة خمر، أو علاقة جنسيّة عابرة. وحين تخفق تلك أيضًا في هذا، فإن اليأس يلوح في الأفق، ويبدأون في التمني — بل وفي الصلاة — لعل صرخة ما تخرج من شخص ما في الأنحاء البعيدة يمكنها أن تلفت انتباههم إلى شيء جميل، شيء حقيقي وجوهري، وشيء متسامي — أي شيء ربما يزيل اليأس ويشعل الرجاء.

وبالفعل هناك شيء ما ينادي بهذا الخلاص عينه. وهو شيء برّاق للغاية حتى أنه فعليًا يحوّل ويغيّر كل ما يحيط به. هذا الشيء هو جسد المسيح. فأن نرى لمحة عن الكنيسة المحليّة — أي الكنيسة المحليّة العاملة، التي يتفاعل أعضاؤها في محبة مع بعضهم البعض، ويفيضون بمواهبهم التي أعطاهم الله إيّاها في حياة بعضهم البعض، مُعلنين في بذلهم لأنفسهم الذي لا يكل ولا يلين محبة يسوع المسيح نفسه كما ظهرت في الصليب — هو بمثابة أن نشهد نورًا ينبعث بمضاعفات تفوق ما يمكن للعقول اللا دينيّة استيعابه. وأن نرى ما يفتقر إليه المجتمع، محبة دونها تذبل النفوس وتموت، محبة يلهث وراءها جميع البشر (سواء علموا بهذا أم لا) في لهفة وولهه. وهذه هي المحبة الموجودة حصريًا في الكنيسة المحليّة.

الكنيسة غير المساومة

هذا يأتي بنا إلى سؤال حيوي للغاية. هل ستتمم الكنيسة المحليّة الغرض المعيَّن لها وتسطع كنور برّاق ضد الظلمة؟ أيضًا، هل ستتكبّد العناء للحفاظ على مكانتها كمستودع المحبة الثالوثيّة؟ فليس من المفاجئ أن يتوسّل بولس إلى الإخوة والأخوات في المسيح أن يغذّوا محبتهم ويحافظوا على الوحدة مهما كلفهم الأمر:

> فَإِنْ كَانَ وَعْظٌ مَا فِي الْمَسِيحِ. إِنْ كَانَتْ تَسْلِيَةٌ مَا لِلْمَحَبَّةِ. إِنْ كَانَتْ شَرِكَةٌ مَا فِي الرُّوحِ. إِنْ كَانَتْ أَحْشَاءٌ وَرَأْفَةٌ، فَتَمِّمُوا فَرَحِي حَتَّى تَفْتَكِرُوا فِكْرًا وَاحِدًا وَلَكُمْ مَحَبَّةٌ وَاحِدَةٌ بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ، مُفْتَكِرِينَ شَيْئًا وَاحِدًا، لاَ شَيْئًا بِتَحَزُّبٍ أَوْ بِعُجْبٍ، بَلْ بِتَوَاضُعٍ، حَاسِبِينَ بَعْضُكُمُ الْبَعْضَ أَفْضَلَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ. لاَ تَنْظُرُوا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى مَا هُوَ لِنَفْسِهِ، بَلْ كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى مَا هُوَ لآخَرِينَ أَيْضًا. فَلْيَكُنْ فِيكُمْ هذَا الْفِكْرُ الَّذِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ أَيْضًا.
> (فيلبي 2: 1–5)

هناك أمور كثيرة جدًا تعول على وحدة الكنيسة المحليّة. ولذلك لابد من الحفاظ عليها بأقصى يقظة وحرص ممكن.

ويمكننا أن نكون ممتنين للغاية من أن الكنيسة المحليّة ليست متروكة لنفسها لتقوم بهذه المحاولات الشاقة. بل إن الرب نفسه يعد مرشدًا جديرًا بالثقة في شأن التقديس الكنسي. فهو في سيادته يلقي بشعبه داخل خبرات ألم غير متوقعة، ومن خلال الألم يطهّرهم من الكبرياء الذي يحرض بسهولة شديدة على كسر الوحدة. بكلمات أخرى، يُولِّد الاتضاع (الذي بدونه لا يمكن أن توجد محبة حقيقيّة) بأن يقحم البلايا بطرق عدة مثل تلك التي اجتاز فيها المسيح نفسه.

فهو يطلب من شعبه أن "[يحملوا] فِي الْجَسَدِ كُلَّ حِينٍ إِمَاتَةَ الرَّبِّ يَسُوعَ" (2 كورنثوس 4: 10)، وأن "[يكملوا] نَقَائِصَ شَدَائِدِ الْمَسِيحِ" (كولوسي 1: 24). فمن خلال أن يزداد الأعضاء في "[تشبههم بالمسيح] في موته" (فيلبي 3: 10)، ومن خلال مثابرتهم وثباتهم عبر النوع ذاته من الإقصاء والرفض الذي قاساه الرب نفسه (2 كورنثوس 13: 4) — والذي هو نتيجة ليست غير متوقعة لتقديم محبة مناقضة بشدة لأنانية العالم إلى درجة أنها تشكّل تهديدًا أدبيًا للعالم وطرقه — يصير الأعضاء على استعداد أن "[يظهروا] حَيَاةُ يَسُوعَ أَيْضًا فِي جَسَدِهِم" (2 كورنثوس 4: 10). ويصيروا على استعداد أن يكونوا قنوات لنقل حياة القيامة للكثير والكثير من البشر، لكي "بِالأَكْثَرِينَ، تَزِيدُ الشُّكْرَ لِمَجْدِ اللهِ" (2 كورنثوس 4: 15). فإن الألم، حين يكون مصدره هو يد إله صاحب سيادة، يعمل على نحو عكسي لتوليد المحبة، وللتشجيع على شهادة برّاقة في العالم (1 بطرس 1: 6–7).

الكنيسة والوصول للعالم

في حين لابد للكنيسة المحليّة أن تحافظ على الوحدة بداخلها، لكنها لابد أيضًا أن تظهر هذه الوحدة خارجها. بكلمات أخرى، ينبغي على شعب الله الجديد أن يتجنب الانعزاليّة والتقوقع. فإن جزءًا لا يتجزأ من خطة الله الكونيّة هو أن يستخدم عشيرته لإعلان مجده في العلن أمام الأعين اللا دينيّة. "فَأُقَدِّسُ اسْمِي الْعَظِيمَ الْمُتَنَجَّسَ فِي الأُمَمِ... يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ، حِينَ أَتَقَدَّسُ فِيكُمْ" (حزقيال 36: 23). لكن حتى الكنائس نفسها التي تؤيّد هذه الدعوة بأن تسطع بالنور إلى الخارج يمكنها أن تتعثّر في شهادتها. إذ يمكنها أن تسعى نحو إبهار من هم خارجها، واجتذابهم إلى الداخل، لكن على أسس عالميّة دُنيويّة، معدِّلة من أساليب العبادة، وآداب الملبس، بل ومحتوى العظات كي ترضي الذوق العالمي.

هذا التوجه معيب في أساسه. فحين تسعى الكنائس المحليّة لمنح الناس ما يرغبون فيه، تصير على خلاف مع إنجيل المسيح. وعند مرحلة ما، ستضطر هذه الكنائس إلى أن تقول الصدق، وأن ترجع إلى المسار الصحيح، وتصدم مستمعيها وتزعجهم بإعلانها أن الأتباع الحقيقيّين للمسيح يموتون فعليًا عن رغباتهم وحاجاتهم — فهم ينكرون أنفسهم، ويحملون الصليب، ويتبعون يسوع (مرقس 8: 34–35). إلا

أن قدرة العديد من الكنائس على أن تحمل نفسها على الرجوع عن أقوالها التي استخدمتها لخداع الناس في المقام الأول هو أمر مشكوك فيه.

إنجيل المسيح هزيمة للعالم

لابد أن تتذكّر الكنيسة المحليّة أنها أكثر نفعًا للعالم حين تكون شديدة الاختلاف عن هذا العالم. ليس عليها أن تحاول أن تبدو مختلفة. بل كل ما يلزمها هو أن تكون على طبيعتها — أي منارة ساطعة تظهر محبة المسيح الخالية من الأنانيّة. ومن خلال أن تكون على طبيعتها، فهي فعليًا بهذا تحب العالم. أي شيء، في عصر تائه في خرافات الذاتيّة، قد يكون أكثر محبة من أن نكرز بحق كلمة الله وبإنجيل يسوع المسيح الواضح بدون تنميق؟ أي شيء، في عالم غارق في وحل اليأس ومثقّل بأغنيات حزينة، قد يكون أكثر محبة من أن ننطلق في فرح العبادة الحقيقي دون أي عائق، وفي ترنيمات تمجّد المسيح وترفعه؟ أي شيء، في زمن يتلمس فيه الناس دون جدوى حبًا يغذي نفوسهم، قد يكون أكثر محبة من أن نغمر الوافدين الجدد برأفة تشبه تلك التي ظهرت في صليب المسيح؟ فإن الكنيسة المحليّة تحب العالم على أكمل وجه حين تجسّد بأكثر وضوحًا ما لا يملكه العالم.

وقد تحدى مارتن لويد جونز، وهو كارز عظيم في القرن الماضي، كنيسة هذه الأيام حين قال:

> يبدو أننا لدينا رعب حقيقي من أن نكون مختلفين. ولهذا فإن جميع محاولاتنا ومساعينا موجَّهة نحو زيادة شعبيّة الكنيسة وجعلها جذابة للناس... [لكن] العالم ينتظر من المؤمن أن يكون مختلفًا وينظر إليه باحثًا عن شيء مختلف، وفي هذا يبدي العالم بصيرة من جهة الحياة يفتقر لها عادة مرتادو الكنائس... فإن شعر [شخص ما] بالراحة والترحاب في أية كنيسة دون أن يؤمن بالمسيح كمخلص شخصي، فإن هذه الكنيسة إذن ليست كنيسة على الإطلاق، بل هي مكان تسليّة أو نادي اجتماعي.[139]

على الكنيسة المحليّة أن تنهض، وتكون الكنيسة المحليّة، أي جماعة من البشر مكرّسين للكرازة بإنجيل يسوع المسيح كما هو دون تخفيف أو غش. بل، لابد أن يشكّل الإنجيل مركز هويّة الكنيسة وما تفعله. وكان هذا بالنسبة لبولس يعني شيئين: الكرازة بالمسيح يسوع ربًا، وبأنفسنا عبيدًا من أجل يسوع (2 كورنثوس 4: 5). كلا الأمرين لم يكن من شأنهما أن يجتذبا العالم اليوناني الروماني الباحث عن الذات في العصور القديمة، كما أنهما لم يكن من شأنهما أن يربحا الكثير من التأييد باعتبارهما استراتيجيّة لجذب الضالين. ومع ذلك لم يتوان بولس. ولم تضعف كرازته أو تهتز.

ومن المثير للاهتمام، أن بولس هنا فقط يستخدم فعل الكرازة مع أكثر من مفعول به، الأول يشير إلى المحتوى الشفهي (المسيح يسوع ربًا) والآخر يشير إلى سلوك (أنفسنا عبيدًا). فإن ما كان محوريًا

ومركزيًا في كرازة بولس بالإيمان المسيحي (*kerygma*) هو المناداة بيسوع ربًا، وبنفسه، بولس، عبدًا. وحين نتبع مثال بولس ونكرز على هذا النحو، وحين (كنتيجة لهذا) تصير الكنائس المحليّة عبدة في عالمها كما كان بولس في عالمه — بل وبالأحرى كما كان يسوع في عالمه (مرقس 10: 35–45) — حينئذ تكون كرازتنا في كامل بريقها، ليس هذا فحسب، بل أيضًا تُقبَل بامتنان أكثر.

الإتيان بالعالم إلى المسيح

إن أيّة كنيسة محليّة تخدم في عالمها كما خدم المسيح في عالمه تظهر قوة دافعة من شقين: فهي تسعى نحو الإتيان بالعالم إلى المسيح، وتسعى للإتيان بالمسيح إلى العالم. وأحد أفضل الطرق للإتيان بالعالم إلى المسيح هو دعوة العالم إلى حضور تجمّعات الكنيسة المحليّة. وقد علّق الواعظ تشارلز سبرجن على هذا قائلاً: "لقد سررت للغاية حين لاحظت الجهود المخلصة التي بذلها الكثير من أعضاء كنيستي في السعي للإتيان بالخطاة إلى الكنيسة للاستماع إلى رسالة الإنجيل".[140] ويقر الجميع بأن هذه ليست فكرة متعارَف عليها بين واضعي الاستراتيجيّات العصريين في الكنيسة، الذين يتجادلون في أننا لابد في المقابل أن نتقابل مع العالم على أرضه — أثناء شرب القهوة أثناء فترات الراحة من العمل، وبعد قضاء ساعات في الأماكن العامة لمشاهدة المباريات، وفي الجوار أثناء تنزيه الكلب.

بينما قد ينكر القليلون أن اختراق مقر العالم هو أمر حيوي بالنسبة لشهادة الكنيسة المحليّة، إلا أننا نفوت على أنفسنا فرصة استراتيجيّة حين نخفق في دعوة العالم إلى مقرّنا، حيث تجتمع عشيرة الله لعبادة المسيح، وحيث يستمع الأعضاء إلى إنجيل المسيح الذي يُكرز به بأمانة، ويتم تطبيقه عمليًا بعناية، وحيث يخدم الناس بعضهم بعضًا بتعبيرات جذريّة عن محبة قد شكّلها المسيح، وحيث في ركن من هذا العالم المضطرب توجد عشيرة تعمل بالفعل وفقًا لصورة عشيرة الله الثالوثيّة. وفي وسط هيمنة العلاقات المُحطّمة والعائلات المختلّة على كل مكان، أين يمكن للبشر أن يروا طريقًا أفضل ليكونوا بشرًا إلا وسط عشيرة الله؟ لابد لنا أن ندعو العالم إلى كنائسنا.

وتأكيدًا من بولس على هذه النقطة، يلفت انتباهنا إلى حقيقة أن الكائن الحي المدعو الكنيسة المحليّة هو في الأساس مشكال [المترجم: الكليدوسكوب: أداة عندما تتغير أوضاعها تعكس مجموعة لا نهاية لها من الاشكال الهندسيّة مختلفة الألوان] من الوحدات العلاقاتيّة. وقد قسم بولس أعضاء الجسد الكنسي إلى ثنائيات: أزواج وزوجات، آباء وأبناء، أرباب العمل والعاملين (أفسس 5: 22 – 6: 9؛ كولوسي 3: 18 – 4: 1). ويلاحَظ على الفور أن كل ثنائي يمثّل وحدة من ثلاث وحدات رئيسيّة في بناء المجتمع. إلا أن أهمية هذه الثنائيات مشتقة ليس من وجودها في كل مجتمع بل من وجودها في مجتمع الله.

فبالنسبة لبولس، تعد الكنيسة المحليّة هي التجمّع الاجتماعي الأساسي للعالم، وبهذا فالمفترض منها أن تكون نموذجًا لهذه الثنائيّات في العالم. فإن الكنيسة المحليّة، في العلاقات ما بين الأفراد، وخاصة في العلاقات الكنسيّة بين الأزواج في علاقة الزواج، وفي العائلة، وفي العمل، تقدّم نماذج وأمثلة عن علاقات مشابهة لهذه العلاقات في العالم الخارجي (انظر مرة أخرة أفسس 5: 22 – 6: 9؛ كولوسي 3: 18 – 4: 1). فإن كل ثنائي، من خلال عكسه لمجد محبة المسيح، يعلن للعالم طريقًا أفضل للحياة في علاقة. كيف للعالم أن يرى الطريق الأفضل (ثم كما نتمنى يستجيب لما يراه بأن يضع ثقته في عمل المسيح المكتمل لأجل خلاصه) ما لم يتلقّى دعوة إلى حضور اجتماعات الكنيسة المحليّة؟

الإتيان بالمسيح إلى العالم

توجد قوة دافعة ثانية في استراتيجيّة الكنيسة المحليّة: أن تأتي بالمسيح للعالم. على كل كنيسة محليّة أن تبحث في شغف عن الخدمات الجماعيّة (أي الخدمات التي لا تمثّل الغزوات الفرديّة المنعزلة للأعضاء أفرادًا، بل الجهود المشتركة للجسد بأكمله) داخل مدينتها، مقدمة خدمة للأقارب والأعداء على حد سواء، ساعية نحو تحسين ظروف المعيشة لمن هم في أمس الحاجة لهذا، وخلق ظروف يمكن للحياة البشريّة أن تزدهر فيها كما قصد الله لها عند الخلق. بكلمات أخرى، على الكنيسة المحليّة أن تقبل مهمة الإتيان بمحبة الله للمدينة. فهي مهمة وإرساليّة لم تُذكَر في العهد القديم فحسب (إشعياء 58: 6–10)، بل أيضًا في العهد الجديد (متى 25: 34–40)، وتم تجسيدها بشكل بارز في تعليم وخدمة يسوع.

فإن مثل السامري الصالح هو مثل ينطبق عليه موضوع حديثنا. فإننا ننقل ونجسّد محبة المسيح حين نأخذ على عاتقنا حياة البشر المحطّمة التي نعبر عليها، حاملين إيّاها فوق ظهورنا وكأن تحطّمها أمر يخصّنا. وسوف نستمر في حمل حياة البشر حتى لا تعود بعد محطّمة ومنكسرة — "مضمدين الجراحات، وصابين زيتًا وخمرًا عليها، وحاملين إيّاها إلى فندق، منفقين كل ما يلزم، ومظهرين الرحمة، مبرهنين على كوننا قريبًا حقيقيًا" (لوقا 10: 34–37). فإن محبتك لقريبك كنفسك لا يتوقف عند محبتك للآخر بقدر ما تحب نفسك، بل يمتد إلى أن تأخذ على عاتقك حياة آخر وتجعلها حياتك الخاصة. في كل مدينة، على الكنائس المحليّة أن تكون هي القريب الأفضل. "لابد أن نحب الرجال والنساء نحو يسوع".[141]

في الأزمنة المبكّرة من العصر المسيحي، اجتاح الامبراطوريّة الرومانيّة وباءان مدمران. وقد كان حتى أحكم الأطبّاء في حيرة من أمرهم من وصف أدويّة مضادة لهذين الوبائين، وكثيرون منهم، بما في ذلك الطبيب الكلاسيكي الشهير جالين، هجروا المدن متجهين إلى الأمان النسبي للريف. ولكن كان هناك استثناء واحد جدير بالملاحظة — وهم أعضاء الكنائس المحلية:

لقد أبدى غالبية المسيحيين محبة ووفاء بلا حدود، ولم ينجوا بأنفسهم قط لكن كل ما فكروا فيه هو الآخرين. وإذ تجاهلوا الخطر، أخذوا على عاتقهم مسئوليّة المرضى، مهتمّين بجميع احتياجاتهم ومقدمين لهم خدمة المسيح، والآن قد رحلوا من هذه الحياة، مجتذبين لأنفسهم مرض أقربائهم ذاته، قابلين آلامهم في فرح.[142]

وقد لاحظ غير المؤمنين التضحية التي قام بها هؤلاء المؤمنون لأجل الآخرين قائلين: "انظروا كيف يحبون بعضهم البعض!"[143] وإنه لامتياز لنا، نحن كأعضاء في كنائس حديثة، أن نبجّل هذا الإرث المقدس، مفكرين على نحو استراتيجي، ومصلّين في إخلاص وصدق، بشأن الكيفيّة التي يمكننا بها كجماعة أن نأتي بمحبة المسيح إلى المحتاجين في مدننا، وأن نصير مناقضين لمجتمعنا بأن نحيا كغرباء في داخله مجد صورة المسيح.

قطعة من السماء على الأرض

كما نتعلّم من سفر التكوين، فقد كان من المفترض لصورة الله أن تتغلغل وتكثر وتملأ الأرض. وكما نتعلّم من المسيح، أن هذه الصورة قد أعلنت على نحو بارز في محبة الصليب الباذلة للنفس. وحين تخترق تلك المحبة قلوب جماعة من البشر — وهذا احتمال يسري فقط على أولئك الذين، من خلال عمل الصليب، قد تطهّروا من الخطية وتم إعلان كونهم أبرارًا — وحين تجد تلك المحبة موطنًا وموضع راحة لها في عشيرة الله، في كنيسة يسوع المسيح، وحين تميّز التعبيرات عن تلك المحبة العلاقات بين الأفراد في الكنائس المحليّة كما أنها تميّز العلاقات داخل عشيرة الله الثالوثيّة، فإن مجد السماء يبدأ في اقتحام الأرض.

إن شعب العهد الجديد الذي ينتمي إلى الله سوف يحصل، بينما لا يزال على الأرض، على موطئ قدم في أورشليم السماويّة. فإن أعينهم ستنفتح على غنى مجد ميراثهم (أفسس 1: 18). وستُقبِل الأمم إلى النور السمائي لهذه العشيرة المقدسة، لاهثة نحو وحدة العلاقات التي لا تتفتّت أو تتحطّم من جرّاء مركزيّة الذات، ونحو جسد مجتمع تحت رأس واحد، ونحو شعب يعكس صورة المحبة الإلهيّة، ونحو كنيسة تظهر محبة الله الثالوث كما ظهرت في الصليب (إشعياء 60: 1-11).

الكنيسة غير الكاملة

كيف يمكن للكنيسة المحليّة أن تظل ثابتة في هذه الرسالة المجيدة؟ أولاً، هي ستثبت لكن على نحو غير كامل. فعلى الرغم من أن محبة هذا الجسد تسطع مثل منارة برّاقة ضد الليل الشديد الإعتام، لكنها لن تشع سوى بنور هو خطوط الآشعة الأولى لمجد السماء. فإن جسد المسيح لم يصر بعد مصطفًا بشكل كامل تحت رأسه. فإن الشقاق والانقسام، بل والخطية، لازالت تجتاح علاقاته. لكن حين يعوز جسد

المسيح مجد الله (أحيانًا يعوزه كثيرًا جدًا حتى أنه لا يستطيع سوى النظر للأعلى)، فهو، ثانياً، سيرفع عينيه إلى يسوع المسيح، وإذ ينظر مجد الرب، سيتغير إلى تلك الصورة عينها من مجد إلى مجد، ومن استعلان معتم للمحبة الباذلة للنفس إلى استعلان أكثر سطوعًا (2 كورنثوس 3: 18).

أعين مثبَّتة على المسيح

على الكنيسة المحليّة ألا تحوّل عينيها قط عن المسيح. بل لابد أن تهتم بالسماويّات حيث المسيح جالس (كولوسي 3: 1–2). ولابد أن تنتظر في لهفة مخلصًا، حين يأتي ثانية، سيغيّر شكل جسد تواضعها لِيَكُونَ عَلَى صُورَةِ جَسَدِ مَجْدِهِ (فيلبي 3: 20–21). وحين سنراه أخيرًا — ليس بعد في مرآة في لغز بل في نقاء النور الكامل — فسنعرف معرفة تامة المحبة التي لطالما كانت فائقة المعرفة. وحينئذ، وحينئذ فقط، سنعكس صورة المسيح على نحو كامل (1 يوحنا 3: 2–3).

حتى ذلك الوقت، على الكنيسة المحليّة أن تثبّت عينيها على يسوع المسيح. فإن المسيح يرتفع في كرازتها. ويتمجّد في عبادتها. ويُحتفى به في فرائضها — أي المعموديّة وعشاء الرب. بل وإن كُلَّ مَنِ اعْتَمَدَ لِيَسُوعَ الْمَسِيحِ اعْتَمَدْ لِمَوْتِهِ (رومية 6: 3)، وكل من يأكل الْخُبْزَ ويشرب الْكَأْسَ، يخبر بِمَوْتِ الرَّبِّ إِلَى أَنْ يَجِيءَ (1 كورنثوس 11: 26). بل وفي تأديب الكنيسة لأعضائها، يصير اتّضاع حمل الفصح هو الحافز الموجه لها (1 كورنثوس 5: 7).

إن كل شيء يعود أدراجه إلى المسيح، وكل عضو مثبَّت بإحكام إلى رأسه. فإن المسيح يربط كل شخص وكل شيء (كولوسي 1: 17–18). ولا عجب أن بطلاً عظيمًا من أبطال الكنيسة المحليّة، وهو تشارلز سبرجن، قد أكّد في حسم قاطع على اتّكاله واعتماده على المسيح قائلاً: "لن تكون لديَّ أيّة رغبة في التواجد هنا دون ربي، وإن لم يكن الإنجيل صحيحًا، فسوف أبارك الله إن أبادني في هذه اللحظة، لأني لن أهتم أن أحيا إن تمكنتم من تدمير اسم يسوع المسيح".[144]

خاتمة

إن رسالة الكنيسة المحليّة لا يمكن على الإطلاق الحط من قدرها. فإن الكنيسة مدعوة للخروج من العالم لتكون نورًا داخل العالم، ولتكون عشيرة متّحدة وسط عشائر الأرض المُنقسمة والمفكَّكة، وليسكنها المسيح نفسه، ولتكون قرة عيني الله، منقوشة على كفي المسيح، وأيضًا لتكون مجد صورة الثالوث القدوس، وتجسيدًا للمحبة غير المحدودة للصليب، وأيضًا كي تكون لوحة كاملة المعالم أجمل من أيّة لوحة أخرى في العالم. تلك هي الكنيسة، الكنيسة المحلّية، شعب الله الجديد.

قائمة مراجع مختصرة:

Belcher, Jim. *Deep Church: A Third Way Beyond Emerging and Traditional*. Downers Grove, IL: InterVarsity, 2009.

Calvin, John. "The External Means or Aims by Which God Invites Us Into the Society of Christ and Holds Us Therein." *Institutes of the Christian Religion*. Book 4. Philadelphia: Westminster Press, 1960.

Carson, D. A. *Becoming Conversant with the Emerging Church: Understanding a Movement and Its Implications*. Grand Rapids, MI: Zondervan, 2005.

Chester, Tim, and Steve Timmis. *Total Church: A Radical Reshaping around Gospel and Community*. Wheaton, IL: Crossway, 2008.

Dever, Mark. *Nine Marks of a Healthy Church*. Wheaton, IL: Crossway, 2000.

Dever, Mark, and Paul Alexander. *The Deliberate Church: Building Your Ministry on the Gospel*. Wheaton, IL: Crossway, 2005.

DeYoung, Kevin, and Ted Kluck. *Why We Love the Church: In Praise of Institutions and Organized Religion*. Chicago: Moody, 2009.

Edwards, Jonathan. "A Farewell Sermon." In *The Works of Jonathan Edwards*. Vol. 1. Edinburgh: Banner of Truth, 1979.

Keller, Timothy. *Gospel Christianity*. Studies 7 and 8. New York: Redeemer Presbyterian Church, 2003.

Packer, J. I. *Evangelism and the Sovereignty of God*. Chap. 3, "Evangelism." Downers Grove, IL: InterVarsity, 1991.

Stott, John. *The Living Church: Convictions of a Lifelong Pastor*. Downers Grove, IL: InterVarsity, 2007.

Strauch, Alexander. *Biblical Eldership: Restoring the Eldership to Its Rightful Place in Church*. Colorado Springs: Lewis and Roth, 1997.

الفصل الرابع عشر

المعمودية وعشاء الرب

ثابيتي أنيوبوايل و جي. ليجون دانكان

جلستُ [أنيوبوايل] على طاولة الطعام أمام ماثيو، ذلك الشاب الخلاق، البالغ من العمر خمسة وعشرون عامًا، والمحب للاستطلاع والبحث، الذي يحب الحياة، والمفعم بالحيويّة. فقد دخل إلى المطعم متألقًا ومبهِجًا مثل نسيم اليوم الكاريبي الدافئ بالخارج. وبعد بضعة دقائق، ابتسم واعتذر عرَضًا عن أي إزعاج يمكن أن يكون قد تسبب فيه.

وإذ أمسكنا بقوائم الطعام، تساءلت بيني وبين نفسي عما يلوح في أفق حديثنا. فعلى الرغم من أن ماثيو كان يرتاد الكنيسة لقرابة العام، لكني لم أكن على يقين تمامًا من حالته الروحيّة، ولم أتوقّع ماذا يمكن أن تكون أسئلته. وبمجرد أن طلبنا طعامنا وأعدنا قوائم الطعام إلى النادِلة، التفت ماثيو إليَّ وقال: "حسنًا، لديَّ كثرة من الأسئلة".

أجبته، وقد تنفست الصعداء إذ لن أضطر لمحاولة بذل الجهد لاجتذاب أي حديث من صديقي الشاب: "رائع، ما الذي يدور بخلدك؟"

وفي ذلك اليوم طرح عليَّ ماثيو الكثير من الأسئلة. كان الكثير منها يتعلّق بموضوعات مثل مجد الله وغضبه على الخطاة، وموثوقيّة الكتاب المقدس، والقيامة، وحصرية يسوع [المترجم: أي أن يسوع هو الطريق الوحيد للخلاص]، وأيضًا المستقبل. ولقرابة الساعتين، استمتعنا معًا باستكشاف رائع حقًا لتعاليم الكتاب المقدس بشأن هذه الموضوعات.

لكن قرب نهاية حديثنا، ساورني بعض القلق من أن ماثيو، بينما كان يسأل أسئلة لاهوتية كبرى، كان قد أخفق في التعامل مع الجوهر الشخصي للأمر. فسألته: "ماثيو، كيف ستتصرف حيال خطاياك؟"

حينئذ بلع ريقه، وقد أصيب بالذهول قليلاً، وأجاب: "أرجو أن يكون يسوع قد تولّى أمرها". ثم استطرد ليخبرني كيف أنه قبل المسيح مخلصًا وربًا منذ ستة أشهر. وفي ختام قصته، قال: "أريد أن أنضم إلى الكنيسة، لكني لست مستعدًا بعد للمعمودية".

لقد وصل ماثيو إلى نقطة يصل إليها أحيانًا العديد من المؤمنين. فقد فهم الإنجيل، واتّكل على يسوع في شأن خلاصه، لكنّه لم يكن قد أدرك بعد علاقة هذا بالكنيسة المحليّة. بكلمات أخرى، لم يكن قد تمكن بعد من رؤية أن الرب قد عيَّن فريضتين تميّزان كلاً من بداية دخوله إلى الحياة المسيحيّة، وشركته المستمرة مع المسيح. وفي تعيين الرب هاتين الفريضتين للكنيسة، دبّر لنا "كلمات منظورة" تنقل فكرة اتحاد المؤمن مع المسيح في موته، ودفنه، وقيامته (المعموديّة)، والتنفيذ العملي لذلك الاتحاد، أي الشركة المستمرة مع الرب (عشاء الرب). كلا الفريضتين، إذن، لا تصيران مجرد فرائض ينبغي طاعتها، بل أيضًا وسائط نعمة لنتشدّد ونستمتع بها حتى يأتي المسيح ثانية.

المعموديّة

أعيش في دولة صار الكثيرون فيها يعتقدون أن "المؤمن القريب من الكمال" وحده هو الذي يمكن أن ينال المعموديّة. البعض قد نسبوا أهمية بالغة للمعموديّة حتى أن الفريضة لم تعد تنطبق على "المؤمن العادي" الذي يختبر عدم الكمال، ويصارع مع الخطايا. فهم يفترضون أن تأجيل المعمودية هو المسار الملائم لغالبية المؤمنين. وفي أثناء تناولنا الطعام معًا، عبَّر ماثيو عن هذه المعتقدات عينها.

أدرك جيدًا أن المؤمنين في مواضع أخرى كثيرة من العالم يخطئون خطأ على النقيض تمامًا من هذا. فهم ينسبون للمعمودية أهمية ضئيلة للغاية. فقد تكون المعمودية بالنسبة لهم طقسًا تقوم به "حين تكون قد وصلت للمرحلة العمرية المناسبة"، أو قد تكون ممارسة اختياريّة عديمة الأهمية متروكة كخيار أمام كل مؤمن. فهي بند يتم وضع علامة أمامه في قائمة الأعمال الروحيّة المُنجَزة، ثم يُنسى أمره تمامًا.

قد يقع المؤمنون في أي من هذين الخطأين: إما أن ينسبوا أهمية ضئيلة بما يزيد عن الحد أو كبيرة بما يزيد عن الحد للمعموديّة. وإذ نفعل هذا، نُخاطر بفقدان روعة وغنى وصية نطق بها يسوع نفسه، ومارستها الكنائس المسيحيّة لقرابة الألفي عام. والحل لهذه المشكلة هو أن نتبنّى فهمًا كتابيًا للمعموديّة يغرسنا بعمق في عمل ربنا يسوع المسيح المنعِم والفعّال نيابة عن الخطاة.

ما هي المعموديّة؟

وفقًا لأبسط معنى ممكن للكلمة، تعد المعمودية علامةً وختمًا. كما جاء في إقرار إيمان ويستمنستر: إن المعمودية "هي علامة وختم لعهد النعمة، ولغرس [المؤمن] في المسيح، وللتجديد، ولغفران الخطايا، ولتسليم حياته لله، بيسوع المسيح، كي يسلك في جدة الحياة" (28: 1).

تعد العلامة رمزًا يشير إلى حقيقة أو إلى فكرة أعظم. فإن المعمودية هي "ضوء أبيض يومض بالكلمات 'إنجيل، إنجيل، إنجيل'".[145] حين تمارس الكنيسة المعموديّة، فهي تشهد عن موت، ودفن، وقيامة يسوع المسيح، وتمثّل اتحاد الخاطئ مع المسيح في كل ما فعله وأتمّه نيابة عنا.

إلا أن المعموديّة (وعشاء الرب أيضًا، في هذا الشأن) هي أيضًا ختم:

> ليست الفرائض المقدسة مجرد علامات توجّه أنظارنا إلى يسوع المسيح كما يقدمه الإنجيل، وبهذا تذكِّرنا بنعمته التي قدمها للعالم أجمع. لكنها أيضًا أختام، تؤكد لنا بأن نعمة الله ووعده قد وُهبا لنا بصورة خاصة. هذه الكلمة "ختم"، حين كانت تُستخدَم في سياق عصر الإصلاح، كانت تشير إلى الختم الشمعي الذي كان يميّز وثيقة ما بكونها رسمية وملزِمة قانونيًا. وفي هذا السياق، تعد المعموديّة هي الختم الذي به يأخذ الله الوعد العام للإنجيل ويقوم بتطبيقه علينا بصورة خاصة. في العالم القديم، كانت الكلمة نفسها أيضًا تشير إلى علامات توضع على الجسد — مثل وسم أو وشم كعلامة على الملكية. وهكذا فإننا نحمل "سمة" بموت المسيح وقيامته، كما يُرى من خلال كل من المعمودية وعشاء الرب.[146]

ربما يضع حاكم أو ملك ما ختمه على مرسوم أو قانون رسمي. كما يمكن للمراسلات الآتية من قاضٍ أو شخص ذي نفوذ أن تحمل ختمًا أو وسمًا ينتمي إلى منصب هذا الشخص أو عائلته. أو يمكن للعبد أيضًا أن يحمل وسم أو علامة مالكه. فيعلم من يرونه أو العامة بهذا أن حامل مثل هذا الختم أو مثل هذه العلامة ينتمي إلى مالكه.

في المعموديّة، يضع الله وسمه وعلامته على من يعتمد. فينال المؤمن التائب والمجاهر بإيمانه ختم الملكيّة السماويّة. وهكذا، يتحدث الله إلينا في المعموديّة قائلاً: "هذا الشخص المختوم أو الذي يحمل هذه السمة ينتمي لي".

في المذهب الإنجيلي المعاصر، يتحدث الناس كثيرًا عن القيام "بمجاهرة علنية بالإيمان". وهذه العبارة قد صارت مرتبطة بأفعال معينة مثل الاستجابة إلى دعوات التقدم للأمام في الكنيسة، أو تلاوة صلوات معينة، أو التوقيع على بطاقات. هذه الأفعال بوجه عام تسلّط الضوء على ما نقوله لله. ولكن للأسف، الكثير من هذه الممارسات أسلمتنا للتفكير فيما نقوله فحسب، غير مدركين أن الله يرغب في التحدث إلى شعبه عن محبته. كما يقوم البعض بما نطلق عليه الفعل أو الخطاب الحاسم. لكن الكتاب المقدس لا يؤيد على الإطلاق أيًا من هذه الممارسات. لكن مع ذلك، كان لدى الرسل والكنيسة الأولى وسيلة يجاهر بها الخطاة التائبون علنًا بإيمانهم، كي يكون هذا دلالة على إيمانهم بالمسيح، وهذه الوسيلة هي أنهم ينالون ختم خلاص الله — أي المعموديّة.

روعة وجمال المعموديّة

يمكننا ملاحظة جمال المعموديّة وروعتها من خلال تناولنا لما تعنيه، إذ أن المعموديّة تربط المؤمن بصورة عجيبة بالغنى الكثير المُذخَّر في المسيح.

كفارة المسيح. أولاً، تصوّر لنا المعموديّة الكفارة التي صنعها يسوع بصورة مرئيّة. فإن الفداء وغفران الخطايا هما أمران محوريان في عمل المسيح، ولهذا فهما محوريان بالنسبة لمعنى المعمودية:

> وَإِذْ كُنْتُمْ أَمْوَاتًا فِي الْخَطَايَا وَغَلَفِ جَسَدِكُمْ [في الترجمة الإنجليزية: "غلف طبيعتكم الخاطئة"]، أَحْيَاكُمْ مَعَهُ، مُسَامِحًا لَكُمْ بِجَمِيعِ الْخَطَايَا، إِذْ مَحَا الصَّكَّ الَّذِي عَلَيْنَا فِي الْفَرَائِضِ، الَّذِي كَانَ ضِدًّا لَنَا، وَقَدْ رَفَعَهُ مِنَ الْوَسَطِ مُسَمِّرًا إِيَّاهُ بِالصَّلِيبِ، إِذْ جَرَّدَ الرِّيَاسَاتِ وَالسَّلاَطِينَ أَشْهَرَهُمْ جِهَارًا، ظَافِرًا بِهِمْ فِيهِ [في الترجمة الإنجليزية: "في الصليب"]". (كولوسي 2: 13–15)

في المعمودية، نتذكّر معموديّة ربنا نفسه عنا. فقد علّم المخلص قائلاً: "وَلِي صِبْغَةٌ [في الترجمة الإنجليزية: "لي معمودية"] أَصْطَبِغُهَا [في الترجمة الإنجليزية: "اعتمد بها"]، وَكَيْفَ أَنْحَصِرُ حَتَّى تُكْمَلَ؟" (لوقا 12: 50). وحين طلب التلميذان ذوي الطموح الزائد عن الحد أن يجلسا بجانب يسوع في ملكوته، جعلهما يتضعان بأن أجابهما قائلاً: "لَسْتُمَا تَعْلَمَانِ مَا تَطْلُبَانِ. أَتَسْتَطِيعَانِ أَنْ تَشْرَبَا الْكَأْسَ الَّتِي أَشْرَبُهَا أَنَا، وَأَنْ تَصْطَبِغَا [في الترجمة الإنجليزية: "تعتمدا"] بِالصِّبْغَةِ [غي الترجمة الإنجليزية: "بالمعمودية"] الَّتِي أَصْطَبِغُ [في الترجمة الإنجليزية: "اعتمد"] بِهَا أَنَا؟" (مرقس 10: 38). إن الكأس التي شربها المعلم والسيد كانت هي كأس غضب الله على الخطايا. وكانت المعمودية المؤلمة التي قاساها هي معمودية الصليب حيث صنع استرضاء وكفارة عن خطايا العالم (1 يوحنا 2: 2).

فإن المعموديّة إذن تذكّر الكنيسة وأيضًا المؤمن الفرد بصليب يسوع، حيث رفع يسوع خطايانا مسمّرًا إيّاها، وحيث صارت غلبة يسوع هي غلبتنا. فإن المعموديّة تذكرنا بأن المسيح قد قاسى دينونتنا وصنع لنا سلامًا مع الله.

الاتحاد مع المسيح. ثانيًا، تصور المعموديّة الاتحاد الروحي للخاطئ مع يسوع في موته، ودفنه، وقيامته.

> فَمَاذَا نَقُولُ؟ أَنَبْقَى فِي الْخَطِيَّةِ لِكَيْ تَكْثُرَ النِّعْمَةُ؟ حَاشَا! نَحْنُ الَّذِينَ مُتْنَا عَنِ الْخَطِيَّةِ، كَيْفَ نَعِيشُ بَعْدُ فِيهَا؟ أَمْ تَجْهَلُونَ أَنَّنَا كُلَّ مَنِ اعْتَمَدَ لِيَسُوعَ الْمَسِيحِ اعْتَمَدْنَا لِمَوْتِهِ، فَدُفِنَّا مَعَهُ بِالْمَعْمُودِيَّةِ لِلْمَوْتِ، حَتَّى كَمَا أُقِيمَ الْمَسِيحُ مِنَ الأَمْوَاتِ، بِمَجْدِ الآبِ، هكَذَا نَسْلُكُ نَحْنُ أَيْضًا فِي جِدَّةِ الْحَيَاةِ؟ لأَنَّهُ إِنْ كُنَّا قَدْ صِرْنَا مُتَّحِدِينَ مَعَهُ بِشِبْهِ مَوْتِهِ، نَصِيرُ أَيْضًا بِقِيَامَتِهِ". (رومية 6: 1–5)

فحين مات يسوع، متنا معه. وحين دُفن، دُفنا معه. وحين قام، قمنا نحن أيضًا! فإذ نتحد مع المسيح بالإيمان، ننال فوائد ومزايا حياة يسوع، وموته، وقيامته. وبالإيمان نشترك على نحو بديلي في كل ما فعله يسوع. وتقدم المعموديّة صورة لتلك الحقيقة الروحيّة.

يعد اتحادنا مع المسيح شديد القوة حتى أن البعض شبهوا المعموديّة بالزواج. على سبيل المثال، كتب ماريون كلارك الآتي: "إن الله هو عريسنا، الذي اختارنا، ودفع مهر الزواج، ووهبنا خاتمه حتى يعلم الجميع أننا ننتمي له. بل والأكثر من هذا، أنه فعل هذا أيضًا كي يبّين لنا نحن أننا ملكه. فإن طقس المعموديّة يؤكّد على أن محبته لنا ليست خيالاً أو وهمًا بل حقيقة".[147] فإننا في المعموديّة نتبادل العهود التي توحّد المسيح، العريس، بعروسه، التي هي الكنيسة.

الاتحاد مع الكنيسة. إن المعموديّة لا تقدّم صورة عن اتحادنا مع المسيح فحسب، بل أيضًا تقدّم صورة عن اتحادنا مع جسده، أي الكنيسة. فإذ ننضم إلى المسيح بالإيمان وبعمل الروح القدس، فإننا بهذا الروح عينه أيضًا، "جَمِيعَنَا بِرُوحٍ وَاحِدٍ أَيْضًا اعْتَمَدْنَا إِلَى جَسَدٍ وَاحِدٍ" (1 كورنثوس 12: 13). أو كما كتب الرسول بولس في موضع آخر: "جَسَدٌ وَاحِدٌ، وَرُوحٌ وَاحِدٌ، كَمَا دُعِيتُمْ أَيْضًا فِي رَجَاءِ دَعْوَتِكُمُ الْوَاحِدِ. رَبٌّ وَاحِدٌ، إِيمَانٌ وَاحِدٌ، مَعْمُودِيَّةٌ وَاحِدَةٌ، إِلهٌ وَآبٌ وَاحِدٌ لِلْكُلِّ، الَّذِي عَلَى الْكُلِّ وَبِالْكُلِّ وَفِي كُلِّكُمْ" (أفسس 4: 4–6).

فإن الأفراد الذين يعتمدون يجاهرون بانضمامهم إلى جسد المسيح بالإيمان. فإن ذلك الاتحاد مع المسيح يُستعلَن من خلال الاتحاد مع شعبه، الذي يظهر بأكثر صورة ملموسة من خلال الالتزام والعضويّة في كنيسة محليّة.

فكلما وُلد طفل لزوجين، تزورهم العائلة والأصدقاء في المشفى، ويتمنون لهم أماني طيبة، ويبتهجون بهذه الحياة الجديدة التي أضيفت إليهم. هكذا أيضًا، حين ينال الناس علامة وختم المعموديّة، يصيرون جزءًا من عائلة الله، أي الكنيسة. ويتمتعون بامتيازات ومسئوليّات العضويّة في هذه العائلة. ويشرح دون ويتني هذا جيدًا، ويقول: "حين يأتي الله بشخص إلى الحياة الروحيّة، فإن ذلك الشخص يدخل إلى جسد المسيح الروحي غير المنظور — أي الكنيسة الكونيّة. وحين يتم تصوير هذا الاختبار الروحي من خلال معمودية الماء، فإن هذا يعد دخولاً رمزيًا لهذا الفرد إلى جسد المسيح الملموس والمنظور — أي الكنيسة المحليّة".[148]

التكريس لله. أخيرًا، لابد أن ندرك أن المعموديّة تدلّل على تكريس أنفسنا لله. ففي المعموديّة نُفرَز لعبادة إله خلاصنا ولخدمته. فإننا نمتاز عن العالم ونُختَم كأناس منتمين لله. ولهذا السبب يكتب الرسول بولس كثيرًا في العهد الجديد عن متطلبات أخلاقيّة في أثناء تناوله لموضوع المعمودية. على سبيل المثال:

> وَبِهِ أَيْضًا خُتِنْتُمْ خِتَانًا غَيْرَ مَصْنُوعٍ بِيَدٍ، بِخَلْعِ جِسْمِ خَطَايَا الْبَشَرِيَّةِ، بِخِتَانِ الْمَسِيحِ. مَدْفُونِينَ مَعَهُ فِي الْمَعْمُودِيَّةِ، الَّتِي فِيهَا أُقِمْتُمْ أَيْضًا مَعَهُ بِإِيمَانِ عَمَلِ اللهِ، الَّذِي أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ. (كولوسي 2: 11–12)

> كَذلِكَ أَنْتُمْ أَيْضًا احْسِبُوا أَنْفُسَكُمْ أَمْوَاتًا عَنِ الْخَطِيَّةِ، وَلكِنْ أَحْيَاءً للهِ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا. إِذًا لاَ تَمْلِكَنَّ الْخَطِيَّةُ فِي جَسَدِكُمُ الْمَائِتِ لِكَيْ تُطِيعُوهَا فِي شَهَوَاتِهِ، وَلاَ تُقَدِّمُوا أَعْضَاءَكُمْ آلاَتِ إِثْمٍ لِلْخَطِيَّةِ، بَلْ قَدِّمُوا ذَوَاتِكُمْ للهِ كَأَحْيَاءٍ مِنَ الأَمْوَاتِ وَأَعْضَاءَكُمْ آلاَتِ بِرّ للهِ. فَإِنَّ الْخَطِيَّةَ لَنْ تَسُودَكُمْ، لأَنَّكُمْ لَسْتُمْ تَحْتَ النَّامُوسِ بَلْ تَحْتَ النِّعْمَةِ. (رومية 6: 11–14)

فإذ تتحد حياتنا مع المسيح بالإيمان وبغرس الروح، نصير مُلزَمين بأن نحيا حياة "مختونة"، وأن "نخلع جسم خطايا البشرية". فإننا "نحسب أنفسنا أمواتًا عن الخطية، ولكن أحياء لله بالمسيح يسوع"، و"نقدم ذواتنا لله". وإذ متنا مع المسيح، فإن الخطية لم تعد تملك علينا. فقد تحررنا من طغيان وسيادة الإثم. فإن "إِنْسَانَنَا الْعَتِيقَ قَدْ صُلِبَ مَعَهُ لِيُبْطَلَ جَسَدُ الْخَطِيَّةِ، كَيْ لاَ نَعُودَ نُسْتَعْبَدُ أَيْضًا لِلْخَطِيَّةِ" (رومية 6: 6). فإننا صرنا ننتمي إلى سيد جديد. وقد يضيف أنصار "معمودية المؤمن" (credobaptists) أننا ننزل إلى "القبر المائي" كي نقوم في جدة الحياة.[149]

> إن معموديتنا تُلزِمنا بأن نحيا في البر كيما نكرم ربنا الذي دُفنا معه في المعموديّة، وقمنا معه إلى الحياة، ولا نخزيه أو نلحق به العار. فلا يمكننا التراجع. فقد دخلنا إلى العهد الجديد، وأقسمنا بالولاء لملكنا. والآن لابد أن نحيا كمواطنين وكخدام لملكوته.[150]

لم يستطع صديقي ماثيو أن يرى روعة وجمال المعموديّة. فقد اعتقد أنها في الأساس شيئًا يقول به للعالم: "انتبهوا، أنا أحيا ليسوع، ولا أنوي أن أفسد الأمر". لكنه أخفق في إدراك أن الله هو من يقول في المعموديّة: "انتبه، أنت تنتمي لي، فقد خلقتك من جديد. وستحيا لي لأني سأحيا فيك".

حين يُنظَر إلى المعموديّة من هذا المنظور، تكتسب جمالاً وأهمية تستحقها. وتصير من وسائط النعمة للمؤمن، وتذكارًا للإنجيل وللمخلص اللذين أنقذانا.

علاوة على ذلك، إن المعموديّة تفتح الباب لشركة مستمرة مع ربنا. وتلك الشركة المستمرة مع الرب تظهر بوضوح في علامة أخرى أو ختم آخر، وهو عشاء الرب أو مائدة الشركة.

أنصار معموديّة الأطفال (Paedobaptists) وأنصار معموديّة المؤمن (Credobaptists)

[دانكان]: أحب الكيفية التي بها يقدم ثابيتي عقيدة المعموديّة هنا، والمنظور الرعوي الذي يقدمه لنا عن أهميتها في حياة المؤمنين. فهو، كمعمداني، وأنا، كمشيخي، نتفق معًا حتى الآن. لكننا نرغب أيضًا في أن نقر بوجود بعض نواحي الخلاف التي لا يُستهان بها بين أعضاء هيئة ائتلاف الإنجيل المتحدين في كل شيء من جهة موضوع المعموديّة فيما عدا هذه النواحي. فإننا نتفق بوجه عام على معنى المعموديّة، وأهميّتها، ودورها، لكن توجد بعض أوجه الخلاف بشأن طريقة ممارسة المعمودية، ومن يخضعون لها (أي المتلقّين الحقيقيين للمعموديّة). هذه الاختلافات ليست تافهة، ولذلك نود أن يكرم أحدنا ضمير الآخر تحت سلطان كلمة الله، ونريد لأعضاء كنائسنا أن يفهموا هذه الموضوعات ويأخذوها على محمل الجد.[151]

البعض منّا في هيئة ائتلاف الإنجيل يؤيدون فكرة معمودية المؤمنين فحسب (credobaptists) (وهم مؤمنون أمثال ثابيتي يعتقدون بأن المؤمنين وحدهم هم من لابد أن يعتمدوا)، وآخرون منّا يؤيدون فكرة معموديّة الأطفال (paedobaptists) (وهم مؤمنون مثلي يعتقدون بأن المؤمنين وأطفالهم على حد سواء لابد أن يعتمدوا). كلا المجموعتين تسعيان لتأصيل ممارستهما للمعموديّة في أساس تعليم كلمة الله، لكن كليهما تصلان إلى استنتاجات مختلفة بشأن ما يعلم به الكتاب المقدس عن المتلقين الحقيقيين للمعموديّة.

يؤمن الإنجيليون المؤيدون لمعموديّة الأطفال أن الكتاب المقدس يعلّم بأن الكنيسة لابد أن تعمد كلاً من أطفال المؤمنين والمؤمنين البالغين المجاهرين بإيمانهم، الذين لم يعتمدوا قبلاً. فإننا نؤمن أن المعموديّة هي علامة العهد الجديد التي تشير إلى وعد الله الخلاصي المنعِم لشعبه بل وتؤكّده، وإلى تحقيق هذا الوعد في يسوع المسيح. فإننا نؤسّس ممارسة المعموديّة للمؤمنين وأطفالهم على أساس فهمنا لنصوص مثل تكوين 17، ومتى 28، وكولوسي 2، و 1 كورنثوس 7، وأعمال الرسل 2، و16.

وإننا لنتفق مع أحبّائنا من مؤيدي معموديّة المؤمنين البالغين فحسب على أن (1) المسيح يوصي بالمعموديّة المسيحيّة في متى 28: 19–20 ("اذْهَبُوا... وَتَلْمِذُوا ... وَعَمِّدُوهُمْ ... وَعَلِّمُوهُمْ") وعلى أن (2) المؤمنين لابد أن يعتمدوا كما جاء في أعمال الرسل 8:

> فَفَتَحَ فِيلُبُّسُ فَاهُ وابْتَدَأَ مِنْ هذَا الْكِتَابِ فَبَشَّرَهُ بِيَسُوعَ. وَفِيمَا هُمَا سَائِرَانِ فِي الطَّرِيقِ أَقْبَلاَ عَلَى مَاءٍ، فَقَالَ الْخَصِيُّ: «هُوَذَا مَاءٌ. مَاذَا يَمْنَعُ أَنْ أَعْتَمِدَ؟» **فَقَالَ فِيلُبُّسُ: «إِنْ كُنْتَ تُؤْمِنُ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ يَجُوزُ». فَأَجَابَ وَقَالَ: «أَنَا أُومِنُ أَنَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ هُوَ ابْنُ اللهِ»**. فَأَمَرَ أَنْ تَقِفَ الْمَرْكَبَةُ، فَنَزَلاَ كِلاَهُمَا إِلَى الْمَاءِ، فِيلُبُّسُ وَالْخَصِيُّ، فَعَمَّدَهُ". (الآيات 35–38)

لكننا نختلف حول نقطة ثالثة، فإن مؤيدي معمودية الأطفال يؤمنون أيضًا بأن المؤمنين المسيحيين **وأطفالهم** لابد أن يعتمدوا. وإن كان ينبغي أن نختزل حجتنا الكتابيّة بشأن معمودية المؤمنين وأطفالهم في جملة واحدة (وإن كانت الحجة أكثر تعقيدًا من هذا!)، فستكون شيئًا من قبيل هذا:

> لقد قطع الله وعودًا للمؤمنين وأطفالهم في كل من العهد القديم والعهد الجديد، وربط تلك المواعيد بعلامات في كل من العهد القديم والعهد الجديد، كما طالب بوضوح وصراحة بأن تُصنع علامة تشير إلى بداية الدخول في عشيرته (الختان) للمؤمنين وأطفالهم في العهد القديم، وعيّن ضمنيًا أن تُصنَع علامة إشارة إلى بداية الدخول في العهد الجديد (المعموديّة) للمؤمنين وأطفالهم في أسفار العهد الجديد.

يختلف مؤيدو معموديّة المؤمنين مع هذا ويقولون إن مؤيدي معمودية الأطفال لا يسيئون فحسب فهم النصوص التي استشهدنا بها، بل أيضًا إن إشارات العهد الجديد للمعموديّة تتضمن وصية بتعميد فقط من يجاهرون بإيمان شخصي بيسوع المسيح (مثل: أعمال الرسل 2: 41؛ 8: 12؛ 10: 44–48؛ رومية 6: 3–4؛ غلاطية 3: 27)، ويصرّون على أن نصوصًا مثل إرميا 31 تعلّم بأن الكنيسة، تحت حيثيات وبنود العهد الجديد، هي جماعة تشمل التلاميذ **المؤمنين**، وأنها في هذا تختلف عن جماعة المؤمنين تحت حيثيات العهد القديم، التي كانت تشمل بوضوح أطفالاً.

أما مؤيدو معموديّة الأطفال، فهم، على الصعيد الآخر، يؤمنون بأن عضويّة الكنيسة المحليّة تتألّف من المؤمنين وأطفالهم، وفي هذا لا يختلف العهد الجديد عن العهد القديم. وهكذا، فإن الاختلاف في عقيدة الكنيسة (اكليسيولوجي) هو أحد العوامل الرئيسيّة في الخلاف بين مؤيدي معموديّة المؤمنين ومؤيدي معموديّة الأطفال بشأن مُتلقّي المعموديّة الحقيقيين.

أما الخلاف الأقل أهمية من هذا، فهو يختص بطريقة ممارسة المعموديّة. فإن مؤيدي معموديّة المؤمنين يتجادلون بوجه عام حول أن المعموديّة لابد أن تُجرى فقط بالغمر، أي تغطيس الشخص في الماء. وهم عادة ما يصرّون أيضًا على أن هذه الطريقة ترتبط ارتباطًا وثيقًا بوصية يسوع حتى أن من لم يتم تغطيسهم لم ينالوا المعموديّة البتة. في المقابل، يؤمن غالبيّة مؤيدي معمودية الأطفال بأن المعموديّة تتم على أكمل وجه بالسكب (أي سكب الماء أو رشه على المُتلقّي) لكن الطريقة ليست هي أساس وجوهر الطقس؛ وهكذا، فإن التغطيس يعد طريقة مقبولة، لكنها ليست ملزمة، للمعموديّة.

أولئك الذين يتجادلون لصالح التغطيس يفعلون هذا بناء على بعض الأسس. فهم يؤكدون على أن الكلمة اليونانيّة التي تعادل كلمة "معموديّة" تعني "غمر"، وأن نماذج المعموديّة الموجودة في العهد الجديد (مثل: متى 3: 16؛ مرقس 1: 5، 10؛ يوحنا 3: 23؛ أعمال الرسل 8: 36–38) تشير إلى أن التغطيس

كان هو الطريقة المتبعة، كما أن بولس يعلّم عن التغطيس في شرحه للمعموديّة في رومية 6: 1–11 (انظر أيضًا كولوسي 2: 11–12)، وأيضًا يقولون إن النصوص التي يستشهد بها مؤيدو معموديّة الأطفال كأمثلة على عدم ممارسة التغطيس هي نصوص غير مقنعة.

أما أولئك الذين يتجادلون لصالح السكب أو الرش، فهم يقولون إنه توجد مواضع في الاستخدام الكتابي للمعمودية حيث لا يمكن أن تعني الكلمة فيها "التغطيس" (مثل: لاويين 14: 6، 51؛ أعمال الرسل 1: 5؛ 1 كورنثوس 10: 2؛ عبرانيين 9: 10–23)، وأن نصًا واحدًا فحسب في العهد الجديد هو الذي يصف بالفعل طريقة المعمودية (أعمال الرسل 1–2)، أما بقية النصوص الأخرى جميعها فهي تصف فقط موضع ممارسة المعمودية (متى 3؛ مرقس 1؛ أعمال الرسل 8)، وليس طريقة ممارستها. كما توجد مواضع في العهد الجديد حيث يكون التغطيس فيها مستبعدًا أو مستحيلاً (أعمال الرسل 9: 17–18؛ 10: 47؛ 16: 32–33)، وفوق كل هذا أيضًا أن معموديّة الماء تشير إلى معموديّة الروح القدس، والتي يُشار إليها فقط بالسكيب، وليس بالتغطيس أو الغمر (انظر أعمال الرسل 1: 4–5؛ 2: 2–3؛ قارن متى 3: 11؛ لوقا 3: 16؛ أعمال الرسل 11: 15–16).

وعلى الرغم من هذه الاختلافات القائمة والهامة، إلا أن كلا الجانبين قادران على التصديق على الفقرة الثانية عشر من إقرار إيمان هيئة ائتلاف الإنجيل. علاوة على ذلك، نحن نتفق معًا أيضًا في رفضنا لفكرة التجديد من خلال المعموديّة. فإن هذا الرأي، الذي يعتنقه الكاثوليكيّون الرومانيّون، والأرثوذكسيّون الشرقيّون، والأنجيليكان التقليديّون أو الأنجلو كاثوليكيّون، واللوثريّون، وجماعات أخرى مثل كنيسة المسيح، يفيد بأن معمودية الماء هي "المسبّب الرئيسي للتجديد، إذ تنتقل نعمة التجديد بشكل فعّال من خلال ممارسة ذلك الطقس أينما يتم كما ينبغي".[152]

وبدون أن نحط بأية صورة من الصور من قدر المعموديّة أو ضرورتها لأجل الطاعة المسيحيّة، فإننا نرفض كون معموديّة الماء تُجدّد أو تتسبّب في الولادة الجديدة. فإن علامات العهد أو الفرائض في الكتاب المقدس، على نحو متسق، تؤدّي دورها كدلالة وكتأكيد على الحقائق الروحيّة التي تمثّلها هذه العلامات، لكنها في المقابل لا تُنشئ هذه الحقائق.

هذا هو بالتحديد ما عناه بولس في رومية 4: 1–12 بشأن اختتان إبراهيم. فإن إبراهيم لم يتبرّر **عن طريق** اختتانه بل **قبل** أن يُختتَن، ثم أعطاه الله الختان كعلامة العهد للتأكيد على تبريره، وليس لإنشاء هذا التبرير (تكوين 15)، قبل حتى أن يُختتَن إبراهيم (تكوين 17). وهكذا فإننا نتّفق مع اللاهوتي الطهوري (البيوريتاني) ستيفن شارنوك، الذي يقول إن التجديد:

ليس هو المعموديّة الظاهرة. فإن كثيرين يعتبرون معموديتهم هي التجديد. وقد اعتاد القدماء على إطلاق هذا الاسم عليها. فإننا بهذا أيضًا نطلق على معموديّة مخلصنا تجديده. هذه المعموديّة لا تنشئ نعمة ما أو تنقلها، بل هي تترتب عليها. فإن الماء الخارجي لا يمكن أن ينقل حياة داخليّة. كيف لشيء مادي كالماء أن يعمل في النفس على نحو روحي؟ كما أنه لا يمكن إثبات أن روح الله مرتبط بأيّة صورة من الصور بأي وعد يفيد بأنه يعمل في النفس ليعطيها نعمة حين يوضع الماء على الجسد. فإن كان الأمر هكذا، فإن جميع من اعتمدوا إذن قد تجدّدوا، وجميع من اعتمدوا قد خلصوا، وإلا فإن عقيدة الضمان الأبدي تبطل. فإن المعموديّة تعد وسيلة لنقل هذه النعمة، حين يسر الروح أن يعمل من خلالها. لكنها لا تعمل في النفس كمسبّب مادي، كما يعمل المطهر المعوي على سوائل الجسم، فهي تعد فريضة التجديد كما أن عشاء الرب يعد فريضة التغذية. كما أن الرجل لا يمكن أن يُقال عنه أنه يتغذّى دون إيمان، هكذا أيضًا لا يمكن أن يُقال عنه أنه خليقة جديدة دون الإيمان. ضع ألذ اللحوم طعمًا في فم رجل ميت، فإنك بهذا لا تطعمه، لأنه يريد مصدر حياة كي يتسنّى له أن يمضع الطعام ويهضمه. فإن الإيمان وحده هو مصدر الحياة الروحيّة، وهذه الحياة تحصل على غذائها من الوسائط التي عيّنها الله. البعض يقولون إن التجديد يتم في المعموديّة على المختارين، ويظهر بعد هذا عمليًا في الاهتداء. إلا أن الكيفيّة التي يمكن بها لمصدر بهذا النشاط كالحياة الروحيّة أن يقبع ميتًا، ويغلب عليه النعاس لفترة طويلة هكذا، إلى بضعة سنوات تفصل بين المعمودية والاهتداء، ليست سهلة الفهم والاستيعاب.[153]

في كثير جدًا من الأحيان يُتّهَم المؤمنون الذين يرفضون عقيدة التجديد بالمعموديّة بأنهم يختزلون المعموديّة إلى "مجرد علامة"، أي يجعلونها رمزًا فارغًا لا "يفيد شيئًا". لكن الأمر ليس هكذا. فإن المعموديّة هي وسيلة الله ليس لتجديدنا أو لتبريرنا، بل للتأكيد على وعده لنا، ولوضع سمته علينا، وليعطينا اليقين في محبته. وكل هذا يزيد إيمان المؤمن ويشدّده، وهكذا يعزّز نمونا في النعمة.

ولهذا يحث دليل أسئلة وإجابات ويستمنستر الأكبر المؤمنين على أن "يستفيدوا من معموديتهم" في كل مرة يعاينون شخصًا آخر يعتمد. ماذا كان هؤلاء اللاهوتيون يعنون بتحريضنا على الاستفادة من معموديتنا؟ أن نستفيد من معموديتنا يعني أن نتأمّل في بركاتها، وأن نستخدمها، ونستفيد بها بأكبر قدر ممكن، ونحصل على أقصى فائدة منها باعتبارها وسيلة للنمو في النعمة، وخاصة حين نكون حاضرين في وقت ممارستها في فترة العبادة العامة. يقول الدليل الأكبر الآتي:

إن ذلك الواجب الذي نحتاج أن نؤدّيه، والذي كثيرًا ما يتم إهماله، ذلك الخاص بالاستفادة من معموديتنا، لابد أن نؤديه طوال حياتنا، وخاصة في وقت التجربة، وحين نكون حاضرين في أثناء إجرائها لآخرين؛ وهذا نفعله من خلال التأمل الجاد والشاكر في طبيعة المعموديّة، وفي الأهداف التي لأجلها أسّسها المسيح، وفي الامتيازات والفوائد التي تُوهب لنا ونُختَم بها، وفي العهد المهيب الذي تعهدنا به فيها. كما نقوم بهذا أيضًا بأن نتّضع لأجل تنجسنا بالخطية، وبعدنا عن مقياس نعمة المعمودية، وسلوكنا في

مناقضة لها، وانشغالنا؛ وأيضًا من خلال الوصول إلى يقين بالصفح عن خطايانا، وبنوالنا جميع البركات الأخرى المختومة لنا في تلك الفريضة المقدسة؛ ومن خلال نوال قوة من موت المسيح وقيامته، الذي فيه اعتمدنا، لإماتة الخطية، وإحياء النعمة؛ كما نفعل هذا من خلال السعي نحو الحياة بالإيمان، وأن تكون سيرتنا في القداسة والبر، كمن تنازلوا في هذه الفريضة عن هويتهم للمسيح؛ وأخيرًا من خلال السلوك في المحبة الأخويّة، كمن اعتمدوا بروح واحد إلى جسد واحد.[154]

وفي هذا الأمر يتفق مؤيدو معموديّة الأطفال ومؤيدو معموديّة المؤمنين معًا قلبًا وقالبًا.

عشاء الرب

أتذكر [أنيوبوايل] يوم زفافي وكأنه كان البارحة. فقد كان في يوم رطب للغاية من أيام شهر أغسطس (اليوم الحادي والثلاثين من الشهر، في حال قرأت زوجتي هذا). وقد تزوّجنا في الباحة الأمامية لمنزل والدة زوجتي، مرتدين ثيابًا أفريقيّة تقليديّة، وحضر العرس مجموعة صغيرة من العائلة والأصدقاء المقرَّبين. وقد كان زفافنا بمثابة بداية حياة زوجيّة سعيدة مليئة بالنعمة والمحبة.

وإن كانت المعموديّة تشبه يوم زفاف المؤمن واتحاده مع المسيح، فإن عشاء الرب إذن يمثّل التجديد المستمر للمحبة والعهود، الذي أحيانًا ما يتم الاحتفال به في أعياد الزواج السنويّة. يعجبني هذا التشبيه. فهو يذكّرنا بأن عشاء الرب يتجاوز كونه مجرد ضرورة، على الرغم من كونه ضروريًا بالفعل، ويتجاوز كونه مجرد تذكار، مع أنه يذكّرنا بالفعل بأشياء ثمينة من تاريخ الفداء، كما يتجاوز كونه مجرد طقس، مع كونه يُمارَس من قبل كنائس مسيحيّة من مختلف الأطياف منذ أيام يسوع نفسه. لكن عشاء الرب، الذي يشبه وجبة عشاء ليليّة آكلها مع زوجتي، أو يشبه الأيام الخاصة الموسميّة التي نحفظها معًا، يشكّل واسطة نعمة وشركة مستمرة بين الرب يسوع وعروسه، أي الكنيسة.

متى كانت بداية عشاء الرب؟

لقد أسّس الرب يسوع المسيح نفسه ما اعتاد الكثيرون أن يطلقوا عليه اسم عشاء الرب. وهذا الاسم، عشاء الرب، المأخوذ عن الرسول بولس في 1 كورنثوس 11: 20، يعرف أيضًا باسم الافخارستيّا (أي الشكر) (1 كورنثوس 11: 24)، والشركة المقدسة (1 كورنثوس 10: 16). وفي حين تختلف التسميات، إلا أن كل إنجيل من الأناجيل الإزائيّة يسجّل لنا تلك الليلة الرائعة التي فيها أعاد يسوع صياغة وجبة دينيّة يهوديّة قديمة كانت تُمارَس طوال قرون مضت، وهي وجبة الفصح، بمفردات علاقة عهد جديد معه تمت وتحققت بموته، ودفنه، وقيامته (متى 26: 26–30؛ مرقس 14: 22–26؛ لوقا 22: 19–20).

ففي الضربة الأخيرة على أرض مصر، أرسل الله ملاك الموت ليجتاز الأرض كلها، ويقتل كل بكر ذكر من الناس والبهائم. وقد أُمِر الإسرائيليون، كي يفلتوا من هذه الدينونة، أن يقدموا ذبيحة من حمل بلا عيب لكل بيت، وأن يرشّوا دم الذبيحة على القائمتين والعتبة العليا لبيوتهم. وحين يرى ملاك الموت بيتًا عليه دم الذبيحة، كان "يعبر عن" (pass over) ذلك البيت. فقد حّول الدم دينونة الله عن ذلك البيت. وفي أثناء خروج الشعب، أمر الله بني إسرائيل بأن يصنعوا تذكارًا لهروبهم وخلاصهم من أرض مصر من خلال وجبة خاصة (خروج 12).

وطوال قرون عديدة بعد تلك الليلة المخيفة، أعدّت العائلات اليهوديّة الأمينة طعام الفصح، وقامت برواية قصة الخلاص المعجزي الذي صنعه الله للجيل التالي من الأطفال اليهود. ولا شك أن تلك الأمور كانت تدور بخلد تلاميذ يسوع حين أعطاهم يسوع تعليمات بأن يعدوا للفصح (متى 26: 17–19). لكن في أثناء وجبة الفصح هذه، تحدث يسوع بكلمات جديرة بالملاحظة ومثيرة للدهشة بشأن المعنى الحقيقي للوجبة نفسها:

> وَفِيمَا هُمْ يَأْكُلُونَ أَخَذَ يَسُوعُ الْخُبْزَ، وَبَارَكَ وَكَسَّرَ وَأَعْطَى التَّلاَمِيذَ وَقَالَ: «خُذُوا كُلُوا. هذَا هُوَ جَسَدِي». وَأَخَذَ الْكَأْسَ وَشَكَرَ وَأَعْطَاهُمْ قَائِلاً: اشْرَبُوا مِنْهَا كُلُّكُمْ، لأَنَّ هذَا هُوَ دَمِي الَّذِي لِلْعَهْدِ الْجَدِيدِ الَّذِي يُسْفَكُ مِنْ أَجْلِ كَثِيرِينَ لِمَغْفِرَةِ الْخَطَايَا. وَأَقُولُ لَكُمْ: إِنِّي مِنَ الآنَ لاَ أَشْرَبُ مِنْ نِتَاجِ الْكَرْمَةِ هذَا إِلَى ذلِكَ الْيَوْمِ حِينَمَا أَشْرَبُهُ مَعَكُمْ جَدِيدًا فِي مَلَكُوتِ أَبِي. (متى 26: 26–29)

إلامَ يشير عشاء الرب؟

إن عشاء الرب، مثله مثل المعموديّة، يعد علامة وختمًا لنعمة الله. فهو أيضًا يشير إلى إنجيل ربنا، وذبيحته عنا، وإلى الفداء بواسطة الإيمان باسمه.

العناصر: الجسد والدم. في الليلة التي أسّس يسوع فيها فريضة الشركة المقدسة، قام بإعادة تعريف عناصر هذه الوجبة. فطوال قرون، كان الخبز والخمر تذكارين للحملان التي ذبحت في ذلك الفصح الأول. إلا أن يسوع كشف عمّا كان يشير إليه حتى ذلك الفصح الأول: أي جسده المكسور ودمه المسفوك عن الخطايا. فقد كان على التلاميذ أن يتذكّروا، في فعل الأكل والشرب البسيط هذا، أن المسيح فصحنا قد ذُبح (1 كورنثوس 5: 7). فهو قد بذل نفسه "مِنْ أَجْلِ كَثِيرِينَ لِمَغْفِرَةِ الْخَطَايَا".

هذه العلامات إذن، تقدم صورة عن الإنجيل للكنائس المؤمنة والشاهدة. وحين ينال صديقي ماثيو المعموديّة لينضم إلى جماعة العهد، سيربح امتياز الانضمام إلى أولئك الذين "يخْبِرُونَ بِمَوْتِ الرَّبِّ إِلَى أَنْ

يَجِيءَ" (1 كورنثوس 11: 26). فإن عشاء الرب ينادي، ويقر، ويحتفل على نحو ملموس ومادي بما هو "فِي الأَوَّلِ... أَنَّ الْمَسِيحَ مَاتَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا حَسَبَ الْكُتُبِ" (1 كورنثوس 15: 3).

فلا ينبغي على المؤمنين أن يبتعدوا قط عن انتفاعهم بفوائد ومزايا إنجيل المسيح. فإن المسيح يمنح الكنيسة علامات، أو كلمات منظورة، تنعش باستمرار ذاكرتنا لنتذكر ذبيحته. فإننا نأكل ونشرب في إيمان، فيتمثّل أمامنا مرة أخرى غفران خطايانا بالمسيح كتذكار عن فاعليّة كفارته.

الوجبة: تغذية. ربما يكون أوضح ما يشير إليه عشاء الرب هو التغذيّة الروحيّة التي يحصل عليها المؤمنون في تلك الوجبة. فكما أن الخبز والخمر الفعليّين يغذّيان الجسد ويشبعانه، هكذا أيضًا مائدة الشركة تغذّي نفس المؤمن وتشبعه. فعلى مائدة الشركة، "نأخذ ونأكل"، و"نشرب الكأس"، فنتغذّى على المسيح بالإيمان. ويصف إقرار إيمان لندن المعمداني (1689) هذا الرأي كالآتي:

> إن المتلقّين المستحقين، الذين يشتركون ظاهريًا في العناصر المنظورة لهذه الفريضة، ينالون أيضًا، داخليًا بالإيمان، حقًا وبالفعل، ومع ذلك ليس جسديًا أو بدنيًا، بل روحيًا، المسيح مصلوبًا، ويتغذون عليه، وعلى جميع مزايا وفوائد موته. وحينئذ يتصوّر جسد المسيح ودمه في تلك الفريضة، ليس بدنيًا أو جسديًا، بل روحيًا، أمام إيمان المؤمنين، كما أن العناصر نفسها موجودة أمام حواسهم الخارجيّة. (30: 7)

وبهذا، يظل يسوع هو الطعام الذي يتغذّى عليه المؤمنون. فهو يصوّر نفسه أمام حواسنا باعتباره "خبز الحياة". وإذ نتغذّى على المسيح بالإيمان، ننال في أنفسنا الفوائد والنعمة التي تسندنا وتؤيّدنا عبر الحياة المسيحية. "فإن يسوع المسيح موجود هناك، يُقدَّم لنا كي نمتلكه، وفيه نجد ملء النعمة التي يمكن أن نرغب فيها، وفي هذه الفريضة ننال معونة جيدة لتثبيت وتمكين ضمائرنا في الإيمان الذي ينبغي أن يكون لنا فيه".[155]

هذا يعني، جزئيًا، أن عشاء الرب يخص المؤمن الضعيف. فلا أحد يقبل إلى المائدة في استحقاق لا تشوبه شائبة أو في قوة بلا أي خلل. بل نحن نقبل إلى المائدة مُعوَزين. نقبل إليها وقد أتينا لتونا من صراعاتنا مع الخطية، ومن إحباطاتنا، ومن عدم إيماننا، ومن العالم. فنحن في حاجة إلى أن نُطعَم ثانية. وبحاجة أن ننال الدعم والتأييد الذي يتيحه المسيح ويوفره. وبالإيمان ننال التغذية التي نحتاجها فيما نشرب من مزايا عمل يسوع الكفاري لأجل الخطاة والضعفاء.

كيفيّة الممارسة: اشتراك مع المسيح. لا تعد عناصر الافخارستيا رمزيّة فقط، بل إن كيفية الممارسة نفسها أو الاشتراك في العشاء ترمز أيضًا إلى حقائق هامة. ويوجز ريتشارد فيليبس ما يشير إليه فعل الأكل والشرب في العشاء كالآتي:

يشير أكل المؤمنين للعناصر إلى اشتراكهم في المسيح المصلوب. بالإضافة إلى ذلك، هذا الاشتراك في الفريضة المقدسة يشير إلى تأثير موت المسيح في منحه الحياة والقوة للنفس، كما أن الطعام والشراب يشدّدان الجسد. علاوة على ذلك، كما ترمز الفريضة المقدسة إلى اتحاد المؤمنين مع المسيح، فهي أيضًا تصنع فارقًا منظورًا بين أعضاء كنيسة المسيح والعالم، في حين تشير إلى شركة المؤمنين بعضهم مع البعض فيه.[156]

وبهذا يعيد فيليبس صياغة ما كتبه الرسول بولس منذ عدة قرون عن الافخارستيا:

لِذلِكَ يَا أَحِبَّائِي اهْرُبُوا مِنْ عِبَادَةِ الأَوْثَانِ. أَقُولُ كَمَا لِلْحُكَمَاءِ: احْكُمُوا أَنْتُمْ فِي مَا أَقُولُ. كَأْسُ الْبَرَكَةِ [الشكر] الَّتِي نُبَارِكُهَا، أَلَيْسَتْ هِيَ شَرِكَةَ دَمِ الْمَسِيحِ؟ الْخُبْزُ الَّذِي نَكْسِرُهُ، أَلَيْسَ هُوَ شَرِكَةَ جَسَدِ الْمَسِيحِ؟ (1 كورنثوس 10: 14–16).

فإن أكل وشرب هذه الوجبة يشير إلى اتحاد المؤمن أو اشتراكه مع المسيح. وبهذا ينتفع المؤمنون بمزايا وفوائد عمل المسيح الكفاري، ويتّكلون على تشديد المسيح، خبز الحياة، المستمر.

هذه هي المبادلة الرائعة التي صنعها معنا، بدافع إحسانه الذي لا يُقاس. فإذ صار ابن الإنسان معنا، جعلنا أبناء لله معه، وإذ نزل إلى الأرض، أعد لنا صعودًا إلى السماء. وإذ أخذ فناءنا وموتنا، نقل إلينا خلوده. وإذ قبل ضعفنا، شدّدنا بقوته. وإذ حمل فقرنا، نقل غناه لنا. وإذ حمل ثقل إثمنا (الذي كان يقمعنا)، كسانا ببره.[157]

الخبز: وحدة الكنيسة. وأخيرًا، يمثّل عشاء الرب أيضًا وحدة شعب الرب. "فَإِنَّنَا نَحْنُ الْكَثِيرِينَ خُبْزٌ وَاحِدٌ، جَسَدٌ وَاحِدٌ، لأَنَّنَا جَمِيعَنَا نَشْتَرِكُ فِي الْخُبْزِ الْوَاحِدِ" (1 كورنثوس 10: 17). حين تجتمع الكنيسة على مائدة الرب، لابد للمؤمنين أن يدركوا قيمة هذه الوحدة الروحية العميقة. فقد وبّخ بولس أهل كورنثوس لإخفاقهم في أن يظهروا وحدتهم في المسيح. فهو لم يمدحهم، وقال لهم إنهم "يَجْتَمِعُونَ لَيْسَ لِلأَفْضَلِ، بَلْ لِلأَرْدَإِ" (1 كورنثوس 11: 17). فقد ظهرت الانشقاقات والاضطرابات في كنيسة كورنثوس أولاً في الانشقاقات التي كانت تحدث عند مائدة الرب (1 كورنثوس 1: 10–13؛ 11: 18–19). فإن محبة الذات والنهم هيمنا عند المائدة حتى أن بولس استنتج أنهم اجتمعوا "لَيْسَ هُوَ لأَكْلِ عَشَاءِ الرَّبِّ" (1 كورنثوس 11: 20).

وكي تكون هذه الوجبة بالحقيقة هي عشاء الرب، كان يلزم على أعضاء الكنيسة أن يأكلوا ويشربوا "باستحقاق"، جزئيًا من خلال "تمييز جسد الرب" في العشاء (1 كورنثوس 11: 27، 29). أي أنهم كان لابد أن يميزوا وحدة الكنيسة كخبز واحد، وشعب واحد، مجتمعين معًا مع المسيح بذبيحته عنا. وكان

الإخفاق في فعل هذا بمثابة أن تصير "مُجْرِمًا فِي جَسَدِ الرَّبِّ وَدَمِهِ" (1 كورنثوس 11: 27). وفي مثل هذه الحالات، صارت المائدة أيضًا موضع دينونة وامتحان للنفس (1 كورنثوس 11: 28–34).

عشاء الرب ختم

إلا أن عشاء الرب لا يقف عند كونه علامة. بل إن الشركة المقدسة هي أيضًا ختم. فمن خلال الاشتراك المنتظم في عشاء الرب، ينال المسيحيون بالإيمان ختم أو "سمة" تميّزهم كمنتمين ليسوع وكشعب العهد المنتمي لله. وهذا هو المقصود، جزئيًا، حين يصف إقرار إيمان هيئة ائتلاف الإنجيل عشاء الرب بأنه "تجديد مستمر للعهد". ففي عشاء الرب، يتحدّث الرب إلى شعبه عن محبته ورحمته المستمرة من نحوهم.

> يختم عشاء الرب شعب الله من خلال منحهم برهاناً أكيداً عن اشتراكهم في المسيح. فإن المسيح هو من بهذا يعرف خاصته، مادًا يده ليعطيهم خبز وجبة العهد وكأسها. ويقول جون ماري: "حين نشترك في الكأس بإيمان، يكون هذا بمثابة شهادة تصديق يمنحنا إيّاها الرب ليقول إن كل ما يشمله العهد الجديد بدمه هو لنا. فإن هذا هو ختم نعمته وأمانته".[158]

في حين تمثل المعموديّة نوعًا ما من "قبلت الزواج" (I do) الذي يُقال بين المسيح وعروسه، يُكرّر العشاء عبارة "أستمر" (I continue)، تعبيرًا عن محبة يسوع للكنيسة. فإن الشركة المقدسة تذكّرنا بأن محبته لنا تدوم إلى الأبد.

عشاء الرب وحضور المسيح

إن كان عشاء الرب تجديدًا مستمرًا للعهد، فإن هذا يفترض إذن اشتراكًا أو شركة حقيقية مع المسيح. ولذا لابد ليسوع أن يكون حاضرًا عند العشاء على نحو له مغزى وأهمية. وفي تاريخ الكنيسة، كانت هناك ثلاث وجهات نظر رئيسيّة بشأن حضور المسيح في عشاء الرب.

الحضور المادي الحقيقي. تُعلّم الكنيسة الكاثوليكيّة الرومانيّة بأنه في أثناء ممارسة الإفخارستيا، تجري معجزة حيث يظل الخبز والخمر في هيئة خبز وخمر كما هما، ولكنّهما في الحقيقة يتحوّلان إلى جسد ودم المسيح الماديين. وهذا الرأي، الذي عُرف بالاستحالة (transubstantiation)، يدَّعي أيضًا أنه في الإفخارستيا يحدث إعادة تمثيل لذبيحة المسيح التي تمت على الصليب، ليس كمجرد علامة لتذكّر موت الرب.

وفي جدال الكنيسة الكاثوليكية الرومانيّة لصالح فكر الاستحالة، تقوم بممارسة الضغط على الصورة البلاغيّة لكلمات يسوع القائلة: "هذا هو جسدي ... هذه الكأس هي دمي"، جاعلة إياها كلمات حرفيّة مصمتة. علاوة على ذلك، يناقض إصرارهم على أن طقس القداس يقوم بإعادة تمثيل ذبيحة المسيح من جديد الكتاب المقدس بوضوح (رومية 6: 10؛ عبرانيين 7: 27؛ 9: 12، 26؛ 10: 10). فقد مات المسيح يسوع مرة واحدة وإلى الأبد، وهو الآن يحيا إلى الأبد ليشفع في شعبه.

كما يأخذ الرأي اللوثري عن حضور المسيح في عشاء الرب كلمات تأسيس المسيح للفريضة أيضًا بمحمل حرفي. إلا أن لوثر أصر على أن العناصر لا تتحوّل، بل تظل خبزًا وخمرًا، لكن جسد المسيح ودمه يكونان حاضرين في، وتحت، ومع عناصر الفريضة المقدسة. وهذا الرأي يطلق عليه "الحلول" (consubstantiation).

الرأي التذكاري. على الجانب الآخر من المشهد كانت هناك جماعات مسيحيّة تنكر حضور المسيح بأيّة صورة من الصور في عشاء الرب. فإن هذا الرأي التذكاري يسلّط الضوء على عبارة "اصْنَعُوا هذَا لِذِكْرِي" (1 كورنثوس 11: 24–25). وهكذا يصير العشاء مجرد ذكري أو تذكارًا. والكثيرون على الأغلب يربطون هذا الرأي بالمصلح السويسري هولدريخ زوينجلي، الذي عارض وجهتي النظر الكاثوليكيّة الرومانيّة واللوثريّة بخصوص حضور المسيح في العشاء.

الحضور الروحي. أما الخيار الثالث فهو يتبنّى أن المسيح — في حين لا يحضر ماديًا — حاضر روحيًا في مائدة الشركة. فإن العناصر تظل خبزًا وخمرًا، إلا أن المسيح بالإيمان يتقابل مع شعبه ويكون في شركة معهم في العشاء.

فإن عبارتي "هذَا هُوَ جَسَدِي" و"هذِهِ الْكَأْسُ هِيَ الْعَهْدُ الْجَدِيدُ بِدَمِي" هما عباراتان مجازيتان، وفقًا لرأي الحضور الروحي. فإن الخبز والخمر لا يتغيّران بأيّة صورة فعليّة. ومع ذلك فإن العشاء يتجاوز كونه مجرد تذكارًا. وفي قول هذا الرأي إن العبارتين مجازيتان أو رمزيتان، فهو بهذا لا يحط من قدر حقيقة وأهمية الشيء المشار إليه. فإن عشاء الرب يمزج ما بين الغموض الشديد والبركة الروحيّة الحقيقيّة.

> على الرغم من أن فكرة أن جسد المسيح، البعيد عنا هذه المسافة الكبيرة، يخترقنا ويدخل فينا، حتى أنه يصبح طعامنا، تبدو أنها لا تقبل التصديق، لكن دعونا نتذكّر كم أن قوة الروح القدس السريّة تفوق حواسنا جميعًا على نحو كبير، وكم أنه من الحماقة أن نرغب في أن نقيس عدم قابليته للقياس بمقاييسنا الخاصة. إذن، ما لا تدركه عقولنا، دع الإيمان يستوعبه: أن الروح القدس يوحّد حقًا بين الأشياء البعيدة عن بعضها مكانيًا.

إن هذا التناول المقدس من جسد المسيح ودمه، الذي به يسكب حياته فينا، وكأنه يخترق عظامنا حتى النخاع، يشهد هو عنها أيضًا ويختمها في العشاء — ليس بأن يقدم علامة باطلة وفارغة، بل أن يظهر في العشاء فاعليّة روحه في تحقيق ما يعد به. وحقًا يقدم المسيح الحقيقة المشار إليها في العشاء ويظهرها لجميع من يجلسون حول هذه الوليمة الروحيّة، مع كونها تُؤخَذ ويُستفاد بها من قبل المؤمنين وحدهم، الذي يقبلون هذا السخاء العظيم بإيمان حقيقي وامتنان القلب".[159]

حين ننظر عناصر الشركة المقدسة ونشترك فيها، ننال بالإيمان كل ما تشير إليه هذه العناصر فيما يخص الجسد المكسور والدم المسفوك الذي للرب يسوع المسيح. فبالإيمان، ينضم إلينا المسيح على العشاء، منتظرين اليوم الذي فيه يفسح الإيمان المجال للعيان، فنأكل مع المخلّص في ملكوت الآب (متى 26: 29).

رجاء رعوي

أشتاق إلى اليوم الذي فيه ينال ماثيو المعموديّة مع الكنيسة. وأشتاق أن أراه يبتهج بنواله علامة وختم اتّحاده مع المسيح بالإيمان. وبمشيئة الرب، سيقبل ماثيو والكنيسة بانتظام إلى عشاء الرب ليروا ويأخذوا من جديد عمل المسيح وفوائد ذبيحته. ومعًا سنسمع الرب يعبّر عن امتلاكه ومحبته لنا في العلامات المنظورة التي يعطيها لكنيسته. فنتذكّر موت مخلصنا كذبيحة عنّا ونبشر به معًا، منتظرين اليوم الذي فيه نأكل معه ثانية في ملكوت الآب. وبهذه الفرائض المقدّسة ننال إمدادات جديدة من النعمة. وبها نأخذ المسيح ربنا، وننال فرح الشركة معه. وأي فرح عظيم هذا أن نشترك في هذه الامتيازات الغنيّة المُعطاة من المسيح يسوع لشعبه!

بعض التأملات الرعويّة – اللاهوتيّة

[دانكان]: قام ثابيتي على نحو رائع، وواضح، وكتابي، ورعوي، بوضع الخطوط العريضة بخصوص فهمنا لعشاء الرب، كما أوجز لنا ثلاثة من وجهات النظر الرئيسيّة بشأن كيفيّة "حضور" المسيح (أو عدم حضوره!) في العناصر أو في كيفيّة ممارستها. لكن ربما يكون من المفيد أيضًا أن نوجز ما ركّزت عليه النصوص الكتابيّة المفتاحيّة بشأن الفرائض بوجه عام (مثل: تكوين 9؛ 12؛ 15؛ 17؛ خروج 12؛ 24؛ إشعياء 7؛ أعمال الرسل 2؛ رومية 4؛ 1 كورنثوس 1: 17؛ 1 بطرس 3: 18–22)، وبشأن عشاء الرب بوجه خاص (متى 26: 17–29؛ مرقس 14: 12–25؛ لوقا 22: 7–23؛ 1 كورنثوس 11: 17–32).[160]

ما نفعله هذا هام، لأنه كلما اتّضح موقف المؤمنين حيال ما هو عشاء الرب وما ليس هو عشاء الرب، وما يقوم به وما لا يقوم به، وما يهدف إليه وما لا يهدف إليه، صار هذا أكثر نفعًا لهم كوسيلة للنمو.

1. إن المعموديّة وعشاء الرب، كفرائض أو طقوس، أو علامات وأختام للعهد، لا تُحدِث أو تُنشيء علاقة عهديّة، بل هي تصوّر علاقة عهديّة موجودة بالفعل، وتؤكّدها، تلك العلاقة المبنيّة على الاختيار، والتي بدأت بالوعد، وتأسّست بالنعمة، وبادر بها الآب، وسكبها الروح القدس، والمُرتكزة على المسيح، وتُؤخَذ بالإيمان.
2. المعموديّة وعشاء الرب، كفرائض أو طقوس، هي جزء من البرنامج الإلهي للضمان الأبدي. فهي تُعطى لتغذية الإيمان وتنميته بالوعود العهديّة التي نطق بها الله. وهذا الجانب هو الجانب الذي يرتبط بكون الفرائض ختمًا.
3. إن الله لا يحضر "في" أي فريضة، إلا أن الصورة السريّة التي تتم في كل فريضة تشير إلى وعد حضور الله المجيد، والمنعم، والعهدي، وإلى وعده بالشركة. وبواسطة الروح القدس نختبر شيئًا ما من هذا الحضور. أي أنه من خلال الفريضة، وخاصة من خلال الممارسة المستمرة والمتكررة لعشاء الرب، نرى ونختبر لمحة من الشركة المجيدة الموجودة في الوعد العهدي التام: "أَكُونُ لَكُمْ إِلهًا وَأَنْتُمْ تَكُونُونَ لِي شَعْبًا"، وفي الرجاء العهدي التام "الله معنا"، وفي الشركة العهديّة التامة "أن نتكئ على مائدته".
4. توجد جوانب موضوعيّة وجوانب ذاتيّة في الفرائض، كما توجد أيضًا جوانب داخليّة وجوانب خارجيّة. وأي رفض للإقرار بالفارق ما بين العلامة (الجانب الخارجي) والشيء المشار إليه (الجانب الداخلي) يطيح بالفريضة، كما أبدى كالفن ملاحظته. وعلاوة على ذلك، إن الجانب الموضوعي (أي العلامة) موجود لأجل الجانب الذاتي (أي الحقيقة **المشار إليها**). وهكذا، فأن نتحدّث عن فاعليّة الفريضة في غياب الأداة الذاتيّة المفتاحيّة (الإيمان)، والتأثيرات والنتائج (إيمان متشدد، ونمو في النعمة، ويقين)، هو بمثابة أن يفوتنا الأمر برمّته الخاص باستخدام الروح القدس لعشاء الرب وغرض هذا العشاء.
5. ترتّبًا على هذا، لا تهب العلامات الفرائضيّة الحقيقة الفرائضيّة. فإن هذه الفرائض فعّالة في كونها تتمّم قصد الله، لكنها ليست فعّالة على نحو دائم في حد ذاتها. فلطالما وُجد من هم نظير إسماعيل وسيمون. مَن يريدون فاعليّة موضوعيّة ثابتة، أي يريدون أن تهب الفرائض تلقائيًا النعمة فقط من

خلال ممارستها، وهؤلاء سيكون عليهم الذهاب إلى روما أو القسطنطينيّة، دون أدنى تأييد من الفكر العهدي الكتابي.

6. لم تقم قصة واحدة من قصص عشاء الرب بلفت انتباهنا إلى الحضور المادي للمسيح في العشاء. فإن لغة الجسد والدم توجّهنا بوضوح إلى التأمّل في ذبيحة المسيح العهديّة.[161]
7. بكل تأكيد، تدفعنا روايات عشاء الرب في العهد الجديد إلى أ) أن نقدّم شكرًا لله على الخلاص الذي لنا بالمسيح؛ ب) أن نتذكّر موت المسيح باعتباره الخروج الذي تم في العهد الجديد في وجبة عهديّة؛ ج) أن ننادي بالأهميّة التي لا تحصى وبالمعنى المجيد لموته الخلاصي؛ وأخيرًا د) أن نشترك معه ومع شعبه، الذي هو جسده.

تناول الأطفال لعشاء الرب وكلمة وداعيّة

على الرغم من أن تناول الأطفال لعشاء الرب (أي اشتراك الأطفال الصغار في العشاء دون مجاهرة صادقة وصريحة بالإيمان)، والتي ظلّت لفترة طويلة قاصرة على الأرثوذكسيّة الشرقيّة، قد نالت بعض الرواج في الدوائر الليبراليّة والكنائس البروتستانتيّة العُليا [المترجم: أي الكنائس البروتستانتيّة المحافظة على التقاليد] (مع بعض الاستثناءات عديمة الأهمية في بعض الدوائر الإصلاحيّة المحافظة)، إلا أن غالبيّة مؤيدي معموديّة الأطفال ومؤيدي معموديّة المؤمنين من البروتستانتيين الإنجيليين يتّفقون على كون مائدة الرب مُخصّصة فقط لمن يؤمنون بيسوع المسيح. وهكذا فإن المشتركين الحقيقيّين في عشاء الرب هم من **يضعون ثقتهم في يسوع المسيح وحده لأجل خلاصهم كما هو مُقدَّم في الإنجيل، وقد نالوا علامة العضويّة (المعموديّة) في جسد المسيح، أي كنيسته.** فإن عشاء الرب مُخصّص للمؤمنين المجاهرين بإيمانهم بالرب يسوع المسيح، والذين يُميّزون جسد الرب، أي الكنيسة (1 كورنثوس 11: 29).

في ختام شرحنا التفصيلي للفقرة رقم 12 من إقرار إيمان هيئة ائتلاف الإنجيل، ربما يكون من المفيد أن نوجز بعض النقاط الهامة عن التعليم الكتابي الخاص بطبيعة الفرائض. فإن فرائض الله أو علامات العهد وأختامه هي "كلمات منظورة" (أغسطينوس). فإننا فيها نرى بأعيننا وعد الله. بل حقّاً نرى في الفرائض، ونشتم، ونلمس، ونتذوق الكلمة. ففي القراءة العلنية للكتاب المقدس والوعظ بها، يخاطب الله ذهننا وضميرنا من خلال حاسة السمع. أما في الفرائض، فهو يخاطب ذهننا وضميرنا على نحو فريد من خلال الحواس الأخرى. فإن وعد الله يصير ملموسًا بالنسبة للحواس ومن خلالها ولها. فإن الفريضة هي علامة وختم العهد، مما يعني أنّها تذكّرنا بالوعد وتمنحنا اليقين فيه.

والوسيلة الأخرى لقول هذا هي أن الفريضة هي فعل عيّنه الله كعلامة (رمز) وكختم (تصديق) لحقيقة عهديّة أتمّتها قوة الله ونعمته، وتحدّثت كلمة الله عن أهميتها، وحصل عليها البشر أو دخلوا إلى حقيقتها بالإيمان وحده. وهكذا، فإن ضعف وهشاشة الإيمان البشري ترحّب بهذا الفعل المُنعِم من الطمأنة والتمكين. فإن الفرائض بالطبيعة تكمّل وتؤكّد وعود الله الموجودة في كلمته، والنعمة التي تنقلها الفرائض هي النعمة ذاتها التي ينقلها الوعظ. فإن الفرائض فعّالة فقط للمختارين بما أن فوائدها تقدسهم وإذ يتم نوالها بالإيمان.

الفصل الرابع عشر

رد كل شيء

سام ستورمز

"المسيح مات، المسيح قام، المسيح سيأتي ثانية!" هذا القرار الليتورجي البسيط يُذكِّرنا بالحق البالغ الأهميّة بأن الأمور الأخرويّة (الأخرويات) متأصّلة بعمق وعلى نحو غير قابل للانفصام في الإنجيل. فإن الفعلين "**مات**" و"**قام**" اللذين جاءا في صيغة الماضي هما الأساس الذي بناء عليه يثابر المؤمن في رجاء أن "المسيح **سيأتي** ثانية". ونقول ببساطة إن ما قد أتمّه الله بالفعل في الماضي من خلال حياة، وموت، وقيامة ابنه هو الأساس لما يقول الكتاب المقدس إنه **سيفعله** في المستقبل، عند اكتمال كل شيء.

فإن الرجاء المسيحي ليس تشبثًا راجيًا بغد غير يقيني، بل هو انتظار واثق متأصل في حقيقة ما حدث منذ ألفي عام. فإن فاعليّة وغائيّة عمل المسيح الفدائي، إلى جانب قيامته وتمجيده رباً عن يمين الآب، هو ما يعلّل الانتظار الذي لدى جميع المؤمنين لمجيء المسيح ثانية، وللتتميم النهائي لقصد الله الأزلي في السماوات الجديدة والأرض الجديدة.

وقد تم إيجاز رجاء المؤمن الأخروي على نحو جيد في الفقرة الثالثة عشر والأخيرة من إقرار إيمان هيئة ائتلاف الإنجيل. فإن هذه الفقرة لا تتناول مختلف سيناريوهات الأيام الأخيرة الموجودة في العالم الإنجيلي، بل هي مُخصَّصة لتحديد تلك العناصر **الرئيسيّة** التي تشكّل رجاءنا الأخروي، والتي يقبلها جميع من يقبلون بسلطان النص الموحى به. ولذلك، تعد هذه الفقرة تصريحًا إنجيليًا شاملاً وعامًا يتجنّب الاختلافات المذهبيّة والطائفيّة التي شوّهت في كثير من الأحيان النقاش حول مقاصد الله بشأن الأيام الأخيرة. وهذه الفقرة تقول الآتي:

> نؤمن بالمجيء الثاني الشخصي، والمجيد، لربنا يسوع المسيح بالجسد مع ملائكته القديسين، حين يُمارس دوره كالديّان الأخير، وحين يكتمل ملكوته. ونؤمن بقيامة كل من الأبرار والأشرار بالجسد — الأشرار إلى الدينونة، وإلى العقوبة الأبديّة بوعي في الجحيم، كما علّمنا ربنا نفسه، والأبرار إلى النعيم الأبدي في محضر ذاك الجالس على العرش والحمل، في السماء الجديدة والأرض الجديدة، مسكن البر. وفي ذلك اليوم، ستمثُل الكنيسة بلا عيب أمام الله بسبب طاعة المسيح، وآلامه، وغلبته، وستطهَّر من جميع خطاياها، وتزول عنها جميع تأثيراتها الرديئة إلى الأبد. وسيصير الله الكل في الكل، وسيُسبحَ شعبه بآنية قداسته الفائقة الوصف، ويصير كل شيء لمدح مجد نعمته.

المجيء التأسيسي والاكتمال التام لملكوت الله

إن "الرجاء المبارك" للمؤمن، وبالتالي الفكرة المسيطرة على علم الأخرويات الكتابي، هو "ظُهُورَ مَجْدِ اللهِ الْعَظِيمِ وَمُخَلِّصِنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ" (تيطس 2: 13)، ليُتمّم ملكوت الله. ولكي نفهم ما يستلزمه هذا الإتمام، لابد أن نستكشف أولاً معًا عملية تأسيس حكم الله السيادي في المجيء الأول للمسيح. وكما ذكرنا فيما سبق، نحن نرى هنا مرة أخرى أن مفتاح المستقبل يكمن في الماضي.

فلابد أن يُنظَر إلى مناداة المسيح بملكوت الله في القرن الأول من حيث علاقتها، بل من حيث مقابلتها مع، تطلّعات الشعب اليهودي في زمنه. فإن الاتجاه والرجاء التوقّعي لإسرائيلي القرن الأول كان يدور حول السيادة في الأرض التي وعد بها الله إبراهيم ونسله، بالإضافة إلى عرش أبدي، وهيمنة عالميّة، وفوق الكل حضور الملك نفسه في قوة ومجد ليحكم شعب الله. فإن الأسئلة التي كان صداها يتردّد في قلب الشعب اليهودي في زمن يسوع كانت: "متى سيرسل يهوه المسيّا ليخلّصنا من مُضطهدينا، ويُتمّم مواعيد العهد المُعطاة لآبائنا؟ أين تتميم الملكوت الذي وعد به الله؟"

لا أحد يختلف بشأن حقيقة أن بؤرة تركيز خدمة المسيح كانت هي إعلان **حلول ملكوت الله:** "قَدْ كَمَلَ الزَّمَانُ وَاقْتَرَبَ مَلَكُوتُ اللهِ، فَتُوبُوا وَآمِنُوا بِالإِنْجِيلِ" (مرقس 1: 15؛ انظر أيضًا متى 3: 2؛ 4: 17، 23؛ 10: 7؛ لوقا 4: 43؛ 10: 9). وقد كان مفهوم الملكوت الغالب على ذهن يهودي العهد القديم يختص بنصرة الله المنظورة على أعدائه، ومساندة شعبه إسرائيل وردهم ليستلطوا على الأرض، بالإضافة إلى تتميم الوعود المختصّة بعرش داودي، وحكم أرضي في قوة ومجد.

يقول إن. تي. رايت: "إن ملكوت الله، بالنسبة لليهودي البسيط في النصف الأول من القرن الأول، كان يعني النصرة العتيدة لشعب إسرائيل، والانتصار على الوثنيين، وهبة السلام، والعدل، والرخاء التامة. وليس من المثير للدهشة على الإطلاق أنه حين ظهر نبي يعلن أن فجر هذا الملكوت كان عتيدًا أن يبزغ، وأن إله إسرائيل كان أخيرًا سيصبح ملكًا، وجد آذانًا صاغية".[162] فإن القضية المحوريّة كانت: متى سيعود يهوه إلى صهيون ليسكن مع شعبه، وليصفح عنهم، ويردّهم؟ فإن الرجاء اليهودي، كما يُبدي رايت ملاحظته:

> كان رجاءً صلبًا، ومحددًا، ومتمحورًا حول الشعب ككل. فلو ظل بيلاطس يحكم اليهوديّة، فإن الملكوت إذن لم يأت بعد. ولو لم يُبن الهيكل ثانية، فإن الملكوت لم يأت بعد. ولم لم يكن المسيّا قد جاء بعد، فإن الملكوت لم يأت بعد. ولو لم يحفظ شعب إسرائيل التوراة على نحو سليم (بغض النظر عن كيفيّة تعريفنا لهذا)، فإن الملكوت لم يأت بعد. ولو لم يُهزَم الوثنيون، ويتدفقون أفواجًا إلى صهيون ليتعلّموا الشريعة، فإن الملكوت لم يأت بعد. فإن هذه البنود والعلامات الملموسة والماديّة جميعها شديدة الأهمية.[163]

فبالنسبة للقادة الدينيّين في زمن يسوع وأيضًا بالنسبة للرجل العادي، كان ملكوت الله العتيد أن يأتي يتعلّق بمسألة تحرير قومي، وهزيمة حربيّة للمُضّطهِدين الوثنيّين. هذا الفكر ربما ساهم في حيرة وارتباك يوحنا المعمدان بشأن يسوع:

> أَمَّا يُوحَنَّا فَلَمَّا سَمِعَ فِي السِّجْنِ بِأَعْمَالِ الْمَسِيحِ، أَرْسَلَ اثْنَيْنِ مِنْ تَلاَمِيذِهِ، وَقَالَ لَهُ: «أَنْتَ هُوَ الآتِي أَمْ نَنْتَظِرُ آخَرَ؟» فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمَا: «اذْهَبَا وَأَخْبِرَا يُوحَنَّا بِمَا تَسْمَعَانِ وَتَنْظُرَانِ: اَلْعُمْيُ يُبْصِرُونَ، وَالْعُرْجُ يَمْشُونَ، وَالْبُرْصُ يُطَهَّرُونَ، وَالصُّمُّ يَسْمَعُونَ، وَالْمَوْتَى يَقُومُونَ، وَالْمَسَاكِينُ يُبَشَّرُونَ. وَطُوبَى لِمَنْ لاَ يَعْثُرُ فِيَّ». (متى 11: 2–6)

وفي رد يسوع على تلاميذ يوحنا، كان يدَّعي أن تتميم رجاء العهد القديم مع بركاته المصاحبة له كان في حقيقة الأمر **حاضرًا** في شخصه وفي خدمته. إلا أن التتميم لم يكن يحدث بحسب الطرق والوسائل المتوقّعة، ومن هنا جاءت حيرة يوحنا.

فإن العنصر غير المُتوقّع هو أن التتميم كان يتحقّق بالفعل في يسوع، لكن **دون الاكتمال الأخروي.** فإن الرجاء النبوي للعهد القديم بشأن ملكوت الله المسياني الآتي كما وُعد به شعب إسرائيل كان يتحقّق بالفعل في شخص يسوع وفي خدمته، لكن لم يكن هذا هو الاكتمال بعد. فإن اليهود الذين عاشوا في زمن الرب، وتماشيًا مع ما كانوا يقرأونه في كتاباتهم المُوحى بها، كانوا يتوقّعون اكتمال الملكوت، والإطاحة التامة والنهائيّة بأعداء إسرائيل السياسيّين، وبداية عصر من السلام المبارَك، والرخاء في الأرض.

إلا أن الرب قد جاء برسالة تفيد بأنه قبل أن يأتي الملكوت في اكتماله الأخروي، جاء في شخصه وعمله بالروح والقوة. ولذلك، فإن الملكوت يعد هو ملك الله الروحي الحالي، وأيضًا العالم المستقبلي الذي سيملك عليه في قوة ومجد. وهكذا، يستنتج جورج لاد استنتاجًا سليمًا ويقول:

> **قبل الظهور الأخروي لملكوت الله في نهاية الزمان، صار ملكوت الله فعّالاً ديناميكيًا بين البشر في شخص يسوع ورسالته.** فإن الملكوت في هذا العصر لم يكن هو المفهوم المُجرَّد عن حكم الله الكوني الذي لابد أن يخضع له البشر فحسب، بل هو بالأحرى قوة ديناميكيّة عاملة بين البشر... وقبل مجيء ملكوت الله الأخروي والاستعلان الأخير لحكمه لبدء عصر جديد، أظهر الله حكمه، وملكوته، لكي يجلب للبشر قبل العصر الأخروي بركات ملكه الفدائي.[164]

وفي رد يسوع على سؤال يوحنا، أشار إلى ربط إبليس كمثال على ظهور حكمه الملكي. "إن دلالة العلاقة بين إخراج يسوع للشياطين وملكوت الله هي هكذا بالتحديد: قبل الغلبة الأخرويّة لملكوت الله على الشر، وقبل إبادة إبليس، اجتاح ملكوت الله عالم إبليس ليوجه له هزيمة مبدئيّة لكنها حاسمة".[165] وهكذا أيضًا، جسّدت كلمات يسوع نفسها مجيء الملكوت وعبّرت عنه: "فإن الكلمة نفسها التي نادى بها يسوع

حقّقت ما نادت به: أي إطلاق الأسرى، وشفاء العمي، وتحرير للمضطهدين... فإن الرسالة قد أتت بالعصر الجديد... وأتاحت وجود علامات التتميم المسياني. فإن الكلمة تجلب ملكوت الله. والإنجيل في حد ذاتهِ هو أعظم العلامات المسيانيّة".[166]

وهكذا فإن ملكوت الله هو مُلك الله الفدائي، أو ربوبيته السياديّة، العاملة ديناميكيًا لتثبيت وترسيخ حكمه بين البشر. وهناك لحظتان حاسمتان ودراميتان في استعلان وظهور هذا الملكوت: أولاً، لحظة تحقّقه في التاريخ في المجيء الأول للابن، حيث هُزم إبليس، واختبر الرجال والنساء بركات ملك الله؛ وثانيًا، لحظة وصوله إلى ذروة اكتماله في نهاية الزمن في المجيء الثاني للابن ، حين يبيد أعداءه نهائيًا وإلى الأبد، ويخلّص شعبه وكل الخليقة من الشر، ويؤسّس حكمه الأبدي في السماوات الجديدة والأرض الجديدة.

هذا التعبير غير المتوقّع عن الملكوت في صورته الحالية باعتباره ملك الله الفدائي هو بالتحديد الصورة **السريّة** للملكوت كما تم تصويرها في أمثال متى 13. فإن عرض الله بأن يأتي بملكوته، هو بالطبع ليس سرًا أو لغزًا. كما لم يكن سرًا أيضًا أن الملكوت كان عتيدًا أن يأتي في قوة ومجد. إلا أن اللغز والسر يكمنان في إعلان جديد يخص قصد الله من تأسيس ذلك الملكوت، وكي نكون أكثر تحديدًا ودقة، أن الملكوت الذي كان عتيدًا أن يأتي في المستقبل في قوة ومجد هو في حقيقة الأمر **قد دخل بالفعل إلى العالم مقدمًا، في صورة خفيّة**، كي يعمل سرًا في البشر وبينهم (انظر مرقس 4: 26–32). ومرة أخرى، إلينا تفسير لاد لهذا:

> ربما نستنتج أن "سر الملكوت" هو مفتاح فهم العنصر الفريد الموجود في تعليم يسوع عن الملكوت. فقد أعلن يسوع أن ملكوت الله قد اقترب، بل وأكد أنه كان قد أقبل حقًا على البشر (متى 12: 28). فقد كان هذا الملكوت موجودًا في كلمته وفي أعماله المسيانيّة. كان موجودًا في شخصه، باعتباره الخلاص المسياني. وقد شكّل هذا الملكوت تتميمًا لتوقّع وانتظار العهد القديم. ومع ذلك فإن مجيئه وحلوله لم يكن غنيًا عن حاجته للتفسير والشرح، ولم يكن واضحًا من ذاته. فقد كان هناك شيء ما بشأنه لم يكن من الممكن فهمه سوى بالإعلان. وهذا كان يعني أنه في حين أن وجود الملكوت كان تتميمًا لتوقّع العهد القديم، لكنّه كان تتميمًا بمفردات ونواحي تختلف عمّا يمكننا توقّعه من الأنبياء. فقبل نهاية الزمان ومجيء الملكوت في قوة مجيدة، كان قصد الله أن تدخل قوى ذلك الملكوت الأخروي إلى التاريخ البشري لهزيمة مملكة إبليس، ولتفعيل وتشغيل القوة الديناميكيّة لملك الله الفدائي بين البشر. هذا الظهور الجديد لملكوت الله كان يتم على صعيد التاريخ البشري وكان متمحورًا حول إنسان واحد — يسوع المسيح.[167]

وبهذا، يوجد ظهور ثنائي لملكوت الله يتعلّق نوعيًا بمجيئي المسيح نفسه. فهو قد ظهر أولاً في خفاء واتّضاع، كي يتألم ويموت لأجل تبرئة عدل الله وبره ولأجل خلاص شعبه (رومية 3: 23–26). وبهذا، كما يقول بولس، إن الله "أَنْقَذَنَا مِنْ سُلْطَانِ الظُّلْمَةِ، وَنَقَلَنَا إِلَى مَلَكُوتِ ابْنِ مَحَبَّتِهِ، الَّذِي لَنَا فِيهِ

الْفِدَاءُ، بِدَمِهِ غُفْرَانُ الْخَطَايَا" (كولوسي 1: 13–14). ولكنّه سيظهر ثانية في قوة منظورة ومجد ليخلّص الأرض من لعنة الخطيّة، ويمجّد شعبه، ويؤسّس حكمه السيادي إلى الأبد في العظمة المُكتملة للسماوات الجديدة والأرض الجديدة.

وهكذا، لابد أن نفكر في الملكوت بمفردات **كل من** "عالم البر أو الخلاص الحالي حيث يقبل البشر الملكوت أو يرفضونه، **وأيضًا** بمفردات العالم المستقبلي حين تستعلن قوى الملكوت في مجد منظور. فإن العالم الأول قد بدأ في بدايات غير ملحوظة دون استعلان خارجي، ومن يقبلونه لابد أن يعيشوا في اختلاط مع من يرفضونه حتى اكتمال كل شيء. حينئذ سيظهر الملكوت في استعلان قوي من القوة والمجد. فإن ملكوت الله سيأتي، والحالة الأخيرة ستشهد التحقيق التام والكامل لمشيئة الله في كل مكان وإلى الأبد".[168]

القيامة

إن العنصر الذي كثيرًا ما يتم تجاهله من جهة الرجاء الأخروي للمؤمن هو قيامة الجسد. فإن الصورة الشائعة لمؤمن دون ملامح أو شكل، يطفو في ضباب روحي غير مادي، ويتحرك من سحابة إلى أخرى في السماء، ترجع بشكل أكبر إلى الفلسفة اليونانيّة الثنائيّة أكثر من كونها ترجع إلى النص الكتابي. فإن شعب الله سيمضي الأبديّة في جسد، الذي مع كونه جسدًا مقامًا وممجدًا، لكنه ليس لذلك أقل ماديّة في طبيعته. وقد أكّد بولس على حقيقة هذه القيامة بوضوح وبشكل صريح في 1 كورنثوس 15: 50–57. حيث كتب:

> فَأَقُولُ هذَا أَيُّهَا الإِخْوَةُ: إِنَّ لَحْمًا وَدَمًا لاَ يَقْدِرَانِ أَنْ يَرِثَا مَلَكُوتَ اللهِ، وَلاَ يَرِثُ الْفَسَادُ عَدَمَ الْفَسَادِ. هُوَذَا سِرٌّ أَقُولُهُ لَكُمْ: لاَ نَرْقُدُ كُلُّنَا، وَلكِنَّنَا كُلُّنَا نَتَغَيَّرُ، فِي لَحْظَةٍ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ، عِنْدَ الْبُوقِ الأَخِيرِ. فَإِنَّهُ سَيُبَوَّقُ، فَيُقَامُ الأَمْوَاتُ عَدِيمِي فَسَادٍ، وَنَحْنُ نَتَغَيَّرُ. لأَنَّ هذَا الْفَاسِدَ لاَبُدَّ أَنْ يَلْبَسَ عَدَمَ فَسَادٍ، وَهذَا الْمَائِتَ يَلْبَسُ عَدَمَ مَوْتٍ. وَمَتَى لَبِسَ هذَا الْفَاسِدُ عَدَمَ فَسَادٍ، وَلَبِسَ هذَا الْمَائِتُ عَدَمَ مَوْتٍ، فَحِينَئِذٍ تَصِيرُ الْكَلِمَةُ الْمَكْتُوبَةُ: «ابْتُلِعَ الْمَوْتُ إِلَى غَلَبَةٍ». «أَيْنَ شَوْكَتُكَ يَا مَوْتُ؟ أَيْنَ غَلَبَتُكِ يَا هَاوِيَةُ؟» أَمَّا شَوْكَةُ الْمَوْتِ فَهِيَ الْخَطِيَّةُ، وَقُوَّةُ الْخَطِيَّةِ هِيَ النَّامُوسُ. وَلكِنْ شُكْرًا للهِ الَّذِي يُعْطِينَا الْغَلَبَةَ بِرَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ.

وتعد العبارة المفتاحيّة هنا هي تصريح بولس بأن "لَحْمًا وَدَمًا لاَ يَقْدِرَانِ أَنْ يَرِثَا مَلَكُوتَ اللهِ" (عدد 50). وببساطة، لا يمكن للطبيعة الفاسدة والزائلة أن ترث ملكوتًا لا يفسد ولا يفنى أو تشترك فيه. كما لا يمكن أيضًا للأحياء ("اللحم والدم") أو الأموات ("الفاسد") أن يرثوا الملكوت في وضعهم الحالي.

فإن بولس، إذن، يصر ليس على ضرورة التجديد بل على ضرورة القيامة، أي التمجيد الأخير للمؤمن، الذي سيحدث عند المجيء الثاني للمسيح (قارن 1 تسالونيكي 4: 13–18). وباختصار، من

تغيّروا تمامًا جسدًا وروحًا بتلك القيامة/التمجيد الذي سيحدث عند عودة المسيح هم وحدهم من سيرثون ملكوت الله.

ويعد نص 2 كورنثوس 5: 1–5 نصًا محوريًا في هذا الشأن. ففيه يشبّه بولس الموت الجسدي، أي تحلّل الجسد، بنقض خيمة. لكن الموت لابد ألا يؤدي إلى اليأس، لأننا "لَنَا فِي السَّمَاوَاتِ بِنَاءٌ مِنَ اللهِ، بَيْتٌ غَيْرُ مَصْنُوعٍ بِيَدٍ، أَبَدِيٌّ" (عدد 1). ومن بين مختلف التفسيرات، يعد أفضل خيار هو أن نرى هذا إشارة إلى **الجسد الممجّد والمُقام**، أي ذلك الجسد الأخير والنهائي الذي سنحيا فيه إلى الأبد.[169]

أما الاعتراض الرئيسي على هذا الرأي فهو استخدام بولس لزمن المضارع، "**لَنَا** ... بِنَاءٌ مِنَ اللهِ" (وليس "**سيصير لنا**"). وهذا يبدو أنه يوحي بأن المؤمن سينال، بعد الموت مباشرة، جسده الممجّد. لكن هذا بدوره يتعارض مع 1 كورنثوس 15: 22–28، 51–56؛ و1 تسالونيكي 4–5، وربما 1 يوحنا 3: 1–3، تلك النصوص التي تشير جميعها إلى أن التمجيد يحدث عند المجيء الثاني للمسيح.

علاوة على ذلك، نجد مرارًا وتكرارًا ذكر الكتاب المقدس لحقيقة مستقبليّة، أو ملكيّة يقينيّة ومؤكّدة ومضمونة للغاية من وجهة نظر الكاتب، حتى أنه يتم الحديث عنها في زمن المضارع، وكأنها لنا بالفعل اختباريًا. وهكذا، فإن زمن المضارع الذي استخدمه بولس "لنا" على الأرجح يشير إلى **حقيقة وواقع** الامتلاك كما إلى **دوام** هذا الامتلاك، لكن ليس إلى **آنية** الامتلاك. هذه هي لغة الرجاء.

وقد تجادل البعض في أن بولس ربما يستخدم زمن المضارع لأن القديسين في السماء لا يشعرون ولا يعون الفترة الواقعة ما بين الموت الجسدي والقيامة الأخيرة، وهكذا فإن نوال جسد القيامة **يبدو** وكأنه يتبع الموت مباشرة. لكن يقف ضد هذا التعليمَ الواضح للكتاب المقدس بأن من ماتوا يختبرون عن وعي الحالة الوسطيّة (انظر 2 كورنثوس 5: 6–8؛ فيلبي 1: 21–24؛ رؤيا 6: 9–11). فإن كان المؤمن الميت قد "انطلق" ليكون "مع المسيح" (فيلبي 1: 23)، وهو بهذا سيكون "مع" المسيح حين يأتي ثانية (1 تسالونيكي 4: 17)، فقد يبدو إذن أن نوعًا ما من الوجود الواعي يسود في الفترة ما بين موت الشخص والقيامة العامة، ولهذا نشير إلى هذا الوقت باعتباره الحالة **الوسطيّة**.

وعلى الرغم من أن بولس يبدو وكأنه يتصوّر إمكانيّة (احتماليّة؟) موته الجسدي، لكنّه مع ذلك كان لديه رجاء في أنه سيظل على قيد الحياة حتى يأتي المسيح ثانية. ولهذا كتب:

> فَإِنَّنَا فِي هذِهِ [الخيمة] أَيْضًا نَئِنُّ مُشْتَاقِينَ إِلَى أَنْ نَلْبَسَ فَوْقَهَا مَسْكَنَنَا الَّذِي مِنَ السَّمَاءِ. وَإِنْ كُنَّا لاَبِسِينَ لاَ نُوجَدُ عُرَاةً. فَإِنَّنَا نَحْنُ الَّذِينَ فِي الْخَيْمَةِ نَئِنُّ مُثْقَلِينَ، إِذْ لَسْنَا نُرِيدُ أَنْ نَخْلَعَهَا بَلْ أَنْ نَلْبَسَ فَوْقَهَا، لِكَيْ

يُبْتَلَعَ الْمَائِتُ مِنَ الْحَيَاةِ. وَلكِنَّ الَّذِي صَنَعَنَا لِهذَا عَيْنِهِ هُوَ اللهُ، الَّذِي أَعْطَانَا أَيْضًا عَرْبُونَ الرُّوحِ. (2 كورنثوس 5: 2–5).

يتحدّث بولس هنا عن رغبته في أن يظل على قيد الحياة حتى يأتي المسيح ثانية، إذ حينئذ لن يكون مضطرًا إلى أن يموت بالجسد ويختبر انفصال الجسد عن الروح، وهي حالة يشير إليها بكلمة "عراة" (عدد 3)، أو بكلمة "نخلع" (عدد 4). بل كل ما كان يفضّله، لأسباب مفهومة، هو أن ينضم مباشرة إلى الرب في جسده المقام والممجّد.

في 2 كورنثوس 5: 2، هذا العدد الذي تكرر مرة أخرى وبتوسع إلى حد ما في عدد 4، يمزج بولس بين صورته البلاغيّة عن اللبس أو الارتداء وبين صورة البناء. لكن الأمر كان يتجاوز مجرد ارتداء ثوب ما، بل هو ارتداء ثوب فوق آخر. فإن الجسد السماوي، الذي يشبه ثوبًا خارجيًا أو معطفًا، يتم ارتداؤه ولبسه فوق الجسد الأرضي الذي يكسو الرسول في الوقت الحالي. وبهذا فإن الجسد الممجّد السماوي لا يغطي الجسد الأرضي فحسب، بل أيضًا يبتلعه ويغيّره (انظر فيلبي 3: 20–21؛ 1 كورنثوس 15: 53).

فإن ظل بولس (أو نحن) على قيد الحياة حتى مجيء المسيح ثانية، فهو سيُوجد من قبل الرب لابسًا جسدًا (الجسد الأرضي الحاضر)، وليس في حالة غير ماديّة. فأن توجد دون جسد هو أن توجد "عاريًا" (2 كورنثوس 5: 3). ومن الواضح أن بولس كان يتخيّل هنا حالة غير جسديّة توجد في الفترة ما بين الموت الجسدي والقيامة العامة (قارن كلمة "نخلع" في عدد 4).

لكن ما هي الضمانات التي لنا من الله بأنه حقًا سيهبنا جسدًا ممجّدًا وأبديًا غير قابل بعد للتدهور والمرض الذي نختبره الآن؟ الإجابة البسيطة هي: الروح القدس! فإن تصريح بولس في 2 كورنثوس 5: 5 يذكّرنا "بأن 'عربون الروح' ليس مجرد وديعة راكدة، بل هو العمل النشط والمفعم بالحيويّة للروح القدس بداخل المؤمن، مانحًا إيّاه الضمان بأن جوهر القوة ذاته الذي أحدث قيامة المسيح يسوع من الأموات موجود وعامل فيه أيضًا، كي يعد جسده المائت لإتمام الفداء بتمجيد جسده".[170]

إذن، ليس الموت بالنسبة للمؤمن شيئًا ينبغي أن يخشاه. فإننا نعلم أنه مهما كان المرض أو الوهن الذي يعترينا الآن، ومهما كانت درجة الألم والمشقّة التي لابد وأن نواجهها، فإن لنا وعد من الروح بمسكن ممجّد، مشابه للمسيح، متغير، وأبدي تمامًا، وعد بجسدٍ لن يُوجد به مرض، أو ألم، أو حرمان، أو فساد. وربما يكون أفضل سيناريو لهذا كما يقول بولس هو أن نظل أحياء حين يأتي المسيح ثانية. وبهذا، ينتقل المؤمن في الحال من "مسكنه" (أي جسدنا المادي الحالي) إلى ذلك "الثوب" الممجّد (الذي هو جسدنا المقام

والذي سيظل هكذا إلى الأبد). فإن بولس يفضل ألا "يخلع"، بل أن يلبس مسكن الأبديّة فوق مسكن الزمن بحيث يفتدي الأول الأخير ويغيّره.

وكان الرسول حريصًا أيضًا على الربط بين قيامة المؤمنين وتمجيدهم الأخير وبين إبطال ونقض اللعنة الواقعة على الخليقة الطبيعية:

> فَإِنِّي أَحْسِبُ أَنَّ آلاَمَ الزَّمَانِ الْحَاضِرِ لاَ تُقَاسُ بِالْمَجْدِ الْعَتِيدِ أَنْ يُسْتَعْلَنَ فِينَا. لأَنَّ انْتِظَارَ الْخَلِيقَةِ يَتَوَقَّعُ اسْتِعْلاَنَ أَبْنَاءِ اللهِ. إِذْ أُخْضِعَتِ الْخَلِيقَةُ لِلْبُطْلِ - لَيْسَ طَوْعًا، بَلْ مِنْ أَجْلِ الَّذِي أَخْضَعَهَا - عَلَى الرَّجَاءِ. لأَنَّ الْخَلِيقَةَ نَفْسَهَا أَيْضًا سَتُعْتَقُ مِنْ عُبُودِيَّةِ الْفَسَادِ إِلَى حُرِّيَّةِ مَجْدِ أَوْلاَدِ اللهِ. فَإِنَّنَا نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ الْخَلِيقَةِ تَئِنُّ وَتَتَمَخَّضُ مَعًا إِلَى الآنَ. وَلَيْسَ هكَذَا فَقَطْ، بَلْ نَحْنُ الَّذِينَ لَنَا بَاكُورَةُ الرُّوحِ، نَحْنُ أَنْفُسُنَا أَيْضًا نَئِنُّ فِي أَنْفُسِنَا، مُتَوَقِّعِينَ التَّبَنِّيَ فِدَاءَ أَجْسَادِنَا. (رومية 8: 18–23)

وبهذا فإن عتق الخليقة الطبيعيّة أو فداءها مرتبط ارتباطًا وثيقًا بعتق أولاد الله وفدائهم. فحين يُستعلن أبناء الله (رومية 8: 19)، ستختبر الخليقة نفسها فداءها. ولهذا يتم تشخيص الخليقة وكأنها تنتظر و"تتوقّع اسْتِعْلاَنَ أَبْنَاءِ اللهِ".

فإن الخليقة تتوقّع وتتنظر بتلهف وقلق مجيء المسيح ثانية وتمجيدنا، إذ حينها هي أيضًا ستُعتق من "عُبُودِيَّةِ الْفَسَادِ" إلى "حُرِّيَّةِ مَجْدِ أَوْلاَدِ اللهِ" عينها (عدد 21). فإن الخليقة تتوقع استعلان أبناء الله (عدد 19) إذ **إلى** تلك الحرية ذاتها ستعتق الخليقة أيضًا (عدد 21). بكلمات أخرى، إن الخليقة وأبناء الله متشابكان تشابكًا وثيقًا في كل من الأنين والألم الحالي وأيضًا في المجد المستقبلي. وكما كان هناك تضامن وتكافل في السقوط، هكذا أيضًا في الاسترداد.

فإن الفداء الذي سنختبره عند مجيء المسيح ثانية يمثل الإبادة التامة والقاطعة لكل خطية، ولكل أثر للفساد في الروح وفي الجسد الذي كان لنا حتى تلك اللحظة. فإن بولس كان يقصد أن الخليقة الطبيعيّة تتوقّع ذلك اليوم لأنها فيه ستكون بالمثل مفتداة ومعتقة تمامًا. فإن كانت الخليقة سيعوزها على نحو ما العتق التام من فسادها الحالي، فإن ملء وكمال فدائنا حينئذ سيعتل على نحو جاد.

ونظرًا لأن العالم الطبيعي سيدخل إلى "حُرِّيَّةِ مَجْدِ أَوْلاَدِ اللهِ"، فإن أي خلل قد يختبره لابد أن يظهر في حالة المؤمنين أيضًا. إلى الدرجة التي بها إن لم يُفتدى النظام المخلوق تمامًا وبالكامل، فإننا لا نُفتدى بالكامل وتمامًا. **وهكذا، فإن فداء الخليقة ومجدها موازٍ ومتزامن مع فدائنا ومجدنا.**

الدينونة

تم التأكيد على يقين الدينونة الأخيرة من قبل الرسول في 2 كورنثوس 5. فإن بولس يصر على أننا "نَحْتَرِصُ أَيْضًا -مُسْتَوْطِنِينَ كُنَّا أَوْ مُتَغَرِّبِينَ- أَنْ نَكُونَ مَرْضِيِّينَ عِنْدَهُ. لأَنَّهُ لاَبُدَّ أَنَّنَا جَمِيعًا نُظْهَرُ أَمَامَ كُرْسِيِّ الْمَسِيحِ، لِيَنَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مَا كَانَ بِالْجَسَدِ بِحَسَبِ مَا صَنَعَ، خَيْرًا كَانَ أَمْ شَرًّا" (2 كورنثوس 5: 9–10).

ويفترض السياق الأكبر للإصحاحين الرابع والخامس من الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس أن المؤمنين فقط هم موضوع هذا النص. وقد أشار موري هاريس إلى أنه أينما يتحدث بولس عن المجازاة، بحسب الأعمال، لكل الجنس البشري (كما في رومية 2: 6)، "نجد وصفًا لفئتين متنافيتين من البشر (رومية 2: 7–10)، وليس إشارة إلى نوعين من الأعمال [مثل "خَيْرًا كَانَ أَمْ شَرًّا" في 2 كورنثوس 5: 10]، يمكن أن ينسبا إلى جميع البشر".[171]

فإن المصير الأبدي لم يكن هو صلب موضوع هذه الدينونة، بل المكافأة الأبدية (يوحنا 3: 18؛ 5: 24؛ رومية 5: 8–9؛ 8: 1؛ 1 تسالونيكي 1: 10). ليست هذه الدينونة معيَّنة لتقرير الدخول إلى ملكوت الله، بل لتقرير البركة، والمكانة، والسلطان داخل هذا الملكوت. لم يكن بولس واضحًا بشأن زمن وقوع هذه الدينونة. أهي في لحظة الموت الجسدي، أم ربما في أثناء الحالة الوسطيّة، أو ربما لن تحدث إلا عند المجيء الثاني للمسيح؟ لكن كل ما يمكننا أن نتيقّن بشأنه هو أنها ستحدث بعد الموت (انظر عبرانيين 9: 27).

وبعد أن ذكرنا هذا، نقول إن البراهين تفترض أن هذه الدينونة ستتم عند المجيء الثاني للمسيح (انظر متى 16: 27؛ رؤيا 22: 12)، في ختام التاريخ البشري، وعلى الأرجح بالتزامن مع تلك المحاكمة الأوسع والأشمل التي ستتضمن جميع غير المؤمنين، والتي يطلق عليها دارسو الكتاب المقدس اسم دينونة العرش الأبيض العظيم (انظر رؤيا 20: 11 وما يليه).

ويسلّط بولس الضوء بوضوح على **فرديّة** ("كل واحد") الدينونة الأخيرة. وبقدر أهمية التركيز على الطبيعة الجماعيّة والتكافليّة لحياتنا كجسد المسيح، إلا أن كل فرد سيُدان وحده، بلا شك، وعلى الأقل جزئيًا، فيما يخص إلى أي حد كان أمينًا تجاه مسئولياته الجماعيّة: "فَإِذًا كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا سَيُعْطِي عَنْ **نَفْسِهِ** حِسَابًا للهِ" (رومية 14: 12).

أما بالنسبة لشكل ووسيلة هذه الدينونة، فإننا لن "نظهر" فحسب لكننا سنتعرّى وننكشف أمامه. كما قال بولس في 1 كورنثوس 4: 5، إن الرب "سَيُنِيرُ خَفَايَا الظَّلاَمِ وَيُظْهِرُ آرَاءَ الْقُلُوبِ". وقد أصاب موري

هاريس في قوله إنها "ليست مجرد ظهور وفحص ذاتي، بل الأهم من هذا أن الفحص والكشف الإلهي هما التمهيد اللازم لنوال المجازاة الملائمة".[172]

ألا نستفيق حين نفكر في أن كل فكرة عشوائيّة، وكل شرارة من البر، وكل صلاة سريّة، وكل عمل خفي، وكل خطية صارت منسية منذ مدة طويلة، وكل عمل رأفة، سينكشف ويظهر في العراء كي نعترف به وكي يديننا الرب بمقتضاه؟ ولكن يتم تذكيرنا أن كل هذا دون أي شيء من "الدَّيْنُونَةِ الآنَ عَلَى الَّذِينَ هُمْ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ" (رومية 8: 1).

غالبية المؤمنين اليوم قد صاروا على دراية بالمصطلح المستخدم في 2 كورنثوس 5: 10 والذي يترجم "كرسي" الدينونة (**البيما**). فإن استخدام هذه الكلمة "كان مثيرًا بصورة خاصة لذكريات بولس وأهل كورنثوس، بما أن بولس قد وقف أمام كرسي ولاية غاليون في مدينة كورنثوس قبل أربعة سنوات من كتابته لهذا الكلام (في عام 52 م)، حين أسقط الوالي التهمة التي اتهم بها بولس بانتهاك القانون الروماني (أعمال الرسل 18: 12–17). وقد تعرّف علماء الآثار على هذا البيما الكورنثوسي الذي يقع في الجانب الجنوبي من **الأغورا** (السوق) [المترجم: مكان تجمع للمحاكمات والقضاء والمناقشات الفلسفيّة]"[173]

إن المسيح هو نفسه الديّان، وهذا يتوافق مع ما نقرأه في يوحنا 5: 22 حيث مكتوب أن "الآبَ لاَ يَدِينُ أَحَدًا، بَلْ قَدْ أَعْطَى كُلَّ الدَّيْنُونَةِ لِلابْنِ". أما معيار الدينونة فهو "مَا كَانَ بِالْجَسَدِ بِحَسَبِ مَا صَنَعَ، خَيْرًا كَانَ أَمْ شَرًّا". والإشارة إلى "الجسد" تشير إلى أن الدينونة تختص بما نصنعه في هذه الحياة، وليس بما يمكن أن يُصنَع أو لا أثناء فترة الحالة الوسطيّة. فإننا سننال من الرب "ما نستحقه".

بكلمات أخرى، وإلى حد ما بشكل حرفي، إننا سندان "بحسب" أو ربما "بما يتناسب مع" الأعمال التي صُنعت. هذه الأعمال تتميّز إما بأنها "خير" (أي التي "ترضي" المسيح، كما جاء في 2 كورنثوس 5: 9) أو "شر" (أي التي لا ترضيه).

وأخيرًا، لم تُذكَر نتيجة هذه الدينونة بوضوح لكننا نجدها بكل تأكيد ضمنيًا. فإن الجميع "سينالون" كل ما تستحقّه أعمالهم. إذ توجد مكافأة أو مجازاة. وقد كان بولس أكثر تحديدًا إلى حد ما في 1 كورنثوس 3: 14–15، الذي كتب فيه: "إِنْ بَقِيَ عَمَلُ أَحَدٍ قَدْ بَنَاهُ عَلَيْهِ فَسَيَأْخُذُ أُجْرَةً. إِنِ احْتَرَقَ عَمَلُ أَحَدٍ فَسَيَخْسَرُ، وَأَمَّا هُوَ فَسَيَخْلُصُ، وَلكِنْ كَمَا بِنَارٍ". إن المكافأة أو الأجرة ليست معروفة، والأرجح هو أن الخسارة التي يتم خسارتها كانت هي المكافأة التي من المفترض أن تؤخَذ عن الطاعة.

ويذكر يسوع أجرًا عظيمًا في السماء لكنه لا يقدّم عنه تفاصيل دقيقة (متى 5: 12). وفي مثل الوزنات (متى 25؛ قارن لوقا 19: 12–27)، يشير إلى سلطان أو سيادة من نوع ما، لكن على من أو

على ماذا؟ يقول بولس إن "مَهْمَا عَمِلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْخَيْرِ فَذلِكَ يَنَالُهُ مِنَ الرَّبِّ" (أفسس 6: 8). ووفقًا لما جاء في 1 كورنثوس 4: 5، أن بعد الدينونة "حِينَئِذٍ يَكُونُ الْمَدْحُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَ اللهِ". ويشير كل من رومية 8: 17–18 و 2 كورنثوس 4: 17 إلى مجد محفوظ للقديسين في السماء.

وبالطبع لابد أن نضع في اعتبارنا الوعود الكثيرة الموجودة في الرسائل السبعة للكنائس في رؤيا 2–3، على الرغم من صعوبة معرفتنا إن كانت هذه الوعود ستُعطى الآن، أم في أثناء الحالة الوسطيّة، أم فقط فيما بعد المجيء الثاني، أو إن كانت تعطى بدرجات مختلفة بحسب الخدمة والطاعة أم يتم توزيعها بالتساوي بين أبناء الله (انظر رؤيا 2: 7، 10، 17، 23؛ 3: 5، 12، 21؛ قارن أيضًا متى 18: 4؛ 19: 29؛ لوقا 14: 11؛ يعقوب 1: 12).

ومن المناسب الآن أن نذكر تعليقين ختاميين: أولاً، إن أعمالنا لا تقرّر خلاصنا بل تبرهن عليه وتبيّنه. فهي ليست جذور أو أساس موقفنا مع الله، بل ثمره، ذلك الموقف الذي قد تم بلوغه بالفعل بالإيمان فقط بالمسيح وحده. وتعد الأعمال الصالحة هي البرهان المنظور لإيمان غير منظور، وهذه الأعمال ستتكشف وتُعلَن أمام كرسي دينونة المسيح.

ثانيًا، لابد ألا نخشى من أنه، عند كشف أعمالنا وتقييمها، قد يفسد الندم وتأنيب الضمير نعيم السماء. فإن ذُرفت دموع حزن وأسف لأجل فرص ضائعة، أو دموع خزي لأجل خطايا قد اقترفت، فإن الرب سيمسحها (رؤيا 20: 4أ). فإن الفرح الفائق الوصف بنعمة الغفران سيبتلع أي حزن أو أسف، وجمال المسيح سيعمينا عن أي شيء آخر سوى عظمة شخصه وعظمة ما قد أتّمه بالنعمة عنّا.

الجحيم والعقوبة الأبديّة

ربما يكون الوصف الأكثر وضوحًا للجحيم وللعقوبة الأبديّة موجود في رؤيا 14، الذي فيه نقرأ:

> ثُمَّ تَبِعَهُمَا مَلاَكٌ ثَالِثٌ قَائِلاً بِصَوْتٍ عَظِيمٍ: «إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَسْجُدُ لِلْوَحْشِ وَلِصُورَتِهِ، وَيَقْبَلُ سِمَتَهُ عَلَى جَبْهَتِهِ أَوْ عَلَى يَدِهِ، فَهُوَ أَيْضًا سَيَشْرَبُ مِنْ خَمْرِ غَضَبِ اللهِ، الْمَصْبُوبِ صِرْفًا فِي كَأْسِ غَضَبِهِ، وَيُعَذَّبُ بِنَارٍ وَكِبْرِيتٍ أَمَامَ الْمَلاَئِكَةِ الْقِدِّيسِينَ وَأَمَامَ الْخَرُوفِ. وَيَصْعَدُ دُخَانُ عَذَابِهِمْ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ. وَلاَ تَكُونُ رَاحَةٌ نَهَارًا وَلَيْلاً لِلَّذِينَ يَسْجُدُونَ لِلْوَحْشِ وَلِصُورَتِهِ وَلِكُلِّ مَنْ يَقْبَلُ سِمَةَ اسْمِهِ». (عدد 9–11)

لقد صارت هذه القضية ساحة معركة إنجيليّة. هل عذاب الخطاة هو اختبار واعٍ لا ينتهي قط؟ أم العقوبة هي نوع من التلاشي، حيث بعد فترة من الألم الذي ستقاسيه النفس بما يتناسب تمامًا مع الخطايا التي اقترفتها، سينتهي وجودها؟ هل يشير دخان عذابهم الصاعد إلى **اختبار** واعٍ لا نهاية له من الألم الذي سيقاسونه؟ أم يدل على **تأثير** دائم لا رجعة فيه من العقوبة الواقعة عليهم، التي فيها سيتلاشون؟ أولئك

الذين يتجادلون لصالح الرأي الأخير يؤكّدون على أنه لا تكون راحة نهارًا وليلاً من العذاب **في أثناء استمراره أو بقدر دوامه**. لكن دوام هذا إلى الأبد أم لا، فهذا لابد من تحديده بناء على أسس أخرى.[174]

حيث أن المساحة لا تسمح لنا بالتفاعل مع الحجج من كلا الجانبين بشأن هذا الجدل، يكفي أن نقول إنه توجد براهين كتابيّة كثيرة جديرة بالاعتبار تدعم ما يؤكّده إقرار الإيمان عن وجود عقوبة أبديّة واعية. على سبيل المثال، لابد أن نضع في اعتبارنا أن مجموعة الكلمات التي تتعلق بكلمة "يبيد" ومفرداتها مستخدمة بمختلف الطرق، وبعض هذه الاستخدامات لا تستلزم أو حتى تلّمح إلى توقف الوجود. فإن الاستخدام يشير إلى أن الإبادة يمكن أن تحدث دون فناء الوجود. وقبل أن نستنتج أن "نار" الجحيم تأكل بل و"تبيد" تمامًا من يتعرّض لها، غير تاركة شيئًا، لابد أن نقر أن هذه تعد صورة بلاغيّة، وهكذا لابد ألا نجبر الكلمات أن تبرهن على شيء ما عن مدة دوام الجحيم، لم تقصد الكلمات قط أن تنقله.

فإن الجحيم في العهد الجديد يُوصف بأنه ظلام دامس وبحيرة نار. وكيف يمكن لهذين الوصفين التواجد معًا في آن واحد إن كانا حرفيين بكل معنى الكلمة؟ وهكذا، لابد أن نحترس من استخلاصنا لاستنتاجات عقائديّة صلبة حول "الدور" الذي من المفترض أن تؤديه النار في الجحيم. ولكن، لا يسعنا سوى أن نتساءل بشأن متى 18: 8، الذي يتحدّث عن أولئك الذين يُطرَحون إلى النار الأبديّة. كما يقول دي. أ. كارسون: "يحق لنا بالتأكيد أن نسأل لماذا تشتعل النار إلى الأبد، ولماذا لا يموت الدود [قارن مرقس 9: 47–48]، إن كانت هناك نهاية للغرض منهما".[175]

علينا أن نلاحظ أيضًا أن النصوص التي نجد فيها أن كلمة *aión*، والتي تترجم عادة "عصر" (age)، تعني "أبدي"، مساوية أيضًا للنصوص التي فيها تشير الكلمة إلى فترة محدودة من الزمن. هذه الحجة غير حاسمة من جانبي الجدل على حد سواء. أيضًا علينا أن نحترس من صنع أحكام عاطفية بشأن ما نعتبره نحن، البشر المحدودون، جزاءً عادلاً عن ضخامة خطايانا. وقد أصاب كارسون حين سأل إن كان عِظم خطايانا يتحدّد من خلال حالنا نحن أم "من خلال درجة الإساءة التي لحقت بالله المتسيّد والمتسامي".[176] لكن الشيء الأساسي، كما يقول جون بايبر، هو أن "درجات استحقاق تلقّي اللوم لا تنتج عن طول مدة إساءتك لصاحب الجلالة، بل عن مقدار سمو الجلالة التي تسيء إليها".[177] فخطايانا تستحق عقوبة غير محدودة بسبب المجد غير المحدود لذاك الذي تم اقتراف الإثم في حقه.

لكن أن نفترض، كما يفعل البعض، أن العذاب الأبدي يعني أن الله لا يحقّق النصرة التامة والنهائيّة على الخطية وعلى الشر، فهذا بمثابة إخفاق في إدراك أن الخطية التي تمر **دون عقاب** هي وحدها التي

تشير إلى خلل في العدل وإلى إحباط لقصد الله. فإن الوجود الدائم للجحيم ولقاطنيه سيعكس بشكل أكبر مجد قداسة الله ومعارضته البارة والعادلة للشر، بدلاً من أن يعكس أيّة ثنائيّة كونيّة مفترضة.

ربما تكون فكرة عقوبة لا نهائية أقل إزعاجًا إذا وضعنا فكرة ارتكاب الخطية دون توقف في الاعتبار. فإن لم يتوقّف من هم في الجحيم قط عن ارتكابهم للخطيّة، فلمَ ينبغي أن يتوقّف عذابهم على الإطلاق؟[178] فإن البعض يتجادلون في أن البشر يسدّدون ثمن خطاياهم بالكامل في الجحيم، ثم يتوقّفون عن ارتكاب الخطية في مرحلة ما، فلمَ في تلك الحالة لا يمكن أن يُؤتى بهم إلى السماء (وبهذا يحوّلون الجحيم إلى مطهر)؟ ولكن إن **لم** يتم تسديد ثمن خطاياهم بالكامل في الجحيم، فعلى أي أساس تسمح لهم العدالة بأن يتلاشوا؟

وأخيرًا، لابد لنا أن نفسّر نصى متى 25: 46، ورؤيا 20: 10–15. فبغض النظر عمّا يمكن أن نعتقده بشأن هويّة الوحش والنبي الكذاب، إلا أنه لا يوجد إنجيلي واحد ينكر كون إبليس كائنًا يفكر بل ويختبر عواطف وأحاسيس. وهكذا فإن أمامنا هنا "شخص" واحد على الأقل يقاسي بصورة واضحة عذابًا أبديًا واعيًا. "ربما لا نشعر بالقدر نفسه من التعاطف تجاهه كما نشعر تجاه البشر، وربما نصر بابتهاج على أنه أكثر شرًا من أي إنسان، ولكن على الرغم من ذلك، سيكون من الصعب أن نرى أن الحجج المستخدمة ضد فكرة العذاب الأبدي الواعي للبشر الخطاة تكون أقل إقناعاً إن كانت تتعلّق بالشيطان".[179]

السماء على الأرض

إن الرجاء الأخروي للمؤمن هو رجاء أرضي لا محالة في طبيعته. فإن هدف الله النهائي من فداء شعبه لطالما شمل رد الخليقة الطبيعيّة إلى وضعها الأول. وكما ذكرنا فيما سبق، فإن "ملكوت الله" يشير في الأساس إلى ملك أو حكم الله لشعبه. وهكذا فإن إيماننا بهذا الملكوت ونوالنا وقبولنا إيّاه، يعني خضوعنا تحت نير سيادة الله. على الصعيد الآخر، إن حكم الله يظهر ويتحقّق في عالم زمني أرضي خاص. ولذلك، لا يمكننا أن نتحدث حديثًا مفهومًا عن ملكوت الله بمعزل عن وعد الأرض الذي أُعطي أولاً للآباء.[180]

البعض يصرّون على كون هذه الأرض رمزيّة، أي نوعًا نبويًا من البركات السماويّة أو الروحيّة التي إمّا يجري تحقيقها الآن من خلال الكنيسة أو أنها ستتحقّق في الدهر الآتي. وهكذا، لم تكن كنعان الأرضيّة مصممة قط كي تُمتلك حرفيًا كميراث أبدي، بل كانت نموذجًا لبركة مستقبليّة، وسماويّة، وروحيّة في طبيعتها.

لكن كما يذكّرنا لاد على نحو يفيدنا كثيرًا: "إن فكرة الفداء الكتابيّة دائمًا ما تشمل الأرض".[181] يتصوّر الكثير من الإنجيليّين أن تحقّق البعد الأرضي لوعد ملكوت الله سيكون في فترة تتألّف من ألف سنة، تلي المجيء الثاني للمسيح، وتسبق بداية الحالة الأبديّة (رؤيا 20: 1–10)، وأن هذا العصر الألفي سيكون هو الزمان والمكان (على الأقل في البداية) الذي فيه ستتحقّق وعود العهد القديم بحكم الله الأرضي لشعبه. وهكذا، على هذا النحو أيضًا، سيُمكن لملكوت المسيح أن يُستعلَن في الزمن، كشهادة على نصرته التامة على قوات الخطية والظلمة.

ويؤمن آخرون بأن الوعد النبوي للعهد القديم بحكم الله لشعبه في الأرض سيتحقّق في الأرض الجديدة، التي ستبدأ الحالة الأبديّة. ووفقًا لهذا الرأي، سيتحقّق وعد العهد القديم من خلال حكم مسياني بين شعب الله في الأرض حرفيًا. لكنه يستحقّق ليس على الأرض الحاليّة، التي لم تُفدى وتُعتَق، بل على الأرض الجديدة الموصوفة في رؤيا 21–22.

ويعد النص الرئيسي المتعلّق بالسماوات الجديدة والأرض الجديدة في العهد القديم هو نص إشعياء 65: 17–25 (انظر أيضًا 66: 22). ومن الجدير بالذكر أن هذا النص يفرض مشكلة أمام جميع الآراء الأخرويّة، سواء كانت قبل ألفيّة، أو بعد ألفيّة، أو لا ألفيّة. فإن الصعوبة التي نواجهها موجودة في العددين 20 و23. نقرأ فيهما أنه في هذه السماوات الجديدة والأرض الجديدة "لاَ يَكُونُ بَعْدُ هُنَاكَ طِفْلُ أَيَّامٍ، وَلاَ شَيْخٌ لَمْ يُكْمِلْ أَيَّامَهُ. لأَنَّ الصَّبِيَّ يَمُوتُ ابْنَ مِئَةِ سَنَةٍ، وَالْخَاطِئُ يُلْعَنُ ابْنَ مِئَةِ سَنَةٍ" (عدد 20). كما يبدو أن العدد 23 يفترض أن البشر خلال ذلك الوقت سيلدون أطفالاً. فإن كان إشعياء يصف أمورًا تتم في الحالة الأبديّة، وإن بدت إشارته إلى السماوات الجديدة والأرض الجديدة أنها تشير إلى أن الحال سيكون هكذا، فإن جميع المؤمنين، وليس أولئك المنتمين إلى منظور أخروي معين، لابد أن يقدموا تفسيرًا لاختبار شعب الله غير المكتمل بعد.

قد نجد مساعدة في تناول هذه المشكلة من خلال الحديث عن وسيلة محتملة لتفسير الأدب النبوي:

> تتضح النبوة على نحو خاص وفقًا للفهم المحدود للشخص الذي أُعطيت له. وهذا يعني أن لغة النبوة مشروطة ومحدّدة بالوضع التاريخي والثقافي الذي فيه وجد النبي والشعب أنفسهم... [وهكذا] فإن الملكوت المستقبلي كان يُنظَر له على أنه امتداد وتمجيد للحكم الثيؤقراطي، الذي يتمثّل بأوضح صورة في فترتي حكم داود وسليمان. ووفقًا لهذا، فإن أفق المستقبل يتم تصويره بمفردات **الماضي المثالي**، أي بمفردات مألوفة ومرضيّة لمن عاصروا النبي. هذه الظاهرة لُقّبت باسم "الأخرويات المُلخَّصة" (recapitulation eschatology)، أي أن المستقبل يتم تصويره على أنه تلخيص أو تكرار لمجد المملكة الماضي".[182]

ما يقصده جارلينجتون هنا هو أن كتبة العهد القديم ربما، في بعض الأحيان، كانوا يتحدّثون عن المستقبل بمفردات، وصور، ومفاهيم مُقترَضة ومُستعارة من العالم الاجتماعي والثقافي الذي كانوا هم والمعاصرون لهم على دراية جيدة به. وبما أن النبي لم يكن بإمكانه استيعاب كيفيّة تحقّق كلماته في زمن بعيد، وفي عالم جديد تمامًا يتغير بمجيء المسيح، فإنه كان يكسو مقاصد الله الأخرويّة، بما في ذلك مجد السماء الجديدة والأرض الجديدة، بمعتقدات مستلميها الأصليين، ومخاوفهم، وآمالهم. وهكذا، فحين يتحدّث الأنبياء عن المستقبل، فهم ربما كانوا يختارون استخدام ألفاظ ومصطلحات وحقائق موجودة في خبرتهم الماضية والحالية، كالأرض، والناموس، ومدينة أورشليم، والهيكل، ونظام تقديم الذبائح، والكهنوت.[183]

ينبغي أن نذكر أيضًا أن تحقّق تلك النبوات، التي تظهر بمفردات تلك الحقائق المُعاصرة التي كان المستمعون الأصليون مُلمّين بها، كان في الأغلب يفوق تلك الحقائق أو يسمو فوقها بكثير. ففي الأغلب يوجد عنصر التصعيد أو التفاقم في تتميم أي وعد معين.

وهكذا، فإن إحدى الوسائل التي كان يمكن للكاتب الأصلي لهذه النبوة أن ينقل بها المجد المستقبلي الحقيقي للسماء الجديدة والأرض الجديدة لأناس كانوا محدودين بالضرورة بتدرج الإعلان حتى تلك المرحلة من الزمان هي من خلال تصويره في ألفاظ مُفرطة أو مُبالغ فيها **لحاضر مثالي**.[184] ويمكننا أن نتخيّل الانطباع الذي كان لدى المستمعين الأصليين الذين كتب لهم إشعياء عن عصر فيه يعتبر الإنسان الذي يموت عن عمر يناهز المائة عام طفلاً، وفي عصر يصبح فيه وجع الولادة المألوف جيدًا دربًا من دروب الماضي.

ويتوسّع العهد الجديد كثيرًا في حديثه عن موضوع السماوات الجديدة والأرض الجديدة باعتباره محور موضوع رد الله لكل شيء. وهذا يمكننا أن نراه بأوضح صورة في عبرانيين 11، ثم في رؤيا 21–22. في النص الأول، نقرأ أن إبراهيم حين بلغ أخيرًا أرض الموعد، فقط تغرّب هناك، كغريب ونزيل، "كَأَنَّهَا غَرِيبَةٌ" (عبرانيين 11: 9، 13). وإن أثير هذا السؤال: كيف يمكن أن نقول إنه حصل على هذه الأرض ميراثًا في حين لم يكن له الحق في امتلاكها؟ يسرع النص في الإجابة على هذا ويقول: "لأَنَّهُ كَانَ يَنْتَظِرُ الْمَدِينَةَ الَّتِي لَهَا الأَسَاسَاتُ، الَّتِي صَانِعُهَا وَبَارِئُهَا اللهُ" (عدد 10).

تلك هي المدينة التي أعدّها الله لهم (عبرانيين 11: 16)، والتي ورد ذكرها ثانية في عبرانيين 12: 22 باعتبارها "مَدِينَةِ اللهِ الْحَيِّ، أُورُشَلِيمَ السَّمَاوِيَّةِ". ثم نقرأ ثانية في عبرانيين 13: 14 أن "لَيْسَ لَنَا هُنَا [أي على هذه الأرض] مَدِينَةٌ بَاقِيَةٌ، لكِنَّنَا نَطْلُبُ الْعَتِيدَةَ". وهذا يشير بالطبع إلى أورشليم السماويّة المذكورة في عبرانيين 12: 22، أي المدينة التي لها الأساسات (عبرانيين 11: 10).

وتوجد صلة هنا بين هذا وبين رؤيا 21، حيث نقرأ أن يوحنا رأى "الْمَدِينَةَ الْعَظِيمَةَ أُورُشَلِيمَ الْمُقَدَّسَةَ نَازِلَةً مِنَ السَّمَاءِ مِنْ عِنْدِ اللهِ" (عدد 9–11). والسبب إذن في أن إبراهيم كان غريبًا ونزيلاً في كنعان هو أنه رأى تلك الأرض الماديّة رمزًا للأرض/الوطن السماوي والحقيقي. فقد كان تركيز وعد العهد القديم بالأرض هو، بالتأكيد، على الأرض، لكنها الأرض السماويّة (أو "الوطن"، عبرانيين 11: 16)، أي الأرض الجديدة بسمتها الرئيسيّة، أورشليم الجديدة.

وهكذا، فقد توقّع إبراهيم، الذي كان الوعد بأرض كنعان له في الأساس، تتميم هذا الوعد تتميمًا نهائيًا وأبديًا في أورشليم السماويّة. فإن إبراهيم كان وارثًا، ليس لكنعان فحسب، بل للعالم (رومية 4: 13). بل ووفقًا لعبرانيين 11: 9–10، كان إبراهيم ينتظر البركة الدائمة والكاملة في المدينة السماويّة مما مكّنه من الخضوع بصبر للعقبات والإحباطات التي واجهته في أثناء سياحته وتغرّبه في كنعان.

وقد تأكّد هذا مرة أخرى في عبرانيين 11: 13–16. فإن الآباء أنفسهم "أَقَرُّوا بِأَنَّهُمْ غُرَبَاءُ وَنُزَلاَءُ عَلَى الأَرْضِ" (عدد 13)، فقد مات هؤلاء وهم لم ينالوا المواعيد، بل فقط نظروها من بعيد. فإن رجاءهم التام لم يكن متمركزًا حول أي ميراث على هذه الأرض، بل كما يبيّن عدد 16، حول "وَطَن أَفْضَلَ، أَيْ سَمَاوِيّ".

وتنكشف الحياة الممجدة في السماوات الجديدة والأرض الجديدة في صورة أكثر حيويّة في رؤيا 21–22. لكن المساحة هنا لا تسمح سوى فقط بإيجاز بسيط لأمجاد مصيرنا الأبدي في محضر الله.

وتعد العلاقة بين هذه الأرض الحالية والأرض الجديدة علاقة استمراريّة وعدم استمراريّة على حد سواء، كالعلاقة بين أجسادنا الحالية القابلة للفساد، وأجسادنا المستقبليّة، الغير قابلة للفساد، والممجَّدة. فإننا سنكون في السماء الأشخاص ذاتهم الذين نحن عليهم الآن، ولكننا سنتغير. إلا أن السماء والأرض العتيدتين يُقال عنهما أيضًا كلمة "جديدة" (*kainos*)، وهي كلمة تشير عادة إلى جدّة أو تجديد من حيث النوع والخصائص، وليس من حيث الزمن.

ومن عناصر عدم الاستمراريّة هو غياب البحر في الخليقة الجديدة، والذي كان يُعتبر عادة رمزًا للشر، والفوضى والتشويش، وللقوات المضادة للملكوت التي لابد أن يُصارع معها يهوه (انظر أيوب 26: 7–13؛ إشعياء 17: 12، 13؛ 27: 1؛ 51: 9–10؛ 57: 20؛ إرميا 46: 7–12؛ رؤيا 17: 8؛ 21: 1). وكما أبدى لاد ملاحظته، أنه في العصور القديمة كان البحر "يمثل عالم الظلمة، ويمثل شيئًا غامضًا، وغادرًا" (قارن مزمور 107: 25–28؛ حزقيال 28: 8؛ دانيال 7: 3).[185] هذه كانت الطريقة التي استخدمها يوحنا ليقول بها إن كل هذا الشر، والفساد، وعدم الإيمان، والظلمة ستتبدّد في الخليقة الجديدة.

إن ملء حضور الله وسط شعبه يتطلّب بالضرورة تبديد وزوال أي صورة وكل صور الألم المتعلّقة بالخليقة العتيقة. فإن نتائج الخطية الرديئة ستمضي إلى الأبد (رؤيا 21: 3–4). وستمضي الدموع التي تسبّب فيها الحزن والألم والإخفاق الأدبي (تتميمًا لإشعياء 25: 8). كما سيمضي الموت، لأن مصدره، أي الخطية، سيبيد. وسيمضي النوح، والبكاء، والألم. فإن جميع هذه الاختبارات مرتبطة "بالأمور الأولى" التي الآن قد "مضت".

ويُقال إن أورشليم الجديدة سيكون لها "مَجْدُ اللهِ" (رؤيا 21: 11). وفي حين كان الهيكل المادي في العهد القديم هو موضع سكنى مجد الله واستعلانه، لكن في الخليقة الجديدة سيستقر حضور الله في شعبه ومعهم. ويشير غياب "الليل" (رؤيا 21: 25ب) إلى الدخول دون عائق إلى محضر الله البرّاق، بالإضافة إلى غياب أي ظلمة قد تعتم وتشوّش على بريق العظمة الإلهيّة. بل وكما تشير رؤيا 22: 5، إن غياب الظلمة يرجع إلى الضياء المستمر التي يوفّره الله نفسه.

في رؤيا 22: 1، نجد أولى الأمثلة المتعدّدة التي فيها يربط يوحنا بين نهاية الزمان وبدايته. ففي اكتمال كل شيء نجد بعض الملامح التي كانت تميّز بدء الزمان. ليس الأمر وكأن النهاية هي **نقيض** البدء، "بل يُنظَر إلى ظروف البداية على أنها تنبؤيّة عن طبيعة قصد الله في التاريخ. ولكن، من جميع النواحي، تفوق الأمور الأخيرة الأمور الأولى بمقدار ساحق، كما نرى في هذه الفقرة".[186] فإن كان تكوين 3 يروي قصة فقدان فردوس، فإن رؤيا 22 يروي قصة استرداد فردوس. فإن السماء (على الأرض) ليست سوى النهاية المجيدة لقصد الله الأول لجنة عدن.

وماذا سنفعل في السماء؟ سنخدم الله (رؤيا 22: 3). وسنرى الله (عدد 4أ؛ انظر خروج 33: 20؛ متى 5: 8؛ يوحنا 17: 24؛ 1 تيموثاوس 6: 16؛ 1 يوحنا 3: 1–3). وسنتمتع بأعماق الحميميّة معه والقرب الوثيق منه (رؤيا 22: 4ب). وسنعاين جمال وجاذبيّة حضوره (عدد 5أ؛ قارن سفر العدد 6: 24–26). وسنملك إلى أبد الآبدين (رؤيا 22: 5ب).

ختام

إن ما اعتاد المسيحيون أن يشيروا إليه بأنه "السماء" هو، كما رأينا، الحياة إلى الأبد في محضر الله على الأرض الجديدة. وهناك، كما يبيّن إقرار الإيمان، "سيكون الله الكل في الكل، وسيُسبى شعبه بآنية قداسته الفائقة الوصف، وسيصير كل شيء لمدح مجد نعمته". ولا يمكننا أن نقوم بما هو أفضل من أن نختم حديثنا بكلمات جوناثان ادواردز:

إن كان من الممكن أن نتعلّم أي شيء من الكتاب المقدس عن حالة السماء، فهو أن ما سيختبره القدّيسون هناك من محبة وفرح هو شيء عظيم وشديد بما يفوق الوصف، يبهر القلب بأعتى المشاعر وأكثرها حيويّة، كما أن له حلاوة ولذّة لا يمكن التعبير عنها، تؤثّر فيهم، وتنعشهم، وتمتّعهم، جاعلة إيّاهم كشعلة من النار. وإن لم نعتبر هذه المحبة وهذا الفرح مشاعر، فإن كلمة "مشاعر" إذن تصير بلا استخدام أو نفع في اللغة. أيمكن أن يقول أحدهم إن القدّيسين في السماء، إذ ينظرون وجه أبيهم، ومجد فاديهم، وإذ يتأمّلون في أعماله العجيبة، وبالأخص في بذله لحياته لأجلهم، لا يتأثّرون عاطفيًا، ولا تتحرك قلوبهم، بكل ما ينظرونه أو يتأملون فيه؟"[187]

ملحق

الوثائق التأسيسيّة لهيئة ائتلاف الإنجيل

"The Gospel Coalition"

الإنجيل لأجل كل الحياة: افتتاحيّة

نحن شركة من الكنائس الإنجيليّة المُكرَّسة بالكامل لأجل تجديد إيماننا بإنجيل المسيح، ولأجل إصلاح ممارساتنا في الخدمة كي تتوافق تمامًا مع كلمة الله. فإننا نعاني من قلق شديد بشأن بعض الحركات التي برزت بداخل المذهب الإنجيلي الكلاسيكي، والتي تبدو أنّها تحط من شأن حياة الكنيسة، وتدفعنا بعيدًا عن معتقداتنا وممارساتنا الهامة. فمن جهة، نشعر بالقلق إزاء وثنيّة الاستهلاكيّة الشخصيّة، وإضفاء الطابع السياسي على الإيمان؛ ومن جهة أخرى، ننزعج بسبب قبول النسبيّة اللاهوتيّة والأخلاقيّة بدون اعتراض عليها. وقد قادت هذه الحركات إلى التخلي بسهولة عن كلٍ من الحق الكتابي والحياة المتغيرة اللذين يلزمنا بهما إيماننا القويم. ولا نسمع عن هذه التأثيرات فحسب، لكننا نشهد أيضًا نتائجها. وقد كرّسنا أنفسنا لمهمّة إنعاش وتنشيط الكنائس برجاءٍ جديدٍ وفرحٍ لا يُقاوَم مُؤسّس على الوعود التي نلناها بالنعمة وحدها، من خلال الإيمان وحده بالمسيح وحده.

ونعتقد أنه يوجد في كثير من الكنائس الإنجيليّة إجماع واسع النطاق على حقائق الإنجيل. ومع ذلك فكثيرًا ما نرى الاحتفال باتحادنا مع المسيح يُستبدَل بجاذبيّة السلطة والثروة الموجودة منذ القدم، أو بالانسحاب الرهباني إلى الطقوس، والليتورجيات، والفرائض. لكن ما يحل محل الإنجيل لن يعزّز قط إيمانًا مُثقّلاً بالإرساليّات، راسخًا في حق ثابت يتبرهن في تلمذة تعمل دون خجل، مُتلهّفة للصمود أمام امتحانات دعوة الملكوت وتضحياته. نحن نبغي أن نتقدم في طريق الملك، هادفين دائمًا إلى تقديم تأييد، وتشديد، وتدريب، بالإنجيل حتى يتأهل الجيل الحالي والقادم من قادة الكنيسة على نحو أفضل لدعم خدماتهم بمبادئ وممارسات تمجّد المخلّص وتصنع حسنًا لمن قد سفك دمه لأجلهم.

نحن نبغي أن نُولِّد جهدًا موحَّدًا بين جميع الشعوب — جهدًا غيورًا على إكرام المسيح ومضاعفة تلاميذه، بالانضمام معًا إلى ائتلاف حقيقي لأجل يسوع. مثل هذه المُهمة المُوحَّدة والموضوعة على أساس كتابي هي المستقبل الوحيد الثابت للكنيسة. تدفعنا هذه الحقيقة إلى الوقوف مع الآخرين الذين تحركهم

القناعة بأن رحمة الله في يسوع المسيح هي رجاؤنا الوحيد في الخلاص الأبدي. ونرغب في أن نناصر هذا الإنجيل بوضوح، ورأفة، وشجاعة، وفرح — رابطين قلوبنا بسرور بقلوب إخوتنا المؤمنين عبر الطوائف، والأعراق، والطبقات.

ولنا اشتهاء أن نخدم الكنيسة التي نحبها بأن ندعو جميع إخوتنا وأخواتنا للإنضمام إلينا في بذل جهد لتجديد الكنيسة المُعاصرة وفقًا للإنجيل العريق للمسيح، حتى يتسنّى لنا أن نتحدّث حقًا عنه ونحيا لأجله بطريقة مواكبة لعصرنا. ونحن كرعاة، ننوي أن نفعل هذا في كنائسنا من خلال وسائط نعمته العاديّة وهي: الصلاة، وخدمة الكلمة، والمعموديّة وعشاء الرب، وشركة القديسين.

إقرار إيمان هيئة ائتلاف الإنجيل

1. **الله الثالوث.** نؤمن بإله واحد، موجود منذ الأزل في ثلاثة أقانيم متساوين في اللاهوت: الآب، والابن، والروح القدس، يعرفون ويحبّون ويمجّدون بعضهم البعض. هذا الإله الواحد الحي والحقيقي هو إله كامل كمالاً غير محدود في كل من محبته وقداسته. هو خالق كل الأشياء، ما يرى وما لا يُرى، ولذلك فهو يستحق أن يأخذ كل المجد وكل العبادة. وإذ هو خالد وسرمدي، فهو يعرف بشكلٍ كاملٍ وشاملٍ النهاية منذ البدء، وفيه يقوم الكل، وهو يحكم بسيادة كل شيء، وفي عنايته الإلهيّة يحقّق مقاصده الأزليّة الصالحة بأن يفتدي لنفسه شعبًا، ويرد خليقته الساقطة، لمدح مجد نعمته.
2. **الإعلان.** لقد أعلن الله بنعمته عن وجوده وسلطانه في النظام المخلوق، وأعلن الإعلان الأسمى عن نفسه للبشر الساقطين في شخص ابنه، الكلمة المتجسّد. علاوة على ذلك، هذا الإله هو إله يتكلم، فهو بروحه قد أعلن عن نفسه بنعمته في كلمات بشريّة: نؤمن أن الله أوحى بالكلمات المُسجَّلة في الكتاب المقدس، أي الستة وستين سفرًا للعهدين القديم والجديد، اللذين يُعد كلاهما سجلاً وواسطة لعمله الخلاصي في العالم. هذه الكتابات وحدها تمثّل كلمة الله الموحى بها شفهيًا، والتي لها سلطان تام، ومعصومة في الكتابات الأصليّة، وكاملة في إعلانها عن إرادته لأجل الخلاص، وكافية لكل ما يطالبنا الله بأن نؤمن به ونعمله، وقاطعة في سلطانها على كل مجال من مجالات المعرفة التي تتناولها. كما نقر بأن محدوديتنا وأيضًا كوننا خاطئين يعيقان إمكانية معرفة الحق الإلهي بشكل تام، لكننا نؤكد أننا، إذ نستنير بروح الله، يمكننا أن نعرف بصورة صحيحة الحق المُعلَن. ينبغي تصديق الكتاب المقدس، باعتباره تعليم وإرشاد الله، في كل ما يُعلِّمه؛ كما ينبغي طاعته، باعتباره وصايا الله، في كل ما يُطالب به؛ وينبغي أيضًا الوثوق به، باعتباره

تعهد الله، في كل ما يعد به. وحين يستمع شعب الله إلى الكلمة، ويصدقونها، ويعملون بها، يتأهّلون ليصيروا تلاميذ للمسيح وشهودًا للإنجيل.

3. **خلق الجنس البشري.** نؤمن أن الله قد خلق البشر، ذكرًا وأنثى، على صورته. فإن آدم وحواء ينتميان إلى النظام المخلوق الذي أعلن الله بنفسه أنه حسن جدًا، وهما كانا وكيلين عن الله للعناية بالخليقة، ولإدارتها، والتسلّط عليها، وكانا في شركة مقدسة وخاصة مع خالقهم. فإن الرجال والنساء، المخلوقين بالتساوي على صورة الله، يتمتعون بالتساوي بحق الاقتراب إلى الله بالإيمان بالمسيح يسوع، وهم مدعوون أيضًا لتخطّي التدليل السلبي لذواتهم إلى الانخراط الخاص والعام الواضح في العائلة، والكنيسة، والحياة المدنيّة. فقد خُلق آدم وحواء ليكمل أحدهما الآخر في اتحاد في جسد واحد يرسّخ النمط المعياري الوحيد للعلاقات الجنسيّة للرجال والنساء، حتى صار الزواج في النهاية رمزًا للاتحاد بين المسيح وكنيسته. ففي مقاصد الله الحكيمة، لم يجعل الرجال والنساء قابلين للتبادل، بل بالأحرى هم يكمّلون بعضهم بعضًا بطرق تثريهم بصورة مشتركة. فالله عيّن أن تكون لهم أدوار متباينة تعكس علاقة المحبة بين المسيح والكنيسة، حيث يمارس الزوج الرئاسة والقيادة على نحو يُظهر محبة المسيح الراعية، والباذلة، كما أن الزوجة تخضع لزوجها على نحو يُقدم نموذجًا لمحبة الكنيسة لربها. ففي خدمة الكنيسة، يتم تشجيع كل من الرجال والنساء على أن يخدموا المسيح، ويتقدموا حتى يصلوا إلى كامل طاقاتهم في الخدمات المتنوعة لشعب الله. والدور القيادي المُميَّز داخل الكنيسة المُعطى لرجال مؤهّلين هو دور مؤسس في الخليقة، والسقوط، والفداء، ولابد ألا يتم تهميشه من خلال اللجوء إلى التطوّرات الثقافيّة.

4. **السقوط.** نؤمن أن آدم، المخلوق على صورة الله، قد شوّه تلك الصورة، وفقد حالة النعيم الأصليّة — له ولنسله — بسقوطه في الخطية بغواية إبليس. وكنتيجة لهذا، جميع البشر متجنّبون عن حياة الله، فاسدون في جميع جوانب كيانهم (على سبيل المثال: جسديًا، وعقليًا، وإراديًا، وعاطفيًا، وروحيًا)، وصار محكومًا عليهم نهائيًا ودون رجعة بالموت — بعيداً عن تدخل الله برأفته. فإن الحاجة القصوى لجميع البشر هي أن يتصالحوا مع الله، الذي نقف جميعنا تحت غضبه العادل والمقدس. فإن الرجاء الوحيد لجميع البشر يكمن في محبة هذا الإله ذاته التي لا يستحقونها، ذلك الإله الذي وحده يمكنه أن ينجّينا ويردّنا إليه.

5. **خطة الله.** نؤمن أن الله منذ الأزل عيّن بالنعمة أن يخلّص جموعًا غفيرة من الخطاة المذنبين من كل قبيلة ولسان وشعب وأمة، ولأجل هذا الهدف، سبق فعرفهم واختارهم. نؤمن أن الله يُبرّر ويُقدّس من لهم بالنعمة إيمان بيسوع، وأنه يومًا ما سيُمجّدهم — وهذا كله لمدح مجد نعمته. فإن الله في

المحبة يأمر جميع البشر ويناشدهم أن يتوبوا ويؤمنوا، إذ تعلّق بمحبته الخلاصيّة بمن اختارهم، وعيّن المسيح فاديًا لهم.

6. **الإنجيل**. نؤمن أن الإنجيل هو الخبر السار عن يسوع المسيح — حكمة الله. وهو جهالة تامة للعالم، مع أنّه هو قوة الله لمن يخلصون. هذا الخبر السار يتعلّق بالمسيح، إذ يتمحور حول الصليب والقيامة: فلا مناداة بالإنجيل دون مناداة بالمسيح، ولا مناداة بالمسيح الحقيقي إن لم يكن موته وقيامته في المركز (الرسالة هي "المسيح مات لأجل خطايانا وأقيم"). هذا الخبر السار كتابي (فإن موته وقيامته هما بحسب الكتب)، ولاهوتي، وخلاصي (المسيح مات لأجل خطايا، كي يصالحنا لله)، وتاريخي (إن لم تكن الأحداث الخلاصيّة قد وقعت، فإن إيماننا باطل، نحن بعد في خطايانا، ونحن أشقى جميع الناس)، ورسولي (فقد اؤتمن الرسل على الرسالة، ونقلوها، وهم من كانوا شهودًا عن هذه الأحداث الخلاصيّة)، وشخصي للغاية (فحيث يتم قبوله، والإيمان به، والتمسّك به بشدة، يخلص أفراد).

7. **فداء المسيح**. نؤمن بأن المسيح، مدفوعًا بمحبته لأبيه وطاعته له صار الابن الأزليّ إنسانًا: الكلمة صار جسدًا، إلهًا كاملاً وإنسانًا كاملاً، شخصًا واحدًا ذي طبيعتين. الإنسان يسوع، مسيّا إسرائيل الموعود به، حُبل به بتدخل معجزيّ من الروح القدس، ووُلد من مريم العذراء. هو أطاع أباه السماوي طاعة كاملة، وعاش حياة خالية من الخطية، وصنع آيات معجزيّة، وصُلب في عهد بيلاطس البنطيّ، وقام بالجسد من الأموات في اليوم الثالث، وصعد إلى السماوات. وهو جالس الآن، كملك وسيط، عن يمين الله الآب، ممارسًا في السماء وعلى الأرض كل سيادة الله، وهو رئيس كهنتنا وشفيعنا البار. نؤمن بأن يسوع المسيح بتجسّده، وحياته، وموته، وقيامته، وصعوده، كان ممثّلاً وبديلاً عنّا. وهو فعل هذا حتى نصير نحن بر الله فيه: فعلى الصليب أبطل الخطية، واسترضى الله، وبحمله عقوبة خطايانا كاملة، صالح إلى الله جميع من يؤمنون. وبقيامة المسيح يسوع تبرّر من قبل أبيه، وكسر سلطان الموت، وغلب إبليس الذي كان قبلاً له سلطان على الموت، وجلب حياة أبدية لجميع شعبه؛ وبصعوده تمجّد إلى الأبد كرب، وأعدّ مكانًا لنا كي نكون معه. نُؤمن بأن الخلاص لا يُوجد في أي شخص آخر، إذ ليس اسم آخر تحت السماء قد أُعطي بين الناس به ينبغي أن نخلص. لأن الله قد اختار أَدْنِيَاءَ الْعَالَمِ وَالْمُزْدَرَى وَغَيْرَ الْمَوْجُودِ، لِيُبْطِلَ الْمَوْجُودَ، فلا مجال إذن أن يفتخر كل ذي جسد أمامه — فقد صار يسوع المسيح لنا حكمة من الله — أي صار لنا برًا، وقداسةً وفداءً.

8. **تبرير الخطاة.** نؤمن أن المسيح، بطاعته وموته، قد سدّد دين جميع المتبررين كاملاً. فهو بذبيحته، تحمّل عنا العقوبة التي نستحقّها عن خطايانا، صانعًا عنّا إرضاءً ملائمًا، وحقيقيًا، وكاملاً لعدل الله. وبطاعته الكاملة أرضى مطالب بر الله عنّا، بما أن تلك الطاعة الكاملة توضع بالإيمان وحده في حساب جميع من يتّكلون على المسيح وحده لأجل قبول الله لهم. نظرًا لأن الآب قد بذل المسيح لأجلنا، ونظرًا لأن طاعة المسيح وعقوبته قد تم قبولها بديلاً عن طاعتنا وعقوبتنا، مجانًا وليس لأي شيء فينا، فإن هذا التبرير هو بالتالي بنعمة مجانيّة تمامًا، كي يتمجّد عدل الله التام وأيضًا نعمته الغنيّة في تبرير الخطاة. نؤمن بأن غيرة وحماسًا من نحو الطاعة الشخصيّة والعامة تنبع من هذا التبرير المجاني.

9. **قوة الروح القدس.** نؤمن أن هذا الخلاص، المُصدَّق عليه من كل الكتاب المقدس، والذي ضمنه يسوع المسيح، يتم تطبيقه على شعبه بالروح القدس. فإن الروح القدس، المُرسَل من الآب والابن، يمجّد الرب يسوع المسيح، وباعتباره المُعزّي الآخر، يمكث مع المؤمنين ويكون فيهم. فهو يُبكّت العالم على خطية، وعلى بر، وعلى دينونة، ومن خلال عمله القوي والسري يُجدّد الخطاة الأموات روحيًا، مقيمًا إيّاهم إلى التوبة والإيمان، وفيه يعتمدون إلى الاتحاد بالرب يسوع، حيث يتبرّرون أمام الله بالنعمة وحدها بالإيمان وحده في يسوع المسيح وحده. وبواسطة الروح، يتجدّد المؤمنون، ويتقدّسون، ويتم تبنّيهم في عائلة الله، صائرين شركاء الطبيعة الإلهيّة، وينالون مواهبه الروحيّة التي يقسّمها بسلطانه. إن الروح القدس نفسه هو عربون الميراث الموعود به، وهو في هذا العصر يسكن بداخل المؤمنين، ويرشدهم، ويعلّمهم، ويؤهّلهم، وينعشهم، ويشدّدهم، كي يحيوا حياة وخدمة مشابهة للمسيح.

10. **ملكوت الله.** نؤمن أن جميع من خلصوا بنعمة الله بواسطة الاتّحاد بالمسيح بالإيمان، وبواسطة التجديد بالروح القدس، يدخلون ملكوت الله، ويتلذّذون ببركات العهد الجديد: وهي غفران الخطايا، والتغيير الداخلي الذي يُوقظ رغبة في تمجيد الله، والاتّكال عليه، وطاعته، بالإضافة إلى انتظار المجد العتيد أن يُستعلن فينا. وتُمثّل الأعمال الصالحة برهانًا رئيسيًا على النعمة المخلصة. فإن المؤمنين، إذ يحيوا كملحٍ للعالم الفاسد، وكنور للعالم المُظلم، لا ينبغي أن ينسحبوا من العالم إلى العزلة، كما لا ينبغي ألا يمكن تمييزهم عنه: بل لابد أن نعمل خيرًا للمدينة، إذ أن كل مجد وكرامة الأمم لا بد وأن يُقدَّم ذبيحة للإله الحي. فبإدراكنا لمن ينتمي هذا النظام المخلوق، وبكوننا مواطنين في ملكوت الله، فإننا ينبغي أن نُحب قريبنا كأنفسنا، وأن نعمل الخير للجميع، ولا سيما الذين من أهل الإيمان. فإن ملكوت الله، الموجود بالفعل لكنه غير مُدرَك بالكامل، هو ممارسة الله

لسيادته على العالم حتى الفداء النهائي لكل الخليقة. فإن ملكوت الله هو قوة تغزو وتنهب مملكة إبليس المُظلمة، وتُجدّد وتُصلح من خلال التوبة والإيمان حياة أفراد نجوا من هذه المملكة. وبالتالي فإن هذا يُؤسّس حتميًا مجتمعًا جديدًا من الحياة البشريّة معًا تحت سيادة الله.

11. **شعب الله الجديد**. نؤمن أن شعب العهد الجديد المنتمي لله قد بلغ بالفعل أورشليم السماويّة، وهو جالس بالفعل مع المسيح في السماويّات. هذه الكنيسة الكونيّة تُستعلَن في الكنائس المحليّة التي المسيح هو الرأس الوحيد لها؛ وهكذا فإن كل "كنيسة محليّة" هي، حقًا، الكنيسة، بيت الله، كنيسة الله الحي، عمود الحق وقاعدته. الكنيسة هي جسد المسيح، قرّة عينه، المنقوشة على كفّه، وهو قد عهد بنفسه لها إلى الأبد. وتمتاز الكنيسة برسالة الإنجيل، وفرائضها المقدّسة، وتأديبها، وإرساليّتها العُظمى، وفوق الكل، بمحبتها لله، ومحبة أعضائها بعضهم نحو البعض، ونحو العالم. وحتمًا، هذا الإنجيل الذي نعتزّ به له أبعاد شخصيّة وأيضًا جماعيّة، ولا يمكن التغاضي عن أي بعد منهما. فإن المسيح يسوع هو سلامنا، فهو لم يحقق لنا السلام مع الله فحسب، بل أيضًا السلام بين الشعوب المتغرّبة عن بعضها. فإن قصده كان أن يخلق في نفسه إنسانًا واحدًا، صانعًا بهذا سلامًا، وأن يصالح في جسد واحد كلاً من اليهود والأمم مع الله بالصليب، قاتلاً العداوة به. فإن الكنيسة تصير علامة تشير إلى عالم الله المستقبلي الجديد حين يحيا أعضاؤها لأجل خدمة بعضهم البعض، وخدمة أقربائهم، بدلاً من أن يحيوا للتركيز على ذواتهم. فالكنيسة هي الموضع الجماعي لسكنى روح الله، وهي الشاهد المستمر عن الله في العالم.

12. **المعموديّة وعشاء الرب**. نؤمن أن المعموديّة وعشاء الرب قد عيّنهما الرب يسوع نفسه. فإن الفريضة الأولى تتعلّق بالدخول إلى جماعة العهد الجديد، أما الفريضة الأخيرة فهي تتعلّق بالتجديد المستمر للعهد. ومعًا تمثل هاتان الفريضتان تعهد الله لنا، ووسائط نعمة معيّنة إلهيًا، وتعهداتنا العلنيّة بالخضوع للمسيح الذي صُلب، وهو الآن قائم، والتطلّع إلى مجيئه ثانية، واكتمال كل شيء.

13. **رد كل شيء**. نؤمن بالمجيء الثاني الشخصي، والمجيد، لربنا يسوع المسيح بالجسد مع ملائكته القديسين، حين يُمارس دوره كالديّان الأخير، وحين يكتمل ملكوته. ونؤمن بقيامة كل من الأبرار والأشرار بالجسد — الأشرار إلى الدينونة، وإلى العقوبة الأبديّة بوعي في الجحيم، كما علّمنا ربنا نفسه، والأبرار إلى النعيم الأبدي في محضر ذاك الجالس على العرش والحمل، في السماء الجديدة والأرض الجديدة، مسكن البر. وفي ذلك اليوم، ستمثُل الكنيسة بلا عيب أمام الله بسبب طاعة المسيح، وآلامه، وغلبته، وستطهَّر من جميع خطاياها، وتزول عنها جميع تأثيراتها

الرديئة إلى الأبد. وسيصير الله الكل في الكل، وسيُسبىَ شعبه بآنية قداسته الفائقة الوصف، ويصير كل شيء لمدح مجد نعمته.

الرؤية اللاهوتيّة للخدمة

I. كيف ينبغي أن يكون رد فعلنا تجاه أزمة الحق المجتمعيّة؟ (قضية المعرفيّة)

لمئات من السنوات، منذ بزوغ فجر عصر التنوير، تم الاتفاق على نطاق واسع على أن الحق — المُعبَّر عنه في كلمات تتعلّق في الأساس بالواقع — موجود بالفعل ويمكن معرفته. فقد اعتُقِد أن المنطق البشري دون أي مساعدة قادر على معرفة الحق معرفة موضوعيّة. لكن مؤخرًا، انتقد فكر ما بعد الحداثة هذه الحصيلة من الافتراضات، مُؤكدًا على أننا في الحقيقة لسنا موضوعيين في سعينا نحو المعرفة، لكننا نُفسّر المعلومات من خلال خبراتنا ومصالحنا الشخصيّة، وعواطفنا، وأحكامنا المجتمعيّة المُسبقة، ومحدوديّات اللغة، والمجتمعات الترابطيّة. فإن ادّعاء الموضوعيّة هو ادّعاء مُتغطرس، كما يُخبرنا فكر ما بعد الحداثة، ويقود حتمًا إلى صراعات بين المجتمعات المختلفة في الآراء بشأن أين يكمن الحق. مثل هذه الغطرسة، كما يقولون، تُعلّل جزئيًا الكثير من الظلم والحروب المنتشرة في العصر الحديث. إلا أن رد فكر ما بعد الحداثة على هذا هو رد خطير من ناحية أخرى: فإن الأصوات الأبرز فيه تصر على استبدال ادّعاءات الحق الموضوعي بتعدديّة ذاتيّة أكثر اتضاعًا و"قبولاً"، وتنوّعًا على نحو شامل — وهي تعدديّة كثيرًا ما تكون غارقة في وحل مستنقع لا يسمح بوجود أي أساس ثابت "لأَجْلِ الإِيمَانِ الْمُسَلَّمِ مَرَّةً لِلْقِدِّيسِينَ". مثل هذا الموقف لا مكان فيه للحق المُرتبط بالواقع، بل هو مجرد نظام من حقائق مُشكَّلة ذاتيًا. وكيف ينبغي أن يكون رد فعلنا تجاه أزمة الحق المجتمعيّة هذه؟

1. نحن نؤكد بأن الحق يُعبّر عن الواقع. نؤمن بأن الروح القدس الذي أوحى بكلمات الرسل والأنبياء يسكن أيضًا فينا، حتى يتسنّى لنا نحن المخلوقين على صورة الله أن نستقبل ونفهم كلمات الكتاب المقدس التي أعلنها الله، ونستوعب أن حقائق الكتاب المقدس تعبّر عن الواقع وتتوافق معه. فإن تصريحات الكتاب المقدس صحيحة، بالتحديد لأنها تصريحات الله، وهي تعبّر عن الواقع حتى وإن كانت معرفتنا بتلك الحقائق (أو حتى قدرتنا على إثبات صحتها لآخرين) دائمًا وبالضرورة ناقصة. فإن اعتقاد فكر التنوير بوجود معرفة موضوعيّة تمامًا جعل

من الفكر البشري الذي لا يحتاج إلى مساعدة صنمًا. لكن إنكارنا لإمكانيّة وجود معرفة موضوعيّة خالصة لا يعني فقدان الحق المُعبِّر عن الواقع الموضوعي، حتى وإن كنا غير قادرين البتة على معرفة هذا الحق دون تدخل عنصر من الذاتيّة في هذا. انظر إقرار الإيمان (2).

2. نحن نؤكّد بأن الحق مُقدَّم في الكتاب المقدس. نؤمن بأن الكتاب المقدس هو كتاب تصريحي بشكل كبير، وأن جميع تصريحات الكتاب المقدس هي صحيحة وموثوق بها بالكامل. إلا أن حق الكتاب المقدس لا يمكن اختصاره في سلسلة من التصريحات. بل هو موجود في قوالب وأساليب أدبيّة قصصيّة، ومجازيّة، وشعريّة غير قابلة للاختزال بالكامل إلى تصريحات عقائديّة، ومع ذلك فهي تنقل مشيئة الله وفكره لنا لتغييرنا إلى شبهه.
3. نحن نؤكد بأن الحق يتعلّق بالحياة مع الله. فإن الحق ليس توافقًا نظريًا فحسب بل هو أيضًا علاقة عهديّة. فالإعلان الكتابي لا ينبغي فقط معرفته، بل الحياة بمقتضاه (تثنية 29: 29). إن غرض الكتاب المقدس هو أن ينشيء الحكمة فينا — أي حياة خاضعة بالكامل لواقع الله. فإن الحق إذًا يُعدّ رابطة وعلاقة متبادلة بين حياتنا بأكملها وبين قلب الله، وكلماته، وأفعاله، وهذه الرابطة تنشأ من خلال وساطة الكلمة والروح القدس. فإن استبعادنا للطبيعة التصريحيّة للحق الكتابي يضعف على نحو خطير قدرتنا على التمسّك بالإنجيل، والدفاع عنه، وتفسيره. لكن حديثنا عن الحق باعتباره مجرد تصريحات يضعف من تقديرنا للابن المتجسّد باعتباره الطريق، والحق، والحياة، ولقوة القصة والرواية على نقل المعلومات، ولأهمية الحق باعتباره حياة في توافق حقيقي مع الله.
4. كيف تساهم هذه الرؤية عن الحق في تشكيلنا.

1. نحن نتبنى نظرية توافقيّة "منقاة" عن الحق، وهي أقل تفاخرًا وتكبرًا من نظريّة البعض في المذهب الإنجيلي الأقدم. لكننا أيضًا نرفض الرأي الذي يرى أن الحق هو شيء لا يزيد عن كونه اللغة التي تربط داخليًا جماعة إيمانيّة معينة. وهكذا فإننا نتمسّك، باتضاع نرجو أن يكون ملائمًا، بمبدأ الكتاب المقدس وحده يكفي (*sola scriptura*).

2. بالرغم من كون الحق تصريحيًا، إلا أنه ليس شيئًا يُؤمَن به فحسب، بل أيضًا يُقبَل في عبادة وسجود ويُمارَس في حكمة. هذا التوازن يُشكّل فهمنا للتلمذة والوعظ. فإننا نود تشجيع الشغف نحو العقيدة السليمة، لكننا نعلم أن النمو المسيحي ليس مجرد نقل معلومات معرفيّة.

لكن النمو المسيحي يحدث فقط حين تتشكّل الحياة بأكملها من خلال الممارسات المسيحيّة في الكنيسة — بما في ذلك الصلاة، والمعموديّة، وعشاء الرب، والشركة، والوعظ العام بالكلمة.

3. إن معرفتنا النظريّة للحق الإلهي ليست سوى معرفة جزئيّة وإن كانت دقيقة، لكننا مع ذلك يمكن أن نتيقّن من أن ما تخبرنا به الكلمة صحيح (لوقا 1: 4). فبقوة الروح القدس نقبل كلمات الإنجيل في يقين شديد وقناعة تامة (1 تسالونيكي 1: 5).

II. كيف ينبغي أن نقرأ الكتاب المقدس؟

(قضية التفسير)

1. القراءة "التتبعيّة" عبر كل الكتاب المقدس. فإن القراءة بصورة تتبعيّة في كل الكتاب المقدس هي بمثابة تمييز المخطط الأوحد الرئيسي للكتاب المقدس على أنه قصة فداء الله (مثل: لوقا 24: 44)، بالإضافة إلى الموضوعات الرئيسيّة للكتاب المقدس (مثل العهد، والملكوت، والهيكل)، التي تسود في كل مرحلة من مراحل التاريخ، وفي كل جزء من الأسفار القانونيّة، وتصل إلى قمتها وذروتها في يسوع المسيح. من هذا المنظور، يَظهر الإنجيل على أنه قصة الخلق، والسقوط، والفداء، والاسترداد. فهو يُبيّن القصد من الخلاص، الذي هو تجديد الخليقة. كما نقر في إقرار الإيمان، الفقرة الأولى، أن الله في عنايته الإلهيّة يحقق مقاصده الصالحة الأزليّة ليفتدي لنفسه شعبًا، ويرد خليقته الساقطة، لمدح مجد نعمته.
2. القراءة "عبر" الكتاب المقدس بأكمله. أن تقرأ عبر الكتاب المقدس بأكمله هو أن تجمع تصريحاته، ودعواته، ووعوده، وادّعاءات الحق إلى أقسام من الفكر (مثل عقيدة الله، وعقيدة المسيح، وعقيدة الأمور الأخيرة)، والوصول إلى فهم متماسك لما يعلّمه بصورة مُوجَزة (مثل لوقا 24: 46–47). من هذا المنظور، يظهر الإنجيل على أنه قصة الله، والخطية، والمسيح، والإيمان. فهو يُبيّن وسائط الخلاص، وهي عمل المسيح البديلي ومسئوليّتنا في قبول هذا العمل بالإيمان. كما نقر في إقرار الإيمان ، الفقرة السابعة، أن يسوع المسيح كان مُمثّلاً وبديلاً عنّا. وهو فعل هذا حتى نصير نحن بر الله فيه.
3. كيف تساهم هذه القراءة للكتاب المقدس في تشكيلنا؟

1. كثيرون اليوم (لكن ليس الجميع) ممن يتخصّصون في الطريقة الأولى من هاتين الطريقتين لقراءة الكتاب المقدس — أي القراءة التتبعيّة في كل الكتاب المقدس — يطيلون التفكير والبحث بشكل أكبر في الأبعاد الجماعيّة للخطية والخلاص. فإن الصليب يُنظَر إليه في الأساس على أنه

نموذج للخدمة الباذلة، وهزيمة لسلاطين العالم، وليس عملاً بديليًا وكفارة عن خطايانا. ومما يعد مفارقة، هو أن هذا الاتجاه يمكن أن يكون ناموسيًا للغاية. فبدلاً من دعوة الناس إلى التجديد الشخصي من خلال رسالة النعمة، يُدعى هؤلاء إلى الانضمام إلى المجتمع المسيحي، وإلى برنامج الملكوت المختص بما يعمله الله لتحرير العالم. فالتركيز هنا هو على كون المسيحيّة أسلوبًا للحياة إلى حد فقدان المكانة المشتراة بالدم في المسيح، والتي يتم نوالها بالإيمان الشخصي. وفي عدم التوازن هذا، هناك تركيز ضئيل على الكرازة النشطة والدفاعيّات، وعلى الوعظ التفسيري، وأيضًا على علامات التجديد أو الولادة الجديدة، وأهميتها.

2. على الصعيد الآخر، نزع المذهب الإنجيلي القديم (لكن ليس كله) إلى القراءة عبر الكتاب المقدس. ونتيجة لهذا، كان أكثر ميلاً للفرديّة، متمحورًا بالكامل تقريبًا حول التجديد الشخصي، والعبور الآمن إلى السماء. أيضًا، كان وعظ هذا المذهب، على الرغم من كونه تفسيريًا، أحيانًا أخلاقيّاً، دون التركيز على كيفية وصول جميع الموضوعات الكتابيّة إلى ذروتها في المسيح وفي عمله. وفي عدم الاتزان هذا، يوجد تركيز ضئيل أو لا يوجد على الإطلاق على أهمية أعمال العدل والرحمة للفقراء والمقمعين، وعلى الانتاج المجتمعي الذي يُمجّد الله في مجال الفنون، والتجارة، إلخ.

3. نحن لا نؤمن بأن هاتين الطريقتين لقراءة الكتاب المقدس، عند تطبيقهما بأفضل صورة، متناقضتان على الإطلاق، على الرغم من أن كثيرين اليوم يضعونهما الواحدة في مناقضة مع الأخرى. لكننا نؤمن في المقابل أن كلا الطريقتين، في أفضل صورهما، مكملتان لبعضهما من أجل استيعاب معنى الإنجيل الكتابي. فإن الإنجيل هو الإعلان بأنه من خلال موت يسوع المسيح وقيامته، يصالح الله الأفراد بنعمته، ويجدّد العالم بأكمله بواسطة مجده ولأجل مجده.

III. كيف يجب أن تكون علاقتنا بالمجتمع من حولنا؟

(قضية المواكبة)

1. بأن نكون مناقضين للمجتمع. نريد أن نكون كنيسة لا تقدم فقط الدعم للمؤمنين أفرادًا في مسيراتهم الشخصية مع الله، بل أيضًا تشكّلهم ليصيروا المجتمع البشري البديل الذي يخلقه الله بكلمته وروحه (انظر بالأسفل 5 ج)
2. لأجل الصالح العام. لا يكفي أن تناقض الكنيسة قيم ثقافة المجتمع السائدة. بل لابد أن نكون مناقضين للمجتمع لأجل الصالح العام. نريد أن نكون مُميَّزين جوهريّاً عن المجتمع من حولنا، ومع ذلك، ومن تلك الهويّة المُميَّزة، لابد أن نخدم أقرباءنا بل وأعداءنا أيضًا خدمة باذلة، عاملين

لأجل ازدهار وتطوّر البشر، هنا والآن، وأيضًا في الأبديّة. ولذلك نحن لا نعتبر خدمات العبادة الجماعيّة هي نقطة الوصل الرئيسيّة مع من هم بالخارج. بل نتوقع أن نتقابل مع أقربائنا في أثناء عملنا لأجل سلامهم، وأمانهم، وخيرهم، محبين إيّاهم بالقول والفعل. إن فعلنا هذا نكون "ملحًا" و"نورًا" في العالم (داعمين الظروف المعيشيّة ومطوّرين إيّاها، مظهرين للعالم مجد الله من خلال أنماط حياتنا؛ متى 5: 13–16). وكما دُعي اليهود المسبيون إلى أن يطلبوا سلام بابل ويعملوا لأجل تحقيقه (إرميا 29: 7)، هكذا المسيحيّون أيضًا هم شعب الله "في السبي" [في الشتات] (1 بطرس 1: 1؛ يعقوب 1: 1). فإن مواطني مدينة الله لابد وأن يكونوا أفضل مواطنين ممكنين في مدينتهم الأرضيّة (إرميا 29: 4–7). لسنا متفائلين بما يزيد عن الحد أو متشائمين بما يزيد عن الحد بشأن تأثيرنا في مجتمعنا، لأننا نعلم أننا فيما نسلك في خطى ذاك الذي وضع حياته لأجل أعدائه، فإننا سنواجه اضطهادًا حتى بينما لنا تأثير اجتماعي (1 بطرس 2: 12).

كيف تشكّلنا هذه العلاقة بالمجتمع

1. نؤمن أن كل أسلوب تعبير عن المسيحيّة هو بالضرورة وبالحقيقة مواكب إلى حد ما لسياق وإطار مجتمع بشري معين، فلا يوجد ما يسمى تعبيرًا شاملاً غير تاريخي عن المسيحيّة. لكننا لا نريد أن نكون متأثرين بمجتمعنا بشدة إلى حد المساومة في حقائق الإنجيل. كيف لنا إذن أن نحافظ على هذا التوازن؟
2. الإجابة هي أننا لا يمكننا أن "نواكب" الإنجيل مع المجتمع على نحو مطلق باعتباره تجربة فكريّة. فإن كانت الكنيسة تسعى إلى أن تكون مناقضة لمجتمعها لأجل الصالح الزمني والأبدي للبشر، فإنها ستحفظ نفسها ضد كل من الناموسيّة التي يمكنها أن تصاحب الانسحاب المفرط من المجتمع، والمساومة التي تنشأ من التكيف المفرط معه. فإن كنا نسعى إلى الخدمة وليس إلى السلطة، فحينئذ يكون لنا تأثير مجتمعي لا يُستهان به. لكن إن كنا نسعى للسلطة المباشرة، والسيطرة الاجتماعيّة، فإننا سنتغير إلى شبه أصنام الثروة، والمركز، والسلطة ذاتها التي نسعى إلى تغييرها.
3. يحمل الإنجيل نفسه مفتاح المواكبة السليمة. فإننا إن أفرطنا في المواكبة، فهو سيفترض أننا نرغب في الحصول على رضا المجتمع المستقبل للإنجيل بصورة تزيد عن الحد. وهذا يفضح غياب الثقة في الإنجيل. أما إن قلّلنا من المواكبة، فهو سيفترض أننا متمسكون بشدة بالزينة والمظاهر الخارجيّة لمجتمعنا الفرعي. وهذا يفضح غياب الاتضاع الإنجيلي، وغياب المحبة لقريبنا.

IV. ما هي نواحي تفرّد الإنجيل؟

يملأ هذا الإنجيل المؤمنين بالاتضاع والرجاء، وبالوداعة والجرأة، على نحو فريد. فإن الإنجيل الكتابي يختلف اختلافًا ملحوظًا عن الديانات التقليديّة كما عن العلمانيّة. فإن الديانات تعمل بناء على مبدأ "أنا أطيع، إذن أنا مقبول"، لكن مبدأ الإنجيل هو: "أنا مقبول بالمسيح، إذن أنا أطيع". وهكذا يختلف الإنجيل عن كل من التدين واللا دينيّة. يمكنك أن تسعى كي تكون "الرب والمخلص" لنفسك بكسرك لناموس الله، لكن أيضًا يمكنك أن تفعل هذا بحفظك للناموس كي تربح بهذا خلاصك.

فإن اللا دينيّة والعلمانيّة يميلان إلى تضخيم التشجيع الذاتي "للثقة بالنفس"، وتقديرها، دون خضوع للنقد؛ أما التديّن والناموسيّة فهما يسحقان البشر تحت الشعور بالذنب من جراء المعايير الأخلاقيّة التي يستحيل الحفاظ عليها. لكن الإنجيل في المقابل يجعلنا نتضع، وفي نفس الوقت يثبّتنا، بما أن كل واحد منا هو في المسيح بار، ومازال خاطئ في الوقت ذاته. فإننا فاسدون وخطاة أكثر مما جرؤنا يومًا على التصديق، ومع ذلك وفي الوقت نفسه نحن محبوبون ومقبولون أكثر مما جرؤنا يومًا على أن نرجو.

تميل العلمانيّة إلى جعل الناس أنانيين وفرديين. أما التديّن والناموسيّة فهما بوجه عام يميلان إلى جعل الناس قبائليّين، مظهرين برهم الذاتي من نحو جماعات أخرى (بما أن خلاصهم، كما يعتقدون، قد تم نواله من خلال إنجازاتهم). لكن إنجيل النعمة، المتمحور حول إنسان مات عنّا ونحن بعد أعداء، فهو في المقابل يبيد البر الذاتي والأنانيّة، ويوجّه أعضاءه نحو خدمة الآخرين لأجل الازدهار الزمني للجميع، وخاصة الفقراء، ولأجل خلاصهم أيضًا. فهو يدفعنا نحو خدمة الآخرين بغض النظر عمّا يستحقونه، كما خدمنا المسيح (مرقس 10: 45). فإن العلمانيّة والتديّن يجعلان الناس مطابقين للمعايير السلوكيّة من خلال الخوف (من العواقب) والكبرياء (رغبة في تعظيم الذات). أما الإنجيل فهو يدفع الناس إلى القداسة والخدمة بدافع فرح ممتن بالنعمة، وبدافع محبة لمجد الله لأجل الله ذاته.

V. ما هي الخدمة التي مركزها الإنجيل؟

تتصف بالآتي:

1. عبادة جماعيّة مُمكَّنة

يغير الإنجيل من علاقتنا بالله من علاقة عداوة أو من رضوخ العبيد إلى علاقة حميميّة وفرح. فإن المحرك الرئيسي إذن للخدمة التي مركزها الإنجيل هو العبادة والصلاة الحارة. فإن شعب الله في العبادة الجماعيّة يستقبل بصيرة خاصة مُغيرة للحياة عن قيمة وجمال الله، ومن ثَم يقدّم

لله في المقابل تعبيرات ملائمة عن قيمته وعمّا يستحقه. وفي مركز العبادة الجماعيّة تقع خدمة الكلمة. فإن الوعظ لابد أن يكون تفسيريًا (أي يفسّر النص الكتابي)، ومركزه المسيح (أي يشرح جميع الموضوعات الكتابيّة بحيث تصل إلى ذروتها في المسيح وعمله الخلاصي). ولكن هدفه النهائي ليس مجرد تعليم المستمعين، بل قيادتهم إلى العبادة، الفرديّة والجماعيّة، التي تُقوّي إنسانهم الباطن كي يعملوا مشيئة الله.

2. **فاعليّة وتأثير في الكرازة**

لأن الإنجيل (على خلاف الناموسيّة الدينيّة) ينشئ أناسًا لا يزدرون بمن يختلفون معهم، فإن الكنيسة التي هي بالحقيقة مركزها الإنجيل لابد أن تمتلئ بأعضاء يخاطبون آمال وتطلعات البشر على نحو جذاب من خلال المسيح وعمله الخلاصي. لدينا رؤية عن كنيسة تشهد ولادات ثانية بين كل من الأغنياء والفقراء، والمتعلمين ومن لم يكن لهم نصيب وافر في التعليم، والرجال والنساء، والشيوخ والشباب، والمتزوجين وغير المتزوجين، ومن جميع الأجناس والأعراق. نتمنّى أن نجتذب أولئك العلمانيّين وأتباع ما بعد الحداثة، وأيضًا الوصول إلى المتديّنين والتقليديّين. وبسبب جاذبيّة مجتمع الكنيسة التي مركزها الإنجيل واتّضاع شعبها، فهذه الكنيسة لابد أن تبحث في محيطها عمّن يبحثون في المسيحيّة ويحاولون فهمها. ولابد أن ترحب بهم بالمئات من الطرق. لن يفيدهم كثيرًا أن تجعلهم الكنيسة "يشعرون بالراحة"، لكن سيفيدهم أكثر أن تجعل رسالتها قابلة للفهم. وبالإضافة إلى هذا كله، يجب أن تمتلك الكنائس التي مركزها الإنجيل تحيزًا تجاه زراعة الكنائس باعتبارها أكثر الوسائل فاعليّة للكرازة.

3. **مجتمع مناقض للمجتمع**

لأن الإنجيل يزيل كلاً من الخوف والكبرياء، فإن الناس لابد أن يكونوا متوافقين بداخل الكنيسة مَن لا يمكنهم قط أن يكونوا متوافقين خارجها. وإذ يوجهنا الإنجيل إلى إنسان مات عن أعدائه، فهو بهذا يخلق علاقات من الخدمة وليس من الأنانيّة. ولأن الإنجيل يدعونا إلى القداسة، فإن شعب الله يحيا في روابط محبة من الخضوع للمساءلة والتأديب المتبادل. وهكذا يخلق الإنجيل مجتمعًا بشريًا يختلف جوهريّاً عن أي مجتمع يحيط به. وفيما يخص الجنس، لا بد للكنيسة أن تتجنّب كلاً من عبادة المجتمع العلماني لصنم الجنس، وخوف المجتمع التقليدي منه. فإنها مجتمع يحب أعضاءه ويهتم بهم بصورة عمليّة حتى أن الطهارة الكتابيّة تصير ذات معنى. فهي تُعلّم أعضاءها أن يشاكلوا بكيانهم الجسدي الإنجيل — أي بالامتناع عن ممارسة الجنس خارج إطار الزواج، والإخلاص والفرح بداخله. أما فيما يتعلّق بالعائلة، فلابد للكنيسة أن تؤكّد

على صلاح الزواج بين رجل وامرأة، داعية إيّاهم لخدمة الله بأن يعكسوا محبته العهديّة من خلال وفاء وإخلاص إلى مدى الحياة، ويعلّموا طرقه لأبنائهم. لكن أيضًا تؤكّد الكنيسة على صلاح خدمة المسيح كغير متزوجين، سواء لبعض الوقت أو لمدى الحياة. وعلى الكنيسة أن تحيط جميع الذين يعانون من سقطات الحياة الجنسيّة البشريّة بمجتمع وعائلة مترائفة. أما فيما يخص المال، فإن أعضاء الكنيسة لابد وأن يشتركوا في مشاركة اقتصاديّة جوهريّة مع بعضهم البعض — حتى "لا يكون فِيهِمْ أَحَدٌ مُحْتَاجًا" (أعمال الرسل 4: 34). هذه المشاركة تعزّز أيضًا تكريسًا سخيًا جوهريّاً للوقت، والمال، والعلاقات، وموضع الإقامة، لتحقيق العدالة الاجتماعيّة وسداد حاجات الفقراء، والمضطهدين، والمهاجرين، والضعفاء اقتصاديًا وجسديًا. وفيما يخص السلطة، فإن الكنيسة ملتزمة على نحو منظور بتقاسم السلطة وبناء العلاقات بين الأجناس، والطبقات، والأجيال البعيدة عن جسد المسيح. والبرهان العملي على هذا هو ازدياد ترحيب الكنائس المحليّة للبشر من جميع الأجناس والثقافات وقبولها لهم. فعلى كل كنيسة أن تسعى كي تعكس تنوّع مجتمعها الجغرافي المحلي، في كل من شعبها بوجه عام وقادتها.

4. تكامل الإيمان والأعمال

إن الخبر السار للكتاب المقدس ليس هو الغفران الفردي فحسب، بل تجديد الخليقة بأكملها. فقد وضع الله البشريّة في الجنة كي تعتني بالعالم المادي لمجده، وكي تساهم في ازدهار الطبيعة والمجتمع البشري. فإن روح الله لا يجدّد الأفراد فحسب (مثل يوحنا 16: 8) بل أيضًا يجدّد وينمّي وجه الأرض (تكوين 1: 2؛ مزمور 104: 30). ولهذا فإن المؤمنين يمجّدون الله ليس فقط من خلال خدمة الكلمة، بل أيضًا من خلال أعمالهم في الزراعة، والفن، والتجارة، والإدارة، والعلم — وكل هذا لمجد الله وتعزيز وتقدّم الصالح العام. كثيرون جدًا من المؤمنين قد تعلّموا فصل معتقدات إيمانهم عن طريقة أدائهم لمهنهم. فإنهم يعتبرون الإنجيل وسيلة لإيجاد السلام الشخصي، وليس أساسًا للرؤيّة العامة — أي تفسير شامل للواقع يؤثّر في كل ما نعمله. لكننا لدينا رؤية عن كنيسة تعد شعبها لتطبيق الإنجيل على كيفية ممارستنا للنجارة، والسباكة، وإدخال البيانات، والتمريض، والفن، والتجارة، والإدارة، والصحافة، والتسلية، والعلم. مثل هذه الكنيسة لن تؤيد مشاركة المؤمنين في المجتمع فحسب، لكنها ستساعدهم أيضًا بأن يعملوا بتميز، وتفوّق، وشعور بالمسئوليّة في حرفهم ووظائفهم. فإن تطوير بيئات عمل إنسانيّة، ومع ذلك مبدعة ومتفرّدة، على أساس فهمنا للإنجيل هو جزء من عمل الإتيان بمقدار من الشفاء إلى خليقة الله بقوة الروح القدس. فإن تجسيد الفرح، والرجاء، والحق المسيحي في الفنون

هو أيضًا جزء من هذا العمل. ونحن نعمل كل هذا لأن إنجيل الله يدفعنا إليه، مع إدراكنا الجيد بأن رد كل شيء ينتظر المجيء الشخصي والجسدي لربنا يسوع المسيح (إقرار الإيمان 13).

5. ممارسة أعمال العدل والرحمة

لقد خلق الله كلاً من النفس والجسد، وتبيّن قيامة يسوع أنه عتيد أن يفتدي الجانبين الروحي والمادي على حد سواء. وهكذا فإن الله مهتم ليس بخلاص النفوس فحسب، بل أيضًا بالحد من الفقر، والجوع، والظلم. فإن الإنجيل يفتح أعيننا على حقيقة أن جميع ثرواتنا (حتى تلك التي عملنا بكد للحصول عليها) هي بالكامل عطية من الله لا نستحقها. وهكذا فإن مَن لا يبذل ثروته بسخاء للآخرين ليس فقط يفتقر للرأفة، بل هو أيضًا ظالم. فإن المسيح قد ربح خلاصنا من خلال الخسارة، ووصل إلى القوة بالضعف والخدمة، ووصل إلى الغنى بالتضحية بكل شيء. وليس من ينالون خلاصه هم الأقوياء والماهرين، بل هم مَن يقرّون بأنهم ضعفاء وضالون. لا يمكننا النظر إلى الفقراء والمضطهدين، وندعوهم في قسوة إلى انتزاع أنفسهم من صعوباتهم. فإن يسوع لم يتعامل معنا هكذا. فإن الإنجيل يستبدل التشامخ من نحو الفقراء بالرحمة والرأفة. لابد للكنائس المسيحيّة أن تعمل لأجل تحقيق العدالة والسلام في محيطها من خلال الخدمة، كما أنها تدعو الأفراد إلى التجديد والولادة الجديدة. لابد لنا أن نعمل لأجل الصالح العام والأبدي، ونظهر لأقربائنا أننا نحبهم محبة باذلة سواء آمنوا مثلنا أو لا. إن التبلّد واللا مبالاة تجاه الفقراء والمحرومين يعني أننا لم نستوعب بالحقيقة أن خلاصنا كان بنعمة خالصة.

خاتمة

إن الخدمة التي قمنا بالتحدّث عنها بإيجاز هي خدمة نادرة نسبيًا. توجد العديد من الكنائس التي يحركها الباحثين عن الإيمان تساعد الكثيرين على إيجاد المسيح. وتوجد عدة كنائس تسعى للاشتراك في المجتمع من خلال النشاط السياسي. وتوجد حركة كاريزماتيّة سريعة النمو تركّز على العبادة المتألّقة، والحماسيّة، والجماعيّة. وتوجد الكثير من الكنائس المهتمة بشدة بالدقة العقائديّة والطهارة، والتي تعمل بكد شديد لتحفظ نفسها منعزلة عن العالم. وتوجد العديد من الكنائس التي لديها التزام جوهري تجاه الفقراء والمهمّشين.

لكننا مع ذلك لا نرى عددًا كافيًا من الكنائس الفرديّة التي تجسّد التوازن الكامل والتكميلي للإنجيل الذي تحدّثنا عنه هنا. وفي حين يوجد بنعمة الله عدد مشجّع من البقاع المضيئة في الكنيسة، لكننا لا نرى بعد تحرّكًا واسع النطاق صوب هذه الخدمة التي مركزها الإنجيل. نؤمن بأن مثل هذا التوازن ينتج كنائس مليئة بالبهجة وعوامل الجذب، وبالوعظ المتين لاهوتيّاً، وبالكرازة الحيويّة والدفاعيّات، ونمو الكنائس وزراعة كنائس جديدة. هذه الكنائس ستقوم بتسليط الضوء على التوبة، والتجديد الشخصيّ، وقداسة الحياة. وفي الوقت ذاته، وداخل الكنائس ذاتها، سيكون هناك انخراط في تركيبات المجتمع من البشر العاديين، بالإضافة إلى الانخراط الثقافي في الفن، والتجارة، والتعليم، والإدارة. وستكون هناك دعوات لمجتمع مسيحيّ أصيل، فيه يشترك جميع الأعضاء في الثروة، والموارد، ويفسحون مجالاً للفقراء والمهمَّشين. هذه الأولويّات جميعها ستجتمع معًا، وستعزّز بعضها الآخر في كل كنيسة محليّة.

ما الذي يمكن أن يقود إلى اتجاه متزايد نحو الكنائس التي مركزها الإنجيل؟ إن الإجابة الحاسمة هي أن الله لا بد، ولمجده، أن يرسل نهضة استجابة منه للصلاة الحارة، والخارقة، والواسعة الانتشار لشعبه. لكن نؤمن أيضًا بأنه توجد أيضًا خطوات معينة تسبق هذه الخطوة الأخيرة لابد من القيام بها. هناك رجاء وأمل كبير إن استطعنا أن نتّحد حول طبيعة الحق، وكيفيّة قراءتنا الكتاب المقدس بأفضل صورة، وحول علاقتنا بالمجتمع، ومحتوى الإنجيل، وطبيعة الخدمة التي مركزها الإنجيل. ونعتقد أن مثل هذا الالتزام يدفع بنا من جديد إلى الكتاب المقدس، ومسيح الكتاب المقدس، وإنجيل المسيح، فتبدأ طاقاتنا في النمو، بنعمة الله، ككنائس، كي "نسلك بِاسْتِقَامَةٍ حَسَبَ حَقِّ الإِنْجِيلِ" (غلاطية 2: 14). فإننا نشعر بالخجل من خطايانا وإخفاقاتنا، وممتنون فوق الطاقة من أجل الغفران، ومتلهّفون لأن نرى من جديد مجد الله، ونجسّد مشابهتنا لابنه.

ملاحظات

الفصل 1: خدمةٌ مَركزُها الإنجيل

[1] See D.A. Carson, *The Gagging of God: Christianity Confronts Pluralism* (Grand Rapids, MI: Zondervan, 1996), 61–64.
[2] Cf. Tim Keller, "The Gospel and the Poor," *Themeltos* 33: 3 (2008): 8–22 (available at http://thegospelcoalition.org/publications).
[3] Jonathan Edwards, "Christian Charity: or, The Duty of Charity to the Poor, Explained and Enforced," In *The Works of Jonathan Edwards*, revised and corrected by Edward Hickman (1834; repr., Carlisle, PA: Banner of Truth, 1974), 2:164.
[4] انظر بصورة خاصة إلى ما كتبه جوناثان ادواردز عن "عمل الخير المسيحي" (Christian Charity)، والذي فيه يضع "سببين" لهذا العمل. السبب الأول هو "الحالة العامة للجنس البشري وطبيعته. ... فقد خُلق البشر على صورة الله، ولهذا فهم جديرون بمحبتنا. ... نحن مخلوقون كي نُعال من خلال المجتمع، ومن خلال الاتحاد بآخر. فقد خلقنا الله بهذه الطبيعة، أي ألا نحيا أو نوجد دون مساعدة أحدنا للآخر" (2: 164). ويقدم لنا ادواردز الأساس الأكثر فطنة وبراعة للاهوت الخلق: أن جميع البشر مخلوقون على صورة الله، ولهم قيمة. هذه الخليقة حسنة، وهؤلاء البشر مخلوقون لأجل *السلام*، ولأجل الاتكال المتبادل. ثم يضع ادواردز سببًا ثانيًا لإقامة العدل وعمل الخير: أننا كنا مستقبلين لدم المسيح، الذي افتقر وهو "غني" لكي نستغني نحن بفقره. ويستخدم ادواردز رسالة الإنجيل للتأثير على "مشاعر" قارئيه قائلاً: "يا لهذا الأمر الشرير، ألا يتمكن أولئك الذين يأملون أن يشتركوا في هذه الفوائد، أن يعطوا شيئًا لأجل راحة قريب فقير دون تذمر! ... يا له من أمر لا يليق بنا، نحن من نحيا فقط بالرحمة، أن نكون غير رحماء! إلام كان سيؤول مصيرنا إن كان المسيح قد بخل بدمه علينا هكذا، وإن لم يكن يرغب في سكبه علينا، كما هو حال الكثير من الناس تجاه أموالهم وممتلكاتهم؟ وماذا كان سيحدث لنا إن كان قد تراجع عن الموت عنا، كما اعتاد الناس أن يتراجعوا عن عمل الخير تجاه المحيطين بهم؟" (2: 165). ويمكننا أن نؤكد على أن هذا يقوم بتكديس الجرم والذنب فوق أكتاف القارئين، لكن ادواردز لا يقول هنا: "لأنكم لم تساعدوا الفقراء، فإن الله سيرفضكم"، لكنه يقول: "إن يسوع قد رُفض بدلاً منكم، حتى يقبلكم الله الآن، فكيف لكم أن ترفضوا هؤلاء؟" فإن هذا، كما يقول ستيفن شارنوك، يعد بمثابة جعل الناس "بؤساء بالرحمة"، باستخدام الفرح والمحبة لخلق يقين متضع وتغيير.
[5] James Davison Hunter, *To Change the World: The Irony, Tragedy, and Possibility of Christianity in the Late Modern World* (Oxford: Oxford University Press, 2010)
[6] See D.A. Carson, "Systematic Theology and Biblical Theology," in *New Dictionary of Biblical Theology*, ed. T. Desmond Alexander and Brian S. Rosner (Downers Grove, II: InterVarsity, 2000), 89–104.

الفصل 2: هل يمكننا أن نعرف الحق؟

[7] D. A. Carson, *The Gagging of God: Christianity Confronts Pluralism* (Grand Rapids, MI: Zondervan, 1996), 96-102.
[8] Ibid., 99.
[9] Ibid., 100.

[10] إقرار إيمان هيئة "ائتلاف الإنجيل".

[11] إقرار إيمان هيئة "ائتلاف الإنجيل".

[12] Herman Bavinck, *The Doctrine of God*, trans. William Hendriksen (Edinburgh: Banner of Truth, 1977), 41.
[13] Francis A. Schaeffer, *The God Who Is There*, Collected Works of Francis A. Schaeffer, 5 vols. (Wheaton, IL: Crossway, 1982), 1:110, 178.
[14] John Calvin, cited in J. I. Packer, "Calvin The Theologian," in *John Calvin: A Collection of Essays*, ed. G. E. Duffield (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 1966), 162.
[15] K. Scott Oliphint, "*Non Sola Ratione*: Three Presbyterians and the Postmodern Mind," in *The Practical Calvinist: Essays in Honor of Claire Davis*, ed. Peter A. Lillback (Fearn, Scotland: Mentor, 2002), 382.

[16] K. Scott Oliphint, "The Old-New Reformed Epistemology," in *Revelation and Reason: New Essays in Reformed Apologetics*, ed. K. Scott Oliphint and Lane G. Tipton (Philipsburg, NJ: P&R, 2007), 210.
[17] Ibid., 211.

[18] الرؤية اللاهوتيّة للخدمة المختصة بهيئة "ائتلاف الإنجيل".

[19] نفس المرجع السابق.

[20] Stan Telchin, *Betrayed!* (Grand Rapids, MI: Chosen Books, 1981), 11, 22.

الفصل 3: الإنجيل وكلمة الله: كيف نقرأ الكتاب المقدس

[21] هذا الجزء من عظة له بعنوان "كيف يمكن أن نقرأ كلمة الله بأكبر استفادة روحية ممكنة؟" كما اقتبسه دونالد ويتني:
Donald Whitney, *Spiritual Disciplines for the Christian Life* (Colorado Springs: NaVPress, 1991), 53.
[22] Bryan Chapell, *Christ-Centered Preaching: Redeeming the Expository Sermon* (Grand Rapids, MI: Baker, 1994), 275.

الفصل 4: الخلق

[23] Richard Dawkins, *The Blind Watchmaker* (New York: Norton, 1991), 1.

الفصل 5: االخطيّة والسقوط

[24] Matthew White, "Deaths by Mass Unpleasantness: Estimated Totals for the Entire 20th Century," http://users.erols.com/mwhite28/warstat8.htm.
[25] Christopher J. H. Wright, *The Mission of God: Unlocking the Bible's Grand Narrative* (Downers Grove, IL: InterVarsity, 2006), 433–34.
[26] Quoted in Henri Blocher, *Original Sin: Illuminating the Riddle*, New Studies in Biblical Theology 5 (Downers Grove, IL: InterVarsity, 1997), 61.
[27] Quoted in Harold G. Coward, *The Perfectibility of Human Nature in Eastern and Western Thought* (Albany, NY: State University of New York Press, 2008), 83.
[28] Jonathan Edwards, *The Complete Works of Jonathan Edwards* (Carlisle, PA, Banner of Truth, repr. 1995), 1: 145.
[29] Quoted in Blocher, *Original Sin*, 83–84.
[30] Herman Bavinck, *Our Reasonable Faith* (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 1956), 221.
[31] John Murray, *Collected Writings of John Murray: Lectures in Systematic Theology* (Carlisle, PA, Banner of Truth, 1978), 2:69.
[32] Herman Bavinck, *Reformed Dogmatics: Sin and Salvation in Christ* (Grand Rapids, MI: Baker Academic, 2004), 3: 64–64.
[33] See Robert L. Reymond, *A New Systematic Theology of the Christian Faith*, 2nd ed. (Nashville, TN: Nelson, 1998), 436–39.

[34] إقرار إيمان هيئة "ائتلاف الإنجيل".

[35] Bavinck, *Our Reasonable Faith*, 229.
[36] R. L. Dabney, *Systematic Theology* (Carlisle, PA: Banner of Truth, 1985), 323.
[37] Ibid., 313, 324.
[38] Bavinck, *Our Reasonable Faith*, 248.
[39] D. Martyn Lloyd-Jones, *The Plight of Man and the Power of God* (Ada, MI: Baker, 1982), 57.

الفصل 6: الخطة

[40] John Calvin, *The Institutes of the Christian Religion*, 2.12.3 (http://www.ccel.org/ccel/calvin/institutes.iv.xiii.html)
[41] Martin Luther, "The Freedom of the Christian Religion," in *Martin Luther: Selections from His Writings*, ed. John Dillenberger (New York: Anchor, 1962), 60.
[42] J. C. Ryle, *Holiness* (repr., Chicago: Moody, 2010), 58–89.
[43] Owen's original wording is cited by Ryle, *Holiness*, 76–77.

الفصل 7: ما هو الإنجيل؟

[44] هذا الجزء من القصة مرتبط بمواضيع "خلق البشريّة"، و"السقوط"، و"خطة الله"، و"فداء المسيح"، و"تبرير الخطاة"، الموجودة بإقرار إيمان هيئة ائتلاف الإنجيل.

[45] هذا الجزء من القصة مرتبط بمواضيع "قوة الروح القدس"، و"ملكوت الله"، و"شعب الله الجديد"، و"المعمودية وعشاء الرب [أي وسائط النعمة]، و"رد كل شيء"، الموجودة في إقرار إيمان هيئة ائتلاف الإنجيل.

[46] "How Tedious and Tasteless the Hour," John Newton (1779).

[47] هذا الجزء من القصة مرتبط بمواضيع: "ماذا ينبغي أن تكون علاقتنا بالمجتمع المحيط بنا؟"، و "ما هي الخدمة التي مركزها الإنجيل؟"، الموجودة في الرؤية اللاهوتية لهيئة ائتلاف الإنجيل للخدمة.

الفصل 8: فداء المسيح

[48] وهنا وطوال هذا الفصل ستجد مقتطفات من إقرار إيمان هيئة ائتلاف الإنجيل، والذي ستجده مكتوبًا مرة أخرى كاملاً في ملحق هذا الكتاب.

[49] Frank Houghton, "Thou Who Wast Rich" (1894–1972).
[50] Thomas Kelly, "Look, Ye Saints! The Sight is Glorious" (1809).

الفصل 9: التبرير

[51] Donald Smarto, *Pursued: A True Story of Crime, Faith, and Family* (Downers Grove, IL: InterVarsity, 1990), 105.
[52] Ibid., 105–6.
[53] Ibid., 119–20.
[54] James Buchanan, *The Doctrine of Justification* (1867; repr., Grand Rapids, MI: Baker, 1955), 222.
[55] Leon Morris, *The Apostolic Preaching of the Cross*, 3rd ed. (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 1965), 151.
[56] John Calvin, *Institutes of the Christian Religion*, Library of Christian Classics 20-21, ed. John T. Mcneill; trans. Ford Lewis Battles (Philadelphia: Westminister, 1960), 3.11.1.
[57] Thomas Cranmer, "Sermon on Salvation," in *First Book of Homilies* (1547; repr. London: SPCK, 1914), 25–26.
[58] Martin Luther, *What Luther Says: A Practical In-Home Anthology for the Active Christian*, ed. Ewald M. Plass (St. Louis, MO: Concordia, 1959), 705, 715.
[59] Ibid., 704.
[60] Morris, *Apostolic Preaching of the Cross*, 260.
[61] Thomas Cranmer, quoted in Edmund P. Clowney, "The Biblical Doctrine of Justification by Faith," in *Right with God: Justification in the Bible and the World*, ed. D. A. Carson (Exeter: Paternoster, 1992), 17.
[62] Thomas Chalmers, quoted in Donald Grey Bamhouse, *The Invisible War* (Grand Rapids, MI: Zondervan, 1965), 116.
[63] John R. W. Stott, *The Cross of Christ* (Downers Grove, IL: InterVarsity, 1986), 190.
[64] Ibid., 190.
[65] Ibid., 202.
[66] Smarto, *Pursued*, 122.
[67] Calvin, *Institutes*, 3.11.10.
[68] Anthony A. Hoekema, *Saved by Grace* (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 1989), 178.
[69] Pieter W. Van Der Horst, "Jewish Funerary Inscriptions," *Biblical Archaeology Review* 18:5 (1992): 55.
[70] Martin Luther, *Lectures on Galatians*, Luther's Works, ed. And trans. Jaroslav Pelikan (St. Louis, MO: Concordia, 1963), 26:126.
[71] Martin Luther, quoted in James Montgomery Boice, *The Minor Prophets: An Expositional Commentary*, 2 vols. (Grand Rapids, MI: Kregel, 1996), 2: 91–92.
[72] "Justification," in Evangelical Dictionary of Theology, 2nd ed., ed. Walter A. Elwell (Grand Rapids, MI: Baker, 2001), 646.
[73] J. C. Ryle, *Justified!*, Home Truths, Second Series (London: S. W. Partridge, 1854–71), 12.
[74] Calvin, *Institutes*, 3.11.2.
[75] John Calvin, "Antidote to the Canons of the Council of Trent," in *Tracts and Treatises in Defense of the Reformed Faith*, trans. Henry Beveridge (1851; repr., Grand Rapids, MI: Eerdmans, 1958), 3:152.
[76] William Cowper, quoted in James Montgomery Boice, *Romans*, 4 vols. (Grand Rapids, MI: Baker, 1991), 1:372.

الفصل 10: الروح القدس

[77] Sinclair B. Ferguson, *The Holy Spirit* (Downers Grove, IL: InterVarsity, 1996), 21.

[78] لقد تم اختيار هذه القائمة من كتاب

Robert Letham, *The Holy Trinity: In Scripture, History, Theology, and Worship* (Phillipsburg, NJ: P&R, 2004), 60–61.

[79] Ferguson, *Holy Spirit*, 37.

[80] في حين يعلّم الكتاب المقدس بوضوح بأن الروح القدس قد أُرسل من الآب والابن، لكن هناك وضوح أقل فيما يخص إن كان الروح منبثقًا أزليًا من الآب والابن على حد سواء أم لا. ووفقًا للنسخة الأقدم من قانون إيمان نيقيّة — القسطنطينيّة (عام 389 م)، الروح القدس "منبثق من الآب". ومن المعروف أن كلمة "والابن" (*filioque*) قد أُضيفت في مجمع توليدو في عام 589 م، مما أدى إلى حدوث انشقاق بين كنيسة الشرق وكنيسة الغرب. وقد كان الجدل الذي نشأ عن هذا سياسيًا في جزء منه، ولاهوتيًا في جزء آخر، وسوء تفاهم في جزء آخر. ويلائم التقليد الغربي جيدًا التركيز الكتابيّ على عمل الروح في إعادة خلقنا على صورة المسيح، ويحمينا ضد أفكار عن الخلاص التي تضع عمل الروح في المركز بمعزل عن المسيح. لكن أولئك المناصرين لكلمة *filioque* (مثلي أنا) لابد مع ذلك أن يستمعوا جيدًا إلى المخاوف الشرقيّة.

See Letham, *Holy Trinity*, 201–20.

[81] See D.A. Carson, *The Gospel according to John* (Grand rapids, MI: Eerdmans, 1991), 534–39.

[82] Jonathan Edwards, "The Distinguishing Marks of a Work of the Spirit of God," in *Jonathan Edwards on Revival* (1741; repr., Edinburgh: banner of Truth, 1995), 121.

[83] See John Piper, *Finally Alive* (Ross-shire, Scotland: Christian Focus, 2009), 30–31.

[84] Ibid., 39–42.

[85] John Calvin, *Institutes of the Christian Religion*, ed. John T. McNeil; trans. Ford Lewis Battles (Philadelphia: Westminister, 1960), 3.1.1.

[86] Ibid.

[87] John Murray, *Redemption, Accomplished and Applied* (Grand rapids, MI: Eerdmans, 1955), 161.

[88] According to Ferguson, *Holy Spirit*, 100.

[89] John Stott, *Baptism and Fullness: The Work of the Holy Spirit Today* (Downers Grove, IL: InterVarsity, 1975), 43.

[90] J.I. Packer, *Keep in Step with the Spirit: Finding Fullness in Our Walk with God* (Grand rapids, MI: baker, 2005), 57.

[91] C.S. Lewis, *Mere Christianity* (1943; repr., New York: Touchstone, 1996), 178.

[92] See Graham Cole, *Engaging with the Holy Spirit: Real Questions, Practical Answers* (Wheaton, IL: Crossway, 2007), 49, 81, 97.

[93] انظر رومية 1: 11؛ 5: 15–16؛ 6: 23؛ 11: 29؛ 2 كورنثوس 1: 11؛ عبرانيين 2: 4.

[94] يتفق الكاريزماتيون وغير الكاريزماتيين على هذه النقطة.

See Wayne Grudem, *Systematic Theology: An Introduction to Biblical Doctrine* (Grand rapids, MI: Zondervan, 1994), 1016; Richard B. Gaffin, *Perspectives on Pentecost: New Testament Teaching on the Gifts of the Holy Spirit* (Phillipsburg, NJ: P&R, 1979), 47.

[95] Peter T. O'Brien, *The Letter to the Ephesians* (Grand rapids, MI: Eerdmans, 1999), 120.

الفصل 11: ملكوت الله

[96] Don Cupitt, "Post-Christianity," in *Religion, Modernity, and Postmodernity*, Religion and Spirituality in the Modern World, ed. Paul Heelas (Oxford: Blackwekk, 1998), 218.

[97] Barry Scwartz, *The Paradox of Choice: Why More is Less* (New York: Hapercollins, 2004), 2–3.

[98] Richard J. Bauckham, *God and the Crisis of Freedom: Biblical and Contemporary Perspectives* (Louisville, KY: Westminster, 2002), 50–51.

[99] Ibid., 68.

[100] John Bright, *The Kingdom of God* (Nashville, TN: Abingdon Press, 1980), 196ff.

[101] إن التعريف الرئيسي للكلمة العبريّة *malkuth* والكلمة اليونانيّة *basileia* يصف المكانة، والسلطة، والحكم السيادي الذي يُمارَس من قبل ملك. وربما تشير كلمة الملكوت إلى مجال، أو نطاق، أو موضع، أو شعب، لكن هذه تعد تعريفات ثانويّة دخيلة على ذلك التعريف الخاص بحكم ملكي سيادي (انظر مزمور 103: 19؛ 145: 11، 13؛ دانيال 2: 37)

[102] إقرار إيمان هيئة ائتلاف الإنجيل.

[103] Graeme Goldsworthy, "The Kingdom of God and the Old Testament," http://www.presenttruthmag.com/archive/XXII/22-4.htm

[104] Meredith G. Kline, *Kingdom Prologue* (Eugene, OR: Wipf & Stock, 2006), 12.

[105] Richard Pratt, "What Is the Kingdom of God?" http://www.thirdmill.org/files/english/html/th/TH.h.Pratt.kingdom.of.god.html.

[106] Goldsworthy, "Kingdom of God and the Old Testament."

[107] George R. Beasley-Murray, *Jesus and the Kingdom of God* (Grand rapids, MI: Eerdmans, 1988), 19.

[108] Pratt, "What is the Kingdom of God?"

[109] Ibid.

[110] Beasley Murray, *Jesus and the Kingdom of God*, 20.

[111] John Piper, "Book Review of the Kingdom of God by John Bright," http://www.desiringgod.org/ResourceLibrary/Articles/ByTopic/30/2687_Book_Review-of_The_Kingdom_of_God_by_John_Bright/.

[112] George E. Ladd, *The Gospel and the Kingdom* (Grand rapids, MI: Eerdmans, 1959), 15.

[113] Tim Keller, "Preaching the Gospel," *PT* 123 *Gospel Communication* (Spring 2003): 58–59.

[114] Richard J. Bauckham, *Jesus and the God of Israel: God Crucified and Other Studies on the New Testament's Christology of Divine Identity* (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 2008), 35.

[115] Piper, "Book Review."

[116] Craig Koester, "The Dwelling of God: The tabernacle in the Old Testament, Intertestamental Jewish Literature, and the New Testament," CBQMS, 22 (1989): 102.

[117] Ibid., 102.

يوحنا 1: 51 ("مِنَ الآنَ تَرَوْنَ السَّمَاءَ مَفْتُوحَةً، وَمَلاَئِكَةَ اللهِ يَصْعَدُونَ وَيَنْزِلُونَ عَلَى ابْنِ الإِنْسَانِ").

[118] Herman Ridderbos, The Gospel according to John (Grand rapids, MI: Eerdmans, 1997), 51.

[119] D. A. Carson, *The Gospel according to John* (Grand rapids, MI: Eerdmans, 1991), 182.

[120] Piper, "Book Review."

[121] Richard J. Bauckhma, *God Crucified: Monotheism and Christology in the New Testament*, Didsbury Lectures, 1996 (Carlisle: Paternoster, 1998), viii, 35.

[122] Bauckham, *God and the Crisis of Freedom*, 17.

[123] John Stott, *The Cross of Christ* (Downers Grove, IL: InterVarsity, 1986), 160.

[124] Tim Keller, "A Gospel for the More Secular," http://redeemer.com/resources, and especially his *Counterfeit Gods: The Empty Promises of Money, Sex, and Power, and the Only Hope That matters* (New York: Dutton, 2009).

[125] Tim Keller, John 12 Sermon, www.redeemer.com/sermons.

[126] من إقرار الإيمان: "تُمثّل الأعمال الصالحة برهانًا رئيسيًا على النعمة المُخلصة... فإننا ينبغي أن نُحب قريبنا كأنفسنا، وأن نعمل الخير للجميع، ولا سيما الذين من أهل الإيمان. وبالتالي فإن هذا يُؤسّس حتميًا مجتمعًا جديدًا من الحياة البشريّة معًا تحت سيادة الله".

[127] المرجع نفسه: "فإننا ينبغي أن نحب قريبنا كأنفسنا، وأن نعمل الخير للجميع، ولا سيما الذين من أهل الإيمان".

[128] Tim Keller, "Preaching the Gospel," 33–34.

[129] الرؤية اللاهوتيّة للخدمة الخاصة بهيئة ائتلاف الإنجيل.

[130] Schwartz, *Paradox of Choice*, 215–17.

[131] Timothy Keller, "Preaching in a Postmodern City," (unpublished version), 21.

[132] Ibid.

الفصل 12: الكنيسة: شعب الله الجديد

[133] يمثل هذا الفصل شرحًا للنقطة الحادية عشر: "شعب الله الجديد" في الوثائق التأسيسيّة لهيئة ائتلاف الإنجيل.

[134] جميع الاقتباسات من الكتاب المقدس في هذا الفصل هي من ترجمة الكاتب الخاصة.

[135] George M. Marsden, *Jonathan Edwards: A Life* (New Haven, CT: Yale University Press, 2003), 467.
[136] Timothy Keller, *Gospel Christianity* (New York: Redeemer Presbyterian Church, 2003), 22.
[137] Cornelius Plantinga, as quoted by Keller in *Gospel Christianity*, 16.
[138] D. A. Carson, *The Difficult Doctrine of the Love of God* (Wheaton, IL: Crossway, 2000), 44.
[139] Quoted in Iain H. Murray, *D. Martyn Lloyd-Jones: The First Forty Years 1899-1939* (Edinburgh: Banner of Truth, 1982), 141–42.
[140] C. H. Spurgeon, *Autobiography, vol. 2*: The Full Harvest (Edinburgh: Banner of Truth, 1973), 246.
[141] C. H. Spurgeon, *Lectures to My Students* (Grand Rapids, MI: Zondervan, 1954), 344.
[142] Dionysius, quoted by Eusebius in *Eusebius: The History of the Church*, trans. G. A. Williamson (Harmondsworth, UK: Penguin, 1965), 7.22.
[143] Tertullian, *The Anti-Nicene Fathers*, ed. Alexander Roberts and James Donaldson (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 1989), *Apology* 39.
[144] C. H. Spurgeon, *The New Park Street Pulpit* (Pasadena, CA: Pilgrim, 1855), 1:208–9.

الفصل 13: المعمودية وعشاء الرب

[145] D. Marion Clark, "Baptism: Joyful Sign of the Gospel," in *Give Praise to God: A Vision for Reforming Worship*, ed. Philip Graham Ryken, Derek W. H. Thomas, and J. Ligon Duncan III (Philipsburg, NJ: P&R, 2003), 171.
[146] James V. Brownson, *The Promise of Baptism: An Introduction to Baptism in Scripture and the Reformed Tradition* (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 2007), 24–25.
[147] Clark, "Baptism," 177.
[148] Donald S. Whitney, *Spiritual Disciplines within the Church* (Chicago: Moody, 1996), 138.
[149] من الواضح أن مؤيدي معمودية الأطفال المشيخيين لا يستخلصون من رومية 6 بشأن طريقة ممارسة المعمودية (أي، النزول إلى "القبر المائي") الاستنتاج عينه الذي يستخلصه مؤيدو معمودية المؤمنين، كما في الشرح بالأسفل.
[150] Clark, "Baptism," 177.
[151] يبدو أنه لا نهاية لكتابة وقراءة الكتب عن المعمودية. لكن فيما يلي البعض من أفضل العروض للحجج المختصة بمؤيدي معمودية المؤمنين ومؤيدي معمودية الأطفال، التي تبحث في كل من الكتاب المقدس والتاريخ المسيحي.

(1) *Believer's Baptism: Sign of the New Covenant in Christ*, ed. Thomas R. Schreiner and Shwan D. Wright (Nashville, TN: Broadman, 2006);

يعد هذا الكتاب مجموعة رائعة من مقالاتٍ لعماء مشهورين من مؤيدي معمودية المؤمنين.

(2) *Baptism: Three Views*. Ed. David F. Wright (Downers Grove, IL: InterVarsity, 2009).

كان الأستاذ رايت مشرفًا على رسالة الدكتوراة التي قمت بها في جامعة ادينبرج، وعلى الرغم من كونه شيخًا لكنيسة اسكوتلاندا (المشيخيّة)، إلا أنه كان يؤمن بمعمودية المؤمنين البالغين، وكان دارسًا رائعًا لتاريخ معمودية الأطفال. هذا الكتاب يحوي عرضًا رائعًا للآراء حول معمودية المؤمنين البالغين ومعمودية الأطفال، بالإضافة إلى رأي مساوم على شاكلة أسلوب بنيان.

(3) George R. Beasley-Murray, *Baptism in the New Testament* (London: Macmillan, 1962)

هذا الكتاب يعد دراسة أكاديمية شاملة تجادل في الرأي المختص بمعمودية المؤمنين فقط.

(4) Geoffrey Bromiley, *Children of Promise: The Case for Baptizing Infants* (Grand rapids, MI: Eerdmans, 1979).

كان بروميلي لاهوتيًا شهيرًا وبارزًا، وعلى الرغم من كون هذا الكتاب صغير الحجم، ومصمم لمستمعين من العامة، لكنه عرض بارع للرأي الخاص بمعمودية الأطفال.

(5) Paul K. Jewett, *Infant Baptism and the Covenant of Grace* (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 1978).

يعد هذا نقداً لمعمودية الأطفال من منظور معمودية المؤمنين العهدي.

(6) *The Case for Covenantal Infant Baptism*, ed. Gregg Strawbridge (Philipsburg, NJ: P&R, 2003).

يعد هذا مجموعة من المقالات التي تتجادل باقتدار في الرأي المختص بمعمودية الأطفال.

(7) Rowland Ward, *Baptism in Scripture and History* (Melbourne: New Melbourne Press, 1991).

يعد هذا عرضًا موجزًا لكن مفيدًا للقضايا من منظور معمودية الأطفال، وهو يسلط الضوء على طريقة الممارسة.

(8) Joachim Jeremias, *Infant Baptism in the First Four Centuries* (London: SCM, 1960).

هذا يعد مسحًا شاملاً للبراهين الآبائية، مؤكدًا على التفسير المتعلق بمعمودية الأطفال لهذه المراجع.

(9) Kurt Aland, *Did the Early Church Baptize Infants?* (Philadelphia: Westminster, 1963).

هذا يعد ردًا على جيريميا مناصرًا لمعمودية المؤمنين البالغين من قبل عالم لاهوتي بارز.

(10) Joachim Jeremias, *The origins of Infant Baptism: A Further Study in Reply to Kurt Aland* (London: SCM, 1963).

يرد جيريميا على ألاند، مع استمرار تأييده لتفسير مؤيد لمعمودية الأطفال للمراجع الآبائية.

(11) Everett Ferguson, *Baptism in the Early Church: History, Theology and Liturgy in the First Five Centuries* (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 2009).

فيرجسون هذا، ذلك العالم البارز في مجال الآبائيات، المستخلص من التقليد التابع لكامبيل، يقدم مسحًا شاملاً ضخمًا للبراهين من آباء الكنيسة. ويستنتج الآتي: الوسيلة: التغطيس؛ الغرض: الغفران والتجديد (على الأقل منذ ترتليانوس فصاعدًا). ولا حاجة أن نقول أن كلا المجموعتين المؤيدتين لمعمودية المؤمنين ومعمودية الأطفال من أعضاء هيئة ائتلاف الإنجيل يمكنهم استخلاص استنتاجات مختلفة من البراهين، إلا أن مؤلَّف فيرجسون ذات أهمية.

[152] James Orr, "Baptismal Regeneration," in *International Standard Bible Encyclopaedia* (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 1939), 1:397.
[153] Stephen Chamock, *The Doctrine of Regeneration* (Repr. Grand Rapids, MI: Baker, 1980), 99–100.
[154] Westminster Larger Catechism, Question 167.
[155] John Calvin, *Treatises on the Sacraments: Catechism of the Church of Geneva, Forms of Prayer, and Confessions of Faith*, trans. Henry Beveridge (Grand Rapids, MI: Reformation Heritage, 2002), 173.
[156] Richard D. Phillips, "The Lord's Supper: An Overview," in *Give Praise to God*, 197.
[157] John Calvin, The Institutes of the Christian Religion, 2 vols. (Louisville, KY: Westminster, 1960), 2: 1362 (§4.17.2)
[158] Phillips, "The Lord's Supper," 198–99.
[159] Calvin, *Institutes*, 2:1370 (§ 4.17.10)

[160] لتناول أشمل لهذه النصوص، بما في ذلك تحليل ليوحنا 6 الذي عادة يتم الاستشهاد به بشكل غير منطقي، انظر J. Ligon Duncan III, "True Communion with Christ in the Lord's Supper," in the *Westminster Confession into the 21st Century*, vol. 3 (Ross-shire: Mentor), 429-75, esp. 450-71.

[161] يصيغ دونالد مكلويد هذا الأمر بقوة قائلاً: "إن قضية حضور الرب في الفريضة لا تثيرها مادة العهد الجديد نفسها": *Priorities for the Church* (Fearn, Scotland: Christian Focus, 2003), 122.

الفصل 14: رد كل شيء

[162] N. T. Wright, *Jesus and the Victory of God* (Minneapolis: Fortress Press, 1996), 204.
[163] Ibid., 223.
[164] George Eldon Ladd, *The Presence of the Future* (Grand rapids, MI: Eerdmans, 1974), 139.
[165] Ibid., 151.
[166] Ibid., 165.
[167] Ibid., 227–29.
[168] George Eldon Ladd, *Crucial Questions about the Kingdom of God* (Grand rapids, MI: Eerdmans, 1952), 131–32.

[169] يوجد سببان لهذا. أولاً، "البناء" أو "البيت" في عدد 1ب يوجد في علاقة توازي مع "البيت" المذكور في عدد 1أ. وبما أن الأول يشير إلى جسدنا الترابي غير المُمجّد فيبدو من المعقول أن نستنتج أن الأخير يشير إلى جسدنا السماوي المُمجّد. ثانيًا، يعد الوصف الموجود في عدد 1ب ("غير مصنوع بيد"، "أبدي"، و"في السماء") ملائمًا بشكل أكبر للجسد المُمجَّد (انظر بالأخص 1 كورنثوس 15: 35–49). فإن قصد بولس إذن هو أن جسدنا السماوي غير قابل للموت، وغير معرض للتحلل أو الفساد أو الفناء.

[170] Philip Edgcumbe Hughes, *Paul's Second Epistle to the Corinthians* (Grand rapids, MI: Eerdmans, 1973), 174.
[171] Murray Harris, *The Second Epistle to the Corinthians* (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 2005), 406.
[172] Ibid., 405.
[173] Ibid., 406.

[174] يتم تناول هذه القضية بشكل مختصر ولكن مفيد للغاية في الكتاب التالي:

D. A. Carson, *The Gagging of God* (Grand Rapids, MI: Zondervan, 1996), 515–36.

[175] Ibid., 525.

[176] Ibid., 534.

[177] John Piper, *Let the Nations Be Glad! The Supremacy of God in Missions*, 2nd ed., rev. and exp. (Grand Rapids, MI: Baker Academic, 2003), 122.

[178] انظر نص رؤيا 22: 10–11. ويعلق دي. أ. كارسون على هذا النص الأخير قائلاً: "إن كان الأتقياء ومن يفعلون الصواب يستمرون في تقواهم وفعلهم للصواب، **انتظارًا لأن يحيوا ويمارسوا القداسة الكاملة والبر الكامل في الأبديّة**، ألا ينبغي علينا نحن أيضًا أن نستنتج استمرار الأشرار في شرهم **انتظارًا لأن يحيوا الشر ويمارسوه في كل الأبدية؟**" (*Gagging of God*, 533).

[179] Ibid., 527.

[180] انظر الوعد كما قُطع لإبراهيم (تكوين 12: 1–3؛ 13: 14–17؛ 15: 7؛ 17: 8)، ثم لإسحاق بدوره (تكوين 26: 1–5)، ويعقوب (تكوين 28: 13–14؛ 35: 12)، وموسى (خروج 6: 4، 8؛ 13: 5–11؛ 32: 13: 33: 1؛ عدد 10: 29؛ قارن عدد 11: 12؛ 14: 23؛ 32: 11؛ تثنية 12: 8–11).

[181] Ladd, *The Presence of the Future*, 59.

وفي هذا الشأن انظر بالأخص متى 5: 5 ورؤيا 5: 10.

[182] Donald Garlington, "Reigning with Christ: Revelation 20: 1-6 and the Question of the Millennium", in *Reformation and Revival Journal*, vol. 6, no. 2 (1997).

[183] هذا رأي كريستوفر رايت في مقالته،

"A Christian Approach to Old Testament Prophecy Concerning Israel", in *Jerusalem Past and Present in the Purposes of God*, ed. P. W. L. Walker (Cambridge: Cambridge University Press, 1992).

[184] يذكرنا جي. ك. بيل بالآتي: "إن تدرّج الإعلان يكشف معاني أوسع وأكبر لنصوص كتابيّة سابقة، كما يفسّر كتبة الكتاب المقدس اللاحقون الكتابات القانونيّة الأولى بطرق توسع من معاني نصوص سابقة. هذه التفسيرات اللاحقة قد تصيغ معاني ربما لم يكن الكتبة الأوائل على وعي بها، لكنها لا تنافي قصدهم الأساسي الأول بل ربما "تضيف" عليه. هذا يعني أن المعاني الأولى والأصلية لديها محتوى "عميق" على الأرجح لم يكن الكتبة الأصليون على دراية تامة (كما الله) بالمدى الكامل له. وفي هذا الشأن، كان التتميم عادة ما "يجسّد" النبوة بتفاصيل حتى النبي نفسه ربما لم يكن مدركًا لها".

The Temple and the Church's Mission: A Biblical Theology of the Dwelling Place of God (Downers Grove, IL: InterVarsity, 2004), 381.

[185] George Eldon Ladd, *A Commentary on the Revelation of John* (Grand rapids, MI: Eerdmans, 1972), 276.

[186] G. R. Beasley-Murray, *The Book of Revelation* (Greenwood, SC: Attic Press, 1974), 330.

[187] Jonathan Edwards, *Religious Affections*, The Works of Jonathan Edwards, ed. John E. Smith (New Haven, CT: Yale University Press, 1969), 2: 114.

حان الوقت لاستعادة جوهر إيماننا

دون كارسون - ديرفيلد، ولاية إلينوي

يعد دون كارسون أستاذ البحث في العهد الجديد بكلية لاهوت ترينيتي الإنجيليّة بمدينة ديرفيلد في ولاية إيلينوي، وشريك (مع تيم كيلر) في تأسيس هيئة ائتلاف الإنجيل. وقد ألّف العديد من الكتب، وقام مؤخرًا بتحرير كتاب "السلطان الدائم للأسفار المقدسة المسيحيّة"

The Enduring Authority of the Christian Scriptures (Eerdmans, 2016).

تيم كيلر - نيويورك

يعد تيم كيلر هو الراعي الرئيسي لكنيسة الفادي المشيخيّة (التابعة للطائفة المشيخيّة بأمريكا PCA) بحي مانهاتن بمدينة نيويرك، ومؤلفًا للعديد من الكتب. كما أنه أيضًا شريك في تأسيس هيئة ائتلاف الإنجيل ونائب الرئيس لها. وللمزيد من المصادر التي كتبها تيم كيلر يمكن زيارة موقع "Gospel in Life". كما يمكن متابعته على تويتر.

CROSSWAY